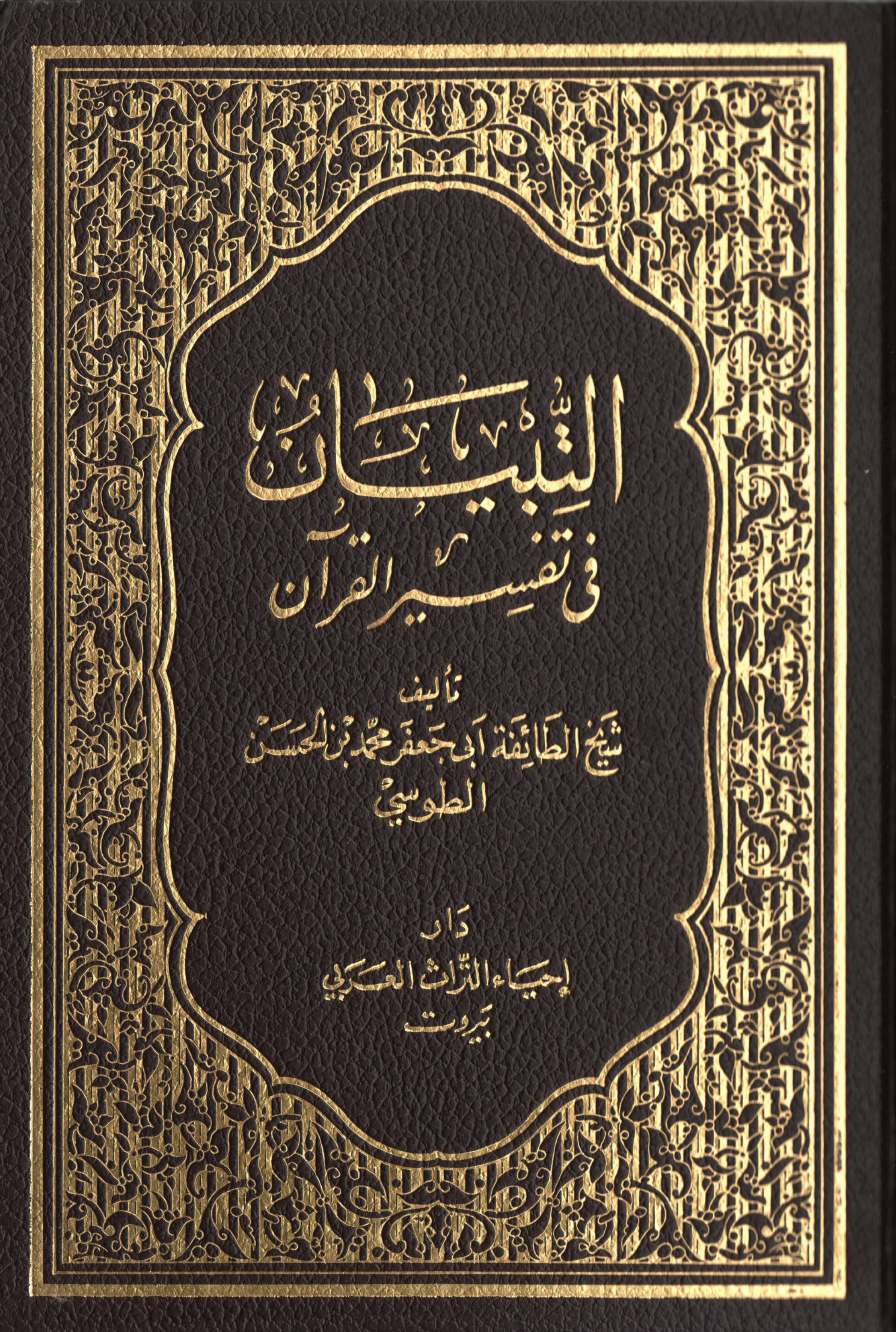


الطوسي

التبيان في تفسير القرآن

١

دار إحياء التراث العربي



التبيان

في تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

٣٨٥-٤٦٠هـ

قدم له

الإمام المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني

دام ظله

المجلد الأول

دار
إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان



حياة الشيخ الطوسي

طلبنا من المؤرخ الشهير والبحاثة الكبير الامام آية الله الشيخ اغا بزرك الطهراني دام ظله ان يستل لنا ترجمة الشيخ الطوسي من كتابه (ازاحة الحلك الدامس بالشموس المضيئة في القرن الخامس) الذي هو من أجزاء موسوعته (طبقات أعلام الشيعة) فتفضل بذلك وأضاف اليها فوائد مهمة وأموراً لا يستغني عنها الباحثون ، وسماها (حياة الشيخ الطوسي) فله منا الشكر ومن الله الأجر .
الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد

ارتسمت على كل أفق من آفاق العالم الاسلامي أسماء رجال معدودين إمتازوا بمواهب وعبقريات رفعتهم الى الأوج الأعلى من آفاق هذا العالم ، وسجلت أسماءهم في قائمة عظماء التأريخ ، وجهابذة العلم ، وأصبحوا نجوماً لامعة ، ومصابيح ساطعة تتلألأ في كبد السماء كتلألأ الجوزاء ، وتضيء لأهل هذه الدنيا فتستفيد من نورها المجموعة البشرية كل حسب مكانته وعلى مقداره ، وبذلك بنوا لأنفسهم مجداً لا يطرأ عليه التلاشي والنسيان ، وخلد ذكرهم على مر الزمان وتعاقب الملوان .

وثمة رجال ارتسمت أسماؤهم في كل أفق من تلك الآفاق ، وهم قليلون للغاية شذت بهم طبيعة هذا الكون فكان لهم من نبوغهم وعظمتهم ما جعلهم أفذاذاً في دنيا الاسلام ، وشواذاً لا يمكن أن يجعلوا مقياساً لغيرهم ، أو ميزاناً توزن به مقادير الرجال ، إذ لا يمكنها أن تنال مراتبهم وان اشرأبت اليها أعناقهم وحدثتهم بها نفوسهم .

ومن تلك الغلة شيخنا وشيخ الكل في الكل علامة الآفاق شيخ الطائفة الطوسي أعلى الله درجاته وأجزل أجره ، فقد شاءت إرادة الله العليا أن تبارك في علمه وقلمه فتخرج منها للناس نتاجاً من أفضل النتاج ، فيه كل ما يدل على غزارة العلم وسعة الاطلاع ، وقد مازه الله تعالى بصفات بارزة ، وخصه بعناية فائقة ، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا .

وقد كرّس ـ قدس الله نفسه ـ حياته طوال عمره لخدمة الدين والمذهب ، وبهذا استحق مكانته السامية من العالم الاسلامي عامة والشيعي خاصة ، وبانتاجه الغزير أصبح ـ وأمسى ـ علماً من أعظم أعلامه ، ودعامة من أكبر دعائمه ، يذكر اسمه مع كل تعظيم وإجلال وإكبار وإعجاب ، ولقد أجاد من قال فيه :

شيخ الهدى والطائفة ... أثر القرون السالفه
وصل الآله لخصه ... بنهى الأمور العارفه
ظهرت سريرة علمه ... بالفضل عنه كاشفه
لله أوقف نفسه ... شكر الآله مواقفه
سحب الرضا هتفت على ... قبر يضمك ، واكفه
كم قد حباه فضيلة ... متبوعة مترادفه ؟ (١)

نسبه :

هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي نسبة الى طوس من مدن خراسان التي هي من أقدم بلاد فارس وأشهرها ، وكانت ـ ولا تزال ـ من مراكز العلم ومعاهد الثقافة ، لأن فيها قبر الامام علي الرضا عليه السلام ، ثامن أئمة الشيعة الاثنى عشرية ، وهي لذلك مهوى أفئدتهم يقصدونها من الأماكن الشاسعة والبلدان النائية ، ويتقاطرون اليها من كل صوب وحدب ، للثم تلك العتبة المقدسة والتمرّغ في ذلك الثرى الطيب .

---

(١) كتبت هذه الأبيات على ثريا أهديت لمرقد شيخ الطائفة ولم يذكر ناظمها .

ومن أجل هذا وذاك أصبحت كغيرها من مراقد آل محمد عليهم السلام هدفاً لأعدائهم ، فقد انتابتها النكبات ، وخربت ثلاث مرات ، هدمها للمرة الأولى الأمير سبكتكين ، وقوضها للمرة الثانية الغزنويون ، وأتلفتها المرة الثالثة عاصفة الفتنة المغولية عام ٧١٦ هـ على عهد الطاغية جنكيزخان ، وقد تجددت أبنيتها وأعيدت آثارها بعد كل مرة ، وهي اليوم ـ مع ما حل فيها من تخريب ودمار ـ من أجل معاهد العلم عند الشيعة بالرغم من أعدائهم ، وفيها خزانة كتب للامام الرضا عليه السلام يحق للعالم الشيعي أن يعدها من مفاخره . والله غالب على أمره .

ولادته ونشأته :

ولد شيخ الطائفة في طوس في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هجرية ـ أعني عام وفاة هارون بن موسى التلعكبري ، وبعد أربع سنين من وفاة الشيخ الصدوق ـ وهاجر الى العراق فهبط بغداد في سنة ٤٠٨ هـ (١) وهو ابن ثلاثة وعشرين عاماً ، وكانت زعامة المذهب الجعفري فيها يومذاك لشيخ الأمة وعلم الشيعة محمد بن محمد بن النعمان الشهير بالشيخ المفيد عطر الله مثواه ، فلازمه ملازمة الظل ، وعكف على الاستفادة منه ، وأدرك شيخه الحسين بن عبيدالله ابن الغضائري المتوفى سنة ٤١١ هـ ، وشارك النجاشي في جملة من مشايخه ، وبقي على اتصاله بشيخه حتى اختار الله للاستاذ دار لقائه في سنة ٤١٣ هـ ، فانتقلت زعامة الدين ورياسة المذهب الى علامة تلاميذه علم الهدى السيد المرتضى طاب رمسه ، فانحاز شيخ الطائفة اليه ، ولازم الحضور تحت منبره ، وعني به المرتضى ، وبالغ في توجيهه وتلقينه ، واهتم له أكثر من سائر تلاميذه ، وعين له في كل شهر إثني عشر ديناراً (٢) وبقي ملازماً له طيلة ثلاث

---

(١) فما ذكره في «الروضات» من روايته عن الشريف الرضي كما في ترجمة الشريف ص ٥٧٣ من الطبعة الاولى من سبق القلم ، حيث كانت وفاة الشريف سنة ٤٠٦ هـ بالاجماع ، ودخول الشيخ بغداد كان في ٤٠٨ كما صرح به هو ايضا في ص ٥٨١ ، والغريب نقل بعض لذلك عن « مستدرك الوسائل » لشيخنا الحجة النوري وهو خال من ذلك بل هو الذي نبه على هذا الاشتباه .

(٢) ان هذا وامثاله مما يكذب ما ينسبونه الى السيد المرتضى من البخل ، وانه دخل على الوزير المهلبي فقدم له عريضة يطلب فيها رفع ضريبة قدرها عشرون ديناراً فرضت على أرض له فلم يحفل —

وعشرين سنة ، وحتى توفي السيد المعظم لخمس بقين من شهر ربيع الاول سنة ٤٣٦ هـ فاستقل شيخ الطائفة بالامامة ، وظهر على منصة الزعامة ، وأصبح علماً للشيعة ومناراً للشريعة ، وكانت داره في الكرخ مأوى الأمة ، ومقصد الوفاد ، يأتونها لحل المشاكل وايضاح المسائل ، وقد تقاطر اليه العلماء والفضلاء للتلمذة عليه والحضور تحت منبره وقصدوه من كل بلد ومكان ، وبلغت عدة تلاميذه ثلاثمائة من مجتهدي الشيعة ، ومن العامة ما لا يحصى كثرة .

وقد اعترف كل فرد من هؤلاء بعظمته ونبوغه ، وكبر شخصيته وتقدمه على من سواه ، وبلغ الأمر من الاعتناء به والاكبار له أن جعل له خليفة الوقت القائم بأمر الله ـ عبد الله ـ ابن القادر بالله ـ أحمد ـ كرسي الكلام والافادة ، وقد كان لهذا الكرسي يومذاك عظمة وقدراً فوق الوصف ، إذ لم يسمحوا به إلا لمن برز في علومه ، وتفوق على أقرانه ، ولم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قدراً أو يفضل عليه علماً فكان هو المتعين لذلك الشرف .

هجرته الى النجف الاشرف :

لم يفتأ شيخ الطائفة إمام عصره وعزيز مصره ، حتى ثارت القلاقل وحدثت الفتن بين الشيعة والسنة ، ولم تزل تنجم وتخبو بين الفينة والاخرى ، حتى اتسع نطاقها بأمر طغرل بيك أول ملوك السلجوقية فانه ورد بغداد في سنة ٤٤٧ هـ وشن على الشيعة حملة شعواء ، وأمر باحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها ابو نصر سابور

ـــ الوزير به واعرض عنه تلامذه بعض الحضور على اهانته واحترام أخيه الرضي مع انه دونه في العلم والفضل فمال ذلك بما مر . هذا كله مما خلقه المغرضون وأنت ترى ان انتقال الرياسة الدينية اليه في بغداد بذلك العصر يستلزم الكرم والجود الفائقين ، كما ان مما لا شك فيه انه كان يعول بجماعة من تلامذته ـ غير الشيخ الطوسي ـ أن لم يعل بالجميع ، ويبذل لهم ما كان يبذل له وقد ذكر الشيخ البهائي في « الكشكول » ما كان يجريه المرتضى للشيخ الطوسي وقال بعده : ولأبي البراج كل شهر ثمانية دنانير الخ . وقد تصدى لرد مثل هذه المختلقات ولدنا الدكتور عبد الرزاق محي الدين في كتابه « أدب السيد المرتضى » الذي نال به شهادة الدكتوراه في الأدب من القاهرة ، والذي عرضه علينا بعد عودته الى العراق فراقنا كثيراً وكتبنا عليه تقريظا .

ابن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي وكانت من دور العلم المهمة في بغـداد ، بناها هذا الوزير الجليل والاديب الفاضل في محـلة بين السورين في الكرخ سنة ٣٨١ ﻫ على مثال (بيت الحـكمة) الذي بناه هارون الرشيد ، وكانت مهمة للغاية فقـد جمع فيها هذا الوزير ما تفرق من كتب فارس والعراق ، واستكتب تآليف أهل الهند والصين والروم كما قاله محمد كرد علي(١) ونافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الاسفار ، واكـثرها نسخ الاصل بخطوط المؤلفين ، قال ياقوت الحموي (٢) : وبها كانت خزانة الكـتب التي أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة ولم يكن في الدنيا أحسن كـتباً منها كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة واصولهم المحررة إلخ وكان من جملتها مائة مصحف بخط ابن مقلة على ما ذكره ابن الاثير (٣) وحيث كان الوزير سابور من أهل الفضل والادب (٤) أخذ العلمـاء يهدون اليه مؤلفاتهم فأصبحت مكـتبته من أغنى دور الكـتب ببغداد ، وقد احترقت هذه المكـتبة العظيمة فيما احترق من محال الكرخ عند مجيء طغرل بيك ، وتوسعت الفتنة حتى اتجهت الى شيخ الطائفة واصحابه فأحرقوا كتبه وكرسيه الذي كان يجلس عليه للكلام

قال ابن الجوزي (٥) في حوادث سنة ٤٤٨ ﻫ : وهرب أبو جعفر

(١) خطط الشام ج ٦ ص ١٨٥ (٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٤٢ . (٣) التاريخ الكامل ج ١٠ ص ٣ (٤) سابور معرب شاپور « شاه پور » كان من وزراء الشيعة للملك الشيعي بهاء الدولة ، وكان من اهل العلم والفضل والأدب ، وكانت دار علمه محط الشعراء والادباء ، ذكره الثعالبي في « يتيمة الدهر » وعقد فصلا خاصاً للشعراء الذين مدحوه ، منهم أبو العلاء المعري فقد مدحـه بقصيدة مشهورة وذكر فيها دار كتبه هذه بقوله :

وغنت لنا في دار سابور قينة ... من الورق مطراب الاصائل ميهاب

ترجم له ابن خلكان في « وفيات الاعيان » ج ١ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ فقال : كان من أكابر الوزراء وأماثل الرؤساء ، جمعت فيـه الكفاية والدراية ، وكان بابه محط الشعراء الخ وهذه المكانة المادية ـ مضافاً الى ما للرجل في نفسه من الفضائل العلمية والكمالات الروحية ـ من الاسباب القوية لتحريضه على جمع الكتب العلمية ووقفها لأهل مذهبه ، ولا سيما النفيسة القليلة الوجود المصححة المعتبرة كما هي صفة جامعي الكتب حتى اليوم .

ولد بشيراز في سنة ٣٣٦ ﻫ وتوفي في ٤١٦ ﻫ وتوفي مخدومه بهاء الدولة في ٤٠٣ ﻫ عن ٤٢ سنة ، ودفن في النجف عند والده فناخسرو الملقب بعضد الدولة كما ذكره القاضي نور الله المرعشي في « مجالس المؤمنين » ص ٣٧٩ رحمهم الله جميعاً . (٥) المنتظم ج ٨ ص ١٧٣ و ١٧٩ .

الطوسي ونهبت داره . ثم قال في حوادث سنة ٤٤٩ ﻫ : وفي صفر في هـذه السنة كبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام ، وأخرج الى الكرخ وأضيف اليه ثلاث سناجيق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة فأحرق الجميع إلخ .

ولما رأى الشيخ الخطر محـدقاً به هاجر بنفسه الى النجف الاشرف لائذاً بجوار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصيرها مركزاً للعلم وجامعـة كبرى للشيعة الامامية ، وعاصمة للدين الاسلامي والمذهب الجعفري ، وأخذت تشـد اليها الرحال وتعلق بها الآمال ، واصبحت مهبط رجال العلم ومهوى افئدتهم وقام فيها بناء صرح الاسلام ، وكان الفضل في ذلك لشيخ الطائفة نفسه فقد بث في أعلام حوزته الروح العلمية ، وغرس في قلوبهم بذور المعارف الآلهية ، فحسروا للعلم عن سواعـدهم ووصلوا فيه ليلهم بنهارهم عاكفين على دروسهم خائضين عباب العلم غائصين على أسراره موغلين في استبطان دخائله واستخراج مخبآته ، وكيف لا يكونون كذلك وقـد شرح الله للعلم والعمل صدورهم وصقل اذهانهم وارهف طباعهم فحموا وطيس العلم ، وبان فضل النجف على ما سواها من المعاهد العلمية ، وخلفوا الذكر الجميل على مر الدهور والأعصار أعلى الله في الفردوس درجاتهم ، ولقـد أحسن وأجاد صديقنا العلامـة الحجة السيد علي نقي النقوي دام ظله حيث قال :

ذا شيخنا الطوسي شيد بها ... لربوع شرع المصطفى شرف
فهو الذي اتخذ (الغري) له ... مأوى به العلياء تعتكف
فتهافتوا لسراج حكمـته ... مثل الفراش اليـه تزدلف
وقفتهم الابناء ضامنـــة ... تجديد ماقد شاده السلف الخ

تلك هي جامعة النجف العظمى التي شيد شيخ الطائفة ركنها الاساسي ووضع حجرها الأول ، وقد تخرج منها خلال هذه القرون المتطاولة آلاف مؤلفـة من اساطين الدين واعاظم الفقهاء ، وكبار الفلاسفة ونوابغ المتكلمين ، وافاضل المفسرين واجلاء اللغويين ، وغـيرهم ممن خبروا العـلوم الاسلامية بأنواعها وبرعوا فيها ايما

براعة ، وليس أدل على ذلك من آثارهم المهمة التي هي في طليعة التراث الاسلامي ولم تزل زاهية حتى هذا اليوم ، يرتحل اليها رواد العلوم والمعارف من سائر الاقطار والقارات فيرتوون من مناهلها العذبة وعيونها الصافية (والمنهل العذب كثير الزحام) .

وقد استدل بعض الكتاب المحدثين على وجود الجامعة العلمية في النجف قبل هجرة شيخ الطائفة اليها ، وذلك اعتماداً على استجازة الشيخ ابي العباس النجاشي من الشيخ ابي عبدالله الخمري فقد قال في كتاب رجاله المطبوع ص ٠٥ عن كتاب « عمل السلطان » للبوشنجي ما لفظه : أجازنا بروايته ابو عبدالله الخمري الشيخ الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سنة اربعمائة .

وهذا لا يكفي للتدليل فالنجف مشهد يقصد للزيارة فربما تلاقيا في النجف زائرين فحصلت الاستجازة كما هو الحال في المحقق الحلي صاحب « الشرايع » فقد أجاز البعض في النجف أيام ازدهار العلم في الحلة وفتوره في النجف ، فهل يمكن عد المحقق من سكنة النجف ؟ وقد استجزت انا بعض المشايخ في كربلا ومشهد الكاظمين ومكة والمدينة والقاهرة وغيرها ، واجزت جماً من العلماء في الري ومشهد الرضا عليه السلام بخراسان وغير ذلك من البلاد ، ودوّن بعض ذلك في بعض المؤلفات فهل ينبغي عدي أوعد المجازين في علماء فارس أو الحجاز أو مصر ؟.

ثم انني اذهب الى القول بأن النجف كانت مأوى للعلماء وناديا للمعارف قبل هجرة الشيخ اليها ، وان هذا الموضع المقدس أصبح ملجيء الشيعة منذ انشأت فيه العمارة الاولى على مرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، لكن حيث لم تأمن الشيعة على نفوسها من تحكمات الأمويين والعباسيين ، ولم يستطيعوا بث علومهم ورواياتهم كان الفقهاء والمحدثون لا يتجاهرون بشيء مما عندهم ، وكانوا متبددين حتى عصر الشيخ الطوسي والى أيامه ، وبعد هجرته انتظم الوضع الدراسي وتشكلت الحلقات كما لا يخفى على من راجع (آمالي الشيخ الطوسي) الذي كان يمليه على تلامذته .

مكانته العلمية :

من البديهيات أن مكانة شيخ الطائفة المعظم وثروته العلمية الغزيرة في غنىً

عن البيان والأطراء ، وليس في وسع الكاتب - مهما تكلف - استكناه ما له من الأشواط البعيدة في العلم والعمل ، والمكانة الراسية عند الطائفة ، والمنزلة الكبرى في رياسة الشيعة ، ودون مقام الشيخ المعظم كلما ذكره الاعلام في تراجمهم له من عبارات الثناء والاكبار ، فمن سبر تأريخ الامامية ومعاجمهم ، وأمعن النظر في مؤلفات الشيخ العلمية المتنوعة علم أنه اكبر علماء الدين ، وشيخ كافة مجتهدي المسلمين ، والقدوة لجميع المؤسسين ، وفي الطليعة من فقهاء الاثنى عشرية . فقد أسس طريقة الاجتهاد المطلق في الفقه واصوله ، وانتهى اليه امر الاستنباط على طريقة الجعفرية المثلى ، وقد اشتهر بالشيخ فهو المراد به اذا اطلق في كلمات الاصحاب ، من عصره الى عصر زعيم الشيعة بوقته مالك أزمة التحقيق والتدقيق الحجة الكبرى ابي ذر زمانه الشيخ مرتضى الانصاري المتوفى سنة ١٢٨١ ه فقد يطلق الشيخ في عصرنا هذا وقبيله ويكون المراد به الشيخ الانصاري ، أما في كتب القدماء والسلف فالمراد هو شيخ الطائفة قدس الله نفسه (١) .

مضت على علماء الشيعة سنون متطاولة وأجيال متعاقبة ولم يكن من الهين على أحد منهم ان يعدو نظريات شيخ الطائفة في الفتاوى ، وكانوا يعدون أحاديثه اصلا مسلماً ، ويكتفون بها ، ويعدون التأليف في قبالها ، واصدار الفتوى مع وجودها تجاسراً على الشيخ وإهانة له ، واستمرت الحال على ذلك حتى عصر الشيخ ابن ادريس فكان - اعلى الله مقامه - يسميهم بالمقلدة ، وهو أول من خالف بعض آراء الشيخ وفتاواه وفتح باب الرد على نظرياته ، ومع ذلك فقد بقوا على تلك الحال حتى ان المحقق وابن اخته العلامة الحلي ومن عاصرهما بقوا لا يعدون راي شيخ الطائفة ، قال

---

(١) وقد يقال : الشيخان . ويراد به الشيخ المفيد والشيخ الطوسي ، والشيخان في اصطلاح المتكلمين هما الجبائيان أبو علي محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ٣٠٣ ه ، وابنه أبو هاشم عبد السلام بن محمد المتوفي سنة ٣٢١ ه وكلاهما من رؤساء المعتزلة ، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال والكتب الكلامية مشحونة بمقالاتهما .

ويطلق الشيخ في كتب الحكمة والمنطق على ابي علي الحسين بن عبدالله بن سينا البخاري المتوفى سنة ٤٢٨ ه ويطلق الشيخ في كتب البلاغة على الشيخ ابي بكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ ه وغير ذلك .

الحجة الفقيه الشيخ أسد الله الدزفولي التستري في « المقابس » ما لفظه : حتى ان كثيراً ما يذكر مثل المحقق والعلامة أو غيرهما فتاويه من دون نسبتها اليه ، ثم يذكرون ما يقتضي التردد أو المخالفة فيها فيتوهم التنافي بين الكلامين مع ان الوجه فيها ما قلناه .

نعم لما ألف المحقق الحلي « شرايع الاسلام » استعاضوا به عن مؤلفات شيخ الطائفة ، وأصبح من كتبهم الدراسية ، بعد ان كان كتاب « النهاية » هو المحور وكان بحثهم وتدريسهم وشروحهم غالباً فيه وعليه .

وليس معنى ذلك إن مؤلفات شيخ الطائفة فقدت أهميتها أو أصبحت لغواً لا يحتفل بها ، كلا بل لم تزل أهميتها تزداد على مرور الزمن شيئاً فشيئا ولن تجد في تأريخ الشيعة ومعاجمهم ذكر عظيم طار اسمه في البلدان واعترف له خصومه بالجلالة ، الا ووجدته يتضاءل أمام عظمة الشيخ الطوسي ، ويعترف بأعلميته وأفضليته وسبقه وتقدمه .

هذا النابغة الفذ الشيخ جمال الدين ابو منصور الحسن بن يوسف الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ ﻫ الشهير بالعلامة ، الذي طبقت العالم الاسلامي شهرته ، والذي تضلع في سائر العلوم ونبغ في كافة الفنون . وانتهت اليه رياسة علماء عصره في المعقول والمنقول وألف في كل علم عدة كتب ، ولم يشك أحد في انه من عظماء العالم ونوادر الدهر ، هذا الرجل الذي مر عليك بعض وصفه ذكر شيخ الطائفة في كتابه « خلاصة الاقوال في معرفة أحوال الرجال » (١) ص ٧٣ ووصفه بقوله :

شيخ الامامية ووجهم ، ورئيس الطائفة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة ، ثقة ،

---

(١) طبع هذا الكتاب في طهران عام ١٣١١ ﻫ طبعة سقيمة مملوءة بالأغلاط . وقد رأيت منه نسخاً صحيحة متقنة احداها في (الخزانة الغروية) تأريخ كتابتها (٧٦٦ ﻫ) وهي مقروء على المشايخ وعليها بلاغاتهم ، وفيها فوائد كثيرة ، والثانية في (مكتبة الحجة السيد حسن الصدر) وهي نفيسة أيضاً قرئت على مصنفها العلامة وكتب على ظهر القسم الأول منها اجازة ، وفي آخر القسم الثاني اجازة أخرى أيضاً كلتاهما في سنة ٧١٥ ﻫ وهما لواحد ، والثالثة كتبت عن نسخة بخط حفيد المؤلف أي أبي المظفر يحيى بن محمد بن الحسن الى غير ذلك ولمعرفة خصوصيات هذا الكتاب وزيادة الاطلاع عليه راجع كتابنا « الذريعة الى تصانيف الشيعة » ج ٧ ص ٢١٤ — ٢١٥ .

عين، صدوق ، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب ، وجميع الفضائل تنسب اليه ، صنف في كل فنون الاسلام ، وهو المهذب للعقائد فى الاصول والفروع ، الجامع لكمالات النفس فى العلم والعمل الخ .

وكذا الحجة الكبير والعالم العظيم محيي علوم أهل البيت الشيخ محمد باقر المجلسي صاحب دائرة المعارف الكبرى « بحار الأنوار » والمتوفى سنة ١١١١ هـ فقد ذكر شيخ الطائفة فى كتابه « الوجيزة » ص ١٦٣ فقال ما بعضه :

فضله وجلالته اشهر من ان يحتاج الى البيان إلخ .

وكذا العلامة الشهير الحجة السيد مهدي الطباطبائي الملقب ببحر العلوم والمتوفى سنة ١٢١٢ هـ فقد ترجم لشيخ الطائفة فى كتابه « الفوائد الرجالية » فقال ما ملخصه :

شيخ الطائفة المحقة ، ورافع أعلام الشريعة الحقة ، إمام الفرقة بعد الأئمة المعصومين — عليهم السلام — ، وعماد الشيعة الامامية فى كل ما يتعلق بالمذهب والدين، محقق الأصول والفروع ، ومهذب فنون المعقول والمسموع ، شيخ الطائفة على الاطلاق ، ورئيسها الذي تلوى اليه الأعناق ، صنف في جميع علوم الاسلام ، وكان القدوة في ذلك والامام .

ومنهم شيخنا وأستاذنا حجة العلماء وشيخ المجتهدين الشيخ ميرزا حسين النوري المتوفى سنه ١٣٢٠ هـ فقد ذكره في كتابه « مستدرك وسائل الشيعة » فأطراه وبالغ في الثناء عليه ، الى غير ذلك من عشرات الرجال من الشيعة والسنة ، وسنذكر قسماً منهم في هذه الترجمة .

ومن هذه الأقوال البليغة وغيرها التي صدرت من عظماء الشيعة وكبرائهم نعرف مكانة الشيخ ونستغني عن سرد فضائله ومناقبه الكثيرة .

آثاره ومآثره :

لم تزل مؤلفات شيخ الطائفة تحتل المكانة السامية بين آلاف الأسفار الجليلة التي أنتجتها عقول علماء الشيعة الجبارة ، ودبجتها يراعة اولئك الفطاحل الذين عز

على الدهر أن يأتي لهم بمثيل ، ولم تزل أيضاً غرة ناصعة في جبين الدهر وناصية الزمن وكيف لا وقد جمعت معظم العلوم الاسلامية أصلية وفرعية ، وتضمنت حل معضلات المباحث الفلسفية والكلامية التي لم تزل آراء العباقرة والنياقدة حائمة حولها ، كما احتضنت كل ما يحتاج اليه علماء المسلمين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، وحسب الشيخ عظمة ان كتابيه (التهذيب) و (الاستبصار) من الاصول المسلمة في مدارك الفقه ، ومن الكتب الأربعة التي عليها المدار ـ على مرور الاعصار ـ في استنباط أحكام الدين بعد كتاب الله المبين .

لم يكن خلود الشيخ في التاريخ وحصوله على هذه المرتبة الجليلة إلا نتيجة لاخلاصه وتبتله الواقعي ، حيث لم يؤلف طلباً للشهرة أو حباً للرياسة أو استمالة لقلوب الناس وجلباً لهم ، أو مباهاة لعالم من معاصريه ، أو رغبة في التفوق أو غير ذلك من المقاصد الدنيئة والمآرب الدنيوية التي ابتلي بها الكثير من معاصرينا ـ للاسف ـ حاشا وكلا بل لم تخطر له على بال ، وانما كان في ذلك كله قاصداً وجه الله تعالى شأنه ، راغباً في حسن جزائه طالباً لجزيل ثوابه ، حريصاً على حماية الدين واحياء شريعة سيد المرسلين ومحو آثار المفسدين ، ولذلك كان مؤيداً في أعماله مسدداً في أقواله وافعاله ، وقضية واحدة تدلنا على شدة اخلاص الشيخ نثبتها بنصها عبرة للمعتبرين .

قال شيخنا ومولانا الحجة خاتمة المحدثين الميرزا حسين النوري اعلى الله مقامه في « مستدرك الوسائل » ج ٣ ص ٥٠٦ ما لفظه :

وعثرت على نسخة قديمة من كتاب « النهاية » وفي ظهره بخط الكاتب ، وفي موضع آخر بخط بعض العلماء ما لفظه : قال الشيخ الفقيه نجيب الدين أبو طالب الاسترابادي رحمه الله : وجدت على كتاب « النهاية » بـ (خزانة مدرسة الري) قال : حدثنا جماعة من أصحابنا الثقات ان المشايخ الفقهاء الحسين بن المظفر الحمداني القزويني ، وعبد الجبار بن علي المقرىء الرازي ، والحسن بن الحسين بن بابويه المدعو بـ (حسكا) المتوطن بالري رحمهم الله كانوا يتحادثون ببغداد ويتذاكرون

كتاب « النهاية » وترتيب أبوابه وفصوله ، فكان كل واحـد منهم يعارض الشيخ الفقيه أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمة الله عليه في مسائل ، ويذكر انه لا يخلو من خلل ، ثم اتفق انهم خرجوا لزيارة المشهد المقدس بالغري على صاحبه السلام ، وكان ذلك على عهد الشيخ الفقيه أبي جعفر الطوسي رحمه الله وقدس روحه ، وكان يتخالج في صدورهم من ذلك ما يتخالج قبل ذلك ، فأجمع رأيهم على ان يصوموا ثلاثاً ويغتسلوا ليلة الجمعة ، ويصلوا ويدعوا بحضرة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على جوابه فلعله يتضح لهم ما اختلفوا فيه ، فسنح لهم أمير المؤمنين عليه السلام في النوم ، وقال :

لم يصنف مصنف في فقه آل محمد عليهم السلام كتاباً أولى بأن يعتمد عليه ويتخذ قدوة ويرجع اليه ، أولى من كتاب النهاية التي ـ كذا ـ تنازعتم فيه ، وانما كان ذلك لأن مصنفه اعتمد فيه على خلوص النيه لله ، والتقرب والزلفى لديه فلا ترتابوا في صحة ما ضمنه مصنفه ، واعملوا به وأقيموا مسائله ، فقد تعنى في تهذيبه وترتيبه والتحري بالمسائل الصحيحة بجميع أطرافها .

فلما قاموا من مضاجعهم أقبل كل واحد منهم على صاحبه ، فقال : رأيت الليلة رؤيا تدل على صحة « النهاية » والاعتماد على مصنفها فاجمعوا على أن يكتب كل واحد منهم رؤياه على بياض قبل التلفظ ، فتعارضت ـ كذا ـ الرؤيا لفظاً ومعنىً ، وقاموا متفرقين مغتبطين بذلك فدخلوا على شيخهم أبي جعفر الطوسي قدس الله روحه ، فحين وقعت عينه عليهم قال لهم : لم تسكنوا الى ما كنت أوقفتكم عليه في كتاب (النهاية) حتى سمعتم من لفظ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، فتعجبوا من قوله وسألوه عما استقبلهم به من ذاك ، فقال : سنح لي أمير المؤمنين عليه السلام كما سنح لكم فأورد عليّ ما قاله لكم وحكى رؤياه على وجهها وبهـذا الكتاب يفتي الشيعة فقهاء آل محمد عليهم السلام والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله الطاهرين انتهى .
انتهى ما في مستدرك شيخنا النوري .

وهـذه القضية وحدها كافية للتدليل على إخلاص شيخ الطائفـة وصدق

خدمته ـ وان كان في غنىً عن ذلك ـ وحسبه ذخراً يوم العرض شهادة أمير المؤمنين عليــه السلام : بأنه لم يقصد بتأليف الكتاب غير وجه الله . ولمثل هذا فليعمل العاملون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

ومما يجدر بالذكر إننا نستفيد من هذه الواقعة امرين لم يصرح بها شيخنا النوري ـ عطر الله مثواه ـ .

الأول : إن معارضي الشيخ لم يكن لهم معه غرض شخصي في تخطئته ونقده وانما اختلفوا معه في بعض الآراء الفقهية فظنوا انه مخطأ ، وان فتاويه غير مرضية عند آل محمد عليه وعليهم السلام . ولم يكن ذلك إلا غيرة على الدين ، وتحمساً له ، وتحفظاً من وقوع الخطأ فيه ، ولذلك لجئوا الى الامام عليه السلام مستفسرين منه عن وقع ذلك في نفسه ، فأجابهم عليه السلام بالرضا والقبول فسروا واطمأنوا وغبطوا شيخ الطائفة على توفيقه ، كما تدل عليه عبارة : وقاموا متفرقين مغتبطين الخ .

الثاني : ـ وهو أهم من سابقه ـ إنهم كانوا على بصيرة من أمرهم ، واطمئنان من أنفسهم ، وكانوا يشعرون برضى أئمتهم عليهم السلام عنهم ، ويرون أنفسهم عبيداً وخدماً لمواليهم ، وليس على العبـد إذا أراد المثول بين يدي مولاه إلا أن يكون على نحو يرضيه وشكل يبتغيه ، وأن يكون ممتثلاً لأوامره مبتعداً عن نواهيه ، واذاً فأي مانع من وصوله الى حضرة مولاه ، وتشرفه بخدمته ؟ .

وأنت ترى ان هؤلاء المشايخ رضوان الله عليهم ، لما عسر عليهم فهم هذا الامر وانغلقت في وجوههم أبواب الرجاء والأمل ، لجئوا الى مواجهة الامام عليه السلام ولم تكن مقدماتهم لذلك سوى بعض الآداب الشرعية المرعيـة من الصوم والوضوء والدعاء والرجاء ، فلو علم هؤلاء بتقصير لهم ، أو شعروا بتخلفهم عن بعض أوامره ، لما جسروا على طلب مواجهته ومقابلته ، وبهذا وغـيره أعلمنا قدماؤنا رضوان الله عليهم أنهم كانوا في غاية الالتزام بالتكاليف الشرعيـة كبيرة وصغيرة ، وفي غاية البعد عن كل دنية حتى المكروه والمباح ، وقد وعظونا بأعمالهم اكثر مما وعظونا بأقوالهم فيجب علينا اتباعهم والسير على الخطى التي رسموها لنا والطرق التي سنوها

من أجلنا ، وان لا نزل عن النهج القويم والصراط المستقيم عسى ان يشملنا عطف أئمة الهدى عليهم السلام فيكونوا شفعاءنا (يوم لا تغني نفس عن نفس شيئاً ولا تنفعها شفاعة) .

لقد طال بنا الكلام وخرجنا عما نحن بصدده فنعود الآن الى ذكر مؤلفات الشيخ فنقول : إن في مؤلفات شيخ الطائفة ميزة خاصة لا توجد فيما عداها من مؤلفات السلف ، وذلك لأنها المنبع الأول والمصدر الوحيد لمعظم مؤلفي القرون الوسطى ، حيث استقوا منها مادتهم وكونوا كتبهم ، ولأنها حوت خلاصة الكتب المذهبية القديمة ، وأصول (١) الأصحاب فقد مر عليك عند ذكر هجرة الشيخ الى النجف الأشرف ان مكتبة سابور في الكرخ كانت تحتضن الكتب القديمة الصحيحة التي هي بخطوط مؤلفيها أو بلاغاتهم ، وقد صارت كافة تلك الكتب طعمة للنار كما ذكرناه ، ولم نفقد بذلك ـ والحمد لله ـ سوى أعيانها الشخصية وهيآتها التركيبية الموجودة في الخارج ، وأما محتوياتها وموادها الأصلية فهي باقية على حالها دون زيادة حرف ولا نقيصة حرف ، لوجودها في المجاميع القديمة التي جمعت فيها مواد تلك الأصول قبل تأريخ إحراق المكتبة بسنين كثيرة ، حيث ألف جمع من أعاظم العلماء كتباً متنوعة ، واستخرجوا جميع ما في كتبهم من تلك الأصول وغيرها مما كان في المكتبات الأخرى ، وتلك الكتب التي ألفت عن تلك الأصول موجودة بعينها حتى هذا اليوم ، واكثر اولئك استفادة من تلك المكتبة وغيرها شيخ الطائفة الطوسي ـ رحمة الله عليه ـ لانها كانت تحت يده وفي تصرفه ، وهو زعيم الشيعة ومقدمهم يومذاك ، فلم يدع كتاباً فيها إلا وعمد الى مراجعته واستخراج ما يخص مواضيعه منه .

وهناك مكتبة أخرى كانت في متناول يده ، وهي مكتبة أستاذه السيد المرتضى الذي صحبه ثمان وعشرين سنة ، وكانت تشتمل على ثمانين ألف كتاب

---

(١) الأصل : عنوان يصدق على بعض كتب الحديث خاصة ، والأصول الاربعمائة هي : أربعمائة كتاب ألفت من جوابات الامام الصادق عليه السلام ، وقد تكلمنا عنها في غاية الوضوح والدقة في كتابنا (الذريعة الى تصانيف الشيعة) ج ١ ص ١٢٥ ـ ١٣٥ فليراجعه طالب التفصيل .

سوى ما أهدي منها الى الرؤساء كما صرح به كل من ترجم له ، وذلك أحد وجوه تلقيبه بالثمانيني .

ثم كان شيخ الطائفة متمكناً من هاتين الخزانتين العظيمتين ، وكأن الله ألهمه الأخذ بحظه منها قبل فوات الفرصة ، فقد اغتنمها آجزل الله أجره ، وغربل كوم الكتب فأخذ منها حاجته وظفر فيها بضالته المنشودة ، وألف كتابيه الجليلين (التهذيب) و (الاستبصار) اللذين هما من الكتب الأربعة ، والجوامع الحديثية التي عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثنى عشرية منذ عصر مؤلفه حتى اليوم ، وألف أيضاً غيرهما من مهام الأسفار قبل ان يحدث شيء مما ذكرنا ، وكذا غيره من الحجج فقد أجهدوا نفوسهم وتفننوا في حفظ تراث آل محمد عليه وعليهم السلام ، فكان لهم بحمد الله ما أرادوا .

وهكذا استق شيخ الطائفة مادة مؤلفاته من تصانيف القدماء ، وكتب في كافة العلوم من الفقه وأصوله ، والكلام والتفسير ، والحديث والرجال ، والأدعية والعبادات ، وغيرها ، وكانت ولم تزل مؤلفاته في كل علم من العلوم مآخذ علوم الدين بأنوارها يستضيئون ومنها يقتبسون وعليها يعتمدون .

ولهذه الناحية فان لشيخ الطائفة على الشيعة حقاً لا ينكر وفضلاً لا يستر ، على أن جمعاً من علماء الشيعة القدماء عملوا ما عمله ، فان الشيخين الكليني والصدوق ألفا (الكافي) و (من لا يحضره الفقيه) اللذين هما من الكتب الأربعة أيضاً ، وكذا غيرهما من الأقطاب ، وإنا لا ننكر فضلهم بل نشكرهم على حسن صنيعهم ونقدر مجهودهم ونسأل الله لهم الأجر والثواب الجزيل ، إلا انه لا بد لنا من الاعتراف بان شيخ الطائفة بمفرده قام بما لا تقوم به الجماعة ، ونهض بأعباء ثقيلة لم يكن من السهل على غيره النهوض بها لولا العناية الربانية التي شدت عضده ، فان الغير ممن أجهد نفسه الكريمة فكتب وألف قد خص موضوعاً واحداً كالفقه أو الحديث أو الدعاء أو غير ذلك بينما لم يدع شيخ الطائفة باباً إلا طرقه ، ولا طريقاً إلا سلكها ، وقد ترك لنا نتاجاً طيباً متنوعاً غذّى عقول فطاحل عدة قرون وأجيال .

ومع ما ذكرناه مما حل بكتب الشيعة من حريق وتلف وتدمير ، فقد شذت مجموعة نادرة منها ، وبقيت عدة من تلك الكتب بهيآتها الى أوائل القرن الثامن ، ومنها عدد كثير من كتب الأدعية ، فقد حصلت جملة وافية للسيد جمال السالكين رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن محمد الطاووسي الحسيني الحلي المتوفى سنة ٦٦٤ ه ، كما يظهر ذلك من النقل عنها في أثناء تصانيفه ، فقد ذكر في الفصل الثاني والأربعين بعد المائة من كتابه (كشف المحجة) الذي الفه سنة ٦٤٩ ه بعد ترغيب ولده الى تعلم العلوم ما لفظه : (هيئ الله جل جلاله لك على يدي كتباً كثيرة ـ الى قوله بعد ذكر كتب التفسير ـ : وهيء الله جل جلاله عندي عدة مجلدات في الدعوات أكثر من ستين مجلداً) .

وبعد هذه السنة حصلت عنده عدة كتب أخرى ، فقال في آخر كتابه (مهج الدعوات) الذي فرغ منه يوم الجمعة ٧ جمادي الأولى سنة ٦٦٢ ه يعني قبل وفاته بسنتين تقريباً : (فان في خزانة كتبنا هذه الأوقات أكثر من سبعين مجلداً في الدعوات) .

أقول : وأما سائر كتبه فقد جاء في (مجموعة الشهيد) ، أنه جرى ملكه في سنة تأليفه (الاقبال) ـ وهي سنة ٦٥٠ ه ـ على ألف وخمس مائة كتاب . والله أعلم بما زيد عليها من هذا التأريخ الى وفاته في سنة ٦٦٤ ه وهذه النيف والسبعون مجلداً من كتب الدعوات التي عنده كلها كانت من كتب المتقدمين على الشيخ الطوسي ـ الذي توفى سنة ٤٦٠ ـ لأن الشيخ منتجب الدين بن بابويه القمي جمع تراجم المتأخرين عن الشيخ الطوسي الى ما يقرب من مائة وخمسين سنة وذكر تصانيفهم ، ولا نجد في تصانيفهم من كتب الدعاء إلا قليلا ، وذلك لما ذكرناه من أن علماء الشيعة بعده الى مائة سنة أو أكثر كانوا مكتفين بمؤلفاته ومتحاشين عن التأليف في قبالها ، والحديث في هذا الباب طويل تكاد تضيق عن الاحاطة به هذه الصحائف ، فلنمسك عنان القلم محيلين طالب التفصيل الى مقالتين مبسوطتين كتبناهما في (الذريعة الأولى في ج ١ ص ١٢٥ ـ ١٣٥ والثانية في ج ٨ ص ١٧٢ ـ ١٨١ واليك الآن فهرس ما وصل الينا من مؤلفات شيخ الطائفة مرتباً على حروف الهجاء :

١ ـ الأبواب : سمي بذلك لأنه مرتب على أبواب بعدد رجال أصحاب النبي (ص) وأصحاب كل واحد من الأئمة (ع) ويسمي بـ (رجال شيخ الطائفة) وقد ذكرناه بالعنوانين في (الذريعة) في ج ١ ص ٧٣ و ج ١٠ ص ١٢٠ وهو أحد الاصول الرجالية المعتمدة عند علمائنا ، وقد انتخبه شيخنا العلامة الحجة السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي النجفي المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ كما انتخب فهرست الشيخ ورجال كل من الكشي والنجاشي وخلاصة العلامة الحلي وسمى الجميع (منتخب الرجال) وقد طبع أيضاً

٢ ـ إختيار الرجال : هو كتاب رجال الكشي الموسوم بـ (معرفة الناقلين) لابي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي معاصر ابن قولويه المتوفى سنة ٣٦٩ هـ والراوي كل منهما عن الآخر ، وكان كتاب رجاله كثير الأغلاط كما ذكره النجاشي لذلك عمد شيخ الطائفة الى تهذيبه وتجريده من الأغلاط وسماه بذلك ، وأملاه على تلاميذه في المشهد الغروي وكان بدء إملائه يوم الثلاثاء ٢٦ صفر سنة ٤٥٦ كما حكاه السيد رضي الدين بن طاووس في (فرج المهموم) راجع تفصيله في (الذريعة) ج ١ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ، والنسخة المطردة المعروفة برجال الكشي هي عين اختيار شيخ الطائفة ، وأما الأصل فلم نجد له اثراً .

٣ ـ الاستبصار فيما أختلف من الأخبار : هو أحد الكتب الأربعة والمجاميع الحديثية التي عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثنى عشرية منذ عصر المؤلف حتى اليوم ، جزآن منه في العبادات والثالث في بقية أبواب الفقه من العقود والايقاعات والاحكام الى الحدود والديات ، وهو مشتمل على عدة كتب التهذيب غير أنه مقصور على ذكر ما اختلف فيه من الأخبار وطريق الجمع بينها ، والتهذيب جامع للخلاف والوفاق ، وقد حصر الشيخ نفسه أحاديث الاستبصار في آخره في ٥٥١١ حديثاً ، وقال : حصرتها لئلا تقع فيها زيادة أو نقصان الخ . وقد طبع في المطبعة الجعفرية في لكنهو (الهند) سنة ١٣٠٧ هـ وطبع ثانياً في طهران سنة ١٣١٧ هـ وطبع ثالثاً في النجف الاشرف سنة ١٣٧٥ على نفقة الفاضل الشيخ علي الآخوندي ، وقد قوبل بثلاث نسخ مخطوطة ، وفاتهم مقابلة النسخة المقابلة

بخط شيخ الطائفـه نفسه الموجودة في (مكـتبة العلامة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء) في النجف الاشرف، كما ذكرتها تفصيلا عند ذكر الكـتاب في (الذريعة) ج ٢ ص ١٤ ـ ١٦ ، وعلى (الاستبصار) شروح وتعليقات ذكرنا منها ثمانية عشر وقد أشار اليها العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم في مقدمة (الفهرست) الذي طبع باشرافه ، ونقلها عنا برمتها العلامة الشيخ محمد علي الاوردبادي في مقـدمته للاستبصار طبع النجف .

وكتب لنا بعـد ذلك السيد شهاب الدين التبريزي انه حصل على نسخة من حواشي الاستبصار للعلامة المحقق الملقب بمجذوب كـتبها بخطه السيد محمد هاشم الحسيني ابن مير خواجه بيك الكججي وذكر الـكاتب ان المحشى كان استاذه وكان حياً في سنة ١٠٣٨ هـ ويعبرالمحشى عن المولى عبد الله التستري المتوفى سنة ١٠٢١ هـ بشيخنا ومولانا الاستاذ ، فرغ الـكاتب من النسخة في سنه ١٠٨٣ هـ .

٤ ـ أصول العقائد : قال في فهرسه عند ترجمته لنفسه وتعـديد تصانيفه ما لفظه : (وكـتاب فيالاصول كبير خرج منه الـكلام في التوحيد وبعضالـكلام في العدل) .

٥ ـ الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد : وهو فيما يجب على العباد من أصول العقائد والعبادات الشرعية على وجه الاختصار ، راجع تفصيله ومحل وجود نسخه المخطوطة في (الذريعة) ج ٢ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

٦ ـ الآمالي : فيالحديث ، ويقال له (المجالس) لأنه املاه مرتباً في عدة مجالس ، وقد طبع في طهران عام ١٣١٣ هـ منضما الى كتاب آخر اسمـه (الآمالي) ايضاً شاعت نسبته الى الشيخ ابي عليالحسن بنالشيخ الطوسي ، وليس كما اشتهر بل هو جزء من آمالي والده شيخ الطائفة أيضاً ، إلا انه ليس مثل جزئه الآخر مرتباً على المجالس ، ولهـذه الشايعة أسباب ذكرناها بغاية الدقة والتفصيل في (الذريعـة) ج ٢ ص ٣٠٩ ـ ٣١١ وص ٣١٣ ـ ٣١٤ فليرجع اليها .

٧ ـ أنس الوحيـد : كذا ذكره في ترجمته عنـد عدّ تصانيفه في كتابه

(الفهرست) وقال : انه مجموع .

٨ ـ الايجاز : في الفرائض ، وقد سماه بذلك لأن غرضه فيه الايجاز ، وأحال فيه التفصيل الى كتابه (النهاية) . وهو من مآخذ (بحار الأنوار) وقد ذكرناه في (الذريعة) ج ٢ ص ٤٨٦ ، وشرحه قطب الدين الراوندي فسماه بـ (الانجاز) كما ذكرناه في ج ٢ أيضاً ص ٣٦٤ .

٩ ـ التبيان في تفسير القرآن : وهو هذا الكتاب العظيم ، والأثر الثمين الذي يمثله الطبع اليوم الى الملأ العلمي ، ويقدمه ناشره الى أنظار القراء الكرام ، وهو أول تفسير جمع فيه مؤلفه أنواع علوم القرآن ، وقد أشار الى فهرس مطوياته في ديباجته ووصفه بقوله : (لم يعمل مثله) . واعترف بذلك امام المفسرين أمين الاسلام الطبرسي في مقدمة كتابه الجليل (مجمع البيان في تفسير القرآن) (١) فقال : انه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ، ويلوح عليه رواء الصدق ، وقد تضمن من المعاني الأسرار البديعة ، واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة ، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ولا بتنسيقها دون تحقيقها ، وهو القدوة أستضيء بأنواره ، وأطأ مواقع آثاره .

وقال العلامة السيد مهدي بحر العلوم في (الفوائد الرجالية) ما لفظه :

أما التفسير فله فيه كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن ، وهو كتاب جليل كبير عديم النظير في التفاسير ، وشيخنا الطبرسي إمام التفسير في كتبه ، اليه يزدلف ومن بحره يغترف ، وفي صدر كتابه الكبير بذلك يعترف .

وكان الشيخ المحقق محمد بن إدريس العجلي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ كثير الوقائع

---

(١) اشتبه الأمر على البحاثة المرحوم الحاج كاتب الجلبي في (كشف الظنون) ج ١ ص ٣١٢ وج ٢ ص ٣٨٥ فنسب (مجمع البيان) للشيخ الطوسي وقال : انه توفي سنة ٥٦١ هـ . ثم قال : واختصر (الكشاف) وسماه (جوامع الجامع) وابتدأ بتأليفه في سنة ٥٦٢ هـ وكأنه لم يميز بين الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ والشيخ الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ و (جوامع الجامع) هو الأخير ألفه بعد (مجمع البيان) وفرغ منه سنة ٥٤٣ هـ كما فصلناه في (الذريعة) ج ٥ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

مع شيخ الطائفة ، دائم الرد على معظم مؤلفاته ، وهو أول من خالف أقواله كما أسلفناه إلا انه يقف عند كتابه التبيان ويعترف له بعظم الشأن ، واستحكام البنيان ، كما لا يخفى ذلك على من راجع (خاتمة المستدرك) لشيخنا النوري ، وقد بلغ من إعجابه به أن لخصه وسماه (مختصر التبيان) وهو موجود كما ذكرناه في محله .

واختصره ايضاً الفقيه المفسر أبو عبدالله محمد بن هارون المعروف والده بالـكال ـ الكيال خ ل ـ شيخ محمد بن المشهدي صاحب المزار ، وقد سماه بـ (مختصر التبيان) كـذلك كما ذكره المحدث الحر ني (أمل الآمل) ، وعده ابن نما من تصانيفه أيضاً كما في إجازة صاحب (المعالم) .

وقد ذكرنا هذا الكتاب في (الذريعة) ج ٣ ص ٣٢٨ ـ ٣٠١ بغاية الوضوح كما أشرنا الى تفاصيل أجزائه وذكرنا ندرته وانه كان عند العلامة المجلسي بأجمعه كما ذكره فى مآخذ (البحار) فى أوله ، وذكرنا محال وجود أجزائه المتفرقـة ، كمكتبة الجامع الأزهر بمصر ، ومكتبة السلطان محمد الفاتح ، ومكتبة السلطان عبد الحميد خان باسلامبول ، ومكتبة الحاج حسين الملك بطهران ، ومكتبة الشيخ جعفر في القطيف ، ومكتبة شيخ الاسلام فى زنجان ، والخزانة الغروية في النجف الأشرف ومكـتبة مجد الدين النصيري في طهران ، الى غير ذلك من النسخ .

واستدركنا البحث في الجزء الرابع ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ عند ذكر تفاسير الشيعة وذكرنا ما عثرنا عليه بعد ذلك من النسخ في مكتبة المرحوم الشيخ محمد السماوي في النجف ، ومكـتبة صديقنا المعظم زعيم الشيعة الأكبر والمرجع الأعلى للتقليد اليوم السيد أغا حسين البروجردي دام ظله ، ومكتبة المرحوم السيد نصر الله التقوي رئيس المجلس الايراني في طهران وغير ذلك .

وكانت في كتب المرحوم الشيخ موسى الأردبيلي نسخة فيها الجزء الأول والرابع والسادس من هذا التفسير، ولما توفي طلب مني الفاضل السيد شفيع الأردبيلي الوقوف على كتبه ، فحضرت هناك ورأيت هذه النسخة وكان تأريخ كتابتها ١٠٨٧ هـ وهي من موقوفات خاصة للنجف سنة ١١٤٠ هـ فرغب إلي السيد شفيع أن احتفظ

بها عندي خوفاً عليها من التلف فقمت ، ولما لم أكن أعهد الجزء الأول في مكان آخر أمرت ولدي الفاضل الميرزا علي نقي المنزوي ـ صاحب عدة مؤلفات مطبوعة ومخطوطة ـ أن يستنسخها تكثيراً للنسخ ، ثم بعثت النسخة الأصلية الموقوفة الى (مكتبة الحسينية الدسترية) ليستفاد منها ، وبقيت عندي نسخة خط ولدي ، وبعد ذلك بسنين رغب الفقيه الكبير الحجة السيد محمد الكوه كمري التبريزي رحمه الله في طبع الكتاب ، وسعى لجمع بعض أجزائه المتفرقة في البلدان وضم بعضها الى بعض ، ولم يكن فيها الجزء الأول ، فكتب الى جماعة يستفسر منهم ، منهم العلامة المجاهد الشيخ عبد الحسين الأميني حفظه الله صاحب (الغدير) فراجعني الشيخ الأميني فأخبرته بوجوده لدي وأعطيته نسختي فبعثها الى قم للسيد الكوه كمري فصححت وتم بها الكتاب والحمد لله ، وطبع في مجلدين كبيرين يقرب كل واحد منهما من ٩٠٠ صفحة وذلك من سنة ١٣٦٠ ـ ١٣٦٥ هـ وكان الباذل لنفقته المحسن الصالح السيد عبد الرسول الروغني الشهير من تجار اصفهان، وهو من المثرين وأهل الخير وكانت له بعض المبرات يجريها على يدنا في النجف الأشرف .

والحق أن السيد الحجة قد أسدى الى الامة جمعاء يداً لا تنكر ، وقام بخدمة كبيرة ، إذ طالما حنت نفوس المآت من أكابر العلماء الى مشاهدة هذا التفسير الجليل مجموعاً في مكان واحد بعد تفرق أجزائه وتشتتها في مختلف البلدان ، وقد وفق لتحقيق هذه الامنية السيد الكوه كمري فبذل جهوداً لا يستهان بها حتى استطاع جمعه وترتيبه فله منا الشكر ، ونسأل الله ان يتغمده برحمته ويجزل أجره .

وقد نقل على ظهر الكتاب من (الذريعة) بعض أوصاف التفسير وما قيل فيه ، ورغم ما بذله الناشر والمصححون من الخدمات المشكورة فقد جاء حافلاً بالاغلاط المطبعية والاملائية ، ولذلك عمد (صاحب مكتبة الأمين) في النجف الأشرف فاجهد نفسه في تصحيحه وحسن إخراجه فجاء ـ والحق يقال ـ أحسن بكثير من الطبعة الاولى ، والمأمول من أهل العلم والفضل المبادرة الى الاشتراك بهذا الكتاب واقتنائه وتشجيع أمثال هذه الخدمات الدينية التي لا تقابل بثمن ، لتنتشر أسفار

قدمائنا ، وتظهر للعيان مكانة سلفنا وما لهم من خـدمات وما بذلوه من جهود والله الملهم للصواب .

وقد ذكرنا في « الذريعة » ج ٣ ص ١٧٣ (البيان في تفسير القرآن) كبير في ستة مجلدات رأيناه في « مكتبة الشيخ عبد الحسين الطهراني الشهير بشيخ العراقين » وقلنا : وليس هذا التفسير هو تبيان الشيخ الطوسي ظاهراً لأنه عشرون مجلداً كما يقال أو أكثر ، نعم آخر الجزء الثاني وأول الثالث منه مطابق مع التبيان الخ .

ثم طابقنا الكتاب مع بعض النسخ فاتضح لنا انه من أجزاء التبيان فاستدركنا ذلك وصرحنا باتحادهما في « الذريعة » ايضاً ج ٤ ص ٢٦٦ عند ذكر التفاسير .

١٠ ـ تلخيص الشافي : في الأمامة ، أصله لعلم الهدى السيد المرتضى رحمة الله عليه ، وقد لخصه تلميـذه شيخ الطائفة ، وطبع التلخيص في آخر الشافي بطهران ، سنة ١٣٠١ ﻫ كما ذكرناه في « الذريعة » ج ٤ ص ٤٢٣ .

١١ ـ تمهيد الأصول : شرح لكتاب « جمل العلم والعمل » لاستاذه المرتضى لم يخرج منـه إلا شرح ما يتعلق بالأصول كما صرح به في الفهرست ، ولذا عبر عنه النجاشي بتمهيد الاصول ، توجد منه نسخة في « خزانة الرضا عليه السلام » بخراسان كما في فهرسها ، وقد ذكرناه في « الذريعة » ج ٤ ص ٤٣٣ .

١٢ ـ تهذيب الاحكام : أحد الكتب الأربعة والمجاميع القديمة المعول عليها عند الأصحاب من لدن تأليفها حتى اليوم ، استخرجه شيخ الطائفة من الأصول المعتمدة للقدماء ، والتي هيأها الله له وكانت تحت يده من وروده الى بغداد سنة ٤٠٨ ﻫ الى هجرته الى النجف الاشرف سنة ٤٤٨ ﻫ ، وقد خرج من قلمه الشريف تمام كتاب الطهارة الى كتاب الصلاة بعنوان الشرح على « المقنعة » تأليف استاذه الشيخ المفيد الذي توفى عام ٤١٣ ﻫ ، وذلك في حياة استاذه ، وكان عمره يومذاك خمساً ـ أو ستاً ـ وعشرين سنة ، ثم تممه بعـد وفاته ، وقد أنهيت أبوابه الى ثلاثمائة وثلاثة وتسعين باباً ، واحصيت أحاديثه في ١٣٥٩٠ ، وقد طبع في مجلدين كبيرين سنة ١٣١٧ ﻫ ويوجد في تبريز الجزء الأول منه بخط مؤلفه شيخ الطائفة ، وعليه خط الشيخ البهائي

وهو في مكتبة السيد الميرزا محمد حسين بن علي أصغر شيخ الاسلام الطباطبائي المتوفى سنة ١٢٩٣ هـ ، كما ذكرناه في « الذريعة » مفصلاً ج ٤ ص ٥٠٤ ـ ٥٠٧ ، وأحصينا هناك من شروح الكتاب ستة عشر ، ومن حواشيه عشرين ، كما أشرنا الى عدة كتب تتعلق به ، كـ « إنتخاب الجيد من تهذيبات السيد » و « ترتيب التهذيب » و « تصحيح الاسانيد » و « تنبيه الأريب في إيضاح رجال التهذيب » الى غير ذلك مما لا غنىً للباحثين عن مراجعته .

١٣ ـ الجمل والعقود : في العبادات ، وقد رأيت منه عدة نسخ في النجف الاشرف ، وفي طهران ، ألفه بطلب من خليفته في البلاد الشامية ، وهو القاضي عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج قاضي طرابلس المتوفى سنة ٤٨١ هـ ، كما صرح في أوله بقوله : « فاني مجيب الى ما سأل الشيخ الفاضل أطال الله بقاءه » . وقد صرح في هامش بعض النسخ القديمة بأن القاضي المذكور هو المراد بالشيخ كما ذكرناه في « الذريعة » ج ٥ ص ١٤٥ .

١٤ ـ الخلاف في الأحكام : ويقال له « مسائل الخلاف » أيضاً ، وهو مرتب على ترتيب كتب الفقه وقد صرح فيه بأنه ألفه قبل كتابيه « التهذيب » و « الاستبصار » وناظر فيه المخالفين جميعاً ، وذكر مسائل الخلاف بيننا وبين من خالفنا من جميع الفقهاء وذكر مذهب كل من خالف على التعيين ، وبيان الصحيح منه وما ينبغي أن يعتقد الى غير ذلك مما شرحه في أول الكتاب ، وهو في مجلدين كبيرين ، يوجدان تماماً في « مكتبة الحجة السيد ميرزا باقر القاضي » في تبريز ، وهناك نسخ في النجف الأشرف في « مكتبة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء » و « مكتبة الشيخ محمد السماوي » و « مكتبة الشيخ مشكور الحولاوي » و « مكتبة الحسينية التسترية » ونسخة في الكاظمية في « مكتبة السيد حسن الصدر » وهي أقدم نسخة رأيتها حيث أن على ظهر الصفحة الأخيرة منها إجازة تأريخها سنة ٦٦٨ هـ ونظراً لنفاسة هذه الاجازة فقد نشرتها حرفياً في هامش الجزء السابع من « الذريعة » ص ٢٣٦ عند ذكر الخلاف ، ونسخة أخرى في « الخزانة الرضوية » بخراسان ، تجد تفصيل

ذلك في « الذريعة » وقد طبع الكتاب بحمد الله في طهران سنة ١٣٧٠ هـ بأمر من زعيم الشيعة الحجة السيد آغا حسين البروجردي دام ظله مع تعليقة له عليه ، وذلك بنفقة الوجيه الصالح الحاج محمد حسين كوشان پور جزاهما الله خير الجزاء ان شاء الله ، والأسف ان السيد البروجردي لم يرجع الى « الذريعة » ولو رجع اليها لدلته على النسخة التامة التي ذكرناها ولاستغنى عن استكتاب القطع وضم بعضها الى بعض كما شرح ذلك بقلمه على ظهر الكتاب .

١٥ ـ رياضة العقول : شرح فيه كتابه الآخر الذي سماه « مقدمة في المدخل الى علم الكلام » ذكرها النجاشي في رجاله والمترجم له في فهرس كتبه وابن شهراشوب في « معالم العلماء » كما ذكرناه في حرف الراء من « الذريعة » المخطوط .

١٦ ـ شرح الشرح : في الاصول ، قال تلميذه الحسن بن مهدي السليقي : إن من مصنفاته التي لم يذكرها في الفهرست كتاب شرح الشرح في الاصول ، وهو كتاب مبسوط أملى علينا منه شيئاً صالحاً ، ومات رحمه الله ولم يتمه ولم يصنف مثله .

١٧ ـ العدة : في الأصول ، ألفه في حياة أستاذه السيد المرتضى ، وقسمه قسمين الأول في أصول الدين والثاني في أصول الفقه ، وهو أبسط ما ألف في هذا الفن عند القدماء أفاض فيه القول في تنقيح مباني الفقه بما لا مزيد عليه في ذلك العصر ، طبع ببمبىء في سنة ١٣١٢ هـ ، وطبع في ايران ثانياً سنة ١٣١٤ هـ مع حاشية المولى خليل القزويني المتوفى سنة ١٠٨٩ وليست شرحاً كما قاله الشيخ الحر في (أمل الآمل) بل هي حاشية مبسوطة في مجلدين كما فصله المولى عبد الله الأفندي في (رياض العلماء) والموقوف على تفصيل ذلك راجع (الذريعة) ج ٦ ص ١٤٨ .

١٨ ـ الغيبة : في غيبة الامام الحجة المهدي المنتظر عليه السلام ، طبع في تبريز على الحجر طبعاً صحيحاً متقناً في سنة ١٣٢٤ هـ مع حاشية كل من العلامة الشيخ فضل علي الايرواني المتوفى سنة ١٣٣١ هـ والعلامة الشهيد الميرزا علي آغا التبريزي الملقب بثقة الاسلام ، وكان طبعه بنفقة الفاضل التقي الشيخ محمد صادق التبريزي المعروف بالقاضي ابن الحاج محمد علي بن الحاج علي محمد بن الحاج الله وردي ، وهو

من الكتب التي حصل عليها من إرث أبي زوجته السيد ميرزا مهدي خان الطباطبائي التبريزي ، وقد ظن بعضهم انه ألفه في حياة أستاذه الشيخ المفيد ، وانه هو المراد بقوله : ما رسمه الشيخ الجليل أطال الله بقاءه إلخ . وليس كذلك فقد قال في جواب الاعتراض على طول عمر الحجة كما في ص ٨٥ من الكتاب ما نصه : الى هذا الوقت الذي هو سنة سبع واربعين واربعماءة الخ فاين هذا الشيخ من الشيخ المفيد الذي توفى سنة ٤١٣ هـ ؟

١٩ ـ الفهرست : (١) ذكر فيه أصحاب الكتب والأصول ، وأنهى اليهم واليها أسانيده عن مشايخه ، وهو من الآثار الثمينة الخالدة ، وقد اعتمد عليه علماء الامامية على بكرة أبيهم في علم الرجال ، وقد شرحه العلامة المحقق الشيخ سليمان الماحوزي المتوفى ١١٢١ هـ وسماه (معراج الكمال الى معرفة الرجال) ورتبه على طريقة كتب الرجال كل من العلامة الشيخ علي المقشاعي الاصبعي البحراني المتوفى سنة ١١٢٧ هـ والعلامة المولى عناية الله القهپائي النجفي المتوفى بعد سنة ١١٢٦ وغيرها مما ذكرنا كلاً في محله من (الذريعة) .

طبع الفهرست في ليدن قبل سنين متطاولة ولا أذكر الآن عام طبعه ، على إنني وقفت عليه في طهران ، وكانت نسخه عزيزة جداً ولذلك كتبت عليه نسخة لنفسي قبل إحدى وستين سنة ، ولا تزال موجودة عندي بورقها وخطها القديم مع غيرها مما استنسختة يومذاك من الكتب لندرته ، وتأريخ فراغي من كتابتها في طهران أيام عودتي اليها من النجف الاشرف صبيحة يوم الأحد غرة شهر ربيع الأول سنة ١٣١٥ هـ .

وهذه الطبعة كانت جيدة متقنة صحيحة ثمينة جداً ، حتى ان مكتبات طهران وعلمائها يومذاك لم تكن تضم غير هذه النسخة ، لأن جلبها من الخارج كان يكلف ثمناً لا بأس به ، وقد كانت هذه النسخة في مكتبة الزعيم الحجة المعروف

(١) ذكره العلامة الفضال يوسف أسعد داغر في مصادر كتابه (مصادر الدراسة الأدبية) ج ١ ص ٩ وذكر ان وفاة الشيخ في ٤٦٥ هـ والصحيح ٤٦٠ كما سيأتي وقال : انه في ٢٨٣ ص والصحيح ٣٨٣ .

والأديب الكبير الميرزا أبي الفضل الطهراني الشهير بـ (الكلانتري) والمتوفى سنة ١٣١٩ هـ استعرتها من تلميذه استاذي الشيخ علي النوري الايلكائي رحمه الله فرأيت في آخرها عدة صفحات باللغة اللاتينيـة ، ففتشت في طهران كثيراً حتى عثرت عن يحسنها فترجمها لي بالفارسية ونقلتها أنا الى العربية وصدرت بها نسختي ، وهي كلمة الناشر وخلاصتها : أنه أجهد نفسه في مقابلة النسخ والتدقيق في التصحيح الى غير ذلك

وطبع ثانياً في كلكته من بلاد الهند عام ١٢٧١ هـ فجاء في ٣٧٣ صفحة وقد تولى نشره وتصحيحه (ا . سبرنجر) والمولى عبد الحق ، وقد طبع في ذيل صفحاته (نضد الايضاح) ـ يعني ايضاح الاشتباه للعلامة الحلي ـ تأليف علم الهـدى محمد ابن الفيض الكاشاني المتوفى بعد سنة ١١١٢ هـ ولم أقف على هذه النسخة وانما ذكرها ناشر الطبعة الثالثة .

وفي سنة ١٣٥٦ هـ طبعه في النجف الاشرف صديقنا العلامـة المحقق السيد محمد صادق آل بحر العلوم حفظه الله قاضي البصرة اليوم مع مقدمة ضافية عن حياة الشيـخ وتعاليق مفيدة ، تدارك فيها ما فات في طبعتيه الأولى والثانية ، مع التصحيح الدقيق ، والمراجعة الى الأصول المعتبرة ، وكتب الرجال وتطبيق المنقول فيها عن الفهرست ، الى غير ذلك مما تظهر به ميزة هذه الطبعة ، وقد راعى فيها الامانة على خلاف عادة بعض المعاصرين ، فما نقل عنا شيئاً إلا وأشار الى مصدره أيده الله .

وللفهرست ذيول وتمات هي من أنفس الكتب الرجاليـة ، منها « فهرست الشيخ منتجب الدين » المتوفى بعد سنة ٥٨٥ هـ ذكر فيه المصنفين بعد عصر الشيخ الى عصره ، وقد طبع مع الجزء الأخير من « بحار الأنوار » وعندي منه نسخة بخطي فرغت من كتابتها في النجف الأشرف سنة ١٣٢٠ هـ كتبتها قبـل أن اطلع على طبعه في آخر « البحار » . ومنها « معالم العلماء » للشيخ رشيد الدين محمد بن علي ابن شهراشوب السروي صاحب « المناقب » المطبوع والمتوفى سنة ٥٨٨ هـ وقد زاد هذا الأخير على ما ذكره شيخ الطائفة من أسماء المصنفين ثلاث مائة مصنف .

وقد لخص (الفهرست) الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى

ابن سعيد الهذلي الشهير بالمحقق الحلي صاحب (الشرايع) والمتوفى سنة ٦٧٦ هـ لخصه بتجريده عن ذكر الكتب والأسانيد اليها ، والاقتصار على ذكر نفس المصنفين وسائر خصوصياتهم مرتباً على الحروف في الاسماء والالقاب والكنى ، رأيته في (مكتبة السيد حسن الصدر) في الكاظمية كما ذكرته في « الذريعة » ج ٤ ص ٤٢٥ .

٢٠ ـ ما لا يسع المكلف الاخلال به : في علم الكلام ، ذكره النجاشي في « رجاله » والشيخ في « الفهرست » ، ورأيت عند العلامة المرحوم الشيخ هادي آل كاشف الغطاء مجموعة بخط جده الشيخ الاكبر جعفر كاشف الغطاء ، وفي أولها كتاب في أصول الدين وفروعه ليس بخط الشيخ الاكبر ، أوله : « الحمد لله كما هو أهله ومستحقه ، وصلى الله على سيد الانبياء محمد وعترته الأبرار الاخيار صلاة لا انقطاع لمددها ، ولا انتهاء لعددها ، وسلم وكرم ، أما بعد فقد أجبت الى ما سأله الاستاذ أدام الله تأييده من إملاء مختصر محيط مما يجب اعتقاده في جميع أصول الدين ، ثم ما يجب عمله من الشرعيات ، لا يكاد المكلف من وجوبها عليه ـ كذا ـ لعموم البلوى ، ولم اخل شيئاً مما يجب اعتقاده من إشارة الى دليله وجهة علمه على صغر الحجم وشدة الاختصار ، ولن يستغني عن هذا الكتاب مبتدىء تعليما ، وتبصرة ومنتهٍ تنبيهاً وتذكرة ، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق الخ » .

وعنوان شروعه في المطلب هكذا بلفظه : « ما يجب اعتقاده في أبواب التوحيد ، الأجسام محدثة لأنها لم تسبق الحوادث فلها حكمها في الحدوث الى آخر كلامه » . والمظنون قوياً كون هذا الكتاب هو « ما لا يسع المكلف الاخلال به » والله العالم .

٢١ ـ ما يعلل وما لا يعلل : في علم الكلام أيضاً ذكره النجاشي في « رجاله » وشيخ الطائفة نفسه في « الفهرست » أيضاً .

٢٢ ـ المبسوط : في الفقه من أجل كتب هذا الفن ، يشتمل على جميع أبوابه في نحو سبعين كتابا طبع في ايران سنة ١٢٧٠ هـ ، وقد وقفت على بعض نسخه

المخطوطة النفيسة في مختلف الاماكن، وفصلت ذكرها وذكرت خصوصياتها في حرف الميم من « الذريعة » ولا حاجة الى ذكرها بعد ان طبع الكتاب ومن أراد الوقوف عليها فعليه بمراجعة الكتاب المذكور .

٢٣ ـ مختصر أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي : ويعبر عنه بـ (أخبار المختار) أيضاً كما ذكرناه بهذا العنوان في (الذريعة) ج ١ ص٣٤٨ .

٢٤ ـ مختصر المصباح : في الأدعية والعبادات ، اختصر فيه كتابه الكبير (مصباح المتهجد) ويقال له (المصباح الصغير) ايضاً في قبال أصله (المصباح الكبير) نسخة منه في « مكتبة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء » ، ونسختان في « مكتبة مدرسة فاضل خان » في مشهد الرضا عليه السلام بخراسان كما ذكرناه في الميم من « الذريعة »

٢٥ ـ مختصر في عمل يوم وليلة : في العبادات ، وقد سماه بعضهم « يوم وليلة » لكن الشيخ نفسه ذكره في « الفهرست » بهذا العنوان ، وقد اقتصر فيه على الفرائض والنوافل الاحدى والخمسين ركعة في اليوم والليلة وبعض التعقيبات في غاية الاختصار ، رأيت منه عدة نسخ ، إحداها بخط العلامة السيد أحمد زوين النجفي فرغ من كتابتها في سنة ١٢٣٤ هـ ، والثانية بخط مولانا الحجة الميرزا محمد الطهراني العسكري وهي الآن بمكتبته في سامراء ، وغيرها مما ذكرته في الميم من « الذريعة » .

٢٦ ـ مسألة في الأحوال : ذكرها شيخ الطائفة نفسه في عداد تصانيفه في كتابه « الفهرست » ووصفها بقوله : مليحة .

٢٧ ـ مسألة في العمل بخبر الواحد وبيان حجيته : ذكرناها في «الذريعة » ج ٦ ص ٢٧٠ بعنوان « حجية الاخبار » .

٢٨ ـ مسألة في تحريم الفقاع : ذكرها الشيخ نفسه في الفهرست ، نسخة منها بخط الحجة المرحوم الميرزا محمد الطهراني العسكري رأيتها عنده بمكتبته في سامراء ، ونسخة أخرى في « مكتبة الحسينية التسترية » في النجف الاشرف ، وثالثة في (مكتبة راجه فيض آباد) في الهند كما فصلناه في (الذريعة) .

٢٩ ـ مسألة في وجوب الجزية على اليهود والمنتمين الى الجبابرة : لا ذكر لها في (فهرست الشيخ) المطبوع المتداول ، بل ذكرها المولى عناية الله القهپائي في كتابه (مجمع الرجال) الموجود عندنا بخطه نقلاً عن فهرست الشيخ ، وهذا يدل على وجودها في النسخة التي وقف عليها ، ويظهر من ذلك وجود بعض النقصان في المتداول .

٣٠ ـ مسائل ابن البراج : ذكره شيخ الطائفة نفسه في كتابه (الفهرست)

٣١ ـ الفرق بين النبي والامام : في علم الكلام ، ذكرها في (الفهرست) ايضاً

٣٢ ـ المسائل الالياسية : هي مائة مسألة في فنون مختلفة ، ذكرها هو في « الفهرست » ، وذكرناها بعنوان « جوابات المسائل الالياسية » في « الذريعة » ج ٥ ص ٢١٤ .

٣٣ ـ المسائل الجنبلائية : في الفقه ، وهي أربع وعشرون مسألة كما ذكره الشيخ في « الفهرست » ، وذكرناها في « الذريعة » ج ٥ ص ٢١٩ بعنوان جوابات. وفي بعض المواضع : الجيلانية وهو غير صحيح .

٣٤ ـ المسائل الحائرية : في الفقه ، وهي نحو من ثلاثمائة مسألة ، كما في « الفهرست » ، وهي من مآخذ « بحار الانوار » كما ذكره المجلسي في أوله ، وينقل عنه ابن ادريس في « السرائر » بعنوان « الحائريات » كما ذكرناه في « الذريعة » ج ٥ ص ٢١٨ .

٣٥ ـ المسائل الحلبية : في الفقه أيضاً ، ذكره الشيخ نفسه في [الفهرست] ونقلناه في [الذريعة] ج ٥ ص ٢١٩ .

٣٦ ـ المسائل الدمشقية : في تفسير القرآن ، وهي إثنتي عشرة مسألة ، في تفسير القرآن ، ذكرها الشيخ نفسه في [الفهرست] وقال : لم يعمل مثلها . وذكرناها بعنوان الجوابات في [الذريعة] ج ٥ ص ٢٢٠ .

٣٧ ـ المسائل الرازية : في الوعيد ، وهي خمس عشرة مسألة وردت من الري الى استاذه السيد المرتضى فأجاب عنها ، واجاب عنها الشيخ الطوسي أيضاً ، ذكرها

في [الفهرست] ، وذكرناها في [الذريعة] ج ٥ ص ٢٢١ بعنوان [جوابات المسائل الرازية] . كما ذكرنا هناك جوابات أستاذه المرتضى .

٣٨ ـ المسائل الرجبية : في تفسير آي من القرآن ، ذكرها الشيخ نفسه في [الفهرست] ووصفها بقوله : لم يصنف مثلها . ذكرناها في حرف الميم من [الذريعة] القسم المخطوط .

٣٩ ـ المسائل القمية : ذكرها المولى عناية الله القهپائي نقلاً عن [الفهرست] للشيخ لكن لم نجده في النسخة المطبوعة ، وقد ذكرناه في [الذريعة] ج ٥ ص ٢٣٠ بعنوان [جوابات المسائل القمية] .

٤٠ ـ مصباح المتهجد : في أعمال السنة كبير ، وهو من أجل الكتب في الأعمال والأدعية ، وهو قدوتها ، وأصلها ودوحتها ، ومنه اقتبس كثير من كتب الباب ، كـ (اختيار المصباح) لابن باقي و (ايضاح المصباح) للنيلي و (تتمات المصباح) في عشرة مجلدات كلها كتاب مستقل ، وله عنوان خاص ، وهي للسيد ابن طاووس ، و (قبس المصباح) للصهرشتي ، و (منهاج الصلاح) للعلامة الحلي ، ولكل من المولى حيدر علي الشيرواني المعروف بالمجلسي والسيد عبدالله شبر ، ونظام الدين علي بن محمد (١) (مختصر المصباح) و (منهاج الصلاح) لابن عبد ربه الحلي وغير ذلك طبع في طهران على نفقة المرحوم الحاج سهم الملك بيات العراقي بترغيب العالم التقي السيد علم الهدى الكابلي نزيل ملاير أخيراً ، وذلك في سنة ١٣٣٨ وبهامشه ترجمة فارسية للعلامة الشيخ عباس القمي .

٤١ ـ المفصح : في الامامة ، وهو من الآثار الهامة ، توجد نسخة منه في [مكتبة راجة فيض آباد] في الهند ، وحصلت نسخة منه لشيخنا الحجة الميرزا حسين النوري ، وجدها مع [النهاية] وهي بخط أبي المحاسن بن ابراهيم بن الحسين ابن بابويه كان تاريخ كتابته للنهاية الثلاثاء ١٥ ربيع الآخر سنة ٥١٧ هـ فاستنسخها

(١) كنا نظن انه نظام الدين الساوجي ، لكن المولى عبدالله الافندي صاحب (الرياض) قال : واحتمال كون نظام الدين هذا هو الساوجي تلميذ البهائي بعيد .

جماعة منهم: الحجة المرحوم الميرزا محمد الطهراني العسكري، وهي بخطه في مكتبته بسامراء.

٤٢ ـ مقتل الحسين عليه السلام: ذكره الشيخ في (الفهرست)، وعنه نقلناه في حرف الميم من (الذريعة) المخطوط.

٤٣ ـ مقدمة في المدخل الى علم الكلام: ذكره النجاشي في رجاله، والشيخ نفسه في (الفهرست) ووصفها فيه بقوله: لم يعمل مثلها.

أقول: رأيت في كتب الزعيم الفقيه المرحوم السيد محمد الكوه كمري الشهير بالحجة نسخة من كتاب (المستجاد من الارشاد) تأريخ كتابتها سنة ٩٨٢ هـ، وفي حاشيتها كتاب في أصول الدين منسوب الى شيخ الطائفة الطوسي، أوله: (اذا سألك سائل وقال: ما الايمان؟. فقل: هو التصديق بالله وبالرسول وبما جاء به وبالأئمة عليهم السلام، كل ذلك بالدليل لا بالتقليد، وهو مركب مبوب على خمسة أركان من عرفها كان مؤمناً، ومن جحدها كان كافراً، وهي التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد، وحد التوحيد.... ـ الى قوله: ـ والدليل على ان الله موجود ان العالم أثره وعناوينه الى آخره هكذا والدليل على كذا فهو كذا إلخ، ولعل هذا الكتاب هو المقدمة، ونسخة أخرى منه بعينه في مجموعة كانت في (مكتبة المولى محمد علي الخوانساري) في النجف الاشرف من دون نسبتها الى الشيخ، وتاريخ كتابتها ٩٨٢ هـ ايضاً، ومعها في المجموعة (النكت الاعتقادية) للشيخ المفيد، و (مختصر التحفة الكلامية)، ونسخة ثالثة عليها خط شيخ الطائفة في (مكتبة السيد محمد المشكاة) في طهران (١) كتب على ظهرها ما لفظه:

---

(١) هذه المكتبة تحتوي على أكثر من ألف مجلد كلها مخطوطة قديمة نادرة من مؤلفات أعلام القرون الأولى والوسطى، ولها بين أهل العلم والأدب في ايران شهرة واسعة، وقد رأيناها وضبطنا خصوصيات نوادرها، وصاحبها الجليل من العلماء الأفذاذ، وهو اليوم من أساتذة جامعة طهران على بزته الروحية وعمته الشريفة، وهو من أصدقائنا ومن الآحاد الذين أجزناهم في الاجتهاد المطلق ورواية الحديث، وقد أهدى هذه المكتبة العظيمة ـ التي خسر في سبيل جمعها ما ورثه من الاملاك ـ الى جامعة طهران، فكان لذلك صدى ارتياح واستحسان. وقد اختارت الجامعة لتأليف فهرسها فاضلين من أهل الفن والخبرة أحدهما ولدي الأرشد الاديب البحاثة الميرزا علي نقي المنزوي والثاني الفاضل البحاثة محمد تقي دانش بزوه وهما من خيرة تلامذة صاحب المكتبة السيد محمد المشكاة اي ـ

(مقدمة الكلام . تصنيف الشيخ الامام الورع قصوة العارفين ، وحجة الله على العالمين، لسان الحكماء والمتكلمين، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي متعنا الله بطول بقائه ونفعنا بعلومه) . وكتب على الصفحة الثانية منه ما لفظه : (قرأ علي هذا الكتاب وبحث على معانيه صاحبه في عدة مجالس آخرها السادس والعشرين من المحرم لسنة خمس وأربعين وار بعمائة بحدود دار السلام ، وكتبه محمد بن الحسن ابن علي ولله الحمد والمنة صلى الله على محمد وآله الطيبين) . وآخرها ما نصه : (. . . . مفيض الحياة وباريء النسمة وهو المستحق له دائماً سرمداً وحسبي الله ونعم الوكيل رب اتمم بالخير . وقع الفراغ من استنساخه بتوفيق الله وبحسن معونته سادس عشرين — كذا — من رجب سنة أربع وأربعين واربعمائة في مدينة السلام على يد العبد الضعيف نظام الدين محمود بن علي الخوارزمي حامداً لله تعالى مصلياً على نبيه . .)

٤٤ — مناسك الحج في مجرد العمل : ذكره في (الفهرست) أيضاً .

٤٥ — النقض على ابن شاذان في مسألة الغار : ذكره كذلك في (الفهرست) وذكره العلامة السيد مهدي بحر العلوم في (الفوائد الرجالية) : وقال انه نقض في مسألة الغار ومسألة العمل بالخبر الواحد ، فظاهر كلامه انه رآه .

٤٦ — النهاية في مجرد الفقه والفتوى : من أعظم آثاره وأجل كتب الفقه ، ومتون الأخبار ، أحصي في فهرسه المخطوط عند العلامة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء ، في ٢٢ كتاباً و ٢١٤ باباً ، وقد كان هذا الكتاب بين الفقهاء من لدن عصر مصنفه الى زمان المحقق الحلي كالشرائع بعد مؤلفها ، فكان بحثهم وتدريسهم

—— كلية المنقول والمعقول وقد أخرج ولدي المحروس حتى الآن جزئين الأول خاص بالكتب المؤلفة في القرآن والدعاء طبع في سنة ١٣٧٠ هـ فجاء في ٢٧٥ صفحة ، والثاني خاص بكتب الأدب طبع عام ١٣٧٢ هـ فجاء في ٨٨٩ صفحة وقد صدره بتقريض جليل من أحينا في الله الحجة فقيد الاسلام ومفخرة الشيعة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله كتبه على الجزء الأول عند ما بعث نسخة منه الى مكتبته الموقوفة في النجف الأشرف وقد أخرج الفاضل الآخر بعد الجزء الثاني سلسلة وصلنا منها حتى كتابة هذه السطور ٢٠٧٢ صفحة ولها تتمة على ما يقال ، وهي في مختلف العلوم وفي فصول مختلفة .

فيه ، وشروحهم عليـه ، وكانوا يخصونه بالرواية والاجازة ، وله شروح متعـددة ذكرناها في محالها من (الذريعة) ، وقد رأيت منه عدة نسخ أقدمها بخط الشيخ ابي الحسن على بن ابراهيم بن الحسن بن موسى الفراهاني فرغ من كتابتها غرة رجب سنة ٥٩١ هـ ، رأيتها في (مكتبة العلامة الحجة الشيخ عبد الحسين الطهراني) الشهير بشيخ العراقين ، الى غير ذلك من النسخ التي ذكرت خصوصياتها مفصلا في حرف النون من (الذريعة) عند ذكر الكتاب ، وقد طبع كتاب النهاية في سنة ١٢٧٦ هـ مع (نكت النهاية) للمحقق و (الجواهر) للقاضي وغيرها في مجلد كبير ، وله ترجمة فارسية لبعض الأصحاب المقاربين لعصر الشيخ الطوسي وهي نسخة عتيقة رأيتها في (مكتبـة السيد نصر الله الأخوي) في طهران كما ذكرته في (الذريعة) ج ٤ ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

٤٧ ـ هداية المسترشد وبصيرة المتعبد : في الأدعية والعبادات ذكره الشيخ في (الفهرست) وعنه نقلناه في حرف الهاء المخطوط من (الذريعة) .

هذا ما وصل الينا من أسماء مؤلفات شيخ الطائفة أعلى الله مقامه ومنه ما هو موجود وما هو مفقود ، ولعل هناك ما لم نوفق للعثور عليه (وفوق كل ذي علم عليم) .

مشايخه وأساتذته :

إن مشايخ شيخ الطائفة في الرواية وأساتذته في القراءة كثيرون ، فقد أحصى شيخنا الحجة الميرزا حسين النوري في « مستدرك وسائل الشيعة » ج ٣ ص ٥٠٩ سبعاً وثلاثين شخصاً استخرج أسماءهم من مؤلفات الشيخ ، ومن (الاجازة الكبيرة) التي كتبها العلامة الحلي ـ أعلى الله مقامه ـ لأولاد السيد ابن زهرة الحلبي وغير ذلك .

إلا أن مشايخه الذين تدور روايته عليهم في الغالب ، والذين أكثر الرواية عنهم وتكرر ذكرهم في (الفهرست) وفي مشيخـة كل من كتابيه (التهـذيب) و (الاستبصار) خمسة ، واليك أسماءهم حسب حروف الهجاء لا تفاوت الدرجات :

١ ـ الشيخ أبو عبدالله أحمد بن عبد الواحد بن أحمد البزاز المعروف بابن الحاشر مرة ، وبابن عبدون أخرى ، والمتوفى سنة ٤٢٣ هـ .

٢ ـ الشيخ أحمد بن محمد بن موسى . المعروف بابن الصلت الأهوازي المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ (١) .

٣ ـ الشيخ أبو عبدالله الحسين بن عبيدالله بن الغضائري المتوفى سنة ٤١١ هـ

٤ ـ الشيخ أبوالحسين علي بن احمد بن محمد بن أبي جيد المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ

٥ ـ شيخ الأمة ومعلمها أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الشهير بالشيخ المفيد والمتوفى سنة ٤١٣ هـ .

هؤلاء الخمسة هم الذين أكثر في الرواية عنهم في كتبه المهمة ، وقد روى عن باقي مشايخه في كتبه المذكورة وغيرها لكن لا بهذه الكثرة ، والى القارىء اسماءهم مرتبة على حروف الهجاء :

١ ـ أبو الحسين الصفار (ابن الصفار خ ل) .

٢ ـ أبو الحسين بن سوار المغربي . عده العلامة الحلي في (الاجازة الكبيرة) من مشايخه من العامة .

٣ ـ الشيخ أبو طالب بن غرور .

٤ ـ القاضي ابو الطيب الطبري الحويري المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ .

٥ ـ أبو عبدالله أخو سروة .

٦ ـ أبو عبدالله بن الفارسي .

٧ ـ أبو علي بن شاذان المتكلم . وقد عده العلامة الحلي في (الاجازة الكبيرة) من مشايخه من العامة أيضاً .

٨ ـ أبو منصور السكري . قال صاحب (الرياض) : يحتمل أن يكون من

---

(١) ان تواريخ وفيات أكثر مشايخ شيخ الطائفة مجهولة ، فمن لم نقف على تاريخ وفاته من أهل العراق نذكر له هذا التأريخ لأنه كان حياً فيه ، وذلك لأن ورود شيخ الطائفة الى العراق كان في سنة ٤٠٨ هـ ، ولا شك انه استجازهم بعد وروده في تاريخ لا نعرفه ، ولذا فانا نثبت ما تيقناه راجين أن يوفق غيرنا لاكتشاف ما لم نوفق له .

العامة أو الزيدية . اقول : استبعد شيخنا النوري كونه من العامةمستدلاً بما وجده من رواياته التي لا يرويها أبناء العامة ، ألا انه لم ينف كونه زيدياً .

٩ ـ أحمد بن ابراهيم القزويني المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ .

١٠ ـ أبو الحسين وأبو العباس أحمد بن علي النجاشي صاحب (كتاب الرجال) المعروف والمتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

١١ ـ جعفر بن الحسين بن حسكة القمي المتوفى بعد ٤٠٨ هـ .

١٢ ـ الشريف أبو محمد الحسن بن القاسم المحمدي المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ .

١٣ ـ أبو علي الحسن بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن أشناس المعروف بابن الحامي البزاز . عبر عنه كذلك السيد ابن طاووس في (الاقبال) في عمل يوم الغدير والشيخ محمد الحر العاملي في (اثبات الهداة) ، وذكر شيخنا النوري في عداد مشايخ شيخ الطائفة الحسن بن اسماعيل المعروف بابن الحامي . وهما واحد حتماً ، وقد عبر عنه في بعض المواضع بأبي الحسن محمد بن اسماعيل ، كما في صدر اسناد بعض نسخ الصحيفة السجادية ، فان هذا الرجل هو الراوي للصحيفة الكاملة بنسخة مخالفة للصحيفة المشهورة في بعض العبارات ، وفي الترتيب ، وفي عدد الأدعية ، ونحو ذلك كما قاله صاحب (الرياض) وذكر وجود عدة نسخ منها إحداها عنده ، وقد يعبر عنه أيضاً بالحسن بن اسماعيل وقد ترجم له بهذا العنوان في (أمل الآمل) ص ٤٦٧ من طبعة طهران سنة ١٣٠٧ هـ التي هي مع (الرجال الكبير) مسلسلة الأرقام ، ولذلك توهم فيه شيخنا النوري رحمه الله فذكره بهذا العنوان كما أسلفناه محتملاً التعدد ، ونقل السيد ابن طاووس في أواخر (الاقبال) عن أصل كتاب الحسن بن اسماعيل بن العباس ومراده هذا الشيخ أيضاً ، ويعبر عنه بابن اشناس وبابن الاشناس وغير ذلك ، والصحيح في اسمه ونسبه ما ذكرناه .

وقد ترجم له بهذا العنوان الصحيح معاصره أبو بكر الخطيب في (تأريخ بغداد) ج ٧ ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦ فقال :

. . . كتبت عنه شيئاً يسيراً ، وكان سماعه صحيحاً ، إلا انه كان رافضياً

خبيث المذهب ، وكان له مجلس في داره بالكرخ يحضره الشيعة ويقرأ عليهم مثالب الصحابة والطعن على السلف . . . سألته عن مولده فقال في شوال من سنة ٣٥٩ هـ ومات في ليلة الاربعاء الثالث من ذى القعدة سنة ٤٣٩ هـ ودفن صبيحة تلك الليلة في مقبرة باب الكناس .

أقول : أشناس (١) بفتح الألف وسكون الشين المعجمة وفتح النون ثم الألف الساكنة ، وبعدها السين المهملة : اسم غلام لجعفر المتوكل .

١٤ ـ أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن داود الفحام المعروف بابن الفحام السر من رائي ـ السامرائي ـ المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ

١٥ ـ أبو الحسين حسنبش المقرىء المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ .

١٦ ـ أبو عبدالله الحسين بن ابراهيم القزويني المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ .

١٧ ـ أبو عبدالله الحسين بن ابراهيم بن علي القمي المعروف بابن الخياط .

١٨ ـ ألحسين بن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ

١٩ ـ أبو محمد عبد الحميد بن محمد المقرىء النيسابوري .

٢٠ ـ أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مهدي المتوفى بعد سنة ٤١٠ هـ .

٢١ ـ أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرىء المعروف بابن الحمامي المقرىء المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ ، وهو غير ابن اشناس المعروف بابن الحمامي المار ذكره فلا تتوهم .

٢٢ ـ السيد المرتضى علم الهدي أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد ابن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم عليه السلام ، المتوفى سنة ٤٣٦ هـ .

٢٣ ـ أبو القاسم علي بن شبل بن أسد الوكيل المتوفى بعد سنة ٤١٠ هـ .

٢٤ ـ القاضي أبو القاسم علي التنوخي ابن القاضي أبي علي المحسن ابن القاضي

(١) قال صاحب (الرياض) : المشهور ان أشناس بضم الهمزة . . . لكن قد وجدت بخط بعض الافاضل في الصحيفة المذكورة ـ الصحيفة السجادية التي يرويها هذا الشيخ ـ لفظ أشناس مضبوطاً بفتح الهمزة .

أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن ابراهيم بن تميم القحطاني من تلامذته السيد المرتضى وأصحابه ، وقد عده العلامة الحلي في (الاجازة الكبيرة) من مشايخه من العامة أيضاً . لكن صاحب (الرياض) قال في ترجمته : الأكثر أنه من الامامية .

(أقول) : له ترجمة في (معجم الأدباء) ايضاً ج ١٤ ص ١١٠ — ١٢٤ أثبت نسبه فيها الى قضاعة ، وذكر انه كان مقبول الشفاعة في شبابه وان الخطيب البغدادي سمع منه : انه ولد سنة ٣٧٠ هـ . وقال أنه توفى في ٤٤٧ هـ .

٢٥ ـ أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران المعروف بابن بشران المعدل والمتوفى بعد سنة ٤١١ هـ .

٢٦ ـ محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ المتوفى بعد سنة ٤١١ هـ .

٢٧ ـ أبو زكريا محمد بن سليمان الحراني (الحمداني خ ل) من أهل طوس والمظنون أنه من مشايخه قبل هجرته إلى العراق .

٢٨ ـ محمد بن سنان . عده العلامة الحلي في (الاجازة الكبيرة) من مشايخه من العامة أيضاً .

٢٩ ـ أبو عبد الله محمد بن علي بن حموي البصري المتوفى بعد سنة ٤١٣ هـ .

٣٠ ـ محمد بن علي بن خشيش بن نصر بن جعفر بن ابراهيم التميمي المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ .

٣١ ـ أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن مخلد المتوفى بعد سنة ٤١٧ هـ .

٣٢ ـ السيد أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار المولود سنة ٣٢٢ هـ والمتوفى ٤١٤ هـ .

هؤلاء هم الذين عرفناهم من مشايخ شيخ الطائفة الطوسي ، وهم إثنان وثلاثون وذكرنا قبلهم خاصة مشايخه وهم خمسة فيكون المجموع سبعة وثلاثون ، الا ان شيخنا النوري لما أوردهم في (المستدرك) تمت عدتهم ثمانية وثلاثين ، وذلك لما ذكرناه من تكريره اسم الحسن بن محمد بن اسماعيل بن الاشناس بعنوان الحسن

ابن اسماعيل ، وقد نقلناهم عن شيخنا النوري بعد ترتيب اسمائهم على حروف الهجاء ، وإضافة بعض الفوائد والزيادات التي توضح أحوالهم .

تلامذته :

سبق وأن ذكرنا فيما تقدم من حديثنا عن شيخ الطائفة أن تلامذته من الخاصة بلغوا اكثر من ثلثمائة مجتهد ومن العامة مالا يحصى كثرة ، وقد صرح بذلك المجلسي في (البحار) والتستري في (المقابس) والخوانساري في (الروضات) والمدرس في (الريحانة) وغيرهم في غيرها .

والأسف ان هذا العدد الكبير غيرمعروف لدى كافة الباحثين حتى بعد عصر الشيخ بقليل ، فان الشيخ منتجب الدين بن بابويه المتوفى بعد سنة ٥٨٥ هـ على قرب عهده من الشيخ لم يستطع الوقوف على أسمائهم ، فانه لم يذكرمنهم في كتابه (الفهرست) المطبوع في آخر (البحار) إلا ستة وعشرين عالما ، وزاد عليهم العلامة السيد مهدي بحرالعلوم في (الفوائد الرجالية) أربعة فتمت عدتهم ثلاثين ، وهؤلاء معروفون ذكرت أسماؤهم في مقدمات كتب الشيخ المطبوعة في النجف الاشرف لكن شيخنا النوري لم يذكرهم ،

ونظراً لما حدث في اسماء بعضهم من التصحيف ، ولما وقفنا عليه من أسماء جماعة أخرى من تلاميذه الذين ذكرهم الحجة الشيخ أسد الله الدزفولي التستري في كتابه (المقابس) ولم يتعرض لذكرهم مترجموه المتأخرون ، فانا نسرد أسماء الجميع على ترتيب حروف الهجاء مقتصرين على ذكر الأوصاف التي وصفهم بها علماء الرجال والمفهرسون القدماء واليك الاسماء :

١ ـ الشيخ الفقيه الثقة العدل آدم بن يونس بن أبي المهاجر النسيفي .

٢ ـ الشيخ الثقة المؤلف الجليل النبيل أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعي النيسابوري .

٣ ـ الشيخ الثقة ابو طالب اسحاق بن محمد بن الحسن بن الحسين بن محمد ابن علي بن الحسين بن بابويه القمي .

٤ ـ الشيخ الثقة أبو ابراهيم اسماعيل شقيق اسحاق المذكور .

٥ ـ الشيخ الثقة أبو الخير بركة بن محمد بن بركة الأسدي .

٦ ـ الشيخ الثقة العين المصنف أبو الصلاح تقي بن نجم الدين الحلبي .

٧ ـ السيد المحدث الثقة أبو ابراهيم جعفر بن علي بن جعفر الحسيني .

٨ ـ الشيخ الامام المصنف شمس الاسلام الحسن بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بحسكا .

٩ ـ الشيخ الفقيه الثقة أبو محمد الحسن بن عبد العزيز بن الحسن الجبهاني (الجهاني خ ل) .

١٠ ـ الشيخ الجليل الثقة العين ابو علي الحسن ابن شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي .

١١ ـ الشيخ الامام موفق الدين الفقيه الثقة الحسين بن الفتح الواعظ الجرجاني .

١٢ ـ الشيخ الامام الثقة الوجه الكبير محي الدين أبو عبد الله الحسين بن المظفر بن علي بن الحسين الحمداني نزيل قزوين .

١٣ ـ السيد عماد الدين أبو الصمصام وابو الوضاح ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسيني المروزي .

١٤ ـ السيد الفقيه أبو محمد زيد بن علي بن الحسين الحسيني (الحسني) .

١٥ ـ السيد العالم الفاضل زين بن الداعي الحسيني .

١٦ ـ الشيخ الفقيه المشهور سعد الدين بن البراج .

١٧ ـ الشيخ الفقيه الثقة أبو الحسن سليمان بن الحسن بن سلمان الصهرشتي .

١٨ ـ الشيخ الفاضل المحدث شهراشوب السروي المازندراني جد الشيخ محمد بن علي مؤلف (معالم العلماء) و (المناقب) .

١٩ ـ الشيخ الفقيه الثقة صاعد بن ربيعة بن أبي غانم .

٢٠ ـ الشيخ عبد الجبار بن عبد الله بن علي المقرىء الرازي المعروف بالمفيد .

٢١ ـ الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن أحمد الحسيني الخزاعي النيسابوري المعروف بالمفيد أيضاً .

٢٢ ـ الشيخ الفقيه الثقة موفق الدين أبو القاسم عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه .

٢٣ ـ الشيخ الفقيه الثقة علي بن عبد الصمد التميمي السبزواري .

٢٤ ـ الأمير الفاضل الزاهد الورع الفقيه غازي بن أحمد بن أبي منصور الساماني .

٢٥ ـ الشيخ الفقيه الثقة الصالح كردي بن عكبر بن كردي الفارسي نزيل حلب .

٢٦ ـ الشيخ الامام جمال الدين محمد بن ابي القاسم الطبري الآملي .

٢٧ ـ الشيخ الأمين الصالح الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخازن الغروي .

٢٨ ـ الشيخ الشهيد السعيد الفاضل السديد محمد بن الحسن بن علي الفتال صاحب « روضة الواعظين » .

٢٩ ـ الشيخ الفقيه الصالح أبو الصلت محمد بن عبد القادر بن محمد .

٣٠ ـ الشيخ الثقة العالم المؤلف فقيه الأصحاب أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي .

٣١ ـ الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي .

٣٢ ـ الشيخ الفقيه الثقة أبو عبد الله محمد بن هبة الله الطرابلسي .

٣٣ ـ السيد صدر الأشراف المنتهي اليه منصب النقابة والرئاسة في عصره ، السيد المرتضى أبو الحسن المطهر بن أبي القاسم علي بن أبي الفضل محمد الحسيني الديباجي .

٣٤ ـ السيد العالم الفقيه المنتهى بن أبي زيد بن كيابكي الحسيني الجرجاني .

٣٥ ـ العالم الفاضل الفقيه الوزير السعيد ذو المعالي زين الكفاة أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي .

٣٦ ـ السيد الثقة الفقيه المحدث أبو ابراهيم ناصر بن الرضا بن محمد بن عبد الله العلوي الحسيني .

هؤلاء ستة وثلاثون عالماً من تلاميذ الشيخ الطوسي المعروفين ، ولعل في كتابينا (إزاحة الحلك الدامس بالشموس المضيئة في القرن الخامس) و (الثقات والعيون في سادس القرون) من ترجمنا له ولم يأت اسمه هنا ، غير ان ضيق الوقت وضعف الحال يمنعان من الرجوع اليه .

ولا يخفى إن فيما أضافه العلامتان السيد مهدي بحر العلوم والشيخ أسد الله الدزفولي ما يحتاج الى التأمل ، ففي تلمذ الشيخ عبيد الله بن الحسن على الشيخ الطوسي تأمل، فان ولده الشيخ منتجب الدين كان أولى بذكره مع تلامذة الشيخ في (الفهرست) مع انه لم يذكره وكذا الكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ وكذا جمال الدين محمد الطبري إن كان المراد به عماد الدين محمد بن أبي القاسم علي الطبري الآملي فانه من تلاميذ الشيخ أبي علي ابن الشيخ الطوسي كما ذكره الشيخ منتجب الدين ، وجل رواياته عن مشايخه بعد الخمسمائة والله العالم .

وفاته وقبره :

لم يبرح شيخ الطائفة في النجف الاشرف مشغولاً بالتدريس والتأليف ، والهداية والارشاد ، وسائر وظائف الشرع الشريف وتكاليفه ، مدة اثنتي عشرة سنة ، حتى توفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ٤٦٠ هـ عن خمس وسبعين سنة ، وتولى غسله ودفنه تلميذه الشيخ الحسن بن مهدي السليقي ، والشيخ أبو محمد الحسن بن عبد الواحد العين زربي ، والشيخ أبو الحسن اللؤلؤي ، ودفن في داره بوصية منه وأرخ وفاته بعض المتأخرين بقوله مخاطباً مرقده الزاكي كما هو مسطور

على جدار المسجد، وقد ذكره العلامة المرحوم الشيخ جعفر نقدي في كتابه « ضبط التأريخ بالاحرف » ايضاً ص ١٣ :

يا مرقد الطوسي فيك قد انطوى محيي العلوم فكنت أطيب مرقد

الى أن قال :

أودى بشهر محرم فأضافه حزناً بفاجع رزئه المتجدد

الى أن قال :

بك شيخ طائفة الدعاة الى الهدى ومجمّع الاحكام بعد تبدد

الى أن قال :

وبكى له الشرع الشريف مؤرخاً (أبكى الهدى والدين فقد محمد)

وتحولت الدار بعده مسجداً في موضعه اليوم حسب وصيته أيضا، وهو مزار يتبرك به الناس من العوام والخواص، ومن أشهر مساجد النجف، عقدت فيه - منذ تأسيسه حتى اليوم - عشرات حلقات التدريس من قبل كبار المجتهدين وأعاظم المدرسين فقد كان العلماء يستمدون من بركات قبر الشيخ لكشف غوامض المسائل ومشكلات العلوم، ولذلك كان مدرس العلماء ومعهد تخريج المجتهدين الى عصر شيخ الفقهاء الشيخ محمد حسن صاحب (الجواهر) الذي كان يدرس فيه أيضا، حتى بعد أن بنوا له مسجده الكبير المشهور باسمه، فقد كثر الحاحهم عليه وطلبهم منه الانتقال اليه لم يقبل ولم يرفع اليد عنه اعتزازاً بقدسية شيخ الطائفة وحبا للقرب منه، وهكذا الى أن توفي .

واستمرت العادة كذلك الى عصر شيخنا المحقق الاكبر الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب «الكفاية» فقد كان تدريسه فيه ليلاً الى أن توفي، وقد أحصيت عدة تلامذته في الأواخر بعض الليالي فتجاوزت الألف والمائتين، وكذلك شيخنا الحجة المجاهد شيخ الشريعة الاصفهاني، فقد كان يدرس فيه عصراً الى ان توفي وكان تلميذ شيخنا الخراساني الأرشد الحجة المعروف الشيخ ضياء الدين العراقي كان يدرس فيه صبحاً الى ان توفي . واقام فيه الجماعة جمع من أجلاء العلماء وأفاضل

الفقهاء ، منهم فقيه أهل البيت الشيخ محمد حسن صاحب « الجواهر » النجفي وغيره وقد لاحظته منذ نصف قرن أو اكثر فكان الذين يؤمون الناس فيه من أهل الصلاح والتقى المعروفين ، منهم الحجة الاخلاقي جمال السالكين الشيخ أغا رضا التبريزي فقد كان يقيم فيه الجماعة ليلاً مع كثير من خواص أهل العلم والفضلاء ، وكنا نحظى بذلك التوفيق الى ان هاجرنا الى سامراء ، وكان آخرهم العلامة التقي السيد محمد الخلخالي ، وبعد وفاته بقليل رغب إلي ولده الفاضل الجليل السيد علي أن أؤم الناس هناك بعد أن كنت أقيم الجماعة في الرواق المطهر ، فأجبت طلبه وكنت أصلي فيه الى هذه الأواخر ، وقد وفق لفرشه التاجر الوجيه ابن عمنا الحاج محمد المحسني نزيل طهران فقدم له خمس قطع من الفرش المتعارف في الصحن الشريف والمساجد الشريفة وقد جعل ولايتها بيدنا ما دمنا في قيد الحياة كما كتب ذلك عليها ، وتبعه الوجيه الحاج محمد تقي القناد الطهراني من أرحامنا ايضاً بخمس قطع وتبعها جمع آخر من كرمانشاه حتى كمل فرش المسجد بتوفيق الله ، وكانت صلاتنا فيه وقت المغرب فقط ، وأما صلاة الصبح فنقيمها في (مسجد الهندي) خوفاً من مضايقة الزوار ، وفي الصيف الماضي تغلب علينا الضعف فانقطعنا عن الرواح لعدم تمكننا من الصعود الى السطح فتبرع الوجيه الحاج ناجي كمويل بشراء عدة مراوح سقفية لتلطيف الجو وعدم الاحتياج للصعود الى السطح ، فعاودناه ثانياً ، وكان عامراً بالمؤمنين والصلحاء من اهل العلم والمهن ، حتى اتفقت حادثتنا في ليلة عاشوراء هذه السنة - ١٣٧٦ - وقد اثرت على العمود الفقري وبقينا على فراش المرض عدة شهور ، ثم لما تحسنت صحتنا لم تعد كما كانت عليه سابقاً كما هو مقتضى السن والمزاج ، ولما رغب في صلاتنا بعض المؤمنين من خواصنا صرنا نقيمها في (مسجد الطريحي) لقربه من دارنا ، ولم نزل هناك حتى يقضي الله بقضائه الذي لا مرد له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وموقع مسجد الشيخ في محلة المشراق من الجهة الشمالية للصحن المرتضوي الشريف وسمي باب الصحن المنتهي الى مرقده بـ (باب الطوسي) ، وقد طرأت عليه بعد عمارته الأولى عمارتان ، حسبما نعلم إحداهما في حدود سنة ١١٩٨ هـ وذلك

بترغيب من العلامة الحجة السيد مهدي بحر العلوم كما ذكره في (الفوائد الرجالية)
فقد قال : وقد جدد مسجده في حدود سنة ١١٩٨ هـ فصار من اعظم المساجد في
الغري ، وكان ذلك بترغيبنا بعض الصلحاء من اهل السعادة .

وبنى لنفسه مقبرة في جواره دفن فيها مع اولاده وجملة من أحفاده .

والثانية في سنة ١٣٠٥ هـ كما ذكره صديقنا العلامة السيد جعفر آل بحر العلوم في كتابه (تحفة العالم) ج ١ ص ٢٠٤ وكانت بعناية العلامة السيد حسين آل بحر العلوم المتوفى سنة ١٣٠٦ ، كما قاله ، فانه لما رأى تضعضع اركانه وانها آلت الى الخراب رغب بعض أهل الخير في قلعه من أساسه ، فجدد وهي العمارة الموجودة اليوم .

وفي سنة ١٣٦٩ هـ . هدمت الحكومة ما يقرب من ربع مساحته فاضافتها الى الشارع الذي فتحته بجنبه في نفس العام ، وسمته بشارع الطوسي ايضاً ، فصار للمسجد بابان ، احدهما ـ وهو الأكبر والأوجه ـ على الشارع الجديد العام من جهة الشرق ، والثاني وهو ـ الباب الأول ـ من جهة الغرب على الطريق القديم مقابل (المدرسة المهدية) وقد انخفضت ارض المسجد عن الشارع كثيراً ، وتضعضعت عمارته ، فنسأله تعالى ان يهدي بعض اهل السعادة والعاملين للآخرة لتعميره (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) .

أولاده وأحفاده :

خلف شيخ الطائفة ولده الشيخ ابا علي الحسن بن ابي جعفر محمد الطوسي رحمة الله عليه ، وقد خلف اباه على العلم والعمل ، وتقدم على العلماء في النجف ، وكانت الرحلة اليه والمعول عليه في التدريس والفتيا والقاء الحديث وغير ذلك وكان من مشاهير رجال العلم ، وكبار رواة الحديث وثقاتهم تلمذ على والده حتى اجازه في سنة ٤٥٥ هـ اي قبل وفاته بخمس سنين .

ذكره الشيخ منتجب الدين بن بابويه في (الفهرست) المطبوع في آخر البحار ص ٤ بدأ به حرف الحاء فقال :

الشيخ الجليل ابو علي الحسن ابن الشيخ الجليل الموفق ابي جعفر محمد بن

الحسن الطوسي ، فقيه ثقة عين ، قرأ على والده جميع تصانيفه اخبرنا الوالد عنه .

وذكره ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) ج ٢ ص ٢٥٠ فقال :

الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي أبو علي بن (١) جعفر . سمع من والده ، وأبي الطيب الطبري ، والخلال ، والتنوخي ، ثم صار فقيه الشيعة وامامهم بمشهد علي رضي الله عنه ، وسمع منه أبو الفضل بن عطاف ، وهبة الله السقطي ومحمد ابن محمد النسفي ، وهو في نفسه صدوق ، مات في حدود الخمس مائة(٢) ، وكان متديناً كافاً عن السب .

وذكره الشيخ رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهراشوب السروي في (معالم العلماء) ص ٣٢ باختصار . ولا يخفى ان العلامة الميرزا محمد الاسترابادي لم يتعرض لذكره في كتابيه (الرجال الكبير) و (الرجال الصغير) ، وكذا الاستاذ الوحيد البهبهاني الذي استدرك على الاسترابادي ــ في تعليقته على كتابه ــ ما فاته فانه لم يذكره أيضاً .

ولعل ذلك لم يكن عن غفلة منهما حيث أن بناء المؤلفين في الرجال هو ذكر خصوص من ذكر في الأصول الأربعة الرجالية ، ولما لم يكن الشيخ أبو علي مذكوراً في أي واحد منها لم يتعرضوا لذكره . ومثلها أيضاً المولى محمد الأردبيلي صاحب (جامع الرواة) فانه أضاف فهرس الشيخ منتجب الدين الى الأصول الأربعة فجمعها في كتابه ومع ذلك فقد سقط من قلمه ذكر هذا الشيخ الجليل .

وذكره أيضاً المحدث العلامة الشيخ محمد الحر العاملي في « أمل الآمل » المطبوع بطهران سنة ١٣٠٧ هـ في ص ٤٦٩ هـ فقال :

الشيخ أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي . كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً جليلاً ثقة له كتب إلخ .

وذكره العلامة البحاثة المولى عبد الله الافنـــدي في كتابه « رياض العلماء

---

(١) الصحيح : أبي جعفر . كما مر عليك في أكثر من موضع .

(٢) التأريخ خطأ كما سنبينه .

وحياض الفضلاء » المخطوط الموجود في مكتبتنا ص ٩٣ فوصفه بقوله : الفقيه المحدث الجليل العالم العامل النبيل مثل والده ، ثم قال :

. . . كان شريكاً في الدرس مع الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي الرازي ، والشيخ ابي محمد الحسن بن الحسين بن بابويه القمي ، والشيخ ابي عبدالله محمد بن هبة الله الوراق الطرابلسي ، عند قراءة كتاب « التبيان » على والده الشيخ الطوسي كما رايته في إجازة الشيخ الطوسي المذكور بخطه الشريف لهم على ظهر كتاب التبيان المذكور . . الى ان قال :

وروى عن والده وطائفة من معاصريه رضي الله عنهم بل عن المفيد ايضا .

وقال في آخر الترجمة : أقول : وفي روايته عن الشيخ المفيد بلا واسطة محل تأمل فلاحظ (١) .

وذكره الشيخ اسد الله الدزفولي في « مقابس الأنوار » ص ١١ فقال :

الشيخ المحدث الفقيه الفاضل الوجيه النبيه المعتمد المؤتمن مفيد الدين أبو علي الحسن قدس الله تربته واعلى في الجنان رتبته . . . وكان من أعاظم تلامذة والده والديلمي ، وغيرهما من المشايخ ، وتلمذ عليه جماعة كثيرة من أعيان الأفاضل ، واليه ينتهي كثير من طرق الاجازات الى المؤلفات القديمة والروايات إلخ .

وذكره شيخنا العلامة الميرزا حسين النوري في « مستدرك الوسائل » ج ٣ ص ٤٩٧ فقال :

. . . الفقيه الجليل الذي ينتهي اكثر اجازات الاصحاب اليه ابو علي الحسن ابن شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي العالم الكامل المحدث النبيل . . .

---

(١) قال شيخنا النوري في (المستدرك) في التعليق على هذا التأمل ما لفظه : وهو في محله فان وفاة المفيد سنة ٤١٣ ه ولم أعثر على تأريخ وفاة أبي علي الا أنه يظهر من مواضع من (بشارة المصطفى) انه كان حياً في سنة ٥١٥ ه فلو روى عنه لعد من المعمرين الذين من رأيهم ـ اي المترجمين ـ الاشارة اليه .

أقول : هذا هو القول الفصل ، حيث يلزم من تصحيح روايته عن المفيد كونه يوم وفاة أستاذه ابن عشرين سنة على الأقل ، وعليه فيكون عمره في تأريخ سنة ٥١٥ ه مائة واثنتان وعشرون سنة ، ولو كان كذلك لما فات مترجميه الاشارة الى ذلك .

ويعبر عنه تارة بأبي علي ، أو أبي علي الطوسي ، وأخرى بالمفيد أو المفيد الثاني إلخ .

وله تراجم أخرى في كثير من الكتب المخطوطة والمطبوعة لا سبيل لنا الى استقصائها في هذه العجالة ، وقد أجمع كافة المترجمين له على عظمته وعلو شأنه في العلم والعمل ، وأنه أحد كبار فقهاء الشيعة ، وأجلاء علماء الطائفة ، وأفاضل حملة الحديث وأعلام الرواة وثقاتهم . ومنتهى الاجازات والمعنعنات ، وقد بلغ من علو الشأن وسمو المكانة أن لقب بالمفيد الثاني ، وقد ترجم له بهذا العنوان العلامة المرحوم الشيخ عباس القمي في كتابه (الكنى والألقاب) ج ٣ ص ١٦٥ .

وقد تخرج عليه كثير من حملة العلم والحديث من الفريقين ، وحاز المرجعية عند الطائفتين لذلك كثرت الروايات عنه ، وانتهت الطرق اليه ، وقد ذكر مترجموه كثيراً من تلامذته ، فقد ذكر الشيخ منتجب الدين بن بابويه في (الفهرست) أربعة عشر رجلاً كلاً في موضعه ونحن نتبرك بايراد ذكرهم وهم الاعلام :

١ ـ الشيخ الفقيه الثقة أردشير بن أبي الماجد بن أبي المفاخر الكابلي .

٢ ـ الشيخ الفقيه الأديب اسماعيل بن محمود بن اسماعيل الحلبي .

٣ ـ الشيخ الفقيه الصالح بدر بن سيف بن بدر العربي . من مشايخ منتجب الدين

٤ ـ الشيخ الفقيه الصالح أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن علي بن طحال المقدادي .

٥ ـ الشيخ الامام الفقيه الصالح الثقة موفق الدين الحسين بن فتح الله الواعظ البكر آبادي الجرجاني .

٦ ـ الشيخ الفقيه الصالح جمال الدين الحسيني بن هبة الله بن رطبة السوراوي .

٧ ـ الشيخ الفقيه الورع أبو سليمان داود بن محمد بن داود الحاسي .

٨ ـ السيد الفقيه الصالح أبو النجم الضياء بن ابراهيم بن الرضا العلوي الحسني الشجري .

٩ ـ السيد العالم الفقيه الثقة طاهر بن زيد بن أحمد .

١٠ ـ الشيخ الفقيه الصالح الشاعر أبو سليمان ظفر بن الداعي بن ظفر الحمداني

القزويني .

١١ ـ الشيخ الفقيه الحافظ الصالح الثقة أبو الحسن علي بن الحسين بن أحمد ابن علي الحاسي .

١٢ ـ الشيخ الفقيه ركن الدين علي بن علي .

١٣ ـ السيد الفاضل المتبحر الشاعر لطف الله بن عطاء الله أحمد الحسني الشجري النيسابوري .

١٤ ـ الشيخ الفقيه الثقة الامام المؤلف المكثر عماد الدين محمد بن أبي القاسم ابن علي الطبري الآملي الكجي .

وهناك جماعة من تلاميذه أيضاً ذكر بعضهم بعض المترجمين له ، ووقفنا على أسماء بعضهم في مختلف الروايات وسلاسل الحديث واليك أسماءهم مرتبة على حروف الهجاء وهم :

١٥ ـ أبو الفتوح أحمد بن علي الرازي . قال صاحب (الرياض) : وليعلم أنه ليس المراد بالشيخ أبي الفتوح المذكور هو صاحب التفسير المشهور ، وان اتحد عصرها ، لأن اسم أبي الفتوح هذا هو الحسين بن علي بن محمد بن احمد الخزاعي الرازي فلاحظ ، وحمله على اخيه ممكن لكن يبعده إتحاد كنيتيهما .

١٦ ـ الشيخ العالم الياس بن هشام الحائري .

١٧ ـ الشيخ بواب البصري .

١٨ ـ الشيخ الفاضل ابو طالب حمزة بن محمد بن أحمد بن شهريار الخازن .

١٩ ـ ابو الفضل الداعي بن علي الحسيني السروي .

٢٠ ـ عبد الجليل بن عيسى بن عبد الوهاب الرازي .

٢١ ـ الشيخ موفق الدين عبيدالله بن الحسن بن بابويه ، والدالشيخ منتجب الدين

٢٢ ـ علي بن شهراشوب المازندراني السروي ، والد صاحب (المناقب) و (المعالم) .

٢٣ ـ علي بن علي بن عبد الصمد .

٢٤ ـ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب (مجمع البيان) .

٢٥ ـ ابو الرضا فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسيني الراوندي .

٢٦ ـ محمد بن الحسن الشوهاني .

٢٧ ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي .

٢٨ ـ محمد بن علي بن عبد الصمد النيسابوري .

٢٩ ـ أبو علي محمد بن الفضل الطبرسي .

٣٠ ـ الشيخ محمد بن منصور الحلي الشهير بابن ادريس قال في (الرياض) : على المشهور من أن ابن أدريس يروى عن أبي علي هذا تارة بلا واسطة وتارة مع الواسطة .

٣١ ـ مسعود بن علي الصواني وفي (الرياض) : الصوابي وفي (المقابس) : السواني .

وهناك ثلاثة من العامة رووا عنه كما ذكره العسقلاني في (لسان الميزان) وقد سبقت الاشارة اليه وهم :

٣٢ ـ أبو الفضل بن عطاف .

٣٣ ـ محمد بن محمد النسفي .

٣٤ ـ هبة الله السقطي .

الى غير ذلك مما لا يمكن احصاؤه والوقوف عند حده ، ومع ذلك فلا نظن أن أحداً من مترجميه استوفى ما استوفيناه ، ووقف على كل ما أحصيناه والله الموفق .

آثاره :

ترك الشيخ أبو علي آثاراً قيمة وأسفاراً مهمة ، عرفنا منها : (شرح النهاية) وهو شرح الكتاب والده النهاية في الفقـــه ذكره في ترجمته صاحب (أمل الآمل) ، واسمه (المرشد الى سبيل التعبد) وذكره في ترجمته صاحب (معالم العلماء) .أيضاً

أقول : توهم الحجة الشيخ يوسف البحراني صاحب (الحدائق) عند ذكر الشيخ أبي علي في كتابه (لؤلؤة البحرين) ص ٢٤٥ حيث قال : وذكره ابن

شهراشوب وقال المرشد الى سبيل الله والمتعبد إلخ فكأنه ظن بأن ذلك وصف للشيخ أبي علي مع أنه اسم كتاب من كتبه .

وقد ذكر له معظم مترجميه (كتاب الآمالي) الذي ذكرناه في عداد مؤلفات والده منهم العلامة المجلسي وصاحب (الرياض) وصاحب (أمل الآمل) وصاحب (الروضات) وصاحب (قصص العلماء) وصاحب « الكنى والألقاب » وصاحب « مستدرك الوسائل » وغيرهم ، وأصر شيخنا العلامة المجلسي على أنه من آثاره فقد قال في الجزء الأول من « بحار الأنوار » بعد ذكر مآخذ الكتاب في الفصل الثاني الذي عقده لبيان الوثوق بالمصادر واختلافها ، فقد قال :

. . . وآمالي ولده العلامة في زماننا أشهر من أماليه ، وأكثر الناس يزعمون انه آمالي الشيخ ، وليس كذلك كما ظهر لي من القرائن الجلية ، ولكن آمالي ولده لا يقصر عن أماليه في الاعتبار والاشتهار ، وان كان آمالي الشيخ عندي أصح وأوثق إلخ .

وقد ذكرنا هذا الآمالي في (الذريعة) ج ٢ ص٣٠٩ـ ٣١١ وص ٣١٣ـ٣١٤ واثبتنا كونه من تآليف شيخ الطائفة وذكرنا الأسباب التي دعت الى هذه الشهرة الشايعة فعلى طالب التفصيل والوقوف على الحقيقة مراجعة الكتاب المذكور ، والتدقيق والتأمل فيما ذكرناه من الأدلة والوجوه .

أقول : وللشيخ أبي علي من المشايخ غير من مر ذكره في تراجمه المنقولة عن الكتب : أبو الحسن محمد بن الحسين المعروف بابن الصقال كما في (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) ص ١٦٧ ويروي عن ابي يعلى حمزة المعروف بسلار بن عبد العزيز الديلمي المتوفى ٤٤٨ هكذا في (البغية) للسيوطي أو سنة ٤٦٣ كما في (نظام الاقوال) للساوجي ـ كما في (أمل الآمل) في ترجمة سلار .

وفاته :

توفي الشيخ أبو علي بعد سنة ٥١٥ هـ فقد كان حياً في هذا التأريخ كما يظهر في مواضع من أسانيد (بشارة المصطفى) المذكور ، والله العالم بما عاش بعد ذلك .

ولا نعرف موضع قبره لكننا لا نشك في أنه في النجف الأشرف ولعله قبر مع والده فما ذكره في (لسان الميزان) ج ٢ ص ٢٥٠ : من انه توفى في حدود سنة ٥٠٠ هـ غير صحيح كما سبقت الاشارة اليه .

ومن آراء الشيخ أبي علي المشهورة : القول بوجوب الاستعاذة في القراءة ، قال صاحب (رياض العلماء) في ترجمته له ما لفظه :

ثم اعلم ان الشيخ أبا علي هذا هو صاحب القول بوجوب الاستعاذة في قراءة الصلاة بل في مطلق القراءة نظراً الى ورود الأمر به . مع ان الاجماع وقع على ان الأمر فيها للاستحباب ، حتى ان والده (قده) أيضاً نقل في الخلاف الاجماع منا على الأمر فيها للندب قطعاً .

وخلف الشيخ أبو علي ولداً هو الشيخ أبو نصر محمد بن أبي علي الحسن بن أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي النجفي رحمة الله عليهم ، وهو بقية رجال العلم في هذا البيت في النجف الاشرف ، والغريب أنه لم يذكر في كتب أصحابنا الامامية ، ولم يترجم له الرجاليون وأهل السير والتأريخ والأخبار ، حتى ان شيخنا الحجة الميرزا حسين النوري على عظمته وجلالة قدره وشهرته في التضلع والتتبع لم يعرف عنه شيئاً فقد قال في (المستدرك) ج ٣ ص ٤٩٧ : ولم نعثر على حال الحسن وجده محمد أنهما من أهل الدراية والرواية أو لا .

أقول : كان الشيخ أبو نصر محمد من أعاظم العلماء ، وأكابر الفقهاء ، وأفاضل الحجج واثبات الرواة وثقاتهم ، فقد قام مقام والده في النجف وانتقلت اليه الرياسة والمرجعية ، وتقاطر عليه طلاب العلم من شتى النواحي ، ترجم له ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) ج ٤ ص ١٢٦ - ١٢٧ في حوادث سنة أربعين وخمسمائة فقال :

وفيها أبو الحسن محمد بن الحسن ابي علي بن ابي جعفر الطوسي ، شيخ الشيعة وعالمهم ، وابن شيخهم وعالمهم ، رحلت اليه طوائف الشيعة من كل جانب الى العراق ، وحملوا اليه ، وكان ورعاً عالماً كثير الزهد ، واثنى عليه السمعاني وقال العماد الطبري

لو جازت على غير الانبياء صلاة صليت عليه .

أقول : توفى سنة ٥٤ كما ذكره في (الشذرات) وخلف ولداً واحداً سماه باسم جده الحسن ، وهو من جارية كانت له اسمها رياض النوبية أدركها السيد علي ابن غرام (عزام خ ل) الحسيني المولود سنة ٥٥٧ هـ والمتوفى سنة ٦٧٠ أو ٦٧١ كما حكاه السيد غياث الدين عبد الكريم بن طاووس ونقله عنه وعن خطه في كتابه (فرحة الغري) ص ٥٨ طبعة ايران سنة ١٣١١ هـ .

وخلف شيخ الطائفة ـ أعلى الله درجاته ـ غير ولده الشيخ أبي علي على ما ذكره المتقدمون ابنتين كانتا من حملة العلم وربات الاجازة ، ومن أهل الدراية والرواية قال في (رياض العلماء) : كانتا عالمتين فاضلتين ، احداهما أم ابن ادريس العلامة الشهير صاحب (السرائر) الحلي كما ذكر في ترجمته ، وامها بنت المسعود ابن ورام .

وقال صاحب (اللؤلؤة) ص ٢١٢ في ترجمة السيد رضي الدين أبي القاسم علي والسيد جمال الدين أبي الفضائل احمد ابني السيد سعيد الدين أبي ابراهيم موسى ابن جعفر آل طاووس ما لفظه :

. . . وهما أخوان من أم وأب وامهما على ما ذكره بعض علمائنا بنت الشيخ مسعود ورام بن أبي الفراس بن فراس بن حمدان ، وام امها بنت الشيخ وأجاز لها ولأختها ام الشيخ محمد بن ادريس جميع مصنفاته ومصنفات الأصحاب .

ونقل ذلك عنه في (الروضات) ص٤٩٢ من الطبعة الأولى وزاد عليه مالفظه : ووقع النص على جديتها له أيضاً من جهة الأم في مواقع كثيرة من مصنفات نفسه فليلاحظ .

وقال العلامة البحاثة الشيخ علي آل كاشف الغطاء في (الحصون المنيعة) في طبقات الشيعة المخطوط ج ١ ص ٣٢٨ ما لفظه :

بنتا الشيخ الطوسي كانتا عالمتين فاضلتين ، وكانت احداهما أم ابن ادريس ، وأما اختها فهي التي أجازها بعض العلماء ، ولعل المجيز اخوها الشيخ أبو علي أو والدها .

الى غير هؤلاء ممن ذكر هذا المعنى من المتقدمين وهم كثيرون ، وجاء بعدهم

المتأخرون فاخذوها عنهم ارسال المسلمات ومروا بها كراماً .

أقول : هذه النسبة غير صحيحة فليس الشيخ الطوسي الجد الأمي بغير واسطة لابن طاووس ، ولا لابن أدريس ، فقد صرح السيد رضي الدين علي بن طاووس في كثير من تصانيفه ومنها (الاقبال) في دعاء أول يوم من شهر رمضان في ص ٣٣٤ من طبعة تبريز بأن الشيخ الطوسي جد والده ـ السيد الشريف أبي ابراهيم موسى بن جعفر ـ من قبل امه ، والشيخ ابا علي خاله كذلك لكن ليس مراده الجد والخال أيضاً بلا واسطة بأن تكون والدة أبيه الشريف موسى ابنة الشيخ الطوسي كما استظهره شيخنا الحجة الميرزا حسين النوري في « مستدرك الوسائل » ج ٣ ص ٤٧١ ، لأن السيد ابن طاووس ولد في سنة ٥٨٩ هـ وكان والده حياً الى ان بلغ السيد من العمر حداً كان قابلاً فيه لقراءة كتاب « المقنعة » للشيخ المفيد و(الآمالي) للشيخ الطوسي وغير ذلك من الكتب عليه كما صرح به في تصانيفه ، فتكون حياة والده تقريباً الى حدود سنة ٦١٠ هـ ، وأما ولادته فلم تعلم تحقيقاً لكن الظاهر أنه لم يكن من المعمرين المناهزين للثمانين أو التسعين وإلا لكان قابلاً للذكر وكان يصرح به ولده ولو بالمناسبة في موضع من تصانيفه الكثيرة ، ولو فرض بلوغه الثمانين لكانت ولادته في حدود سنة ٥٣٠ هـ وكانت وفاة الشيخ الطوسي سنه ٤٦٠ هـ فلو فرضت له بنت صغيرة في التاريخ لم تكن تلد بعد الخمسين من عمرها ولهذا فلا تكون بنت الشيخ أم السيد موسى لبعد ذلك ولامتناعه عادة وان كان ممكناً عقلاً بان كانت البنت آخر ولد الشيخ وكان السيد موسى آخر ما ولدت البنت وقد عمر نيفاً ومائة سنة ، لكن ذلك ليس على مجاري القاعدة فلعل بنت الشيخ كانت والدة أم السيد موسى ، وكان الشيخ جد أم السيد موسى ، ويصح أن يطلق الجد والخال على جد الأم وخالها ، ولو كانت والدة ام السيد موسى بنت ابن الشيخ وهو الشيخ أبو علي فيكون هو جده لأمه لا خاله كما صرح به السيد ابن طاووس نفسه ، هذا ما نعتقده في الموضوع والظاهر أنه حقيقة المطلب .

وكذا الحال في الشيخ المحقق محمد بن ادريس الحلي الذي قيل : أن أمه بنت

الشيخ .لأن ابن ادريس ولد في سنة ٥٤٣ هـ فكيف تكون أمه بنت الشيخ ، ولو فرضنا إمكان ما مر من المحالات والمستبعدات من أنها آخر ما ولد للشيخ ، وانه آخر ما ولد لها فما نصنع لقول عدة من القدماء ان الشيخ أجاز ابنتيه . وهو قول ثابت لا يمكن انكاره أو تضعيفه .

ثم ان هناك خلط آخر وهو التعبير عن الشيخ ورام بالمسعود الورام أومسعود ابن ورام ، حيث ان المسعود الورام ، وابن ورام غير الشيخ ورام الزاهد صاحب « تنبيه الخاطر » كما نبه عليه شيخنا النوري .

ومن طرائف هذا الباب ما نقله صاحب « الرياض » عن رسالة فارسية لبعض الفضلاء كما عبر عنه من أن ابن عيسى الرماني المفسر سبط شيخ الطائفة الطوسي وانه قرأ على خاله الشيخ أبي علي ، وان له آثاراً منها « كشف الغمة » في فضائل الأئمة (ع) وهو غير « كشف الغمة » للأربلي وله غيره وانه كان ذا اطلاع تام على كلمات جده الشيخ الطوسي . الى غير ذلك .

أقول : الرماني هو الامام العالم الشيعي الكبير المفسر النحوي والفقيه المتكلم ابو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبدالله السر من رائي البغدادي الواسطي المعروف بابن الرماني أو بابي الحسن الوراق ، والملقب بالاخشيدي صاحب التفسير الكبير الذي ذكرناه في « الذريعة » ج ٤ ص ٢٧٥ وقد لقب بالاخشيدي لتلمذه على ابن اخشيد ، وبالرماني نسبة الى قصر الرمان بواسط ، وقد ترجم له ابن النديم في « الفهرست » ص ٩٤ ـ ٩٥ والحموي في « معجم الادباء » ج ١٤ ص ٧٣ ـ ٧٨ وذكره في « معجم البلدان » ج ١٤ ص ٢٨٣ وترجمه الخطيب في « تأريخ بغداد » ج ١٢ ص ١٦ ـ ١٧ والعسقلاني في « لسان الميزان » ج ٤ ص ٢٤٨ وذكرناه في كتابنا « نوابغ الرواة في رابعة المئات » ص ١٤٣ وذكره القمي في « الكنى والالقاب » ج ٢ ص ٢٥١ الى غير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه في هذه العجالة ، وقد صرح الجميع بانه ولد في سنة ٢٩٦ هـ وتوفي سنة ٣٨٤ هـ وعليه فوفاته قبل ولادة الشيخ الطوسي بسنة واحدة فكيف يكون سبطاً للشيخ ؟ والأظرف أن الشيخ

نفسه قد استحسن تفسير الرماني هذا فقال في مقدمة كتابه «التبيان هذا» مالفظه: «وأصلح من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً محمد بن بحر أبو مسلم الاصفهاني وعلي بن عيسى الرماني فان كتابيهما أصلح ما صنف في هذا المعنى إلخ .

والخلاصة انه حصل لنا القطع بأن للشيخ إبنتين عالمتين فاضلتين من أهل الرواية والدراية لكن ما هو اسمها ، ومن تزوج بها ، ومتى توفيا فهذا أمر لم نوفق لمعرفته حتى الآن ورغم مرور هذه الازمان .

كما حصل لنا اليقين بأن صهر الشيخ الطوسي على احدى بناته هو الشيخ السعيد أبو عبدالله محمد بن احمد بن شهريار الخازن لمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، الذي كان فقيهاً صالحاً، وهو الذي يروي عنه «الصحيفة السجادية» السيد بهاء الشرف ابو الحسن محمد بن الحسن بن احمد العلوي الحسيني في ربيع الاول سنة ٥١٦ هـ كما وقع في أول الصحيفة ، وهو من تلاميذ شيخ الطائفة الذين عاشوا الى هذا التأريخ ، وهو يروي عن ابي منصور العكبري المعدل الذي يروي عن ابي المفضل الشيباني المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ، وترجم له الشيخ منتجب الدين في « الفهرست » فقال: فقيه صالح . كما نقله عنه الشيخ الحر ايضاً في « أمل الآمل » ، وذكره أيضاً السيد ابن طاووس في « مهج الدعوات » فقال : « . . . وحدث الشيخ السعيد الأمين أبو عبدالله محمد بن احمد بن شهريار الخازن بالمشهد المقدس الغروي في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين واربعمائة » .

ويروي عنه عماد الدين الطبري في « بشارة المصطفى » وهو يروي عن الشيخ الطوسي ، والشريف زيد بن ناصر العلوي ، والشريف محمد بن علي بن عبد الرحمن صاحب « التعازي » ، وابو يعلي حمزة بن محمد الدهان ، وجعفر بن محمد الدرويستي ، ومحمد بن احمد بن علان المعدل وغيرهم كما ذكره في « رياض العلماء » .

وقد رزق الشيخ ابو عبدالله محمد من زوجته كريمة شيخ الطائفة ولده الشيخ أبا طالب حمزة . وكان فقيهاً صالحاً ايضاً يروي عن خاله الشيخ ابي علي بن الشيخ الطوسي ، وحدث عنه ابن اخيه الشيخ الموفق ابو عبدالله احمد بن شهريار بن ابي

عبد الله محمد بن احمد بن شهريار الخازن في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام في رجب سنة ٥٥٤ هـ كما في الباب الثامن والثلاثين والمائة من كتاب « اليقين » لابن طاووس ويروي عن الشيخ الموفق هذا الشيخ حسن بن علي الدربي الذي هو استاذ المحقق الحلي ، والسيد علي بن طاووس كما في اجازة العلامة الحلي لبني زهرة الحلبي .

ترجم لحمزة صاحب « الرياض » ص ١٩٦ وصرح بانه سبط شيخ الطائفة وانه يروي عن خاله أبي علي ، وترجم له في « أمل الآمل » في القسم الثاني ولم يذكر جده الأخير ، ولحمزة ولد عالم كامل هو الشيخ علي كتب بخطه في الحلة « اختيار الرجال » تأليف جده شيخ الطائفة في سنة ٥٦٢ هـ وهي نسخة نفيسة جيدة كما أشرنا اليها في « الذريعة » ج ١ ص ٣٦٦ هـ وكتب الشهيد الأول نسخته عن خطه . وكتب الشيخ نجيب الدين علي بن محمد تلميذ صاحب « المعالم » نسخته عن خط الشهيد رأيت نسخة نجيب الدين في « مكتبة العلامة السيد حسن الصدر » في الكاظمية .

والذي يستفاد من بعض الامارات ويغلب على الظن أن أول من لقب بالخازن هو الجد الأعلى لهؤلاء أعني شهريار القمي الذي يوصف بالخازن غالباً وجرت الخازنية في عقبه الى بطون ، وهو قمي الأصل معروف بالديانة والتقوى ، وله ولدان أحدهما أبو نصر أحمد المذكور ، والثاني الحسن بن شهريار والد جعفر الذي ذكره العسقلاني في « لسان الميزان » ج ١ ص ٣٠٥ ناقلاً لترجمته عن « تأريخ الري » لابن بابويه — ويعني به كتاب « الفهرست » للشيخ منتجب الدين — وكان شهريار جد هـذه الأسرة معاصراً للسلطان عضد الدولة الديلمي الذي عمر المشهدين الشريفين الغري والحائر في سنة ٣٦٩ هـ كما صرح به جمع من المؤرخين فقد روى ابن طاووس في « فرحة الغري » ص ٥٨ من الطبعة الأولى عن يحيى بن عليان الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه وجد بخط الشيخ أبي عبدالله محمد ابن السري المعروف بابن البرسي رحمه الله المجاور بمشهد الغرى سلام الله على صاحبه ، على ظهر كتاب بخطه قال : كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروي والحائري فى شهر جمادى الأولى فى سنة احدى وسبعين وثلثمائة ، وورد

مشهد الحائر لمولانا الحسين صلوات الله عليه لبضع بقين من جمادي فزاره صلوات الله عليه وتصدق واعطى الناس على اختلاف طبقاتهم ، وجعل في الصندوق دراهم ففرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم اثنان وثلاثون درهماً وكان عددهم ألفين ومأتي إسم ، ووهب العوام والمجاورين عشرة آلاف درهم ، وفرق على أهل المشهدين من الدقيق والتمر مائة ألف رطل ومن الثياب خمس مائة قطعة ، واعطى الناظر عليهم ألف درهم ، وخرج وتوجه الى الكوفة لخمس بقين من جمادى المؤرخ ودخلها وتوجه الى المشهد الغروي يوم الاثنين ثاني يوم وروده ،وزار الحرم الشريف وطرح في الصندوق دراهم فأصاب كل واحد منهم أحد وعشرين درهماً وكان عدد العلويين ألف وسبمائة اسماً وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة الف درهم ، وعلى المترددين خمسمائة الف درهم وعلى الناحة الف درهم ، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم ، وعلى المرتبين من الخازن والنواب على يد أبي الحسن العلوي ، وابي القاسم بن ابي عابد ، وابي بكر بن سيار رحمه الله خمسمائة درهم وصلى الله على محمد النبي وآله الطاهرين .

وتجد ذكر ذلك ايضاً في « الكامل » لابن الأثير ج ٨ ص ٣٣٤ وقد كانت هذه الزيارة بعد سنة التعمير المذكورة فقد قال ابن عنبة في « عمدة الطالب » ص ٤٤ من طبعة لكنهو ما لفظه : « . . . الى ان كان زمن عضد الدولة فناخسرو ابن بويه الديلمي فعمره عمارة عظيمة ، واخرج على ذلك اموالاً جزيلة وعين له او قافاً إلخ » .

افترى ان مثل هذا السلطان العظيم والسياسي المحنك ، والداهية الدهاء والمفكر الكبير ، يوقف الأملاك الكثيرة، ويحبس المنافع الواسعة، ويصرف في سبيل التعمير والتشييد المبالغ الطائلة ، ويعين للفقهاء والعلماء الرواتب ويطلق الصلات للمحتاجين من مجاوري هذا المشهد ، كل ذلك بدون تعيين متول او وكيل اوخازن او خادم المشهد يقوم بلوازمه ؟ كلا لا شك ان ذلك كله قد كان باشراف رجل مسؤول عن كل شيء والغالب على الظن انه شهريار القمي جد هذه الاسرة الجليلة العريقة في العلم والتقى وخدمة المشهد وخزانته ، ويؤكد لنا ذلك تشرف عضد

الدولة للزيارة بعـد عامين من تشييد المرقد وبناء القبـة ، وكان ذلك من دون شك لمشاهدة ما قام به من الأعمال وهل هو على وفق رغبته وكما ينبغي ام لا ؟ هذا ما نذهب اليه والله العالم .

لقد طال بنا الكلام عن خلف الشيخ الطوسي ، وبعدنا عما كنا بصدده فلا يخفى ان عقب شيخ الطائفة لم ينقرض بل تحول بعضهم عن النجف الى اصفهان وبقي محافظاً على نسبه ومكانته العلمية ، فمن احفاده المولى المفسر المحدث الشيخ محمد رضا بن عبد الحسين بن محمد زمان النصيري الطوسي ساكن اصفهان صاحب التفسير الكبير المسمى بـ « تفسير الأئمة لهداية الأمة » و « كشف الآيات » الذي فرغ منه في سنة ١٠٦٧ هـ ، فان هذا الشيخ ينقل في اثناء تفسيره عن شيخ الطائفة بعض الاحاديث بما لفظه : « قال جدنا الأمجد العالم المتعلم بعلوم الصادقين الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي » والظاهر انه جده من طرف الأب والا لقيده بالأمي كما انه يقيد انتسابه لابن طاووس وابن ادريس بطرف الأم .

وأما نسبة هذا الشيخ الى النصير فلم يظهر لنا وجهها لأن المعروفين بنصيرالدين في علمائنا كثيرون ، منهم : (١) الخواجة نصيرالطوسي (٢) نصيرالدين أبو طالب عبدالله ابن حمزة بن الحسن الطوسي الشارحي المعروف بنصير الدين الطوسي والمذكور في (الفهرست) للشيخ منتجب الدين (٣) الشيخ نصيرالدين علي بن حمزة بن الحسن المذكور في (أمل الآمل) (٤) الشيخ نصيرالدين علي بن محمد بن علي الكاشاني الحلي من المائة الثامنة (٥) الشيخ نصير الدين بن محمد الطبري المدفون بسبزوار من المائة التاسعة الى غيرهم مما لا يخطر ببالنا .

وهـذا التفسير كبير يقال أنه في ثلاثين مجلداً رأيت مجلدين منها . أحـدهما المجلد الأول وهو كبير ضخم وعلى ظهره تملك ابن مؤلفه كتب : انه ملكه بالارث . لكن لم يذكر تأريخه ، وتوقيعه : (عبد الله بن محمد رضا النصيري الطوسي). وقد ملك هذا المجلد السيد شبر بن محمد بن ثنوان الحويزي النجفي في سنة ١١٦٠ ـ ١١٨٢ هـ كما يظهر من بعض خطوطه عليه في التأريخين ، وانتقل بعد ذلك الى العلامة الشيخ

أسد الله الدزفولي الكاظمي صاحب (المقابس) فوقفه وكتب صورة الوقف بخطه وقد رأيته في مكتبة المرحوم الشيخ محمد أمين آل الشيخ أسد الله المذكور .

وثاني المجلدين اللذين رأيتهما - وهو ضخم كبير أيضاً - رأيته في النجف في مكتبة المرحوم الشيخ محمد جواد آل محي الدين ولا علم لي ببقية مجلداته ، غير ان صديقنا الجليل الحجة المرحوم الشيخ ابو المجد اغا رضا الاصفهاني صاحب (نقد فلسفة داروين) قد كتب لنا من أنه : كان خمسة عشر مجلداً من هذا الكتاب في (المكتبة القزوينية) باصفهان وقد أخذ اقبال الدولة ثلاث مجلدات منها أيام حكومته باصفهان ولم يردها ، والبقية موجودة فيها انتهى وقد ذكرنا هذا التفسير مفصلا في (الذريعة) ج ٤ ص ٢٣٦ - ٢٣٨ .

ولصاحب هذا التفسير أخ جليل هو المولى محمد تقي بن عبد الحسين النصيري الطوسي الاصفهاني مؤلف (المقال في مكارم الخصال) فرغ من بعض مجلداته في اصفهان يوم الأحد ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٠٨٠ هـ ، ووالدهما المولى عبد الحسين بن محمد زمان النصيري الطوسي كان من العلماء أيضاً كما يظهر من خطه بتملك (نهج الحق) في الكلام للعلامة الحلي على نسخة كتبها محمد كاظم بن شكر الله الدزماني في سنة ١٠٢٥ هـ ، وتوقيعه : (عبد الحسين بن محمد زمان النصيري الطوسي) .

ومن رجال هذا البيت المصنفين الشيخ المولى حسن بن محمد صالح النصيرى الطوسي مؤلف (هداية المسترشدين) فى الاستخارات في سنة ١١٣٢ هـ ومنهم المولى محمد ابراهيم بن زين العابدين النصيرى الطوسي الذى كان حياً سنة ١٠٩٧ هـ وفيها استكتب لنفسه (تلخيص الشافي) ، ومنهم ولده المولى محمد بن ابراهيم بن زين العابدين النصيرى الطوسي الموجود بعض تملكاته ، وبالجملة : كل واحد من هؤلاء وصف نفسه بالنصيرى الطوسي فقط من دون تعرض لوصف السيادة حسنية أو حسنية أو غيرها ، أو أى لقب آخر ، ومن ذلك كله يظهر جلياً كون هذا المؤلف المفسر غير الأمير الكبير السيد محمد رضا الحسيني منشي الممالك الساكن باصفهان في زمن تأليف الشيخ الحر كما ترجمه كذلك في (أمل الآمل) وذكر له كتاب (كشف

الآيات) و (التفسير الكبير) العربي والفارسي في أكثر من ثلاثين مجلداً ، فلا وجه لما كتبه السيد شبر الحويزي بخطه على ظهر المجلد الأول من هـذا التفسير في سنة ١١٦٠ هـ من استظهاره أن المؤلف له هو المترجم له في (الأمل) مع أن هذا المؤلف صرح في أول المجلد الأول منه بأنه يروي جميع تلك الأخبار التي أوردها في تفسيره عن شيخه السيد السند . . . الى قوله بعد الاطراء : الأمير شرف الدين علي بن حجة الله الحسني الشولستاني النجفي . الذي كان حياً الى سنة ١٠٦٣ هـ وكان من مشايخ العلامة المولى محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ قبل تأليف (الأمل) بسنين ، فالمؤلف معاصر له ولعله أيضاً لم يبق الى زمن تأليف (الأمل) وهو سنة ١٠٩٧ هـ والحال ان منشيء المال كان حياً سنة تأليفه وكان ساكناً باصفهان .

وظهر مما ذكرناه أيضاً تقدم هذا المفسر على السيد الأمير محمد رضا بن محمد مؤمن المدرس الامامي الخواتون آبادي مؤلف (جنات الخلود) باسم الشاه سلطان حسين الصفوي في سنة ١١٢٧ هـ وان كان له تفسير أيضاً .

هذا كل ما نعرفه عن أحفاد شيخ الطائفة ، والأسف ان سلسلة نسبهم اليه لم تكن محفوظة ولعل في مؤلفاتهم ومكتباتهم في اصفهان ما يتضمن ذلك والله العالم .

ومن المستغرب ما ذكره بعض المعاصرين من أن للشيخ الطوسي أخا اسمه حمزة ، وقد نقل ذلك عن (تكملة أمل الآمل) للحجة السيد حسن الصدر رحمه الله وقال أنه تأسف على حاله لكونه من المنسيين الذين لا ذكر لهم في الأصول الرجالية وذكر انه وقف عليه في اجازة ابن نما واستظهر منها ان له روايات ومصنفات .

أقول : ان اجازة الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلي لم تصل الينا صورتها التامة وانما وصلتنا منها بعض النبذ ، فقد ذكر الشيخ حسن صاحب (المعالم) في اجازته الكبيرة المطبوعة في آخر (البحار) ص ١٠٠ أنه كان يحتفظ بثلاث اجازات بخط الشيخ الشهيد محمد بن مكي قدس سره ، وهذه الاجازات كتبها أصحابها للشيخ كمال الدين حماد الواسطي ، وهي :

« ١ » اجازة السيد غياث الدين بن طاووس الحلي « ٢ » اجازة نجيب الدين

يحيى ابن سعيد الحلي «٣» اجازة نجم الدين جعفر الحلي الشهير بابن نما . ثم انه ذكر : انه ينقل المهم من مطالب الاجازات في اجازته المذكورة ، وليس فيما نقله من فوائد اجازة ابن نما ذكر ولا أثر لحمزة أخ الشيخ الطوسي كما قيل .

والمظنون ان الأمر اشتبه على الناقل فظن ان الشيخ الجليل الشهير بابن حمزة الطوسي المشهدي صاحب «الوسيلة الى نيل الفضيلة» - الشهير بأبي جعفر الثاني أو أبي جعفر المتأخر - فظن ان جده حمزة كان اخاً للشيخ الطوسي ، ولم يكن كذلك اذ لو كان لصرح به الشيخ منتجب الدين في ترجمته له حيث ذكره هكذا : الامام عماد الدين ابو جعفر محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي إلخ ولم يشر الى شيء من ذلك على خلاف عادته فيمن يعرف له قرابة من المترجمين .

ولا يخفى خطأ ذلك من ناحية ثانية فسيرة شيخ الطائفة معروفة لدى المؤرخين والباحثين منذ يوم خروجه من طوس حتى يوم وفاته في النجف ، ولم يغمض من ذلك شيء أبداً ، ولم نعرف طوال هذا العمر أخاً للشيخ الطوسي ولم نسمع باسمه ، وليت شعري أهاجر هذا الأخ مع أخيه الشيخ من طوس ؟ أم لحقه بعد ذلك الى بغداد ؟ وهل كان اكبر من اخيه وأصغر أو غير ذلك مما لا وجه لاحتمال صحته بكل وجه؟ ومع ذلك فالعالم هو الله .

تنبيهات

(١) - قال العلامة الحلي في «الخلاصة» عند ذكر شيخ الطائفة ما لفظه :

. . . وكان يقول أولاً بالوعيد ثم رجع . وقال ذلك غيره من المترجمين للشيخ الطوسي رحمة الله عليه .

أقول : القول بالوعيد هو اختيار عدم جواز عفو الله عن الكبائر عقلاً من غير توبة كما عليه جماعة الوعيدية كأبي القاسم البلخي وغيره ، وهو مخالف لاجماع الامامية فقد اتفقوا على القول بدخول المؤمن الصالح الى الجنة وخلوده فيها ، وأما الذي خلط العمل الصالح بغيره فقد أجمع الامامية على أنه لا يجب تعذيبه بل قد يعفو الله عنه أو يشفع النبي «ص» فيه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » . وقد يعاقبه الله لكن عقاباً غير دائم لأنه يستحق الثواب .

قال الشيخ الصدوق في كتابه « الاعتقادات » ما لفظه :

« ان اعتقادنا في الوعد والوعيد ان من واعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه ، ومن واعده على عمل عقاباً فهو بالخيار إن عذبه فبعدله وان عفا عنه فبفضله وما ربك بظلام للعبيد . وقال الله تعالى : ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . والله أعلم » .

وروى الكليني في « الكافي » عن الامام محمد الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى : (عسى الله أن يتوب عليهم) . انه عليه السلام قال : أولئك قوم مؤمنون يحدثون في ايمانهم من الذنوب التي يعيبها المؤمنون ويكرهونها . وفي (تفسير العياشي) عن الباقر عليه السلام أيضاً قال : عسى من الله واجب وانما نزلت في شيعتنا المذنبين . ونقله عنها أيضاً الصافي في تفسيره ص ١٩٨ من طبعة طهران سنة ١٣١١ هـ .

الى غير ذلك مما ورد في هذا الباب في الكتاب والسنه أفترى ان شيخ الطائفة مع عظيم مكانته في العلوم الاسلامية يغفل عن هذا أو يضرب به عرض الجدار ويقول بالوعيد اولا ثم يرجع ، حاشا وكلا وانما نسب ذلك اليه أعداؤه وأدخله في ترجمته أبناء العامة الذين ذهب معظمهم الى تلك الاقوال والآراء ، ولم يكن للشيخ في ذلك رأي ولا قول .

ويدل على عدم صحة ذلك قول السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) في ترجمته للشيخ كما سيأتي أنه شافعي ، فهل يحتمل ذلك في حق هذا الحبر الكبير الذي هو امام الفرقة الاثنى عشرية بعد أئمتهم المعصومين عليهم السلام ؟ وهذه كتبه الجليلة الدالة على بلوغه أقصى درجات الاجتهاد ، ومن هذا يظهر لنا أن العلامة الحلي نقل ذلك فيه عن مثل هذا المؤلف .

(٢) ـ الاجماع في نظر شيخ الطائفة ليس على المعنى الحقيقي المصطلح عند

المتأخرين عنه ، بل الغالب أنه يتمسك بالاجماع في قبال آراء العامة للرد عليهم بما هو حجة عندهم حتى في الأصول مثل مسألة الامامة والخلافة، ولذا تراه ـ قدس الله نفسه ـ يستدل بالاجماع في جملة من الفروع ثم يفتي هو في كتابه الآخر بما يخالف ذلك الاجماع . وقد أحصى الشيخ السعيد زين الدين الشهيد تلك الاجماعات في رسالة مستقلة طبعت في آخر (الألفية) للشهيد الأول في سنة ١٣٠٨ هـ وقد ذكر في أولها: أن شيخ الطائفة إدعى الاجماع فى جملة من المسائل مع أنه بعينه خالف حكم ما ادعى الاجماع فيه،أوردناه للتنبيه على أن لا يغتر الفقيه بدعوى الاجماع الخ . بدأ في بيان تلك المسائل بكتاب النكاح ثم الطلاق الى آخر كتاب الديات ، ومن هذا يظهر أنه لم يظفر بمخالفته للاجماعات في كتب العبادات .

(٣) ـ إن لشيخ الطائفة فتاوى نادرة لم يرتضيها المتأخرون عنه لقوة أدلة خلافها ، منها : مسألة مالا يدركه الطرف من الدم . فقد قال : بأنه غير منجس . وقال الشيخ صاحب (الجواهر) فيه : الأحوط بل الأقوى تنجيسه وفاقاً للمشهور بين الأصحاب ، ولم يحك عدم التنجيس الا عن الشيخ في (الاستبصار) و (المبسوط) الى قوله : ويظهر من صاحب (الذخيرة) موافقته ولا ريب خطئه الخ.

ومنها : مسألة تصوير ذوات الأرواح وصنع المجسمات فانه وان لم ينقل عنه القول بالجواز في كتبه الفقهية لكنه صرح به في (تفسير التبيان) ولعله عدل بعد ذلك عنه كما يأتي النقل عن كتابه (النهاية) ، قال في (التبيان) الطبعة الأولى ج ١ ص ٨٥ س ١٢ في تفسير قوله تعالى : (اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) . ما لفظه : اي اتخذتموه الهاً لأن بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لأن فعل ذلك ليس بمحظور وانما هو مكروه ، وماروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لعن المصورين معناه من شبه الله بخلقه أو اعتقد فيه أنه صورة فلذلك قدر الحذف في الآية كأنه قال اتخذتموه الهاً وذلك انهم عبدوا العجل بعد موسى لما قال لهم السامري هذا الهكم إلخ .

ثم ان أمين الاسلام الطبرسي صاحب (مجمع البيان) الذي حذا فيه حذو شيخ الطائفة في (التبيان) كما أسلفناه أورد كلام شيخ الطائفة في تفسير هذه الآية بعينه من دون نظر فيه أو تأمل ، ولكن المتأخرين عن هذين الامامين لم يرتضوا ذلك وانما أفتوا بحرمة التصوير ولا سيما تصوير ذوات الأرواح ، وتشددوا في خصوص المجسمات ، قال الشيخ الكبير أستاذ كافة المتأخرين العلامة الشيخ المرتضى الأنصاري في (المكاسب المحرمة) ص ٢٠٣ من طبعة طهران مالفظه : المسألة الرابعة تصوير صور ذوات الأرواح حرام اذا كانت الصورة مجسمة بلا خلاف فتوى ونصاً ، وكذا عدم التجسيم وفاقاً لظاهر (النهاية) وصريح (السرائر) إلخ ومن هذا القول احتملنا عدول الشيخ عن رأيه السابق في تفسيره ، وأما الشيخ الطبرسي فلم يصلنا كتابه في الفقه حتى نعرف فتواه بالجواز جزماً (١) .

(٤) ـ حكي عن صاحب (الرياض) : ان المؤرخ المسعودي صاحب (مروج الذهب) جد الشيخ الطوسي من طرف أمه . وهذا مستبعد أيضاً وعلى فرض وجود علاقة فليست بهذا القرب يعني ليس جده بلا واسطة فلعل أمه من بناته فقد طاف المسعودي فارس وكرمان سنة ٣٠٩ هـ فلعله تزوج في ايران وأعقب بها ، إما وفاته فهي بمصر عام ٣٤٦ هـ ولزيادة الاطلاع على أحواله راجع (فوات الوفيات) لابن شاكر ج ٢ ص ٥٧ طبع عام ١٢٨٣ هـ و (الفهرست) لابن النديم ص ٢١٩ طبع مصر و (تأريخ آداب اللغة العربية) لجرجي زيدان ج ٢ ص ٣١٣ وغير ذلك .

مصادر ترجمته :

لقد بلغ شيخ الطائفة رحمة الله عليه في عالم الشهرة درجة قصوى ، ومكانة لم يحظ بها إلا آحاد من العظماء والمؤسسين ، ولهذا فلا يكاد يخلو من ذكره كتاب في الرجال أو مشيخة في الحديث أو اجازة في الرواية أو سلسلة من السلاسل المنتهية الى

---

(١) كتب لنا قبل مدة الدكتور بشر فارس عضو المجمع العلمي اللغوي في القاهرة يسألنا عن رأي علماء الشيعة في تصوير ذوات الأرواح فلم نزد على ما ذكرناه .

أهل بيت العصمة عليهم السلام ، ولذلك فان مصادر ترجمته في غاية الكثرة ، وليس بامكاننا استقصاءها بأجمها في هذه العجالة ، وانما نذكر من ذلك ما هو في متناول يدنا حال كتابة هذه الترجمة ، واننا لنعتقد بأن هناك أضعافه وان مالا يخطر ببالنا ولا يحضرنا أكثر وأكثر ، لكن لا يسقط الميسور بالمعسور ، ومالا يدرك كله لايترك كله ، واليك الموجود :

(١) ـ إتقان المقال في أحوال الرجال : للشيخ محمدطه نجف ، ص ١٢١ طبع النجف سنة ١٣٤٠ هـ .

(٢) ـ اجازة الشيخ عبدالله السماهيجي . من مخطوطات مكتبتنا الورقة ٢٠ أ . وهي بخطنا في كتابنا الكبير (إجازات الرواية والوراثة في القرون الأخيرة الثلاثة) . وعن هذه الاجازة نقل صاحب (اللؤلؤة) معبراً عنها باجازة بعض مشايخنا المعاصرين .

(٣) ـ إزاحة الحلك الدامس بالشموس المضيئة في القرن الخامس . للعبد الفاني أغا بزرك الطهراني غفر الله له ولوالديه مخطوط ص ٧٢ وهو الجزء العاشر من موسوعتنا الثانية (طبقات أعلام الشيعة) ، وهو الذي استللنا منه هذه الترجمة وزدنا عليها جملة من الفوائد .

(٤) ـ الأعلام : لخير الدين الزركلي . ج ٣ ص ٤٨٤ طبع مصر سنة ١٣٤٧ هـ وقدسها فيه بقوله : وتوفي بالكوفة . وبقوله : المبسوط في الفقه ٨١ جزءاً . ولعل مراده ما يحويه من الكتب الفقهية ومع ذلك فلا يصح إذ هي نحو سبعين كتاباً .

(٥) ـ أعيان الشيعة : للسيد محسن الأمين ج ١ ص ١ و ١٢ و ٢٨٢ و ٣ ٣ـ ٣٠٤ وغيرها طبع دمشق سنة ١٣٥٣ هـ .

(٦) ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار . للشيخ محمد باقر المجلسي ذكر فيه شيخ الطائفة في مواضع عديدة ، ولا سيما في مجلد الاجازات الذي هو آخر أجزائه .

(٧) ـ البداية والنهاية . لابن كثير ج ١٢ ص ٩٧ طبع مصر سنة ١٣٥١ هـ

(٨) ـ تأريخ آداب اللغة العربية . لجرجي زيدان ج ٣ ص ١٠٢ طبع مصر سنة ١٩١١ م . وقد سها بقوله : المتوفى سنة ٤٥٩ .

(٩) ـ تأريخ مصر . لبعض الأشعرية . ينقل عنه صاحب (الروضات) في ترجمته للشيخ .

(١٠) ـ تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام . للسيد حسن الصدر ص ٣١٣ و ٣٣٩ طبع بغداد سنة ١٣٧٠ هـ .

(١١) ـ تحفة الأحباب في نوادر آثار الأصحاب . للشيخ عباس القمي ص ٣٢٣ — ٣٢٥ طبع طهران سنة ١٣٦٩ هـ .

(١٢) ـ تحية الزائر وبلغة المجاور . للشيخ الميرزا حسين النوري ص ٧٨ طبع طهران سنة ١٣٢٧ هـ .

(١٣) ـ تلخيص الأقوال في تحقيق أحوال الرجال . للسيد الميرزا محمد ابن علي الحسيني الاستراباذي ، مؤلف ثلاثة كتب في الرجال (١) الكبير (٢) الوسيط وهو هذا (٣) الصغير . وهذا الكتاب من مخطوطات مكتبتنا والترجمة في الورقة ١٤١ أ .

(١٤) ـ تنقيح المقال في علم الرجال (١) . للشيخ عبد الله المامقاني ج ٣ ص ١٠٤ طبع النجف سنة ١٣٥٢ هـ .

(١٥) ـ توضيح المقال في علم الرجال . للمولى علي الكني . ص ٦٢ طبع طهران سنة ١٣٠٢ هـ .

(١٦) ـ جامع الرواة: للمولى محمد بن علي الأردبيلي ج ٢ ص ٩٥ طبع طهران سنة ١٣٧٤ هـ .

---

(١) ذكره الاستاذ البحاثة يوسف أسعد داغر في مآخذ كتابه (مصادر الدراسة الأدبية) ج ١ ص ١٢ وسماه (منتهى المقال) . ولخص رأي مؤلفه بأن الثقات ممن ذكره (١٣٢٨) والحسان (١٤٤٥) والموثقون (٦٤١) والباقي أي ١٣٢٦٨ مابين ضعيف ومجهول ومهمل .
أقول : راجع ما ذكرناه في (الذريعة) ج ٤ ص ٤٦٦ — ٤٦٧ لتعرف رأي الشيخ المامقاني ومراده بالمجهول .

(١٧) ـ الخلاصة المنظومة · للشيـخ عبد الرحيم الاصفهاني ص ٨٤ طبع طهران سنة ١٣٤٣ ه ·

(١٨) ـ خلاصة الأقوال في معرفة الرجال · للعلامة الحلي ج ١ ص ٧٢ طبع طهران سنة ١٣١٠ ه .

(١٩) ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة . للفاني أغا بزرك الطهراني عفا الله عنه ج ١ ص ٧٣ و ٣٦٥ — ٣٦٦ و ج ٢ ص ١٤ — ١٦ و ٢٦٩ — ٢٧٠ و ٣٠٩ — ٣١١ و ٣١٣ — ٣١٤ و ٤٨٦ و ج ٣ ص ٣٢٨ — ٣٣١ و ج ٤ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ و ٤٢٣ و ٤٣٣ و ٥٠٤ — ٥٠٧ و ج ٥ ص ١٤٥ و ج ٧ ص ٢٣٦ و ج ١٠ ص ١٢٠ طبع النجف وطهران ·

(٢٠) ـ راهنماي دانشمندان . للسيد علي أكبر البرقعي ج ٢ ص ١١٨ — ١٢٠ طبع طهران بدون تأريخ لكن الجزء الأول طبع سنة ١٣٦٨ ه .

(٢١) ـ الرجال . لأبي العباس احمد بن علي النجاشي ص ٢٨٧ — ٢٨٨ طبع بمبيء سنة ١٣١٧ ه . وهو معاصر للشيخ وأول من ترجم له بعد ترجمته لنفسه في كتابه (الفهرست) .

(٢٢) ـ الرجال . لابن داود من مخطوطات مكتبتنا تأريخ كتابته سنة ٩٩٢ ص ٥١ .

(٢٣) ـ الرواشح السماوية في شرح الاحاديث الامامية · للمير السيد محمد باقر الداماد ص ٨٨ طبع طهران سنة ١٣١١ ه ·

(٢٤) ـ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات للسيد محمد باقر الخوانساري ص ٥٨٠ — ٥٩١ طبع طهران سنة ١٣٠٦ ه .

(٢٥) ـ الروضة البهية في الطرق الشفيعية . للسيد شفيع الجابلاقي ص ١٨٢ ـ ١٩٠ طبع طهران سنة ١٢٨٠ ه .

(٢٦) ـ ريحانة الأدب في المشهورين بالكنية واللقب . للشيخ الميرزا محمد علي المدرس التبريزي ج ٢ ص ٣٩٩ — ٤٠١ طبع طهران سنة ١٣٦٧ ه ·

(٢٧) ـ رياض العلماء وحياض الفضلاء . للمولى عبد الله الافندي ، من مخطوطات مكتبتنا ، ولكن ليس في نسختنا شيء من حرف الميم .

(٢٨) ـ سفينة بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار . للشيخ عباس القمي ، ج ٢ ص ٩٧ طبع النجف سنة ١٣٥٥ هـ .

(٢٩) ـ سماء المقال في تحقيق علم الرجال . للشيخ الميرزا أبي الهدى الكلباسي ج ١ ص ٣٢ — ٥٥ طبع قم سنة ١٣٧٢ هـ .

(٣٠) ـ سير العلم في النجف للسيد محمد حسن آل الطالقاني مخطوط عقد فيه فصلاً لترجمة شيخ الطائفة وولده الشيخ أبي علي الحسن ، وحفيده الشيخ أبي نصر محمد بن الحسن بن محمد واستقصى تلامذتهم وبعض أحوالهم ص ١ ـ ١٤ .

(٣١) ـ شعب المقال في أحوال الرجال . للميرزا أبي القاسم النراقي ص٩٤ طبع يزد سنة ١٣٦٧ هـ .

(٣٢) الشيعة وفنون الاسلام . للسيد حسن الصدر ص ٣٣ و ٥٧ طبع صيدا سنة ١٣٣١ هـ .

(٣٣) ـ طبقات الشافعية الكبرى . للسبكي ج ٣ ص ٥١ طبع المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٤ هـ . وقد اشتبه هناك فنمى شيخ الطائفة الى مذهب الشافعي وتبعه كذلك في (كشف الظنون) ج ١ ص ٣١١ ، وهذه كتبه الاستدلالية وآراؤه المستنبطة تدل على انه من أكبر مجتهدي المسلمين فكيف يظن أنه مقلد .

(٣٤) ـ عنوان الشرف في وشي النجف . للشيخ محمد السماوي ص ٨٨ طبع النجف سنة ١٣٦٠ هـ . وفيه تأريخ لوفاة الشيخ فاتنا ذكره في محله ونذكره هنا . وفيه فائدة وهي ان قبر ولده الشيخ أبي علي معه كما احتملناه قال :

كشيخنا الطوسي من أصاتا　　نعّيه أرخه حي ماتا
مرقده بداره مع نجله　　وداره معروفة كفضله

(٣٥) ـ عيون الرجال . للسيد حسن الصدر ، ص ٧٤ طبع لكنهو سنة ١٣٣١ هـ .

(٣٦) ـ الفوائد الرجالية . للسيد مهدي بحر العلوم ، مخطوط في مكتبة حسينية التسترية في النجف ومكتبة السيد جعفر آل بحر العلوم وغيرها . ولا نتحظر صفحة الترجمة .

(٣٧) ـ الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذاهب الجعفرية . للشيخ عباس القمي ج ٢ ص ٤٧٠ - ٤٧٣ طبع طهران سنة ١٣٦٧ هـ .

(٣٨) ـ الفهرست . لشيخ الطائفة نفسه ترجم لنفسه في حرف الميم ص ١٥٩ — ١٦١ طبع النجف سنة ١٣٥٦ هـ .

(٣٩) ـ فهرست كتابخانه آستان قدس رضوي . في مواضع كثيرة عند ذكر أكثر تصانيفه منها : ج ٤ ص ١٩،و٥٥ و ٢٠٣ ولولا ضعف الحال لاستقصيناها طبع خراسان سنة ١٢٦٩ هـ .

(٤٠) ـ فهرست كتابخانهٔ عالي مدرسة سپهسالار . لابن يوسف الشيرازي ص ٦٦ - ٦٨ طبع طهران سنة ١٣٦٥ هـ .

(٤١) ـ فهرست كتابخانه مجلس لابن يوسف الشيرازي أيضاً ج ٣ ص ٦٩ طبع طهران سنة ١٣٠٨ هـ .

(٤٢) ـ فهرست كتابخانه اهدائى آقاي سيد محمد مشكاة . لنجلنا الأكبر الميرزا علي نقي المنزوي ج ١ ص ٢٠١ — ٢٠٤ و ج ٢ ص ٦٣٧ — ٦٤٠ طبع طهران سنة ١٣٧١ هـ .

(٤٣) ـ قصص العلماء . للميرزا محمد التنكابني ص ٣١٢ طبع طهران سنة ١٣٠٤ هـ .

(٤٤) ـ الكامل في التأريخ . لابن الأثير ج ١٠ ص ٢٤ طبع مصر سنة ١٣٠١ هـ .

(٤٥) ـ كشف الحجب والاستار عن أسماء الكتب والأسفار . للسيد اعجاز حسين الكنتوري طبع بكلكته سنة ١٣٢٠ هـ . وقد ذكر فيه مؤلفات شيخ الطائفة كلاً في محله ، ولا تحضرنا النسخة لتعيين الصفحات .

(٤٦) ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . لكاتب چلبي ج ١ ص ٣١١ — ٣١٢ طبع اسلامبول سنة ١٣١٠ ﻫ . وقد خلط في حديثه بين الشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي كما أشرنا اليه في ص ق من هذه المقدمة .

(٤٧) ـ الكنى والألقاب . للشيخ عباس القمي ج ٢ ص ٣٥٧ طبع صيدا سنة ١٣٥٨ .

(٤٨) ـ لسان الميزان . لابن حجر العسقلاني ج ٥ ص ١٣٥ . طبع حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣١ ﻫ .

(٤٩) ـ لؤلؤة البحرين في الاجازة لقرّتي العين . للشيخ يوسف الدرازي البحراني ، ص ٢٤٥ — ٢٥٢ طبع بمبىء بدون تأريخ .

(٥٠) ـ مجالس المؤمنين . للقاضي الشهيد نور الله المرعشي ص ٢٠٠ — ٢٠١ طبع تبريز .

(٥١) مجمع الرجال . للمولى عناية الله القهپائي مخطوط الورقة ٢٣٠ أ نسخة الأصل بخطه المؤلف سنة ١٠١٦ ﻫ . في مكتبتنا .

(٥٢) ـ مختلف الرجال . للسيد حسن الصدر مخطوط في مكتبته في الكاظمية ترجم للشيخ الطوسي في التنبيه العاشر من المقدمة .

(٥٣) ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل . للشيخ الميرزا حسين النوري ، ج ٣ ص ٥٠٥ — ٥٠٩ طبع طهران سنة ١٣٢١ ﻫ .

(٥٤) المستطرفات في الألقاب والكنى والنسب . للسيد حسين البروجردي ص ٢٠٤ و ٢١٠ طبع طهران سنة ١٣١٣ ﻫ .

(٥٥) المشيخة أو الاسناد المصفى الى آل بيت المصطفى . تأليف الفاني آغا بزرك الطهراني ص ٧١ — ٧٣ طبع النجف سنة ١٣٥٦ ﻫ .

(٥٦) ـ مصادر الدراسة الأدبية . ليوسف أسعد داغر ج ١ ص ١٢ طبع صيدا سنة ١٩٥٠ م .

(٥٧) ـ مصفى المقال في مصنفي علم الرجال . للفاني أغا بزرك الطهراني غفر له ولأبويه مخطوط الورقة ٦٥ ب .

(٥٨) ـ معالم العلماء لابن شهراشوب ص ١٠٢ — ١٠٣ طبع طهران سنة ١٣٥٣ هـ .

(٥٩) ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة . ليوسف اليان سركيس عمود ١٢٤٨ طبع مصر سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م .

(٦٠) ـ مقابس الأنوار ونفايس الأسرار في أحكام النبي المختار وآله الأطهار . للشيخ أسد الله الدزفولي . ص ٤ — ٦ طبع طهران سنة ١٣٢٢ هـ .

(٦١) ـ مقدمة الاستبصار . بقلم الشيخ محمد علي الأوردبادي طبع النجف سنة ١٣٧٥ هـ .

(٦٢) ـ مقدمة التبيان . بقلم بعض الفضلاء ، طبع سنة ١٣٦٠ هـ .

(٦٣) ـ مقدمة الخلاف . بقلم السيد أغا حسين البروجردي ، والشيخ ريحان الله النخعي الكلبايكاني ، والشيخ عبد الحسين الفقيهي ، والشيخ مهدي التبريزي طبع طهران سنة ١٣٧٠ هـ .

(٦٤) ـ مقدمة الفهرست . بقلم السيد محمد صادق آل بحر العلوم طبع النجف سنة ١٣٥٦ هـ .

(٦٥) مقدمة ترجمة النهاية . بقلم السيد محمد باقر السبزواري طبع طهران سنة ١٣٧٣ هـ .

ذكرنا في (الذريعة) ج ٤ ص ١٤٣ — ١٤٤ اننا وقفنا على ترجمة فارسية للنهاية في مكتبة السيد نصر الله الأخوي ، وقلنا : أنها نسخة عتيقة لبعض الأصحاب المقارب لعصر الشيخ وأشرنا الى ذلك أيضاً في ص ٣٥ من هذه المقدمة عند ذكر النهاية وقد طبعت هذه الترجمة منذ ثلاث سنوات ، وأهدت الينا جامعة طهران نسخة منها لكن غفلنا عن ذكرها في محلها ، وقد نشرت عن غير نسخة التقوي بل عن نسخة (مكتبة

الحاج حسين ملك التجار) وقدم لها في ترجمة حياة الشيخ مقدمة ضافية .

(٦٦) ـ المنتظم في تأريخ الملوك والأمم . لابن الجوزي ج ٨ ص ١٧٣ و ١٧٩ طبع حيدر آباد ١٣٥٧ هـ .

(٦٧) ـ منتهى المقال في أحوال الرجال. للشيخ أبي علي الحائري ص ٢٧٠ طبع طهران سنة ١٣٠٢ هـ .

(٦٨) ـ منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال . للسيد الميرزا محمد الاسترابادي ص ٢٩٢ — ٢٩٣ طبع طهران سنة ١٣٠٤ هـ .

(٦٩) ـ موجز المقال في مقاصد علم الدراية والرجال . للشيخ عبد الرحيم الاصفهاني حفيد صاحب (الفصول) ص ٢ طبع طهران سنة ١٣٤٣ هـ .

(٧٠) ـ نخبة المقال في علم الرجال للسيد حسين البروجردي ص ٨٨ طبع طهران سنة ١٣١٣ هـ .

(٧١) نقد الرجال للسيد مصطفى التفريشي لا تحضرنا نسخته لعين الصفحة منه ، وقد طبع في طهران عام ١٣١٨ هـ .

(٧٢) نقض الفضائح . للشيخ عبد الجليل القزويني الرازي ص ١٨٠ طبع طهران سنة ١٣٧١ هـ .

(٧٣) ـ نهاية الدراية . للسيد حسن الصدر ص ٢٣٨ — ٢٤٩ طبع لكنهو سنة ١٣٢٣ هـ .

(٧٤) هدية الأحباب في ذكر المعروفين بالكنى والألقاب. ص ١٦٨ طبع النجف ١٣٤٩ هـ .

(٧٥) ـ الوجيزة للشيخ محمد باقر المجلسي صاحب البحار) ص ١٦٣ طبع طهران سنة ١٣١٢ هـ .

(٧٦) ـ الوجيزة. للشيخ بهاء الدين محمد العاملي ص ١٨٤ طبع طهران سنة ١٣١١ هـ .

(٧٧) ـ وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة . للشيخ محمد الحر العاملي ج ٣

(٧٨) وصول الأخيار الى أصول الأخبار . للشيخ حسين العاملي والد الشيخ البهائي ص ٧١ طبع طهران سنة ١٣٠٦ هـ .

هذا ما أمكننا القيام به خدمة لشيخ الطائفة أجزل الله أجره ، وكان ذلك من أحلى أمانينا وأعذبها حيث كنا نفكر في ذلك منذ زمن بعيد فقد كنا عقدنا النية على اصدار كتابين ندرس في الأول حياة كل من المحمدين الثلاثة المتقدمة (١) محمد ابن يعقوب الكليني صاحب (الكافي) (٢) الشيخ الصدوق محمد بن علي القمي صاحب (من لا يحضره الفقيه) (٣) شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رحمهم الله . وفي الثاني المحمدين الثلاثة المتأخرين (١) محمد بن مرتضى الشهير بالفيض صاحب (الوافي) (٢) محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب (الوسائل) (٣) محمد باقر بن محمد تقي المجلسي صاحب (البحار) (*) . أداء لحقهم واعترافاً بفضلهم ، غير أن تراكم الأشغال وكثرة العوارض حالا بيننا وبين هذه الأمنية .

على أننا كتبنا في أواخر ذي القعدة سنة ١٣٧٤ هـ رسالة صغيرة قوامها إحدى عشرة صفحة في حال كتاب (الكافي) وهل يوجد فيه خبر ضعيف أولا؟ ولمَ لمْ يعرضه على السفراء الأربعة ؟ الى غير ذلك ، وكان تأليفها جواباً عن سؤال وجهه الينا الخطيب الشهير الشيخ عباس قلي التبريزي المعروف بالواعظ الجرندابي ، الا أنها كانت خاصة بالكتاب لا بحياة مؤلفه ، ولذلك بقينا بصدد انتهاز الفرصة للعودة الى ذلك وغيره مما ذكرناه لولا أن خاب رجاؤنا بعد النازلة التي حلت بنا في المحرم هذه السنة ، فقد حطمت الآمال ، وأوهنت العزائم ، وأماتت الهمم ، وذهبت ببقايا القوى ، ولم نزل رغم التحسن الظاهري في حالة لاتدع راحة ولا تعرف الاستقامة وقد عاقتنا عن كثير من الأعمال ، وأخرتنا عن مهام الأشغال العلمية وغيرها .

(*) هؤلاء الستة من أقطاب هذه الطائفة وعمدها وأركانها وحفظة آثارها ومآثرها ، ولهم على الشيعة الامامية فضل لاينكر ومنة عظيمة ، وعلى كتبهم حتى يوم الناس هـذا مدار العمل ، وتسمى مؤلفات المتقدمين بالكتب الأربعة ، ومؤلفات المتأخرين ، بالجوامع المتأخرة .

فمن ذلك عدم حضور المؤتمر الذي عقد في هذه الأيام في كراتشي للاحتفال بمرور أربعة عشر قرناً على ميلاد سيد الكونين وبطل الاسلام الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فقد زارنا رئيس المؤتمر صديقنا القديم المهاراج محمد أمـــير أحمد المحمدي فدعانا للحضور هناك فاعتذرنا للضعف الشديد المستولي علينا فسجل الرئيس عذرنا وحمله الى الباكستان لاذاعته بين الأعضاء ، وطلب منا كلمة حول المؤتمر فكتبنا ما وسعه الوقت وساعدت عليه الحال ، وحمل الـكلمة الى هناك أيضاً .

وهكذا قعد بنا المرض وعاقنا عن الـكتابة وغيرها ، ولذا فأنا أرى الفضل كل الفضل لناشر التبيان الذي صار سبباً لـكتابة هذه الترجمة ، ولولا طلبه لما خطر ذلك بالبال في هذه الحال ، فالحمد لله على اختياره ونسأله الصبر على بلائه ونصلي على محمد وآله الطاهرين .

وكتبه بأنامله المرتعشة في داره في النجف الأشرف ليـلة الجمعة الحادي والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وثلثمائة وألف .

الفاني

أغا بزرك الطهراني

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمدلله اعترافاً بتوحيده ، واخلاصاً لربوبيته ، واقراراً بجزيل نعمته ، وإذعاناً لعظيم منته ، وشكراً على جميع مواهبه ، وكريم فواضله ، وصلى الله على خيرته من خلقه محمد (ص) ، والطاهرين من عترته ، والطيبين من أرومته ، وسلم تسليماً .

أما بعد ، فان الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب اني لم أجد أحداً من أصحابنا ـ قديماً وحديثاً ـ من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن ، ويشتمل على فنون معانيه . وانما سلك جماعة منهم في جميع ما رواه ونقله وانتهى اليه في الكتب المرويه في الحديث ، ولم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك ، وتفسير ما يحتاج اليه . فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة ، بين مطيل في جميع معانيه ، واستيعاب ما قيل فيه من فنونه ـ كالطبري وغيره ـ وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه ، ومعاني ألفاظه . وسلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه مُنتهم (١) وتركوا مالا معرفة لهم به فان الزّجاج والفرّاء ومن اشبههما من النحويين ، أفرغوا وسعهم فيما يتعلق بالاعراب والتصريف . ومُفضّل بن سلمة وغيره استكثروا من علم اللغة ، واشتقاق الالفاظ . والمتكلمين ـ كأبي علي الجبّائي وغيره ـ صرفوا همّتهم الى ما يتعلق بالمعاني الكلامية . ومنهم من أضاف الى ذلك ، الكلام في فنون علمه ، فأدخل فيه ما لا يليق به ، من بسط فروع الفقه ، واختلاف الفقهاء ـ كالبلخي وغيره ـ وأصلحُ من سلك في ذلك مسلكاً جميلا مقتصداً ، محمد ابن بحر ، أبو مسلم الاصفهاني ، وعلي بن عيسى الرماني ، فان كتابيهما أصلح

« ١ » المنة : القوة والكلمة من الاضداد .

ماصنف في هذا المعنى ، غير أنها أطالا الخطب فيه ، وأوردا فيه كثيراً مما لا يحتاج
وسمعت جماعةً من اصحابنا قديماً وحديثاً ، يرغبون في كتاب مقتصد يجتمع على
جميع فنون علم القرآن ، من القراءة ، والمعاني والاعراب ، والكلام على المتشابه ،
والجواب عن مطاعن الملحدين فيه ، وأنواع المبطلين ، كالمجبرة ، والمشبهة والمجسمة
وغيرهم ، وذكر ما يختص اصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة
مذاهبهم في اصول الديانات وفروعها .

وأنا ان شاءالله تعالى ، أشرع في ذلك على وجه الايجاز والاختصار لكل فن
من فنونه ، ولا أطيل فيمله الناظر فيه ، ولا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه
وأقدم امام ذلك ، فصلا يشتمل على ذكر جمل لابد من معرفتها دون استيفائها ،
فان لاستيفاء الكلام فيها مواضع هي أليق به . ومن الله استمد المعونة ، وأستهديه
الى طريق الرشاد ، بمنه وقدرته ان شاء الله تعالى .

* * *

فصل

في ذكر جمل لابد من معرفتها قبل الشروع في تفسير القرآن

إعلم ان القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي عليه السلام ، بل هو من أكبر المعجزات وأشهرها . غير أن الكلام في إعجازه ، وجهة إعجازه ، واختلاف الناس فيه ، لا يليق بهذا الكتاب ، لأنه يتعلق بالكلام في الأصول . وقد ذكره علماء أهل التوحيد ، وأطنبوا فيه ، واستوفوه غاية الاستيفاء . وقد ذكرنا منه طرفاً صالحاً في شرح الجمل ، لا يليق بهذا الموضع ، لأن استيفاءه يخرج به عن الغرض واختصاره لا يأتي على المطلوب ، فالاحالة عليه أولى .

والمقصود من هذا الكتاب علم معانيه ، وفنون أغراضه . وأما الكلام في زيادته ونقصانه فما لا يليق به ايضاً ، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها . والنقصان منه . فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى (ره) ، وهو الظاهر في الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة ، من جهة الخاصة والعامة ، بنقصان كثير من آي القرآن ، ونقل شيء منه من موضع الى موضع ، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملا ، والأولى الاعراض عنها ، وترك التشاغل بها ، لأنه يمكن تأويلها . ولو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين ، فان ذلك معلوم صحته ، لا يعترضه احد من الأمة ولا يدفعه .

ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ، ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع اليه . وقد روي عن النبي (ص) رواية لا يدفعها احد ، انه قال : (اني مخلف فيكم الثقلين ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) . وهذا يدل على

انه موجود في كل عصر ، لأنه لا يجوز ان يأمر بالتمسك بما لا نقـــدر على التمسك به . كما أن اهل البيت ، ومن يجب اتباع قوله حاصـل في كل وقت . واذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته ، فينبغي ان نتشاغل بتفسيره ، وبيان معانيـه ونترك ما سواه .

واعلم ان الرواية ظـاهرة في اخبار اصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي صلى الله عليـه وآله ، وعن الأئمـة عليهم السلام ، الذين قولهم حجة كقول النبي (ص) ، وان القول فيه بالرأي لا يجوز . وروى العامـة ذلك عن النبي (ص) انه قال : (من فسر القرآن برأيه وأصاب الحق ، فقد اخطأ) وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي : كسعيد بن المسيب وعبيـدة السلماني ، ونافع ، ومحمد بن القاسم ، وسالم بن عبـد الله ، وغيرهم . وروي عن عائشة أنها قالت : لم يكن النبي « ص » يفسر القرآن إلا بعـد أن يأتي به جبرائيل (ع) .

والذي نقول في ذلك : إنه لا يجوز ان يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيـه تناقض وتضاد . وقـد قال الله تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا » « ١ » وقال : « بلسان عربي مبين » « ٢ » وقال : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » « ٣ » وقال : « فيـه تبيان كل شيء » وقال : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » « ٤ » فكيف يجوز ان يصفه بانه عربي مبين ، وانه بلسان قومـه ، وانه بيان للناس ولا يفهم بظاهره شيء ؟ وهل ذلك إلا وصف له باللغز والمعمى الذي لا يفهم المراد به إلا بعد تفسيره وبيانه ؟ وذلك منزه عن القرآن . وقد مدح الله أقواماً على استخراج معاني القرآن فقـال : « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » « ٥ » ، وقال في قوم

« ١ » سورة الزخرف : آية ٣ .
« ٢ » سورة الشعراء : آية ١٩٥ .
« ٣ » سورة ابراهيم : آية ٤ .
« ٤ » سورة الانعام : آية ٣٨ .
« ٥ » سورة النساء : آية ٨٢ .

يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن ، ولم يتفكروا في معانيه : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » «١» وقال النبي (ص). (اني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي) فبين ان الكتاب حجة ، كما أن العترة حجة . وكيف يكون حجة ما لا يفهم به شيء ؟ وروى عنه عليه السلام انه قال : (اذا جاءكم عني حديث ، فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فاقبلوه ، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط) . وروي مثل ذلك عن أئمتنا عليهم السلام ، وكيف يمكن العرض على كتاب الله ، وهو لا يفهم به شيء ؟ وكل ذلك يدل على ان ظاهر هذه الاخبار متروك والذي نقول به : إن معاني القرآن على أربعة أقسام :

احدها — ما اختص الله تعالى بالعلم به ، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه ، ولا تعاطي معرفته ، وذلك مثل قوله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل : إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو » «٢» ومثل قوله تعالى : « ان الله عنده علم الساعة . . » «٣» الى آخرها . فتعاطي معرفة ما اختص الله تعالى به خطأ .

وثانيها — ما كان ظاهره مطابقاً لمعناه ، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها ، عرف معناها ، مثل قوله تعالى : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » «٤» ومثل قوله تعالى : (قل هو الله أحد) (٥) وغير ذلك .

وثالثها — ما هو مجمل لا ينبيء ظاهره عن المراد به مفصلا . مثل قوله تعالى : (أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة) (٦) ومثل قوله : (ولله على الناس حج البيت

«١» سورة محمد : آية ٢٤ .

«٢» سورة الاعراف : آية ١٨٦ .

«٣» سورة لقمان : آية ٣٤ .

«٤» سورة الانعام : آية ١٥١ .

«٥» سورة التوحيد : آية ١ .

«٦» سورة البقرة : آية ٤٣ و ٨٣ و ١١٠ النساء آية ٧٦ ، الحج آية ٧٨ ، النور آية ٥٦ المجادلة آية ١٣ المزمل آية ٢ .

من استطاع اليه سبيلا) (١) وقوله : (وآتوا حقه يوم حصاده) (٢) وقوله : (وفي أموالهم حق معلوم) (٣) وما اشبه ذلك . فان تفصيل اعداد الصلاة وعدد ركعاتها ، وتفصيل مناسك الحج وشروطه ، ومقادير النصاب في الزكاة لا يمكن استخراجه إلا ببيان النبي (ص) ووحي من جهة الله تعالى . فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه ، يمكن ان تكون الاخبار متناولة له .

ورابعها — ما كان اللفظ مشتركا بين معنيين فما زاد عنها ، ويمكن ان يكون كل واحد منها مراداً . فانه لا ينبغي أن يقدم احد به فيقول : ان مراد الله فيه بعض ما يحتمل — إلا بقول نبي او امام معصوم — بل ينبغي ان يقول : ان الظاهر يحتمل لأمور ، وكل واحد يجوز أن يكون مراداً على التفصيل . والله أعلم بما أراد .

ومتى كان اللفظ مشتركا بين شيئين ، أو ما زاد عليها ، ودل الدليل على انه لا يجوز ان يريد إلا وجهاً واحداً ، جاز ان يقال : إنه هو المراد .

ومتى قسمنا هذه الاقسام ، نكون قد قبلنا هذه الاخبار ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها ، ولا منعنا بذلك من الكلام في تأويل الآي جملة .

ولا ينبغي لأحد ان ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلا ، أو يقلد أحداً من المفسرين ، إلا ان يكون التأويل مجمعاً عليه ، فيجب اتباعه لمكان الاجماع ؛ لأن من المفسرين من حمدت طرائقه ، ومدحت مذاهبه ، كابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد وغيرهم . ومنهم من ذمت مذاهبه ، كأبي صالح ، والسدي والكلبي وغيرهم . هذا في الطبقة الاولى . وأما المتأخرون فكل واحد منهم نصر مذهبه ، وتأول على ما يطابق اصله ، ولا يجوز لأحد أن يقلد أحداً منهم ، بل ينبغي ان يرجع الى الادلة الصحيحة : إما العقلية ، أو الشرعية ، من اجماع عليه ، أو نقل متواتر به ، عمن يجب اتباع قوله ، ولا يقبل في ذلك خبر واحد ، خاصة

«١» سورة آل عمران : آية ٩١ .

«٢» سورة الانعام : آية ١٤١ .

«٣» سورة المعارج : آية ١٣ .

اذا كان مما طريقه العلم ، ومتى كان التأويل يحتاج الى شاهد من اللغة ، فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوماً بين اهل اللغة ، شائعاً بينهم . وأما طريقة الآحاد من الروايات الشاردة ، والالفاظ النادرة ، فانه لا يقطع بذلك ، ولا يجعل شاهداً على كتاب الله وينبغي أن يتوقف فيه ويذكر ما يحتمله ، ولا يقطع على المراد منه بعينه ، فانه متى قطع بالمراد كان مخطئاً ، وان أصاب الحق ، كما روي عن النبي (ص) لأنه قال تخميناً وحدساً ولم يصدر ذلك عن حجة قاطعة . وذلك باطل بالاتفاق .

واعلموا ان العرف من مذهب اصحابنا والشائع من اخبارهم ورواياتهم ان القرآن نزل بحرف واحد ، على نبي واحد ، غير انهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء وأن الانسان مخير باي قراءة شاء قرأ ، وكرهوا تجويد قراءة بعينها بل اجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر . وروى المخالفون لنا عن النبي (ص) انه قال : (نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف .) وفي بعضها : (على سبعة ابواب) وكثرت في ذلك رواياتهم . ولا معنى للتشاغل بايرادها . واختلفوا في تأويل الخبر ، فاختار قوم ان معناه على سبعة معان : أمر ، ونهي ، ووعد ، ووعيد ، وجدل ، وقصص ، وأمثال وروى ابن مسعود عن النبي « ص » انه قال : « نزل القرآن على سبعة أحرف : زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال . »

وروى ابو قلابة عن النبي (ص) انه قال : [نزل القرآن على سبعة أحرف : أمر ، وزجر ، وترغيب ، وترهيب ، وجدل ، وقصص ، وأمثال .] وقال آخرون : [نزل القرآن على سبعة أحرف .] أي سبع لغات مختلفة ، مما لا يغير حكما في تحليل وتحريم ، مثل . هلم . ويقال من لغات مختلفة ، ومعانيها مؤتلفة . وكانوا مخيرين في أول الاسلام في أن يقرأوا بما شاءوا منها . ثم اجمعوا على حدها ، فصار ما اجمعوا عليه مانعاً مما اعرضوا عنه . وقال آخرون : [نزل على سبع لغات من اللغات الفصيحة ، لأن القبائل بعضها افصح من بعض] وهو الذى اختاره الطبري . وقال بعضهم : [هي على سبعة اوجه من اللغات ، متفرقة في القرآن ، لانه

لا يوجد حرف قرىء على سبعة اوجه .] وقال بعضهم : [وجـه الاختلاف في القراءات سبعة :

أولها ـ اختلاف اعراب الكلمـة اوحركة بنائها فلا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله : هؤلاء بناتي هن اطهر لكم «١» بالرفع والنصب وهـل نجازي إلا الكفور ؟ (٢ بالنصب والنون وهل يجازى إلا الكفور ؟ بالياء والرفع . وبالبخل [٣] والبخل والبخل برفع الباء ونصبها . وميسرة [٤] وميسرة بنصب السين ورفعها .

والثاني ـ الاختلاف في اعراب الكلمـة وحركات بنائها مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة مثل قوله : ربنا باعد بين اسفارنا (٥) على الخبر . ربنا باعد على الدعاء . واذتلقونه بالسنتكم (٦) بالتشديد وتلقونه بكسر اللام والتخفيف

والوجه الثالث ـ الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها ، مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى : كيف ننشزها (٧) بالزاء المعجمة وبالراء الغير معجمة

والرابع ـ الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله : ان كانت إلا صيحة واحدة (٨) والازقية . وكالصوف المنفوش وكالعهن المنفوش (٩)

والخامس ـ الاختلاف في الكلمـة مما يزيل صورتها ومعناها نحو : وطلح منضود (١٠) وطلع .

السادس ـ الاختلاف بالتقـديم والتأخير نحو قوله : وجاءت سكرة الموت

«١» سورة هود آية ٧٨

«٢» سورة سبأ آية ١٧

«٣» سورة النساء آية ٣٦ الحديد آية ٢٤ والبخل بالرفع مصدر بخل والبخل بالفتح مصدر بخل

«٤» سورة البقرة . آية ٢٨

«٥» سورة سبأ آية آية ١٩

«٦» سورة النور آية ١٥

«٧» سورة البقرة آية ٢٥٩

«٨» سورة يس آية ٢٩ ـ ٤٩ ـ ٥٣ سورة ص آية ١٥

«٩» سورة القارعة . آية ٥

«١٠» سورة ق آية ـ ١٩

بالحق (١) وجاءت سكرة الحق بالموت .

السابع ـ الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله : وما عملت ايديهم وما عملته (٢) باسقاط الهاء واثباتها . ونحو قوله : فان الله هو الغني الحميد وان الله الغني الحميد . في سورة الحديد (٣) .

وهذا الخبر عندنا وان كان خبراً واحداً لا يجب العمل به فالوجه الأخير أصلح الوجوه على ما روي عنهم عليه السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه . واما القول الأول فهو على ما تضمنته لأن تأويل القرآن لا يخرج عن احد الاقسام السبعة : إما أمر . اونهي . اووعد . او وعيد . اوخبر . او قصص . اومثل . وهو الذي ذكره اصحابنا في اقسام تفسير القرآن .

فاما ما روي عن النبي (ص) انه قال : [ما نزل من القرآن من آية إلا ولها ظهر وبطن .] وقد رواه ايضاً اصحابنا عن الأئمة عليهم السلام فانه يحتمل ذلك وجوها :

احدها ـ ما روي في أخبارنا عن الصادقين عليهما السلام . وحكي ذلك عن ابي عبيدة أن المراد بذلك القصص باخبار هلاك الاولين وباطنها عظة للاخرين

والثاني ـ ما حكي عن ابن مسعود انه قال : [ما من آية إلا وقد عمل بها قوم ولها قوم يعملون بها .]

والثالث ـ معناها أن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها ذكره الطبري واختاره البلخي

والرابع ـ ما قاله الحسن البصري : [انك اذا فتشت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها] وجميع اقسام القرآن لا يخلو من ستة : محكم . ومتشابه وناسخ . ومنسوخ . وخاص . وعام .

فالمحكم ما انبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار امر ينضم اليه سواء كان اللفظ لغويا اوعرفيا . ولا يحتاج الى ضروب من التأويل . وذلك نحو قوله : [لا يكلف

«١» سورة يس آية ٣٥

«٢» سورة الواقعة آية ٢٥

«٣» آية ٢٤

الله نفساً إلا وسعها] [١] وقوله : [ولا تقتلوا النفس التي حرم الله] [٢] وقوله : [قل هو الله احد] [٣] وقوله : [لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد] [٤] وقوله : [وما ربك بظلام للعبيد] [٥] وقوله : [ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون] [٦] ونظائر ذلك .

والمتشابه ما كان المراد به لا يعرف بظاهره بل يحتاج الى دليل وذلك ما كان محتملا لامور كثيرة أو امرين ولا يجوز ان يكون الجميع مراداً فانه من باب المتشابه . وانما سمي متشابها لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد وذلك نحو قوله : [ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله] [٧] وقوله : [والسماوات مطويات بيمينه] [٨] وقوله : (تجري باعيننا) (٩) وقوله (يضل من يشاء) (١٠) وقوله: (فاصمهم وأعمى أبصارهم وطبع على قلوبهم) (١١) ونظائر ذلك من الآي التي المراد منها غير ظاهرها . فان قيل : هلا كان القرآن كله محكماً يستغنى بظاهره عن تكلف ما يدل على المراد منه حتى دخل على كثير من المخالفين للحق شبهة فيه وتمسكوا بظاهره على ما يعتقدونه من الباطل ؟ أتقولون إن ذلك لم يكن مقدوراً له تعالى ؟ فهذا هو القول بتعجيزه ! أو تقولون هو مقدور له ولم يفعل ذلك فلم لم يفعله ؟ قيل الجواب على ذلك من وجهين : احدهما ـ ان خطاب الله تعالى ـ مع ما فيه من الفوائد ـ المصلحة معتبرة في الفاظه فلا يمتنع أن تكون المصلحة الدينية

«١» سورة البقرة آية ٢٨٦
«٢» سورة الانعام آية ١٥١
«٣» سورة التوحيد آية ١
«٤» سورة التوحيد آية ٣ و٤
«٥» سورة حم السجدة آية ٤٦
«٦» سورة الذاريات آية ٥٦
«٧» سورة الزمر آية ٥٦
«٨» سورة الزمر آية ـ ٦٧
«٩» سورة القمر آية ١٤
«١٠» سورة الرعد آية ٢٩ . ابراهيم آية ـ ٤ فاطر آية ـ ٨
«١١» سورة محمد . آية ٢٣

تعلقت بان يستعمل الألفاظ المحتملة ويجعل الطريق الى معرفة المراد به ضرباً من الاستدلال ولهذه العلة أطال في موضع وأسهب واختصر في آخر وأوجز واقتصر وذكر قصة في موضع وأعادها في موضع آخر.

واختلفت أيضاً مقادير الفصاحة فيه وتفاضلت مواضع منه بعضه على بعض

والجواب الثاني : ان الله تعالى انما خلق عباده تعريضاً لثوابه وكلفهم لينالوا اعلى المراتب واشرفها ولو كان القرآن كله محكماً لا يحتمل التأويل ولا يمكن فيه الاختلاف لسقطت المحنة وبطل التفاضل وتساوت المنازل ولم تبن منزلة العلماء من غيرهم . وانزل الله القرآن بعضه متشابهاً ليعمل أهل العقل افكارهم ويتوصلوا بتكلف المشاق والنظر والاستدلال الى فهم المراد فيستحقوا به عظيم المنزلة وعالي الرتبة .

فان قيل : كيف تقولون ، ان القرآن فيه محكم ومتشابه ، وقد وصفه الله تعالى بأنه اجمع محكم ؟ ووصفه في مواضع أخر بأنه متشابه وذكر في موضع آخر ان بعضه محكم ، وبعضه متشابه ـ كما زعمتم ـ وذلك نحو قوله : « الر . كتاب احكمت آياته » (١) وقال في موضع آخر : « الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً » (٢) وقال في موضع آخر : « وهو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات » (٣) وهل هذا إلا ظاهر التناقض ؟ قلنا : لا تناقض في ذلك ، لأن وصفه بأنه محكم كله ، المراد به انه بحيث لا يتطرق عليه الفساد والتناقض والاختلاف والتباين والتعارض ، بل لا شيء منه إلا وهو في غاية الاحكام ـ إما بظاهره اوبدليله ، على وجه لا مجال للطاعنين عليه . ووصفه بانه متشابه أنه يشبه بعضه بعضاً في باب الاحكام الذي أشرنا اليه ، وأنه لا خلل فيه ولا تباين ولا تضاد ولا تناقض . ووصفه بان بعضه محكم ، وبعضه متشابه ما اشرنا اليه ، من ان بعضه ما يفهم المراد بظاهره فيسمى محكماً ومنه ما يشتبه المراد منه بغيره وان كان على المراد والحق منه دليل فلا تناقض في ذلك بحال .

«١» سورة هود . آية ١

«٢» سورة الزمر . آية ٢٣

«٣» سورة آل عمران . آية ٧

واما الناسخ فهو كل دليل شرعي يدل على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الأول في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الاول مع تراخيه عنه . اعتبرنا دليل الشرع لأن دليل العقل اذا دل على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الاول لا يسمى نسخاً . ألا ترى أن المكلف للعبادات ، اذا عجز اوزال عقله ، زالت عنه العبادة بحكم العقل ، ولا يسمى ذلك الدليل ناسخاً ؟ واعتبرنا زوال مثل الحكم ، ولم نعتبر الحكم نفسه لأنه لا يجوز أن ينسخ نفس ما أمر به ، لأن ذلك يؤدي الى البداء . وانما اعتبرنا أن يكون الحكم ثابتاً بنص شرعي ، لأن ما ثبت بالعقل اذا أزاله الشرع لا يسمى بأنه نسخ حكم العقل . ألا ترى أن الصلاة والطواف لولا الشرع لكان قبيحاً فعله في العقل واذ اورد الشرع بها لا يقال نسخ حكم العقل ؟ واعتبرنا مع تراخيه عنه لأن ما يقترن به لا يسمى نسخاً وربما يكون تخصيصاً ان كان اللفظ عاماً اومقيداً ان كان اللفظ خاصاً . ألا ترى أنه لو قال : اقتلوا المشركين الا اليهود لم يكن قوله إلا اليهود نسخاً لقوله اقتلوا المشركين ؟ وكذا لو قال : فسيحوا في الارض اربعة اشهر فقيد بهذه الغاية لا يقال لما بعدها نسخ . وكذا لما قال في آية الزنا : فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (١) لا يقال لما زاد عليه منسوخ لانه مقيد في اللفظ .

والنسخ يصح دخوله في الامر والنهي بلا خلاف . والخبر ان تناول ما يصح تغييره عن صفة جاز دخول النسخ فيه لأنه في معنى الأمر . ألا ترى أن قوله : (ولله على الناس حج البيت) (٢) خبر ؟ وقوله : (والمطلقات يتربصن بانفسهن) (٣) أيضاً خبر ؟ وكذلك قوله : (ومن دخله كان آمنا) «٤» خبر ومع ذلك يصح دخول النسخ فيه فاما ما لا يصح تغييره عن صفة فلا يصح دخول النسخ فيه ، نحو الاخبار عن صفات الله تعالى ، وصفات الاجناس

«١» سورة النور . آية ٢

«٢» سورة آل عمران . آية ٩٧

«٣» سورة البقرة . آية ٢٢٨

«٤» سورة آل عمران . آية ٩٧

ـ لما يصح عليه التغيير ، لم يصح فيه النسخ حيث أن العبارة بالاخبار عنه بأنه قادر ، عالم ، سميع بصير ، لا يصح النسخ فيه ، لأنه يمتنع دخول النسخ في الاخبار ـ ان كان الخبر لا يصح تغييره في نفسه .

ولا يخلو النسخ في القرآن من أقسام ثلاثة : احدها ـ نسخ حكمه دون لفظه ـ كآية العدة في المتوفى عنها زوجها المتضمنة للسنة (١) فان الحكم منسوخ والتلاوة باقية . وكآية النجوى (٢) وآية وجوب ثبات الواحد للعشرة (٣) . فان الحكم مرتفع ، والتلاوة باقية . وهذا يبطل قول من منع جواز النسخ في القرآن لأن الموجود بخلافه .

والثاني ـ ما نسخ لفظه دون حكمه ، كآية الرجم فان وجوب الرجم على المحصنة لا خلاف فيه ، والآية التي كانت متضمنة له منسوخة بلا خلاف ، وهي قوله : (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته ، فانهما قضيا الشهوة جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم .)

الثالث ـ ما نسخ لفظه وحكمه ، وذلك نحو ما رواه المخالفون من عائشة : أنه كان فيما أنزل الله ان عشر رضعات تحرمن ، ونسخ ذلك بخمس عشرة فنسخت التلاوة والحكم .

وأما الكلام في شرائط النسخ ، فما يصح منها وما لا يصح وما يصح أن ينسخ به القرآن ، وما لا يصح أن ينسخ به . وقد ذكرناه في كتاب العدة ـ في اصول الفقه ـ ولا يليق ذلك بهذا المكان .

وحكى البلخي في كتاب التفسير فقال : (قال قوم ـ ليسوا ممن يعتبرون ولكنهم من الأمة على حال ـ ان الأئمة المنصوص عليهم ـ بزعمهم ـ مفوض اليهم نسخ القرآن وتدبيره ، وتجاوز بعضهم حتى خرج من الدين بقوله : ان النسخ قد

«١» سورة البقرة . آية ٢٤٠

«٢» سورة المجادلة . آية ١٢

«٣» سورة الانفال . آية ٦٥

يجوز على وجه البداء وهو أن يأمر الله عز وجل عندهم بالشيء ولا يبدو له . ثم يبدو له فيغيره ، ولا يريد في وقت أمره به أن يغيره هو ويبدله وينسخه ، لأنه عندهم لا يعلم الشيء حتى يكون ، إلا ما يقدره فيعلمه علم تقدير ، وتعجرفوا فزعموا ان ما نزل بالمدينه ناسخ لما نزل بمكة)

وأظن انه عنى بهذا اصحابنا الأمامية ، لأنه ليس في الأمة من يقول بالنص على الأئمة عليهم السلام سواهم . فان كان عناهم فجميع ما حكاه عنهم باطل وكذب عليهم ، لأنهم لا يجيزون النسخ على أحد من الأئمة (ع) ولا احد منهم يقول بحدوث العلم . وانما يحكى عن بعض من تقدم من شيوخ المعتزلة - كالنظام والجاحظ وغيرهما - وذلك باطل . وكذلك لا يقولون : ان المتأخر ينسخ المتقدم إلا بالشرط الذي يقوله جميع من اجاز النسخ ، وهو ان يكون بينهما تضاد وتناف لا يمكن الجمع بينهما ، واما على خلاف ذلك فلا يقوله محصل منهم .

والوجه في تكرير القصة بعد القصة في القرآن ، أن رسول الله (ص) كان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الأنباء والقصص مكررة ، لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم ، وقصة نوح الى قوم آخرين ، فاراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع ، ويثبتها في كل قلب ، ويزيد الحاضرين في الافهام

وتكرار الكلام من جنس واحد ، وبعضه يجري على بعض ، كتكراره في : قل ياايها الكافرون ، وسورة المرسلات ، والرحمن فالوجه فيه ، ان القرآن نزل بلسان القوم ، ومذهبهم في التكرار - ارادة للتوكيد وزيادة في الافهام - معروف كما ان من مذهبهم الايجاز والاختصار ارادة للتخفيف . وذلك أن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون ، وخروجه من شيء الى شيء ، أحسن من اقتصاره من المقام على فن واحد . وقد يقول القائل : والله لأفعله ثم والله لأفعله ، اذا أرادالتوكيد كما يقول : افعله بحذف اللام اذا أراد الايجاز . قال الله تعالى : « كلا سوف تعلمون

ثم كلا سوف تعلمون » (١) وقال : « فان مع العسر يسراً · ان مع العسر يسراً »(٢) وقال الله تعالى : « اولى لك فأولى . ثم اولى لك فأولى » (٣) وقال : « ما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما ادراك ما يوم الدين » (٤) كل هذا يراد به التوكيد . وقد يقول القائل لغيره : اعجل اعجل وللرامي ارم ارم قال الشاعر :

كم نعمة كانت لكم ... كم كم وكم

وقال آخر :

هلا سألت جموع كنـ ... ـدة يوم ولوا اين اينا

وقال عوف بن الخزرج :

وكادت فزارة تصلى بنا ... فاولى فزار فأولى فزار

فاما تكرار معنى واحد بلفظين مختلفين ، كقوله : « الرحمن الرحيم » وقوله : « يسمع سرهم ونجواهم » والنجوى هو السر ، فالوجه فيه ما ذكرنا من ان عادة القوم ، تكرير المعنى بلفظين مختلفين ، اتساعاً في اللغة ، كقول الشاعر . كذباً ومينا . وهما بمعنى واحد وقول الآخر :

لمياء في شفتيها حوة لعس ... وفي اللثات وفي أنيابها شنب

واللمى : سواد في الشفتين . والحوة . واللعس كلاهما سواد في الشفتين وكرر لاختلاف اللفظ . والشنب : تحزز في الانياب كالمنشار ، وهو نعت لها . ورحمن ورحيم ، سنبين القول فيهما فيما بعد . وقوله : « وغشاها ما غشى » (٥) وقوله : « فغشيهم من اليم ما غشيهم » (٦) وقوله : « ولا طائر يطير بجناحيه » (٧) على

«١» سورة التكاثر . آية ٣ و ٤

«٢» سورة الانشراح آية ٥ و ٦

«٣» سورة القيامة آية ٣٤ و ٣٥

«٤» سورة الانفطار آية ١٧ و ١٨

«٥» سورة النجم آية ٥٤

«٦» سورة طه آية ٧٨

«٧» سورة الانعام . آية ٣٨

ما قلناه من التوكيد ، كما يقول القائل : كلمته بلساني ، ونظرت اليه بعيني ، ويقال بين زيد وبين عمرو ، وانما البين واحد . والمراد بين زيد وعمرو . وقال الشاعر أوس بن الحجر :

ألم تكسف الشمس شمس النها　ر مع النجم والقمر الواجب (١)

والشمس لا تكون إلا بالنهار ، فأكد .

ذكرنا هذه الجملة تنبيهاً عن الجواب عما لم نذكره ، ولعلنا نستوفيه فيما بعد اذا جرى ما يقتضي ذكره ولولا عناد الملحدين ، وتعجرفهم ، لما احتيج الى الاحتجاج بالشعر وغيره للشيء المشتبه في القرآن ، لأن غاية ذلك أن يستشهد عليه ببيت شعر جاهلي ، اولفظ منقول عن بعض الاعراب ، أومثل سائر عن بعض أهل البادية . ولا تكون منزلة النبي (ص) – وحاشاه من ذلك – أقل من منزلة واحد من هؤلاء . ولا ينقص عن رتبة النابغة الجعدي ، وزهير بن الكعب وغيرهم . ومن طرائف الامور ان المخالف اذا اورد عليه شعر من ذكرناه ، ومن هو دونهم سكنت نفسه ، واطمأن قلبه . وهو لا يرضى بقول محمد بن عبدالله بن عبد المطلب . ومهما شك الناس في نبوته ، فلا مرية في نسبه ، وفصاحته ، فانه نشأ بين قومه الذين هم الغاية القصوى في الفصاحة ، ويرجع اليهم في معرفة اللغة . ولو كان المشركون من قريش وغيرهم وجدوا متعلقاً عليه في اللحن والغلط والمناقضة ، لتعلقوا به ، وجعلوه حجة وذريعة الى اطفاء نوره وابطال امره ، واستغنوا بذلك عن تكلف ما تكلفوه من المشاق في بذل النفوس والاموال . ولو فعلوا ذلك لظهر واشتهر ، ولكن حب الالحاد والاستثقال لتحمل العبادات ، والميل الى الفواحش أعماهم وأصمهم ، فلا يدفع أحد من الملحدين – وان جحدوا نبوته (ص) – انه اتى بهذا القرآن ، وجعله حجةً لنفسه ، وقرأه على العرب . وقد علمنا انه ليس بأدون الجماعة في الفصاحة . وكيف يجوز ان يحتج بشعر الشعراء عليه ، ولا يجوز أن يحتج بقوله عليهم وهل هذا إلا عناد محض ، وعصبية صرف ؟ وانما يحتج علماء

«١» الواجب : الغائب

الموحدين بشعر الشعراء وكلام البلغاء ، اتساعاً في العلم ، وقطعاً للشغب ، وازاحة للعلة ، وإلا فكان يجب ألا يلتفت الى جميع ما يطعن عليه ، لأنهم ليسوا بان يجعلوا عياراً عليه باولى من ان يجعل هو عليه السلام عياراً عليهم .

وروي عن ابن مسعود ، انه قال : « كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن . » وروي انه استعمل علي (ع) عبدالله بن العباس على الحج فخطب خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا . ثم قرأ عليهم سورة النور – وروي سورة البقرة – ففسرها . فقال رجل : « لو سمعت هذا الديلم لأسلمت » ويروى عن سعيد بن الجبير ، انه من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالاعجمي أوالاعرابي .

فصل

في ذكر اسامي القرآن ، وتسمية السور والايات

سمى الله تعالى القرآن باربعة اسماء : سماه قرآناً في قوله تعالى : « انا جعلناه قرآناً عربياً » (١) وفي قوله : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن » (٢) وغير ذلك من الآي .

وسماه فرقاناً في قوله تعالى : « تبارك الذي انزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . » (٣) .

وسماه الكتاب في قوله : « الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً » (٤) .

«١» سورة الزخرف آية ٣
«٢» سورة البقرة آية ١٨٥
«٣» سورة الفرقان آية ١
«٤» سورة الكهف آية ١

وسماه الذكر في قوله : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١)

وتسميته بالقرآن تحتمل أمرين : احدهما - ما روي عن ابن عباس ، انه قال : (هو مصدر قرأت قرآنا) أي تلوته ، مثل : غفرت غفرانا ، وكفرت كفرانا

والثاني — ما حكي عن قتادة ، انه قال « هو مصدر قرأت الشيء اذا جمعت بعضه الى بعض » قال عمرو بن كلثوم

ذراعي عيطل [٢] ادماء [٣] بكر هجان [٤] اللون لم تقرأ جنينا

اي لم تضم جنينها في رحمها . وقال قطرب في معناه قولان احدهما هذا وعليه اكثر المفسرين . وقال قولا آخر معناه لفظت به مجموعاً . وقال معنى البيت أيضاً أي لم تلقه مجموعاً وتفسير ابن عباس أولى ، لأن قوله تعالى [ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه] (٥) .

والوجه المختار ان يكون المراد واذا تلوناه عليك ، وبيناه لك ، فاتبع تلاوته ولو حملناه على الجمع - على ما قال قتادة - لكان يجب ألا يلزم اتباع آية آية من القرآن النازلة في كل وقت ، وكان يقف وجوب الاتباع على حين الجمع ، لأنه علقه بذلك على هذا القول ، لانه قال : « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » يعني جمعناه على ما قالوه فاتبع قرآنه ، وكان يقف وجوب الاتباع على تكامل الجميع ، وذلك خلاف الاجماع فالاول أولى .

فان قيل : (كيف يسمي القراءة قرآنا ، وانما هو مقروء؟) قلنا : (سمي بذلك كما يسمى المكتوب كتاباً ، بمعنى : كتاب الكاتب) قال الشاعر في صفة طلاق كتبه لامرأته :

تؤمل رجعة مني وفيها كتابٌ مثل ما لصق الغراء

يعني طلاقاً مكتوباً .

«١» سورة يوسف آية ١٢ و ٦٣ وسورة الحجر آية ١٥

«٢» عيطل : طويلة العنق

«٣» ناقة ادماء : بيضاء

«٤» بيضاء اللون

«٥» سورة القيامة آية ١٧ - ١٨

وتسميته بانه فرقان ، لأنه يفرق بين الحق والباطل . والفرقان هو الفرق بين الشيئين . وانما يقع الفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق ، وبطلان الباطل .

وتسميته بالكتاب لأنه مصدر من قولك ، كتبت كتابا ، كما تقول قمت قياماً . وسمي كتاباً وانما هو مكتوب ، كما قال الشاعر في البيت المتقدم . والكتابة مأخوذة من الجمع في قولهم : كتبت السقاء اذا جمعته بالخرز قال الشاعر :

لا تأمنن فزارياً خلوت به　　على قلوصك فاكتبها باسيار[١]

والكتبة ، الخرزة . وكلما ضممت بعضه الى بعض على وجه التقارب فقد كتبته . والكتيب [٢] من الجيش ، من هذا ، لانضمام بعضها الى بعض .

وتسميته بالذكر ، يحتمل أمرين : احدهما — انه ذكر من الله تعالى ذكر به عباده ، فعرفهم فيه فرائضه ، وحدوده . والآخر — انه ذكر وشرف لمن آمن به وصدق بما فيه . كقوله [وانه لذكر لك ولقومك] [٣] .

وأما السورة — بغير همز — فهي منزلته من منازل الارتفاع ، ومن ذلك سور المدينة سمي بذلك ، الحائط الذي يحويها لارتفاعه عما يحويه ، غير ان سور المدينة لم يجمع سوراً ، وسورة القرآن تجمع سوراً . وهذه أليق بتسميته سور القرآن سورة . قال النابغة

ألم تر ان الله اعطاك سورة　　يرى كل ملك دونها يتذبذب

يعني منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها الملوك .

واما من همز السورة من القرآن ، فانه أراد به القطعة التي انفصلت من القرآن ، وأبقيت وسؤر كل شيء بقيته . يقال اسأرت في الاناء أي ابقيت فيه قال الاعشى بن ثعلبة ، يصف امرأة

فبانت وقد أسأرت في الفؤا　　د صدعاً على نأيها مستطارا

«١» اسيار سير : الجلد

«٢» والكتيبة

«٣» سورة الزخرف آية ٤٤

وتسمية الآية بانها آية ، يحتمل وجهين احدها ـ لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها ، ومنه قوله تعالى [أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا وآية منك] [١] يعني علامة لاجابتك دعاءنا . والآخر أن الآية القصة والرسالة . قال كعب بن زهير

ألا أبلغا هذا المعرض آية	أيقظان قال القول اذا قال أم حلم

يعني رسالة . فيكون معنى الآيات القصص، قصة تتلو قصة روى واثلة بن الاصقع أن النبي [ص] قال [أعطيت مكان التوراة السبع الطول ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الانجيل ، المثاني ، وفضلت بالمفصل] فالسبع الطول ١ ـ البقرة ٢ ـ آل عمران ٣ ـ النساء ٤ ـ المائدة ٥ ـ الانعام ٦ ـ الاعراف ٧ ـ ويونس · في قول سعيد بن جبير وروي مثل ذلك عن ابن عباس قال وسميت السبع الطوال ، لطولها على سائر القرآن . وأما المئون ، فهو كل سورة تكون مائة آية أو يزيد عليها شيئاً يسيراً ، او ينقص عنها شيئاً يسيراً . وأما المثاني فهي ما ثنت المئين ، فتلاها . فكان المئون لها أوائل ، وكان المثاني لها ثوان وقيل انها سميت بذلك ، لتثنية الله فيها الأمثال ، والحدود ، والقرآن ، والفرائض وهو قول ابن عباس · وقال قوم [المثاني سورة الحمد ، لانها تثنى قراءتها في كل صلاة] وبه قال الحسن البصري ، وهو المروي في أخبارنا قال الشاعر

حلفت بالسبع اللواتي طوّلت	وبمئين بعده قد أمّيت

وبثمان ثنيت وكررت	وبالطواسين التي قد تليت

وبالحواميم التي قد سبّعت	وبالمفصّل اللواتي فصلت

وسميت المفصل مفصلا ، لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم وسمي المفصل محكما ، لما قيل انها لم تنسخ . وقال اكثر اهل العلم [أول المفصل من سورة محمد [ص] الى سورة الناس] وقال آخرون { من ق ، الى الناس } وقالت فرقة ثالثة ـ وهو المحكي عن ابن عباس ـ أنه من سورة الضحى الى الناس

«١» سورة المائدة آية ١١٧

وكان يفصل من الضحى بين كل سورتين بالتكبير ، وهو قراءة ابن كثير . وإن قيل : ما وجه الحكمة في تفصيل القرآن على السور ؟ قيل : فيه وجوه من الجواب .

احدها ـ أن القارىء اذا خرج من فن الى فن كان احلى في نفسه وأشهى لقراءته ومنها ـ ان جعل الشيء مع شكله ، وما هو أولى به هو الترتيب الذي يعمل عليه ومنها ـ أن الانسان قد يضعف عن حفظ الجميع ، فيحفظ سورة تامة ويقتصر عليها ، وقد يكون ذلك سبباً يدعوه الى غيرها ومنها ـ ان التفصيل أبين ، إذ كان الاشكال مع الاختلاط والالتباس أكثر . ومنها ـ ان كلما ترقى اليه درجة درجة ومنزلة منزلة كانت القوة عليه اشد ، والوصول اليه أسهل وانما السورة منزلة يرتفع منها الى منزلة .



(سورة الفاتحة)

اسماؤها ـ وسبب تسميتها بها :

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سماها أم القرآن ، وفاتحة الكتاب والسبع المثاني فسميت فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بكتابتها المصاحف ، وبقراءتها في الصلاة ، فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة وسميت ام القرآن لتقدمها على سائر القرآن وتسمي العرب كل جامع أمراً ، اومتقدم لأمر اذا كانت له توابع تتبعه أماً فيقولون للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس ، وتسمي لواء الجيش ، ورايتهم التي يجتمعون تحتها أماً ومن ذلك قول ذي الرمة :

واسمر قوام اذا نام صحبتي خفيف الثياب لا توارى له إزرا
على رأسه امّ لنا نقتدي بها جماع امور لا نعاصي له امرا

يصف راية معقودة على قناة يجتمع تحتها هو وصحبه وقيل : مكة ام القرى لتقدمها امام جميعها ، وجميعها ما سواها وقيل : إنما سميت بذلك ، لأن الارض دحيت منها فصارت لجميعها أماً ، ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي :

اذا كانت الخمسون امك لم يكن لدائك إلا ان تموت طبيب

لأن الخمسين جامعة ما دونها من العدد ، فسماها ام الذي بلغها

وسميت السبع ، لأنها سبع آيات ـ بلا خلاف في جملتها ـ وسميت مثاني لأنها تثنى بها في كل صلاة فرض ونفل ، وقيل فى كل ركعة وليس اذا سميت بانها مثاني ، منع ذلك تسمية غيرها بالمثاني ، من سور المئين على ما مضى القول فيه

واتفق القراء على التلفظ باعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قبل التسمية

المعنى :

ومعني ذلك ، استجير بالله دون غيره ، لأن الاستعاذة ، هي الاستجارة

وقوله : من الشيطان . فالشيطان في اللغـة كل متمرد من الجن والانس والدواب ، ولذلك قال الله تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن »(١) فجعل من الانس شياطين ، كما جعل من الجن . وانما سمي المتمرد شيطاناً ، لمفارقـة اخلاقه وافعاله ، أخلاق جميع جنسه وبعده من الخير . وقيل : هو مشتق من قولهم شطنت داري أي بعدت ، ومنه قول نابغة بني ذبيان :

نأت سماد (٢) عنك نوىً شطون فبانت والفؤاد بها رهين

والشطون ، البعيد فيكون شيطاناً على هذا : فيعالا من شطن على وزن بيطار وغيداق (٣)

قال امية بن ابي الصلت :

أيما شاطن (٤) عصاه عكاه (٥) ثم يلقى في السجن والاكباد (٦)

ولو كان مشتقاً من شاط ، لقال : شائط . ولما قال : شاطن ، علم أنه مشتق من شطن ، والشطن الحبل

وأما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقولهم كف خضيب، ولحية دهين ، ورجل لعين ، يراد مخضوبة ، ومدهونة ، وملعون ومعنى المرجوم المشتوم فكل مشتوم بقول ردي فهو مرجوم وأصل الرجم الرمي بقول كان أو بفعل ومنه قوله تعالى « لئن لم تنته لأرجمنك » (٧) ويجوز أن يكون الشيطان رجيما لأن الله طرده من سمائه ورجمه بالشهب الثاقبة .

وسورة الحمد مكية في قول قتادة ومدنية في قول مجاهد . وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

«١» سورة الانعام آية : ١١٢

«٢» بسماد

«٣» شاب غيداق : ناعم ، والغيداق : الكريم

«٤» الشاطن الخبيث . والشيطان كل عات متمرد من انس أوجن أودابة . «٥» عكاه : عقده

«٦» الكبد الشدة الجمع أكباد «٧» سورة مريم آية ٤٦

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

الحجة — عندنا آية من الحمد ومن كل سورة بدلالة إثباتهم لها في المصاحف بالخط الذي كتب به المصحف ، مع تجنبهم إثبات الاعشار والاخماس كذلك وفي ذلك خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء . ولا خلاف أنها بعض سورة النمل . فاما القراء فترك الفصل بين السور بالتسمية حمزة وخلف ويعقوب واليزيدي إلا القرطي عن سجادة بن اللبان عن مدين والمعدل إلا السوسي من طريق ابن حبش والباقون يفصلون بالتسمية إلا بين الانفال والتوبة ، وعندنا أن من تركها في الصلاة بطلت صلاته ، لأن الصلاة عندنا لا تصح إلا بفاتحة الكتاب وهي من تمامها سواء كانت الصلاة فرضاً أونافلة ، وفيه خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء ومن قال انها ليست من القرآن قال إن الله أدب نبيه وعلمه تقديم ذكر اسم الله أمام جميع أفعاله وأقواله ليقتدي به جميع الخلق في صدور رسالاتهم وأمام حوائجهم قالوا والدليل على أنها ليست من القرآن أنها لو كانت من نفس الحمد لوجب أن يكون قبلها مثلها لتكون إحداها افتتاحاً للسورة حسب الواجب في سائر السور والاخرى أول آية منها ، وهذا عندنا ليس بصحيح ، لا ناقد بينا أنها آية من كل سورة ومع هذا لم يتقدمها غيرها ، على أنها لا يمتنع أن تكون من نفس التلاوة وإن تعبدنا باستعمالها في استفتاح جميع اموره ، ومن قال إن قوله « الرحمن الرحيم » بعد قوله : « الحمد لله رب العالمين » يدل على أن التي افتتح بها ليست من الحمد وإلا كان يكون ذلك تكراراً بلا فصل شيء من الآيات قبل ذلك وليس بموجود في شيء من القرآن فقوله باطل لأنه قد حصل الفصل بقوله : « الحمد لله رب العالمين » (١) وقد ورد في مثله في : قل ياايها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا انتم عابدون ما اعبد ، ولا انا عابد ما عبدتم ، ولا انتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين» (٢)

«١» سورة الحمد آية ١

«٢» سورة الكافرون بتمامها

وكرر آيتين بلفظ واحد فصل بينهما بآية واحد وقد ذكرنا الأدلة على صحة ما ذهبنا اليه في خلاف الفقهاء ومن جعلها آية جعل من قوله : « صراط الذين انعمت عليهم الى آخرها آية . ومن لم يجعلها كذلك جعل : صراط الذين انعمت عليهم آية

وعندنا انه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ، ويستحب الجهر بها فيما لا يجهر فيه .

الاعراب :

وقوله تعالى « بسم الله » يقتضي فعلا تتعلق به الباء ، ويجوز أن يكون ذلك الفعل قوله أبدأ أو أقرأ بسم الله أوشبهه ، أو قولوا بسم الله ، ولم يذكر لدلالة الكلام عليه ، وحذفت الألف في اللفظ لأنه ألف الوصل تسقط في الدرج وحذفت ههنا وحدها في الخط لكثرة الاستعمال ولا تحذف فى قوله تعالى « إقرأ باسم ربك » «١» وقوله « فسبح باسم ربك » وما أشبه ذلك لقلة استعمالها هناك وذكر ابو عبيدة ان « اسم » صلة والمراد هو الله الرحمن الرحيم ، واعتقد قوم لأجل ذلك ان الاسم هو المسمى واستدلوا بقول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال ومعناه السلام عليكما ، فاسم السلام هو السلام ، وهذا خطأ عظيم ذكرناه في شرح الجمل فى الاصول ومعنى قول الشاعر ثم اسم السلام انه أراد به اسم الله تعالى لأن السلام من اسماء الله في قوله « السلام المؤمن المهيمن » وهذا كما قال عليه السلام « لا تسبوا الدهر ، فان الله هو الدهر » اي ان الله هو الفاعل لما تضيفونه الى الدهر ، وتسبونه لأجله ونظير ذلك ايضاً قول القائل اذا سمع غيره يشتم زيداً وهو يريد عمرواً «٢» (زيد في هذا المكان هو عمرو) اي هو المراد بالشتم دون زيد ويحتمل ان يكون اراد اسم الله عليكما اي الزماه ، وانما رفع لأنه اخبر (عليكما كما قال الشاعر :

«١» سورة العلق آية ١

«٢» عمرو لا تقبل الواو في حالة التنوين بالفتح

يا أيها المانح « ١ » دلوي دونكا   اني رأيت الناس يحمدونكا

والمراد ، دونك دلوي ، فكيف يكون الاسم هو المسمى وقد يعرف الاسم من لا يعرف المسمى ، والاسم يكون مدركا وان لم يدرك المسمى ، والاسم يكتب في مواضع كثيرة والمسمى لا يكون إلا في موضوع واحد ، ولو كان الاسم هو المسمى ، لكان اذا قال القائل « نار » احترق لسانه واذا قال « عسل » وجد الحلاوة في فمه ، وذلك تجاهل ، ومن قال : « إن ذلك تسمية وليس ذلك باسم » قوله باطل ، لأن القائل لو قال : اكلت اسم العسل ، لكان جاهلا . وقال بقوم : إن (اسم) ليس بصلة ، والمراد ابتدىء بتسمية الله ، فوضع الاسم موضع المصدر ويكون موضع (بسم) نصباً . قالوا لأن العرب تجري المصادر المبهمة على اسماء مختلفة ، كقولهم : اكرمت فلاناً كرامة ، واهنت فلاناً هواناً ، وكلمته كلاما وكان يجب ان يكون : اكرمته إكراماً واهنته اهانة وكلمته تكليما ومنه قول الشاعر :

أكفراً بعد رد الموت عني   وبعد عطائك المئة الرتاعا (٢)

وقال آخر :

فان كان هذا البخل منك سجية   لقد كنت في طول رجائك اشعبا (٣)

أراد في اطالتي رجاك فيكون على هذا تقدير الكلام : أقرأ مبتدئا بتسمية الله ، وابتدىء قراءتي بسم الله . فجعل الاسم مكان التسمية ، وهذا أولى ، لأن المأمور ان يفتتح العباد امورهم بتسمية الله ، لا بالخبر عن عظمته وصفاته ، كما امروا بالتسمية على الذبائح والصيد ، والأكل ، والشرب . وكذلك امروا بالتسمية عند افتتاح تلاوة تنزيل الله تعالى ، ولا خلاف أن القائل لو قال عند الذباحة : بالله ولم يقل : باسم الله لكان مخالفاً للمأمور .

اللغة :

والاسم مشتق من السمو وهو الرفعة والاصل فيه سمو بالواو ، وجمعه اسماء

« ١ » اسم فاعل من متح . متح الماء كمنع نزعه

« ٢ » صفة الابل ، « ٣ » اسم رجل يضرب المثل بشدة حرصه وطمعه

مثل قنو واقناء، وحنو واحناء . واذا صغرته قلت سمي ، قال الراجز :

باسم الذي في كل سورة سمه

والسمة ايضاً ـ ذكره ابو زيد وغيره . وقيل انه مشتق من وسمت وذلك غلط لأن ما حذفت واو الفعل منه لا يدخله الف الوصل : نحو عدة ووعد ، وزنة ووزن . لما حذفت الفاء لم تدخل عليه الالف . وايضاً كان يجب ، اذا صغر ان يرد الواو فيقال : وسيم ، كما يقال وعيدة ووزينة ووصيلة في تصغير عدة وزنة وصلة . والامر بخلافه . وحكي عن ابن كيسان انه قال : انه لقب فلذلك ابتدىء به واتبع بالرحمن لأنه يختصه ثم بالرحيم لأنه يشاركه فيه غيره . والصحيح انه ليس بلقب لأن اللقب انما يجوز على من تجوز عليه الغيبة والحضور وهما لا يجوزان عليه ولانه يمكن وصفه بصفة لا يشاركه فيها غيره . ولا معنى للقب لانه عيب والصحيح انه اسم مقيد لكنه لا يطلق إلا عليه تعالى . وقيل في معناها قولان :

احدهما ـ ان اصله لاه كما قال الشاعر :

كحلفة من ابي رياح يسمعها لاهه الكبار

فادخل عليه الالف واللام .

والثاني :

ان اصله إله فادخلت عليه الالف واللام ثم خففت الهمزة وادغمت احدى اللامين في الاخرى فقيل : الله . وإله معناه يحق له العبادة ، وانما يحق له العبادة ، لأنه قادر على خلق الاجسام واحيائها ، والانعام عليها ، بما يستحق به العبادة ولذلك يوصف فيما لم يزل بانه إله ولا يجوز أن يكون إلهاً للاعراض ، ولا للجوهر لاستحالة ان ينعم عليهما بما يستحق به العبادة ، وهو إله الاجسام : حيوانها ، وجمادها لأنه قادر على ان ينعم على كل جسم بما معه العبادة ، وليس الاله من يستحق العبادة ، لأنه لو كان كذلك لما وصف فيما لم يزل بانه إله ، لأنه لم يفعل الانعام الذي يستحق به العبادة ، ومن قال : انه إله للجماد ، فقد أخطأ لما قلناه من انه عبارة عمن يستحق العبادة ، وهو انه قادر على اصول النعم التي يستحق بها

العبادة دون ان يكون عبارة عمن يستحق العبادة ولا يجوز ان يوصف بهذه الصفة غير الله . وفى الناس من قال انه مشتق من الاله ، لأن الخلق يألهون اليه : أي يفزعون اليه في امورهم ، فقيل للمألوه : إله كما قيل للمؤتم : إمام . وقال بعضهم انه مشتق من الولهان ، وهذا غلط ، لأن الولهان : الهيمان ، وذلك لا يجوز في صفات الله تعالى . على ان التصريف بلزوم الهمزة يشهد بفساد هذا على ما قاله آخرون . وقال قوم هو مشتق من الألوهية ، التي هي العبادة . يقال فلان متأله أي متعبد ، قال رؤبة

لله در الغانيات المدهّ (١)　　لما رأين حلي المموه

سبحن واسترجعن من تألهي

أي من تعبدي . قرأ ابن عباس (ويذرك وآلهتك (٢) يعني عبادتك . ويقال أله الله فلان الهه كما يقال عبده عبادة . وقيل انه مشتق من الارتفاع يقول العرب للشيء المرتفع لاه . يقولون طلعت لاهة أي الشمس وغربت أيضاً وقيل وصف به تعالى لأنه لا تدركه الأبصار ومعنى لاه : أي احتجب عنا قال الشاعر :

لاه ربي عن الخلائق طراً　　خالق الخلق لا يرى ويرانا

وقيل سمي الله ، لأنه يوله القلوب بحبه .

(الرَّحمنِ الرَّحيمِ)

اللغة ـ هما اسمان مشتقان من الرحمة وهي النعمة التي يستحق بها العبادة وهما موضوعان للمبالغة ، وفي رحمان خاصة مبالغة يختص الله بها ، وقيل ان تلك المزية من حيث فعل النعمة التي يستحق بها العبادة ، لا يشاركه في هذا المعنى سواه .

والأصل في باب فعل يفعل وفَعِل يفعِل ان يكون اسم الفاعل فاعلا فان ارادوا المبالغة حملوا على فعلان وفعيل كما قالوا غضب فهو غضبان وسكر فهو

«١» المدهج ماده وهو المادح

«٢» سورة الاعراف آية ١٢٦

سكران اذا امتلأ غضباً وسكراً . وكذلك قالوا : رحم فهو رحمان وخصوه به تعالى لما قلناه . وكذلك قالوا علم فهو عليم ورحم فهو رحيم وعلى هذا الوجه لا يكونان للتكرار ، كقولهم ندمان ونديم بل التزايد فيه حاصل والاختصاص فيه بيّن . وقيل في معنى الرحيم : لا يكلف عباده جميع ما يطيقونه فان الملك لا يوصف بانه رحيم ، اذا كلف عبيده جميع ما يطيقونه . ذكره ابو الليث وانما قدم الرحمن على الرحيم لأن وصفه بالرحمن بمنزلة الاسم العلم ، من حيث لا يوصف به إلا الله تعالى فصار بذلك كاسم العلم في انه يجب تقديمه على صفته . وورد الاثر بذلك روى ابو سعيد الخدري عن النبي (ص) ان عيسى بن مريم قال : الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة . وروي عن بعض التابعين انه قال : الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق هو انشاؤه اياهم وجعلهم احياء قادرين وخلقه فيهم الشهوات ، وتمكينهم من المشتهيات ، وتعريضهم بالتكليف لعظيم الثواب ، ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين ، ما فعل الله تعالى بهم في الدنيا من الألطاف التي لم يفعلها بالكفار ، وما يفعله بهم في الآخرة من عظيم الثواب ، فهذا وجه الاختصاص . وحكي عن عطاء أنه قال : الرحمن كان يختص الله تعالى به فلما تسمى مسيلمة بذلك صار الرحمن الرحيم مختصين به تعالى ، ولا يجتمعان لأحد وهذا الذي ذكره ليس بصحيح ، لأن تسمى (١) مسيلمة بذلك لا يخرج الاسم من أن يكون مختصاً به تعالى ، لأن المراد بذلك استحقاق هذه الصفة وذلك لا يثبت لأحد ، كما أنهم سمو اصنامهم آلهة ولم يخرج بذلك من أن يكون الاله صفة يختص بالوصف به .

وقال بعضهم إن لفظة الرحمن ليست عربية ، وانما هي ببعض اللغات كقوله تعالى « قسطاس » فانها بالرومية واستدل على ذلك بقوله تعالى : « قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا » (٢) إنكاراً منهم لهذا الاسم ، حكي ذلك عن تغلب ، والصحيح

«١» وفي نسخة تسمية

«٢» سورة الفرقان آية ٦٠

انه معروف واشتقاقه من الرحمة ، على ما بينا .

قال الشنفري :

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها   ألا ضرب الرحمن ، ربي ، يمينها

وقال سلامة بن جندل الطهوري :

عجلتم عليه قد عجلنا عليكم   وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق

وحكي عن ابي عبيدة انه قال : « رحمن : ذو رحمة ، ورحيم معناه انه راحم وكرر لضرب من التأكيد كما قالوا ندمان ونديم » وانما قدم اسم الله لأنه الاسم الذي يختص به من يحق له العبادة وذكر بعده الصفة ولأجل ذلك اعرب باعرابه ، وبدأ بالرحمن لما بينا ان فيه المبالغة . وما روي عن ابن عباس من انهما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر . فالرحمن الرقيق ، والرحيم العطاف على عباده بالرزق محمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل وبالنعمة بعد النعمة لأنه تعالى لا يوصف برقة القلب . ودلت هذه الآية على التوحيد لأن وصفه بالرحمن يقتضي مبالغة في الوصف بالرحمة على وجه يعم جميع الخلق وذلك لا يقدر عليها غير الله القادر لنفسه ، وذلك لا يكون إلا واحداً ، ولأن وصفه بالالهية يفيد انه تحق له العبادة وذلك لا يكون إلا للقادر للنفس وهي تدل على العدل لأن وصفه بالرحمة التي وسعت كل شيء ، يعم كل محتاج الى الرحمة من مؤمن وكافر وطفل وبالغ من كل حي ، وذلك يبطل قول المجبرة الذين قالوا ليس لله على الكافر نعمة ولانها صفة مدح تنافي وصفه بانه يخلق الكفر في الكافر ثم يعذبه عليه لان هذا صفة ذم .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الاعراب ـ اجمع القراء على ضم الدال من الحمد وكسر اللام الاولى من لله وكان يجوز أن يفتح الدال مع كسر اللام ويكسر الدال واللام (١) لكن لم يقرأ به إلا أهل البوادي . ومن نصب فعلى المصدر . ومن كسرهما اتبع كسرة الدال كسرة

(١) ويضمهما

اللام ومن ضمها اتبع ضم الدال بضمة اللام (١) .

ونصب الدال لغة في قريش والحارث بن اسامة بن لؤي . وكسرها لغة في تميم وغطفان . وضمها لغة في ربيعة توهموا انه حرف واحد مثل الحلم . وقوله : لله مخفوض بالاضافة ورب العالمين (٢) مخفوض لانه نعت ويجوز نصبه على الحال والنداء وما قرىء به . والعالمين مخفوض بالاضافة ونونها مفتوحة لانها نون الجمع فرقاً بينها وبين نون التثنية . وبعض قيس يحذف الالف التي قبل الهاء ويختلس الهاء ويشددها ويقصرها . انشد بعضهم :

ألا لا بارك الله في سهيل　　　اذا ما بارك الله في الرجال

اختلس الاولى واشبع الثانية . ولا يقرأ بهذا .

ومعنى الحمد لله الشكر لله خالصاً دون سائر ما يعبد بما أنعم على عباده من ضروب النعم الدينية والدنياوية (٣) وقال بعضهم : الحمد لله ثناء عليه باسمائه وصفاته وقوله الشكر لله ثناء على نعمه وأياديه ، والأول أصح في اللغة ، لأن الحمد والشكر يوضع كل واحد منها موضع صاحبه . ويقال أيضاً : الحمد الله شكراً فنصب شكراً على المصدر ، ولو لم يكن في معناه لما نصبه ، ودخول الألف واللام فيه لفائدة الاستيعاب ، فكانه قال جميع الحمد لله ، لأن التالي مخبر بذلك ، ولو نصبه فقال حمداً لله أفاد أن القائل هو الحامد فحسب وليس ذلك المراد ، ولذلك اجتمعت القراء على ضم الدال على ما بيناه ، والتقدير : قولوا الحمد لله . واذا كان الحمد هو الشكر ، والشكر هو الاعتراف بالنعمة على ضرب من التعظيم فالمدح ليس من الشكر في شيء وانما هو القول المنبيء عن عظم حال الممدوح مع القصد اليه .

وأما الرب فله معان في اللغة : فيسمى السيد المطاع رباً ، قال لبيد بن ربيعة :

فاهلكن يوماً رب كندة وابنه　　　ورب معد بين خبت (٤) وعرعر (٥)

«١» واتبع ضم اللام بضم الدال ـ لعله الاصح

«٢» العالمين زائدة

«٣» دنيوية والألف زائدة . لأن الواو قلبت عنها

«٤ و ٥» خبت وعرعر موضعان

يعني سيد كندة . ومنه قوله تعالى : « أما أحدكما فيسقي ربه خمراً » يعني سيده ويسمى الرجل المصلح رباً ، قال الفرزدق بن غالب :

كانوا كسالئة (١) حمقاء اذحقنت سلاءها في اديم غير مربوب

يعني غيرمصلح ومنه قيل فلان رب ضيعة اذا كان يحاول اتمامها . والربانيون من هذا من حيث كانوا مدبرين لهم . واشتق رب من التربية يقال ربيته وربيته بمعنى واحد والربى الشاة ولدت حديثاً لأنها تربى . وقوله (رب العالمين) أي المالك لتدبيرهم . والمالك للشيء يسمى ربه ولا يطلق هـذا الاسم إلا على الله ، وأما في غيره فبقيد فيقال : رب الدار ورب الضيعة . وقيل انه مشتق من التربية ومنه قوله تعالى : (وربائبكم اللاتي في حجوركم) ومتى قيل في الله انه رب بمعنى انه سيد فهو من صفات ذاته . واذا قيل بمعنى انه مدبر مصلح فهو من صفات الأفعال

والعالمين جمع عالم وعالم لا واحد له من لفظه كالرهط والجيش وغـير ذلك ، والعالم في عرف اللغة عبارة عن الجماعة من العقلاء لأنهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون جاءني عالم من البقر وفي عرف الناس عبارة عن جميع المخلوقات وقيل انه ايضاًاسم لكل صنف من الأصناف وأهل كل زمن من كل صنف يسمى عالماً ولذلك جمع . وقيل عالمون لعالم كل زمان . قال العجاج :

تخندف (٢) هامة هذا العالم

وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس وسعيـد بن جبير وقتادة وغـيرهم . واشتقاقه من العلامة لأنه علامة ودلالة على الصانع تعالى . وقيل انه من العلم ـ على ما روى ابن عباس ـ قال هم صنف من الملائكة والانس والجن لأنه يصح ان يكون كل صنف منهم عالماً . فان قيل كيف يجوز ان يقول الحمد لله والقائل هو الله تعالى وان (٣) كان يجب ان يقول الحمد لنا . قيل العالي الرتبة اذا خاطب من دونه لا يقول كما يقول للنظير . ألا ترى ان السيد يقول لعبـده الواجب ان تطيع سيـدك ولا

(١) سلاء السمن : عالجه

(٢) لقب اولاد الياس بن مضر

(٣) وكان يجب

تعصيه ، وكذلك يقول الأب لابنه يلزمك أن تبر أباك والمنـة لأبيك . والخلفاء يكتبون عن انفسهم إن أمير المؤمنين رأى كيت وكيت ليقع ذلك موقع اجلال واكرام واعظام . على انا قد بينا ان المراد بذلك : قولوا الحمد لله ، وحذف لدلالة الكلام عليه .

الرَّحمن الرَّحيم

آية . مخفوضان لانها نعت لله وقد مضى معناها (١)

قوله :

مَالِكِ يومِ الدِّين ـ آية

القراءة ـ

قرأ عاصم والكسائي وخلف ويعقوب : مالك بالألف . الباقون ملك بغير الف ، ولم يمل أحد الف مالك ، وكسر جميعهم الكاف . وروي عن الأعمش ، انه فتحها على النداء ، وربيعة بن نزار يخففون مالك ويسقطون الألف ، فيقولون : ملك بتسكين اللام وفتح الميم كما قال ابو النجم .

تمشي الملك عليه حلله .

والألف ساقط في الخط في القراءتين والمعول على الأولتين دون النصب وإسكان اللام ومعنى ملك يوم الدين باسقاط الألف أنه الملك يومئذ لا ملك غيره وأنه لا يؤتى في ذلك الوقت أحداً الملك كما اتاه في الدنيا ، وقوى ذلك بقوله تعالى: « لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار «٢» وبانه يطابق ما تقدم من قوله : « رب العالمين الرحمن الرحيم »

ومن قرأ مالك بالف معناه انه مالك يوم الدين والحساب لا يملكه غيره ولا يليه سواه .

«١» في تفسير البسملة

«٢» سورة ابراهيم : آية ٤٨

اللغة

والمالك هو القادر على التصرف في ماله ، وأن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه ، ويوصف العاجز بأنه مالك من جهة الحكم . والملك هو القادر الواسع القدرة الذي له السياسة والتدبير ، ويقال ملك بين الملك مضمومة الميم ، ومالك بين الملك والملك بفتح الميم وكسرها ، وضم الميم فيه لغة شاذة ذكرها ابو علي الفارسي . ويقال طالت مملكة الأمير ومملكته بكسر اللام وفتحها وطال ملكه وملكه اذا طال رقه ، واعطاني من ملكه وملكه ، ولي في هذا الوادي ملك وملك وملك . ويقال نحن عبيد مملكة وليس بعبيد قن اي سبياً لم يملك في الأصل ، ويقال : شهدنا املاك فلان وملكه ، ولا يقال ملاكه ، فأصل الملك الشد من قول الشاعر :

ملكت بها كفي وانهرت « ١ » فتقها « ٢ »

اي شددت . وملكت العجين اي شددت عجنه . ويقال : هذا ملك فلان اذا كان له التصرف فيه على ما بيناه . فأما من رجح قراءة ملك من حيث انه وصف نفسه بأنه ملك كل شيء بقوله : « رب العالمين » فلا فائدة في تكرير ما قد مضى فقد ابعد لأن في القرآن له نظائر تقدم العام وذكر بعد العام الخاص : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق [٣] » فعمم في الأول ثم خص ذكر الانسان تنبيهاً على تأمل ما فيه من اتقان الصنعة ووجوه الحكمة ، كما قال : « وفي انفسكم افلا تبصرون ؟ [٤] » ولذلك نظائر كثيرة .

وفي الناس من قال ان ملك ابلغ في المدح من مالك ، لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً . وقال تغلب : إن مالك ابلغ من ملك لأنه قد يكون الملك على من لا يملك ، كما يقال ملك الروم وان كان لا يملكهم ولا يكون مالكا إلا

« ١ » انهر وسم والصحيح فأنهرت

« ٢ » الصحيح فتقها . قاله قيس بن الخطيم

« ٣ » سورة العلق . آية ١ و ٢

« ٤ » سورة الذاريات آية ٢١

على ما يملك . وقال بعضهم : ان مالك أبلغ في المدح للخالق من ملك . وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك ، لأن مالك من المخلوقين قد يكون غير ملك . واذا كان الله تعالى مالكا كان ملكا . والاقوى أن يكون مالك أبلغ في المدح فيه تعالى ؛ لانه ينفرد بالملك ويملك جميع الاشياء فكان أبلغ .

وقوله تعالى : « يوم الدين »

الاعراب ـ مجرور بالاضافة في القراءتين معاً ، وهو من باب ياسارق الليلة أهل الدار . اتسع في الظرف فنصب . نصب المفعول به ثم اضيف على هذا الحد وليس ذلك مثل قوله : (وعنده علم الساعة) مفعول بها (١) على الحقيقة ، ولا أن جعل الظرف مفعولا على السعة ، لأن الظرف اذا جعل مفعولا على السعة فمعناه معنى الظرف . ولو جعل ظرفاً لكان المعنى : يعلم في الساعة . وذلك لا يجوز لانه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى : انه يعلم الساعة أي يعرفها . ومن نصب انما هرب ان يخرج من خطاب الغائب الى المواجه في قوله « اياك نعبد واياك نستعين . » وليس ذلك ببديع ، لأنه مستعمل في القرآن وفي الشعر .

قال الله تعالى : « حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم » « ٢ » فعدل عن خطاب المواجه الى الكناية عن الغائب . وقال الشاعر :

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها ... بني شاب قرناها تصر (٣) وتحلب

وقال ابو كثير الهلالي :

يالهف نفسي ، كان جدة خالد ... وبياض وجهك للتراب الاعفر

وقال لبيد بن ربيعة :

قامت(٤) تشكي الي النفس مجهشة(٥) ... وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

فرجع الى مخاطبة نفسه ، وقد تقدم الاخبار عنها .

« ١ » به « ٢ » سورة يونس : آية ٢٢

« ٣ » صر الناقة يصرها ـ بالضم ـ صراً شد ضرعها ـ القاموس القرن : الضفيرة

« ٤ » باتت

« ٥ » موهنة ـ العقد الفريد ، مجهشا ـ لسان العرب

وقال الكسائي التقدير : قولوا اياك نعبد . فيكون على حكاية ما امروا به.

اللغة :

والدين الحساب ، والدين الجزاء ايضاً . قال كعب بن جعيل :

اذا ما رمونا رميناهم　　ودناهم فوق ما يقرضونا

وقال آخر :

واعلم وايقن ان ملكك زائل　　واعلم بانك ما تدين تدان

يعني : ما تجزي تجزى . ومنه قوله تعالى : (كلا بل تكذبون بالدين) يعني بالجزاء . وقوله : (فلولا ان كنتم غير مدينين) أي غير مجزيين . وبهذا قال جماعة من التابعين كسعيد بن جبير وقتادة . وروي عن ابن عباس ومجاهد وابي جعفر : انه الحساب . والدين ايضاً الطاعة . وقال عمرو بن كلثوم :

وايام لنا غر طوال　　عصينا الملك فيها ان ندينا

والدين الملك قال زهير :

لئن حللت بجو في بني أسد　　في دين عمرو وحالت بيننا فدك

والدين القهر والاستعلاء قال الأعشى :

هو دان الرباب اذ كرهوا الدين　　دراكا بغزوة وصقال (١)

يعني ذللهم للطاعة. والدين العادة ، قال المثقب العبدي :

تقول وقد درأت لها وضيني　　أهذا دينه ابداً وديني

التفسير

(ويوم الدين) عبارة عن زمان الجزاء كله ، وليس المراد به ما بين المشرق والمغرب وطلوع الشمس الى غروبها

«١» وارتحال، وفي مجمع البيان : وصيال

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين ـ آية

الاعراب

إياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في إياك خفض باضافة إيا اليها وإيا اسم للضمير المنصوب ، إلا انه ظاهر يضاف الى سائر المضمرات نحو قوله : إياك ضربت وإياه ضربت ، وإياي ضربت ولو قلت : إيا زيد حدثت ، كان قبيحاً ، لأنه خص به المضمر وقد روى الخليل جوازه ، وهو قولهم : اذا بلغ الرجل الستين فاياه وإيا الشواب «١»

وقال الأخفش لا موضع للكاف من الاعراب ، لأنها حرف الخطاب وهو قول ابن السراج واختاره الرماني ، لأن المضمر معرفة تمتنع من الاضافة كما تمتنع من الصفة وحملوا ما رواه الخليل على الشذوذ

ولو قلت نعبد إياك لم يجز لأنك تقدر على ضمير متصل بان تقول نعبدك فلا يجوز ان تأتي بضمير منفصل ، ولأنه لو أخر لكان قد قدم ذكر العابد على المعبود ، وليس بجيد ومن قال إن إياك بكماله اسم فقد أخطأ لأنه لو كان كذلك لما اضيف ، كما حكيناه في قولهم إياه وإيا الشواب ، لأنهم اجروا الهاء فيه مجرى الهاء في عصاه

والنون مفتوحة من نعبده وقد روي عن يحيى بن وثاب ، انه كان يكسرها وهي لغة هذيل ، يقولون نعلم وتعلم واعلم وتخاف وتقام وتنام فيكسرون أوائل هذه الحروف كلها ولا يكسرون الياء ، ولا في يستفعل ويفتعل فلا يقولون يبيض ويطمس ـ بكسر الياء ـ بل يفتحونها والدال والنون مرفوعان ، لان في أوله أحد الزوايد الاربع فاعربا

المعنى واللغة :

والعبادة ضرب من الشكر ، مع ضرب من الخضوع ولا تستحق إلا باصول

«١» امرأة شابة ونسوة شواب

النعم التي هي خلق الحياة والقدرة والشهوة وما يقدر من النعم لا يوازيه نعمة منعم فلذلك اختص الله بأن يعبد ، وان استحق بعضنا على بعض الشكر

والعبادة في اللغة الذلة ، يقال هذا طريق معبد اذا كان مذللا بكثرة الوطء وبعير معبد اي مذلل بالركوب ، وقيل اصله اذا طلي بالقطران ، وسمي العبد عبداً لذلته لمولاه ، ومن العرب من يقول : هيّاك، فيبدل الألف هاء كما يقولون : هيه وايه .

ونستعين اي نطلب منك المعونة على طاعتك وعبادتك . واصله نستعون لأنه من المعونة فقلبت الواو ياء لثقل الكسرة عليها ونقلت كسرتها الى العين قبلها وبقيت الياء ساكنة ، والتقدير في اول السورة الى ههنا ، اي قل يا محمد هذا الحمد . وهذا كما قال: « ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ، ربنا ابصرنا «١» » اي: يقولون ربنا . وكما قال : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم » اي : يقولون سلام عليكم . وحمزة والكسائي اذا وقفا اشما الدال الرفع ، وكذلك في سائر القرآن ، فاما اذا وقفا على النصب ، تخير الكسائي الاشمام ، وتركه اجود . ومن استدل بهذه الآية على أن القدرة مع الفعل من حيث إن القدرة لو كانت متقدمة لما كان لطلب المعونة وجه اذا كان الله قد فعلها فيه فقد اخطأ لأن الرغبة في ذلك تحتمل امرين :

احدها — ان يسأل الله تعالى من الطافه ، وما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ماليس بحاصل ، ومتى الطف له بأن يعلمه أن له في عاقبة الثواب العظيم والمنازل الجليلة زاد ذلك في نشاطه ورغبته .

والثاني — ان يطلب بقاء كونه قادراً على طاعاته المستقبلة بأن يجدد له القدرة حالاً بعد حال عند من لا يقول ببقائها او لا يفعل ما يضادها وينفيها عند من قال ببقائها . فان قيل هلاّ قدم طلب المعونة على فعل العبادة لأن العبادة لاتتم إلاّ بتقدم المعونة اولا ؟ قيل : في الناس من قال المراد به التقديم والتأخير ، فكانه قال : اياك نستعين واياك نعبد ، ومنهم من قال : ليس يتغير بذلك المعنى ، كما إن

«١» سورة الم السجدة آية ١٢

القائل اذا قال احسنت الي فقضيت حاجتي او قضيت حاجتي فأحسنت الي ، فان في الحالين المعنى واحد . قال قوم انهم سألوا المعونة على عبادة مستأنفة لا على عبادة واقعة منهم ، وانما حسن طلب المعونة ، وان كان لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه كما قال: « رب احكم بالحق » . ولأنه قد لا يكون في ادامته التكليف اللطف ولا في فعل المعونة به الا بعد تقدم الدعاء من العبد ، وانما كرر اياك لأن الكاف التي فيها هي كاف الضمير التي كانت تكون بعد الفعل في قوله نعبدك ، فلما قدمت ، زيد عليها أيا لأن الاسم اذا انفرد لا يمكن ان يكون على حرف واحد فقيل اياك ولما كانت الكاف يلزم تكرارها لو كرر الفعل وجب مثل ذلك في اياك . الا ترى انه لو قال نعبدك ونستعينك ونستهديك لم يكن بدمن تكرير الكاف ، وكذلك لو قدم فقيل اياك نعبد واياك نستعين ، وفيه تعليم لنا ان نجدد ذكره عند كل حاجة ومن قال انه يجري مجرى قول عدي بن زيد العبادي :

وجاعل الشمس مصراً [١] لاخفاء به   بين النهار وبين الليل قد فصلا

وكقول اعشى همدان :

بين الأشج وبين قيس باذخ   بخ بخ لوالده وللمولود

فكرر لفظ بين فقد اخطأ لأن في البيتين لو لم تكرر بين لكان الفعل مستحيلا الا ترى انه لو قال الشمس قد فصلت بين النهار لم يكن كلاماً صحيحاً وكذلك البيت الآخر وليس كذلك الآية ، لأنه لو قال اياك نعبد وسكت لكان مستقلاً بنفسه ولهذا طعن به بعض المفسرين . وعندي ان هذا ليس بطعن ، لانه مغالطة لانه لو قال بين النهار والليل لكان كلاماً صحيحاً وانما كرر بين وكذلك لو قال اياك نعبد ونستعين كان كلاماً صحيحاً وانما كرر اياك تأكيداً والعلة ما ذكرناه اولا .

---

[١] المصر : الحاجز

قوله : إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

آية _ القراءة :

قرأ ابن كثير في رواية ابن مجاهد عن قنبل والكسائي من طريق ابن حمدون ويعقوب من طريق رويس «١» بالسين . وكذلك في سراط ، في جميع القرآن . الباقون بالصاد واشم الصاد زايا حمزة في الموضوعين ، خاصة في رواية علي بن سالم ، وفي رواية الدوري وخلاد اشمامها الزاي ما كان فيه الف ولام . واما الصاد اذا سكنت وكان بعدها دال نحو : يصدر ، وفاصدع ، ويصدفون ، فاشم الصاد الزاي حيث وقع ، حمزة والكسائي وخلف ورويس .

الأعراب

(اهدنا) : مبني على الوقف لانه امر ، والهمزة مكسورة لأن ثالث المضارع منه مكسور في نحو يهدي . وموضع النون والالف من اهدنا ، نصب لأنه مفعول به والصراط منصوب لأنه مفعول ثان . فمن قرأ بالسين فلأنه الأصل ، من غير سبب يمنع منه ، ومن قرأ باشمام الزاي ، فلمؤاخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاء من غير ابطال للأصل ومن قرأ بالصاد بين الصاد والطاء بالاستعلاء والاطباق . والقراءة بالصاد احسن لأن فيها جمعاً بين المتشاكلين في المسموع .

اللغة والتفسير

ومعنى اهدنا يحتمل امرين :

احدهما — ارشدنا . كما قال طرفة .

للفتى عقل يعيش به　　حيث يهدي ساقه قدمه

والثاني — وفقنا كما قال الشاعر :

فلا تعجلن هداك المليك　　فان لكل مقام مقالا

أي وفقك .

والآية تدل على بطلان قول من يقول : لا يجوز الدعاء بأن يفعل الله ما يعلم أنه يفعله لأنه عبث ، لأن النبي صلى الله عليه وآله كان عالماً بأن الله يهديه الصراط

«١» الصحيح: أويس

المستقيم ، وانه قد فعل ذلك ، ومع ذلك كان يدعو به . وقد تكون الهداية بمعنى أن يفعل بهم اللطف الذي يدعوهم الى فعل الطاعة ، والهدى يكون ايضاً بمعنى العلم لصاحبه لأنه مهتد على وجه المدح . والهدى يكون ان يهديه الى طريق الجنة ، كما قال الله تعالى :

« وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا » ، وأصل الهدايه في اللغة الدلالة على طريق الرشد فان قيل : ما معنى المسأله في ذلك وقد هداهم الله الصراط المستقيم ، ومعلوم أن الله تعالى يفعل بهم ما هو أصلحلهم في دينهم ؟ قيل : يجوز أن يكون ذلك عبادة وانقطاعاً إليه تعالى كما قال : «رب احكم بالحق » وإن علمنا أنه لا يحكم إلا بالحق ، ويكون لنا فيذلك مصلحة كسائر العبادات ، وكما تعبدنا بأن نكرر تسبيحه وتحميده والاقرار بتوحيده ولرسوله بالصدق ، وإن كنا معتقدين لجميع ذلك . ويجوز أن يكون المراد بذلك الزيادة في الألطاف كما قال تعالى : « والذين اهتدوا زدناهم هدى » « ١ » وقال : « يهدي به الله من اتبع رضوانه « ٢ » ويجوز أن يكون الله تعالى يعلم أن أشياء كثيرة تكون أصلح لنا ، وأنفع لنا إذا سألناه ، وإذا لم نسأله لا يكون ذلك مصلحة ، وكان ذلك وجهاً في حسن المصلحة . ويجوز أن يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب ، لأن إدامته ليست بواجبة بل هو تفضل محض جاز أن يرغب فيه بالدعاء . ويلزم المخالف أن يقال له : إذا كان الله تعالى قد علم أنه يفعل ذلك لا محالة فما معنى سؤاله ما علم أنه يفعله ، فما أجابوا به فهو جوابنا .

والصراط المستقيم هو الدين الحق الذي أمر الله به من توحيده، وعدله، وولاية من أوجب طاعته . قال جرير :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

أي على طريق واضح . وقال الشاعر :

« ١ » سورة الكهف آية ١٣

« ٢ » سورة المائدة آية ١٨

فصد عن نهج السراط الواضح

وقيل : إنه مشتق من « مسترط » الطعام ، وهو ممره في الحلق ، والصاد لغة قريش ؛ وهي اللغة الجيدة ، وعامة العرب يجعلونها سينا ، والزاي لغة لعذرة ، وكعب وبني القين يقولون : أزدق فيجعلونها زاياً إذا سكنت. وأهل الحجاز يؤنثون الصراط كالطريق والسبيل والزقاق والسوق . وبنو تميم يذكرون هذا كله . وأصل الاستقامة التقويم والاستواء في جهة الانتصار وهو ضد الاعوجاج ، فمنه القيام والتقويم والتقوّم ، ومنه المقاومة ، لأنه بمنزلة المماثلة بما هو كالاستواء . وتقاوموا في الأمر إذا تماثلوا ، والاستقامة المرور في جهة واحدة . وقيل في معنى قوله : « الصراط المستقيم » وجوه :

أحدها — إنه كتاب الله ، وروي ذلك عن النبي (ص) وعن علي عليه السلام وابن مسعود .

والثاني — انه الاسلام ، حكي ذلك عن جابر وابن عباس .

والثالث — انه دين الله عزوجل الذي لا يقبل من العباد غيره .

والرابع — انه النبي (ص) والأئمة (ع) القائمون مقامه صلوات الله عليهم ، وهو المروي في أخبارنا .

التفسير

والأولى حمل الآية على عمومها لأنا إذا حملناها على العموم دخل جميع ذلك فيه فالتخصيص لا معنى له .

قوله تعالى :

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

آية ـ المعنى :

معناه بيان الصراط المستقيم ، إذ كان كل طريق من طرق الحق صراطاً مستقيماً . والمعنى صراط من أنعمت عليهم بطاعتك .

القراءة

وقرأ حمزة بضم الهاء من ذلك : وفي أيديهم « وإليهم » حيث وقع . وروى الدوري عنه بضم الهاء فيقوله : « فعليهم غضب من الله » « ١ » وقرأ يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة في التثنية وجمع المذكر والمؤنث ، نحو : « عليهما » وفيهما « عليهن » و « فيهن » ، وضمّ ميم الجمع ووصلها بواو في اللفظ ابن كثير وأبو جعفر . وعن نافع فيه خلاف كثير . وعن غيره لا نطول بذكره ، وهو مذكور في كتب القراءات. فمن قرأ بكسر الهاء وإسكان الميم قال: إنه أمن من اللبس إذا كانت الألف في التثنيـة قد دلت على الاثنين ولا ميم في الواحد، فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو وأسكنوا الميم طلباً للتخفيف . وحجة من قرأ « عليهُم » انهم قالوا ضم الهاء هو الأصل لأن الهاء إذا انفردت من حرف متصل بها قيل : « هم فعلوا » ومن ضم الميم إذا لقيها ساكن بعد الهاء المكسورة قال : لمّا احتجت إلى الحركة رددت الحرف إلى أصله فضممت وتركت الهاء على كسرتها ،لأنه لم تأت ضرورة تحوج إلى ردها إلى الأصل، ومن كسر الميم فالساكن الذي لقيها ،والهاء مكسورة ثم اتبع الكسرة الكسرة.

الاعراب

(والذين) في موضع جر بالاضافـة ، ولا يقال في الرفع (اللذون)،لأنه إسم ليس يتمكن . وقد حكي اللذون شاذا ، كما قيل الشياطون ، وذلك في حال الرفـع ولا يقرأ به ، وقرأ صراط من أنعمت عليهم : عمر بن الخطاب وعبدالله بن زبير ، وروي ذلك عن أهل البيت عليهم السلام . والمشهور الأول . والنعمة التي أنعم بها على المذكورين وإن لم تذكر في اللفظ فالكلام يدل عليها لا لمـا قال : إهدنا الصراط المستقيم ، وبّينا المراد بذلك ، ثم بينّ أن هذا صراط من أنعمت عليهم بها، فلم يحتج إلى إعادة اللفظ ، كما قال النابغة الذبياني :

كأنك من جمال بني أقيش ... يقعقع خلف رجليه بشن « ١ »

« ٦ » سورة النحل آية ١٠٦

« ١ » الشن والشنة : القربة

لما قال جمال بني أقيش قال يقعقع ، ومعناه جمل يقعقع خلف رجليه ، ونظير ذلك كثيراً جداً .

قوله تعالى :

غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلا الضَّالِّين

الاعراب :

أجمع المفسرون والقراء على جر (غير) لأنها نعت للذين ، وانما جاز أن تكون نعتاً للذين ، والذين معرفة وغير نكرة لأن الذين بصلتها ليست بالمعرفة كالأسماء المبهمة التي هي أعلام كزيد وعمرو وانما هي كالنكرات اذا عرّفت كالرجل والبعير فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك ايضاً وجاز ان تكون نعتاً للذين ، كما يقال لا أجلس إلا الى العالم غير الجاهل ، ولو كانت بمنزلة الأعلام لما جاز ، كما لم يجز في قولهم : مررت بزيد غير الظريف ، فلا يجرها على انها نعت ، وان نصبتها في مثل هذا جاز على الحال . ويحتمل ايضاً ان تكون مجرورة لتكرير العامل الذي خفض الذين فكأنك قلت : صراط الذين انعمت عليهم ، صراط غير المغضوب عليهم ويتقارب معناها لأن الذين انعمت عليهم هم الذين لم يغضب عليهم ، وقرىء في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب ، ووجهها ان تكون صفة للهاء والميم اللتين في عليهم ، العائدة على الذين ، لانها وان خفضت بعلى فهي في موضع نصب بوقوع الانعام عليها ، ويجوز ان يكون نصباً على الحال . وقال الاخفش والزجّاج : انها نصب على وجه الاستثناء من معاني صفة الذين أنعمت عليهم ، وتقديره : إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم إلا المغضوب عليهم الذين لم تنعم عليهم في اديانهم فلا تجعلنا منهم ، ويكون استثناء من غير جنس كما قال النابغة للذبياني :

وقفت فيها أصيلا لا اسائلها «١»   أعيت جوابا وما بالربع من أحد

«١» الصحيح كي اسائلها وفي نسخة : اصيلاناً اسائلها

إلا الاواري «١» لأيا ما ابينها والنؤي«٢» كالحوض بالمظلومة«٣» الجلد

وقال الفرّاء : وثعلب هذا خطأ ، لأنه لو كان كذلك لما قال : ولا الضالين لأن لا نفي وجحد . ولا يعطف على جحد إلا بجحد ، ولا يعطف بالجحد على الاستثناء وانما يعطف بالاستثناء على استثناء و بالجحد على الجحد . يقولون قام القوم إلا أخاك وإلا أباك ولا قام أخوك ولا أبوك، ولا يقولون ما قام القوم إلا أخاك ولا أباك، فعلى هذا تكون (غير) بمعنى : لا فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين. قال الرماني : من نصب على الاستثناء جعل لا صلة ، كما انشد ابو عبيدة

في بئر لا حور سرى وما شعر (٤)

أي في بئر هلكة .

(والمغضوب عليهم) هم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام ، لأنه تعالى قد أخبر انه غضب عليهم وجعل فيهم القردة والخنازير ، (ولا الضالين) هم النصارى لأنه قال: (وضلوا عن سواء السبيل) «٥» وقال (لعن الذين كفروا) يعني النصارى . وروي ذلك عن النبي (ص). وقال بعضهم لا : زائدة تقديره : غير المغضوب عليهم والضالين كما قال : (ما منعك ان لا تسجد) «٦» أي معناه أن تسجد قال ابو النجم :

فما ألوم البيض ألا تسخرا لما رأين الشمّط القفندرا«٧»

يعني أن تسخر . وتكون غير بمعنى سوى . وقد بينا ضعف هذا عند الكوفيين لما مضى ، ولأنه انما يجوز ذلك اذا تقدمه نفي كقول الشاعر :

ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر ولا عمر

«١» ج آري محابس الخيل

«٢» حفرة حول الخيمة تمنع من تسرب الماء اليها

«٣» الارض التي لم تحفر قط وحفرت

«٤» أي بئر هلكة

«٥» سورة المائدة آية : ٨٠

«٦» سورة الاعراف آية ١١

«٧» الشمط : الشيب والقفندر : الصغير الرأس القبيح المنظر

واما الغضب من الله فهو ارادة العقاب المستحق بهم ، ولعنهم وبراءته منهم واصل الغضب الشدة ومنه الغضبة الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل المخالفة له ورجل غضوب شديد الغضب والغضوب الحية الخبيثة لشدتها والغضوب الناقة العبوس. واصل الضلال الهلاك ومنه قوله (اذا ضللنا في الارض) أي هلكنا ومنه قوله تعالى (واضل اعمالهم) أي أهلكها . والضلال في الدين الذهاب عن الحق والاضلال الدعاء الى الضلال والحمل عليه ومنه قوله تعالى : « واضلهم السامري » «١» والاضلال الاخذ بالعاصين الى النار والاضلال الحكم بالضلال والاضلال التحيير بالضلال بالتشكيك لتعدل عنه . واليهود ـ وان كانوا ضلالا ـ والنصارى ـ وان كانوا مغضوباً عليهم ـ فانما خص الله تعالى كل فريق منهم بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين في صفات كثيرة . وقيل انه أراد (بالمغضوب عليهم ولا الضالين) جميع الكفار وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين

وروى جابر ابن عبدالله قال : قال رسول الله (ص) قال الله تعالى : (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فله ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى عليّ عبدي، واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي ثم قال هذا لي وله ما بقي)

ولا يجوز عندنا ان يقول القارىء عند خاتمة الحمد : آمين فان قال ذلك في الصلاة متعمداً بطلت صلاته لانه كلام لا يتعلق بالصلاة، ولأنه كلام لا يستقل بنفسه وانما يفيد اذا كان تأميناً على ما تقدم ومتى قصد بما تقدم الدعاء لم يكن تالياً للقرآن ، فتبطل صلاته وان قصد التلاوة لا يكون داعياً فلا يصح التأمين وان قصدهما فعند كثير من الاصوليين ان المعنيين المختلفين لا يصح ان يردا بلفظ واحد ، ومن اجاز ذلك ـ وهو الصحيح ـ منع منه لقيام الدلالة على المنع من ذلك فلأجل ذلك لم يجز .

«١» سورة طه آية : ٨٥

(سورة البقرة)

وهي مائتان وست وثمانون آية في الكوفي وسبع بصري وخمس مدني
وروي أن قوله : واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ـ نزلت في حجة الوداع

آلم

آية عند الكوفيين

المعنى : ـ واختلف العلماء في معنى أوائل هذه السور مثل (آلم) و (آلمص) و (كهيعص) و (طه) و(صاد)و (قاف) و (حم) وغيرذلك على وجوه فقال بعضهم انها إسم من أسماء القرآن ذهب اليه قتادة ومجاهـد وابن جريج وقال بعضهم هي فواتح يفتتح بها القرآن ، روي ذلك عن مجاهد أيضاً واختاره البلخي وفائدتها أن يعلم ابتداء السورة وانقضاء ما قبلها وذلك معروف في كلام العرب وأنشد بعضهم

بل وبلدة ما الأنس من أهلها «١»

ويقول آخر   بل ما هيج أحزانا وشجواً قد شجا

وقوله(بل)ليس من الشعر وانما أراد أن يعلم أنه قطع كلامه وأخـذ في غيره وأنه مبتدأ الذي أخذ فيه غير ناسق له على ما قبله وقال بعضهم هي اسم للسورة روي ذلك عن زيد بن أسلم والحسن وقال بعضهم هي اسم الله الأعظم وروي ذلك عن السدي اسماعيل وعن الشعبي وقال بعضهم هي قسم اقسم الله به وهي من اسمائه وروي ذلك عن ابن عباس وعكرمة وقال قوم هي حروف مقطعـة من اسماء واقعاً كل حرف من ذلك بمعنى غير معنى الحرف الآخر يعرفه النبي صلى الله عليه وآله نحو قال الشاعر

نادوهم أن ألجموا ألاتا   قالوا جميعاً كلهم ألافا

«١» في اللسان وفي تفسير الطبري (اهلها)

يريد ألا تركبون قالوا ألا فاركبوا وقال آخر :

قلنا لها قفي فقالت قاف

بمعنى قالت انا واقفه . روى ذلك أبوالضحى عن ابن عباس وعن ابن مسعود وجماعة من الصحابة وقال بعضهم هي حروف هجاء موضوعة . روي ذلك عن مجاهد وقال بعضهم هي حروف هجاء يشتمل كل حرف على معان مختلفة . روي ذلك عن أنس واختاره الطبري وقال بعضهم هي حروف من حساب الجمل وقال بعضهم لكل كتاب سر وسر القرآن في فواتحه. هذه أقوال المفسرين فاما أهل اللغة فانهم اختلفوا فقال بعضهم هي حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام ثمانية وعشرين حرفا كما يستغنى بذكر أ ب ت ث عن ذكر الباقي وبذكر قفا نبك عن ذكر باقي القصيدة قالوا ولذلك رفع ذلك الكتاب لأن معناه عن الألف واللام والميم من الحروف المقطعة وقوله ذلك الكتاب الذي أنزلته اليك مجموعاً لا ريب فيه كما قالوا في أبي جاد أ ب ت ث ولم يذكروا باقي الحروف وقال راجز بني أسد :

لما رأيت أمرها في حطي   أخذت منها بقرون شمط

فاراد الخبر عن المرأة بانها من أبي جاد فاقام قوله في حطي مقامه لدلالة الكلام عليه وقال آخرون بل ابتدئت بذلك أوائل السور ليفتح لاستماعه أسماع المشركين اذ تواصوا بالاعراض عن القرآن حتى اذا استمعوا له ، تلا عليهم آلم . وقال بعضهم الحروف التي هي اوائل السور حروف يفتتح الله بها كلامه وقال ابو مسلم : المراد بذلك ، ان هـذا القرآن الذى عجزتم عن معارضته ، ولم تقدروا على الاتيان بمثله هو من جنس هـذه الحروف التي تتحاورون بها في كلامكم وخطابكم ، فحيث لم تقدروا عليه فاعلموا انه من فعل الله ، وانما كررت في مواضع استظهاراً في الحجة وحكي ذلك عن قطرب . وروي في اخبارنا ان ذلك من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، واختاره الحسين بن علي المغربي واحسن الوجوه التي قيلت قول من قال : انها اسماء للسور خص الله تعالى بها بعض السور بتلك كما قيل للمعوذتين :

المقشقشتان ، أي تبرءان من النفاق ، وكما سميت الحمد أم القرآن وفاتحة الكتاب .
ولا يلزم أن لا تشترك سورتان أو ثلاث في إسم واحـد ، وذلك أنه كما يشترك جماعة من الناس في إسم واحد ، فاذا اريد التميز زيد في صفتـه ، وكذلك اذا أرادوا تمييز السورة قالوا : الم ذلك ، الم الله ، الم ، وغير ذلك . وليس لأحد أن يقول : كيف تكون أسماء للسور ، والاسم غير المسمى ، فكان يجب ألا تكون هذه الحروف من السورة ، وذلك خلاف الاجماع . قيـل : لا يمتنع أن يسمى الشيء ببعض ما فيه ، ألا ترى انهم قالوا : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، ولا خلاف انها اسماء للسور وان كانت بعضاً للسور ، ومن فرق بين الأشخاص وغيرها في هذا المعنى : فاوجب في الأشخاص أن يكون الاسم غير المسمى ولم يوجب في غيرها ، فقد أبعـد ، لأنه لا فرق بين الموضعين على ما مضى القول فيه ، ولا يلزم أن تسمى كل سورة بمثل ذلك ، لأن المصلحة في ذلك معتبرة ، وقد سمى الله كل سورة بتسمية تخصها وإن لم تكن من هذا الجنس ، كما انه لما سمى الحمد باسمائها لم يلزم ذلك في كل سورة .

وقيل انها أوائل أسماء يعلم النبي (ص) تمامها ، والغرض بها ، نحو ما رويناه عن ابن عباس ، كما قال الشاعر :

سألتها الوصل فقالت : قاف

يعني : وقفت . وقال آخر :

بالخير خيرات وإن شراً فا

يريد : فشراً ، وقال آخر :

ولا أريد الشر إلا أن تا

يعني : إلا أن تشاء . وقال آخر :

ما للظليم«١» عال«٢» كيف لا يا ينقد عنـه جلده اذا يا

«١» الظليم : ذكر النعام «٢» عال : دعاء عليه من قولهم : عال عوله أي ثكلته أمه فاختصر في الطبعة الايرانية « غال » بدل « عال » و « ينقل » بدل « ينقد » و « جلد » بدل « جلده » والصحيح ما ذكرناه .

أي : اذا يفزع . فعلى هذا يحتمل ان يكون الالف : انا ، واللام : الله ، والميم : اعلم ، وكذلك القول فى لحروف ، وعلى هذا لا موضع (لالف لام ميم) من الاعراب ، وعلى قول من قال انها اسماء السور موضعها الرفع ، كأنه قال هذه الم ، او يكون ابتداءه ويكون خبره ذلك الكتاب ، واجمع النحويون على ان هذه الحروف وجميع حروف الهجاء مبنية على الوقف لا تعرب ، كما بني العدد على الوقف ، ولأجل ذلك جاز ان يجمع بين ساكنين كما جاز ذلك في العدد ، تقول واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اربعة ، فتقطع الف اثنين وهي الف وصل ، وتذكر الهاء في ثلاثة واربعة ، فلو لم تنو الوقف لقلت ثلاث بالثاء . وحكي عن عاصم في الشواذ وغيره المٓ الله بقطع الهمزة ، الباقون بفتح الميم ، وقالوا فتح الميم لالتقاء الساكنين وقال قوم: لأنه نقل حركة الهمزة اليه ، واختار ابو علي الاول ، لأن همزة الوصل تسقط في الوصل ، فلا يبقى هناك حركة تنقل ، وانشد في نقل حركة همزة الوصل قول الشاعر

اقبلت من«١» عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف

فيكتبان في الطريق لام الف

ومتى أجريتها مجرى الأسماء لا الحكاية واخبرت عنها ، قلت : هذه كاف حسنة ، وهذا كاف حسن ، وكذلك باقي الحروف فتذكر وتؤنث ، فمن أنث قصد الكلمة ، ومن ذكر قصد الحرف ، فأما إعراب : ابي جاد ، هواز ، وحطي وكلمن ، فزعم سيبويه انها مصروفات ، تقول : علمت ابا جاد ، ونفعني ابو جاد ، وانتفعت بأبي جاد . وكذلك : هوازٌ ، وهوازٍ ، وهوازاً . وحطياً ، وحطيٌ ، وحطيٍ ، وأما كلمن وسعفص وقرشيات فأعجميات، تقول : هذه كلمن، وتعلمت كلمن ،وا نتفعت بكلمن ، وكذلك سعفص وقرشيات اسم للجمع مصروفة لأجل الألف والتاء . وأما معنى ابي جاد ، فقال الضحاك : انها اسماء الايام الستة التي خلق الله تعالى فيها الدنيا وقال الشعبي : انها أسماء ملوك مدين ، وانشد :

«١» في الطبعة الايرانية « عن » والصحيح ما ذكرنا

ألا ياشعيب قـد نطقت مقالة　　سببت بها عمرواً وأوحى بني عمرو

ملوك بني حطي وهواز منهم　　وسعفص أهـل للمكارم والفخر

هم صبحوا أهـل الحجاز بغارة　　لميل شعاع الشمس أومطلع الفجر

وروي عن ابن عباس ان لأبي جاد حديثاً عجيباً ، ابي : آدم جـد في اكل الشجرة ، وهواز : فزل آدم فهوى من السماء الى الارض . واما حطي فحطت عنـه خطيئته واما كلمن فأكل من الشجرة ومنّ عليـه بالتوبة . وسعفص : عصى آدم فاخرج من النعيم الى الكبد «١» . وقرشيات : اقر بالذنب فسلم من العقوبة ، وهذا خبر ضعيف يتضمن وصف آدم ، وهو نبي بما لا يليق به .

وقال قوم: انها حروف من أسماء الله ، وروي ذلك عن معاوية بن قرة عن النبي (ص) .

ذلكَ الكتابُ

هذه لفظة يشار بها الى ما قرب، وذلك الى ما بعد ، وذاك الى ما بينهاويحتمل أن يكون معنى ذلك ههنا هذا ؛ على قول عكرمة وجماعة من أهل العربية كالاخفش وأبي عبيدة وغيرها ؛ قال :

أقول له والرمح يأطر«٢» متنه　　تأمل خفافاً انني أنا ذلكا

أي انني انا هــذا . وقال تعالى ذلك عالم الغيب والشهادة ، وهو موجود في الحـال وانما جاز أن يستعمل هـذا ، وهي اشارة الى حاضر ، بمعنى ذلك وهي اشارة الى غايب لأنه كالحاضر عند الغايب . ألا ترى ان الرجل يحدث حديثاً فيقول السامع هـذا كما قلت وربما قال ان ذلك كما قلت وانما جاز ذلك لقرب جوابه من كلام المخبر ، وكذلك لما قال تعالى (آلم) وذكرنا معنى ذلك ، قال لنبيه : يامحمد هذا الذي ذكرته وبينتـه ، ذلك الكتاب . فلذلك حسن وضع ذلك في مكان هـذا ، إلا أنه اشارة الى ما مضى . وقال قوم : ان معناه ذلك الكتاب الذي وعـدوا به على لسان موسى وعيسى كما قال الذين اتيناهم الكتاب

«١» الكبد :الشدة . «٢» في الطبعة الايرانية (ناظر) والصحيح ما ذكرناه كما في الاغاني

يعرفونه كما يعرفون ابناءهم يعني : هذا ذلك الكتاب . وقال قوم : انما اشار الى ما كان نزل من القرآن بمكة من السور فقال ذلك ، والأول اقوى لأنه اشبه باقوال المفسرين . واما من حمل ذلك على انه اشار به الى التوراة والانجيل فقد ابطل لأنه وصفه بانه لا ريب فيه وانه هدى للمتقين ، ووصف ما في ايديهم بانه مغير محرّف في قوله :« يحرفون الكلم عن مواضعه» «١»

قوله تعالى :

لا رَيْبَ فيهِ :

القراءة — قرأ ابن كثير بوصل الهاء بياء في اللفظ ، وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة فان كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو . ووافقه حفص في قوله: فيه مهانا . ووافقه المنسى في قوله : واشركه في أمري . ووافقه قتيبة في قوله : فملاقيه وسأصليه . فمن كسر الهاء مع ان الأصل الضمة فلأجل الياء والكسرة اللتين قبلها . والهاء تشبه الألف لأنها من حروف الحلق ولما فيها من الخفاء : فكما نحوا بالألف نحو الياء بالامالة لأجل الكسرة والياء كذلك كسروا الهاء للكسرة والياء لتتجانس الصورتان، وذلك حسن وتركوا الاشباع كراهية اجتماع المقاربة كما كرهوا اجتماع الامثال ، ومن أشبع وأتبعها الياء ، فان الهاء وإن كانت خفيـة فليس يخرجها ذلك من ان تكون كغيرها من حروف المعجم التي لا خفاء فيها نحو الراء والصاد وان الهاء والنون عنـد الجميع في وزن الشعر بمنزلة الراء والصاد وان كان في الراء تكرير وفي الصـاد استطالة ، فاذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها

المعنى :

ومعنى لا ريب فيه ، أي لا شك فيه . والريب الشك ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وعطاء والسدي وغيرهم . وقيل : هو أشد الشك وهو مصدر رابني الشيء

«١» سورة النساء آية ٤٥

يريبني قال ساعدة بن جويه الهذلي :

وقالوا تركن الحي قد حصروا به فلا ريب ان قد كان ثم لحيم

أي أطافوا به واللحيم القتيل ، يقال لحم اذا قتل والهاء فيه عائدة على الكتاب ويحتمل ان يكون لا ريب فيه خبراً ، والمعنى انه حق في نفسه ، ولا يكون المراد به انه لا يقع فيه ريب لأن من المعلوم أن الريب واقع فيه من الكفار وفي صحته ويجري ذلك مجرى الخبر اذا كان مخبره على ما هو به في أنه يكون صدقا وان كذبه قوم ولم يصدقوه . ويحتمل أن يكون معناه الأمر أي تيقنوه ولا ترتابوا فيه

قوله تعالى :

هُدىً لِلمتَّقِينَ

المعنى :

معناه نور وضياء ودلالة للمتقين من الضلالة وانما خص المتقين بذلك وان كان هدى لغيرهم من حيث انهم هم الذين اهتدوا به وانتفعوا به كما قال :

« انما تنذر من اتبع الذكر » «١» وان كان انذر من لم يتبع الذكر ويقول القائل : في هذا الأمر موعظة لي اولك وان كان فيه موعظة لغيرها . ويقال هديت فلانا الطريق اذا أرشدته ودللته عليه ، أهديه هداية

الاعراب :

ويحتمل ان يكون منصوبا على الحال من الكتاب وتقديره ذلك الكتاب هاديا للمتقين وذلك يكون مرفوعاً بآلم . والكتاب نعت لذلك ، ويحتمل ان يكون حالا من الهاء في (فيه) ، كأنه قال : لا ريب فيه هاديا ويحتمل ان يكون رفعاً من وجوه :

أولها — ان يكون خبراً بعد خبر كأنه قال : هذا كتاب هدى أي قد جمع انه الكتاب الذي وعدوا به وانه هدى كما يقولون: هـذا حلو حامض يريدون انه

«١» سورة يس آية ١١

قد جمع الطعمين . ويحتمل ان يكون رفعاً بانه خبر ابتداء محذوف وتقديره هو هدى لأن الكلام الأول قد تم ويحتمل ان يكون رفعه على قولك ذلك الكتاب لا ريب كأنك قلت : هذا الكتاب حق لأن لا شك بمعنى حق . ثم قال بعد ذلك فيه هدى للمتقين . وهدى يذكر في جميع اللغات وحكي عن بعض بني اسد هذه هـــدى حسنة تدغم النون في اللام عند الاكثر (والمتقين) مجرور باللام والمتقي هو الذي يتقي بصالح اعماله عذاب الله مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينه وبينه كما قال ابو حية النميري :

والقت قناعاً دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم

وقيل ان المتقين هم الذين اتقوا ما حرم عليهم وفعلوا ما وجب عليهم . وقيل ان المتقين هم الذين يرجون رحمة الله ويحذرون عقابه . وقيـل ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق وهذا الوجه ضعيف لأنه يلزم عليه وصف الفاسق المتهتك بانه متق اذا كان بريأ من الشرك والنفاق . وأصل الاتقاء الحجز بين الشيئين ومنه اتقاه بالترس لأنه جعله حاجزاً بينه وبينه واتقاه بحق كذلك ومنه الوقاية لأنها تحجز بين الرأس والاذى .

ومنه التقية في اظهار خلاف الابطان . والفرق بينه وبين النفاق : ان المنافق يظهر الخير ويبطن الشر ، والمتقي يظهر القبيح ويبطن الحسن . ويقال وقاه يقيه وقاية وتوقاه توقياً.

قوله تعالى

اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

آية بلا خلاف

الذين في موضع خفض لأنه نعت للمتقين ، ويجوز ان يكون رفعاً على الابتداء (ويؤمنون) رفع لأنه فعل مستقبل والواو والنون في موضع رفع لأنه كناية عن الفاعل ، والنون الأخيرة مفتوحة لانها نون الجمع والصلاة نصب لأنها مفعول به . والايمان في اللغة هو التصديق ، ومنه قوله : وما انت بمؤمن لنا . أي بمصدق لنا . وقال : (يؤمنون بالجبت والطاغوت) «١» وكذلك هو في الشرع

«١» سورة النساء آية ٥٠

عند أكثر المرجئة ، والمراد بذلك التصديق بجميع ما اوجب الله اوندبه او اباحة وهو المحكي عن ابن عباس في هذه الآية لأنه قال : الذين يصدقون بالغيب .

وحكى الربيع بن انس انه قال : الذين يخشون بالغيب · وقال: معناه يطيعون الله في السر والعلانية . وقيل : إن الايمان مشتق من الامان ، والمؤمن من يؤمن نفسه من عذاب الله ، والله المؤمن لاوليائه من عذابه وذلك مروي في اخبارنا وقالت المعتزلة باجمعها : الايمان هو فعل الطاعة ، ومنهم من اعتبر فرائضها ونوافلها ، ومنهم من اعتبر الواجب منها لا غير ، واعتبروا اجتناب الكبائر من جملتها .

وروي عن الرضا عليه السلام : ان الايمان هو التصديق بالقلب والعمل بالاركان والقول باللسان . وقد بينا الاقوى من ذلك في كتاب الاصول .

واما (الغيب) فحكي عن ابن عباس انه قال : ما جاء من عند الله . وقال جماعة من الصحابة كابن مسعود وغيره : ان الغيب ما غاب عن العباد علمه من امر الجنة والنار والأرزاق والاعمال وغير ذلك ، وهو الاولى لأنه عام ، ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من زمان الغيبة ووقت خروج المهدي عليه السلام . وقال قوم : الغيب هو القرآن ، حكي ذلك عن زر بن جيش . وذكر البلخي ان الغيب كل ما ادرك بالدلائل والآيات مما تلزم معرفته · وقال الرماني : الغيب خفاء الشيء عن الحس قرب أو بعد إلا انه قد كثرت صفة الغائب على البعيد الذي لا يظهر للحس .

واصل الغيب من غاب . يقولون : غاب فلان يغيب ، وليس الغيب ما غاب عن الادراك لأن ما هو معلوم وان لم يكن مشاهداً ، لا يسمى غيباً ، والأولى ان تحمل الآية على عمومها في جميع من يؤمن بالغيب ، وقال قوم : انها متناولة لمؤمني العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب ، قالوا بدلالة قوله فيما بعد (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) قالوا ولم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي انزله الله على نبيه تدين بتصديقه ، وانما الكتاب لأهل الكتابين وهذا غير صحيح ، لأنه لا يمنع أن تكون الآية الاولى عامة في جميع المؤمنين المصدقين بالغيب وإن كانت الآية الثانية خاصة في قوم لأن تخصيص الثانية لا يقتضي

تخصيص الأولى .

وقال قوم : انها مع الآيتين اللتين بعدها أربع آيات نزلت في مؤمني أهل الكتاب ، لأنه ذكرهم في بعضها . وقال قوم : ان الأربع آيات من أول السورة نزلت في جميع المؤمنين ، واثنتان نزلتا في نعت الكافرين ، وثلاثة عشر في المنافقين وهذا أقوى الوجوه ، لأنه حمل على عمومه ، وحكي ذلك عن مجاهد . وقوله : « يقيمون الصلاة » فاقامتها أداؤها بحدودها وفرائضها وواجباتها ، كما فرضت عليهم يقال : أقام القوم سوقهم إذا لم يعطلوها من البيع والشراء ، قال الشاعر :

أقمنا لأهل العراقين سوق الضراب فخاموا وولوا جميعا

وقال أبو مسلم محمد بن بحر : معنى (يقيمون الصلاة) يديمون أداء فرضها يقال للشيء الراتب قائم ولفاعله مقيم ، ومن ذلك : فلان يقيم أرزاق الجند . وقيل انه مشتق من تقويم الشيء من قولهم : قام بالأمر ، إذا أحكمه وحافظ عليه . وقيل انه مشتق مما فيه من القيام ، ولذلك قيل قد قامت الصلاة .

وأما الصلاة فهي الدعاء في اللغة ، قال الشاعر :

وقابلها الريح في دنّها « ١ »　　وصلى على دنّها وارتسم

أي دعا لها . وقال الأعشى :

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها　　فان ذبحت صلى عليها وزمزما « ٢ »

يعني دعا لها : وأصل الاشتقاق في الصلاة من اللزوم من قوله تصلى ناراً حامية ، والمصدر الصلا ، ومنه اصطلى بالنار إذا لزمها ، والمصلّي الذي يجيء في أثر السابق للزوم أثره ، ويقال للعظم الذي في العجز صلواً ، وهما صلوان .

فأما في الشرع ففي الناس من قال إنها تخصصت بالدعاء والذكر في موضع مخصوص . ومنهم من قال ، وهو الصحيح ، انها في الشرع عبارة عن الركوع والسجود على وجه مخصوص وأركان واذكار مخصوصة . وقيل انها سميت صلاة

« ١ » وفي رواية : ظلها .

« ٢ » الزمزمة : صوت بعيد له دوي .

لأن المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله ونعمه مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته .

وأما الرزق ، فهو ما للحي الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد منعه منه ، وهذا لا يطلق إلا فيما هو حلال فأما الحرام فلا يكون رزقاً لأنه ممنوع منه بالنهي ، ولصاحبه أيضاً منعه منه ، ولأنه أيضاً مدحهم بالانفاق مما رزقهم ، والمغصوب والحرام يستحق الذم على إنفاقه ، فلا يجوز أن يكون رزقاً .

وقوله : (ومما رزقناهم ينفقون) حكي عن ابن عباس انها الزكاة المفروضة يؤتيها احتساباً . وحكي عن ابن مسعود أنها نفقة الرجل على أهله ، لأن الآية نزلت قبل وجوب الزكاة . وقال الضحاك : هو التطوع بالنفقة فيما قرّب من الله والأولى حمل الآية على عمومها فيمن أخرج الزكاة الواجبة والنفقات الواجبة وتطوع بالخيرات .

وأصل الرزق الحظ لقوله: « وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون » « ١ »: أي حظكم ، وما جعله حظا لهم فهو رزقهم .

والانفاق أصله الاخراج ، ومنه قيل : نفقت الدابة إذا خرجت روحها ، والنافقاء ، جحر اليربوع ، من ذلك لأنه يخرج منها . ومنه النفاق لأنه يخرج إلى المؤمن بالايمان والى الكافر بالكفر .

قوله تعالى :

والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ — آية .

القراءة

لا مد القراء الألف من ما إلا حمزة فانه مدها ، وقد لحن في ذلك . وكان

« ١ » سورة الواقعة آية ٨٢ .

يقف قبل الهمزة فيقرأ : وبالآخرة تسكيناً على اللام شيئاً ثم يبتدىء بالهمزة ، وكذلك الارض وشيء يقطع عند الياء من شيء كأنه يقف ثم يهمز . وموضع (ما) خفض بالباء ويكره الوقف على (ما) لأن الألف حرف منقوص .

التفسير

وقال قتادة : « ما أنزل إليك » القرآن « وما أنزل من قبلك » الكتب الماضية ، وقد بينا أن الأولى حمل الآيه على عمومها في المؤمنين ، وذكرنا الخلاف فيه ، والآخرة صفة الدار ، فحذف الموصوف ، قال الله تعالى : « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان » (١) ووصفت بذلك لمصيرها آخرة لأولى قبلها كما يقال : جئت مرة بعد أخرى ، ويجوز أن يكون سميت بذلك لتأخيرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق ؛ وإيقانهم ما جحده المشركون من البعث والنشور والحساب والعقاب . وروي ذلك عن ابن عباس ، والايقان بالشيء هو العلم به ؛ وسمي يقينا لحصول القطع عليه وسكون النفس إليه ،

قوله تعالى :

أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ

القراءة

اولئك بهمزتين ، وفيهم من يخففها وحمزة يمد اولئك واولئك اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة كقولك ذاك في الواحد ، وأولاء جمع ذاك في المعنى ومن قصر قال أولا وأولالك ، واذا أمددته لم يجز زيادة اللام لئلا يجتمع ثقل الهمزة وثقل الزيادة ، وتقول : أولاء للقريب وها أولئك للبعيد وأولئك للمتوسط .

واضيف الهدى الى الله لأحد الأمرين :

احدها : لما فعل بهم من الدلالة على الهدى والايضاح له ، والدعاء اليه .

الثاني : لأنه يثيب عليه ، فعلى هذا يضاف الايمان بأنه هداية من الله .

(١) سورة العنكبوت آية ٦٤ .

[وهدى] في موضع خفض بعلى . ومعنى (على هدى) : أي على حق وخير بهداية الله إياهم ودعائه الى ما قالوا به ، ومن قال : هم على نور واستقامة أو بيان ورشد ، فهو داخل تحت ما قلنا ، والاولى أن يكون ذلك عاماً فيمن تقدم ذكره في الآيتين ، ومن خص ذلك فقد ترك الظاهر، لأن فيهم من خصها بالمعنيين في الآية الاولى ، وفيهم من خصها بالمذكورين في الآية الثانية ، وقد بينا أن الجمع محمول على العموم وحملها على العموم في الفريقين محكي عن ابن عباس وابن مسعود .

[والمفلحون] هم المنجحون الذين أدركوا ما طلبوا من عند الله بأعمالهم وإيمانهم . والفلاح : النجاح . قال الشاعر :

اعقلي إن كنت لما تعقلي ولقد أفلح من كان عقل

يعني من ظفر بحاجته وأصاب خيراً . وتقول أفلح يفلح إفلاحا وتقول فلح يفلح فلاحاً وفلاحا والفلاح البقاء أيضاً . قال لبيد

نحل بلاداً كلها حل قبلنا ونرجو فلاحاً «١» بعد عاد وحمير

يعني البقاء وأصل الفلح القطع ، فكأنه قطع لهم بالخير ، ومنه قيل للاكار فلاحاً لأنه يشق الأرض ، والفلاح المكاري لأنه يقطع الارض قال الشاعر:

إن الحديد بالحديد يفلح

وفى اولئك لغات : فلغة أهل الحجاز : أوليك بالياء ، وأهل نجد وقيس وربيعة وأسد يقولون : اولئك بهمز . وبعض بني سعيد من بني تميم يقولون : الألك مشددة ، وبعضهم يقول : الالك . قال الشاعر :

ألا لك قوم لم يكونوا أشابة «٢» وهل يعظ الضليل إلا ألالكا

وهم دخلت للفصل . قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ: آية

النزول ـ نزلت في أبي جهل وفي خمسة من قومه من قادة الاحزاب قتلوا يوم بدر في قول الربيع بن أنس ، واختاره البلخي والمغربي . وقال ابن عباس : نزلت في قوم

«١» وفي نسخة (الفلاح) «٢» الاشابة من الناس الأخلاط

باعيانهم من أحبار اليهود ذكرهم باعيانهم ، من اليهود الذين حول المدينة . وقال قوم : نزلت في مشركي العرب ، واختار الطبري قول ابن عباس . والذي نقوله إنه لابد أن تكون الآية مخصوصة لأن حملها على العموم غير ممكن ، لأنا علمنا أن في الكفار من يؤمن فلا يمكن العموم ، وأما القطع على واحد مما قالوه فلا دليل عليه ، ويجب تجويز كل واحد من هذه الاقوال ، ومن مات منهم على كفره يقطع على أنه مراد بالآية ، فعلى هذه قادة الاحزاب مرادون على ما قال ربيع بن انس ومن قتل يوم بدر كذلك ومن قال ان الآية مخصوصة بكفار اهل الكتاب قال : لأن ما تقدمها مختص بمؤمنيهم فيجب ان يكون ما يعقبها مختصاً بكفارهم وقد قلنا إن الآية الاولى حملها على عمومها اولى ولو كانت خاصة بهم لم يجب حمل هذه الآية على الخصوص لما تقدم فيما مضى . والذين نصب بأن . والكفر هو الجحود والستر ولذلك سمي الليل كافراً لظلمته قال الشاعر :

فتذكرا نقلا رشيداً بعد ما ألقت ذكاء «١» يمينها في كافر

وقال لبيد :

في ليلة كفر النجوم غمامها

يعني غطاها .

والكافور اكمام الكرم الذي يكون فيه والكفري وعاء الطلعة لأنه يستر الاب ومنه قوله تعالى : (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) «٢» وسمي الزارع كافراً لتغطيته البذر ويقال فلان متكفر بالسلاح اذا تغطى به . وفي الشرع عبارة عمن جحد ما اوجب الله عليه معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه والاقرار بما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئاً من ذلك كان كافراً وربما تعلقت به احكام مخصوصة من منع الموارثة والمناكحة والمدافنة والصلاة عليه وربما لم يتعلق بحسب الدليل عليه.

قوله تعالى :(سواء عليهم ءأنذرتهم) جمع بين الهمزتين أهل الكوفة وابن عامر

«١» وتصحيح البيت : ثقلا بدل نقلا ورثيداً بدل رشيداً ورثد المتاع وغيره فهو مرثود: وضع بعضه فوق بعض والثقل بيض النعام . ذكاء : الشمس .

«٢» سورة الحديد آية : ٢٠

إلا الحلواني وكذلك في كل همزتين في كلمة واحدة اذا كانت الاولى للاستفهام إلا في مواضع مخصوصه نذكرها فيما بعد الباقون بتخفيف الاولى وتليين الثانية وفصل بينهما بالألف أهل المدينة إلا ورشاً وابا عمرو والحلواني عن هشام .

ومعنى قوله (سواء) أي معتدل مأخوذ من التساوي كقولك متساو وتقول : هذان الأمران عندي سواء أي معتدلان ، ومنه قوله : (فانبذ اليهم على سواء)«١» يعني بذلك اعلمهم وآذنهم للحرب ليستوي علمك وعلمهم بما عليه كل فريق منكم للاخر ومعناه : أي الامرين كان منك اليهم الانذار أم ترك الانذار فانهم لا يؤمنون · وقال عبدالله بن قيس الرقيات :

تعدت بي الشهباء نحو ابن جعفر   سواء عليها ليلها ونهارها

يعني بذلك عندها معتدل في السير الليل والنهار ، لأنها لا فتور فيه ومنه قول الآخر :

وليل يقول المرء من ظلماته   سواء صحيحات العيون وعورها

لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصراً ضعيفاً من ظلمته ، وهذا لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر ، وله نظائر في القرآن ، كما تقول ما أبالي أقمت أم قعدت ، وانت مخبر لا مستفهم لأنه وقع موقع أي ، كأنك قلت لا أبالي أيّ الامرين كان منك وكذلك معنى الآية : سواء عليهم أيّ هذين منك اليهم حسن في موضعه ، سواء فعلت أم لم تفعل . وقال بعض النحويين ان حرف الاستفهام انما دخل مع سواء وليس باستفهام ، لأن المستفهم اذا استفهم غيره قال : أزيد عندك أم عمرو ويستفهم صاحبه ايهما عنده وليس احدهما احق بالاستفهام من الآخر فلما كان قوله : (سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم) بمعنى التسويه أشبه ذلك الاستفهام اذ شبهه بالتسوية ، وقال جرير :

الستم خير من ركب المطايا   واندى العالمين بطون راح

فهذا في صورة الاستفهام وهو خبر ، لأنه لو أراد الاستفهام لما كان مدحاً وقال آخر :

«١» سورة الانفال آية ٥٩

سواء عليه أي حين أتيته   أساعة نحس تتقى أم باسعد

ولا يجوز أن تقع أو في مثل هذا مكان أم لأن أم هي التي تعادل بها الهمزة لا أو .

والفرق بينهما ان أو يستفهم بها عند أحد الامرين هل حصل أم لا وهو لا يعلمها معاً كقول القائل : أذّن أو أقام ؟ اذ المراد تعلمها ، فاذا علم واحداً منها ولم يعلمه بعينه قال أذن أم اقام ؟ يستفهم عن تعيين أحدهما هذا في الاستفهام . وفي الخبر تقول : لا أبالي أقمت أم قعدت . أي هما عندي سواء ولا يجوز ان تقول لا أبالي أقمت أوقعدت لأنك لست بمستفهم من شيء .

وحكي عن عاصم الجحدري انه قرأ سواو بواو مضمومة لا بهمزة وهذا غلط لأن العرب كلها تهمز ما بعده مده ، يقولون: كساء ورداء وهواء وجزاء وغير ذلك . وأما الانذار فهو اعلام وتخويف ، وكل منذر معلم وليس كل معلم منذراً وقد سمى الله نفسه بذلك فقال : (انا انذرناكم عذاباً قريباً) «١» لأن الاعلام يجوز وصفه به والتخويف أيضاً كذلك في قوله : (ذلك يخوف الله به عباده) فاذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بلفظ يشتمل عليها وانذرت فعل متعد الى مفعولين كقوله تعالى : (انذرتكم صاعقة) (وانا انذرناكم عذاباً قريباً)وقد وردمعداً بالباء في قوله تعالى : (قل انما انذركم بالوحي) «٢» وقيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه الاحتراز ، فان لم يتسع زمانه للاحتراز كان اشعاراً ولم يكن انذاراً . قال الشاعر :

انذرت عمراً وهو فى مهل   قبل الصباح فقد عصى عمرو

فان قيل الذين علم الله منهم انهم لا يؤمنون ، هل كانوا قادرين على الايمان أم لا ؟ فان قلتم ما كانوا قادرين ، وقد كلفهم الله تعالى الايمان ، فقد كلفهم ما لا يقدرون عليه ، وهذا لا يجوز ـ وان كانوا قادرين ـ فقد قلتم : انهم كانوا قادرين على تجهيل الله . قلنا : هذا يلزم المخالف مثله ، فانه لا خلاف أنهم مأمورون

«١» سورة النساء : آية ٤٠

«٢» سورة الانبياء : آية ٤٥

بالايمان ، فيقال لهم : انه لا يجب ذلك كما لا يجب اذا كانوا مأمورين بالايمان ، ان يكونوا مأمورين (بابطال ما علم الله) «١» أليس الله قد علم انه لا يقيم القيامة اليوم ؟ ايقولون : انه قادر على اقامتها أم لا ؟ فان قلتم : انه لا يقدر ، فقد عجزتم الله . وان قلتم : انه يقدر ، فقد قلتم : انه يقدر على ان يجهل نفسه . والجواب الصحيح عن ذلك : أن العلم يتناول الشيء على ما هو به ، ولا يجعله على ما هو به ، فليس يمتنع ان يعلم حصول شيء بعينه ، وان كان غيره مقدورا ألا ترى أن من خيّر بين الصدق والكذب وقد علم أن كل واحد منهما يقوم مقام صاحبه في باب الغرض وقد علم قبح الكذب وحسن الصدق لا يجوز أن يختار الكذب على الصدق ـ وان كان قادراً على الكذب ـ فبان بذلك صحة ما قلناه

قوله تعالى

خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ـ آية

القراءة — أجمع القراء السبعة على كسر الغين وضم التاء ، وروي عن بعض القراء فتح الغين ، وعن الحسن ضم الغين . وحكي عن عاصم في الشواذ : غشاوةً ، بنصب التاء ، ولا يقرأ بجميع ذلك .

التفسير

(ختم الله على قلوبهم) أي شهد عليها بانها لا تقبل الحق ، يقول القائل : أراك تختم على كل ما يقول فلان ، أي تشهد به وتصدقه ، وقد ختمت عليك بانك لا تعلم ، أي شهدت ، وذلك استعارة . وقيل ان ختم بمعنى طبع فيها أثراً للذنوب كالسمة والعلامة لتعرفها الملائكة فيتبرءوا منهم ، ولا يوالوهم ، ولا يستغفروا لهم مع استغفارهم للمؤمنين . وقيل : المعنى في ذلك أنه ذمهم بانها كالمختوم عليها في انها لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر ، قال الشاعر :

«١» ما بين القوسين وضعه المصحح في الطبعة الايرانية .

لقد أسمعت لو ناديت حياً　　ولكن لا حياة لمن تنادي

أي كأنه لا حياة فيه . والختم آخر الشيء ومنه قوله تعالى : (ختامه مسك)«١» ومنه : خاتم النبيين أي آخرهم . ومنه : ختم الكتاب لأنه آخر حال الفراغ منه والختم الطبع والخاتم الطابع .

وما يختم الله على القلوب من السمة والعلامة التي ذكرناها ليست بمانعة من الايمان كما أن ختم الكتاب والظرف والوعاء لا يمنع من أخذ ما فيه .

وحكي عن مجاهد أنه قال : الرّين أيسر من الطبع والطبع أيسر من الختم ومن الاقفال والقفل اشد من ذلك .

وقيل : إن قوله تعالى : (ختم الله) إخبار عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما يقال : فلان اصم عن هذا الكلام اذا امتنع عن سماعه ورفع نفسه عن تفهمه .

والغشاوة : الغطاء وفيها ثلاث لغات : فتح الغين وضمها وكسرها وكذلك غشوة فيها ثلاث لغات . ويقال : تغشاني السهم اذا تجلله وكل ما اشتمل على شيء مبني على فعالة كالعمامة والقلادة والعصابة وكذلك في الصناعة كالخياطة والقصارة والصياغة والنساجة وغير ذلك وكذلك من استولى على شيء كالخلافة والامارة والاجارة وغير ذلك .

قال ابو عبيدة : (وعلى سمعهم) معناه على اسماعهم ووضع الواحد موضع الجمع لأنه اسم جنس كما قال : (يخرجكم طفلا) (٢) يعني اطفالا . ويجوز ان يكون اراد موضع سمعهم فحذف لدلالة الكلام عليه . ويجوز ان يكون اراد المصدر لأنه يدل على القليل والكثير ، فمن رفع التاء قال : الكلام الأول قد تم عند قوله: (وعلى سمعهم) واستأنف : (وعلى أبصارهم غشاوة) وتقديره : وغشاوة على أبصارهم ، ومن نصب قدّره ، يعني : جعل على أبصارهم غشاوة ، كما قال الشاعر :

«١» سورة المطففين : آية ٢٦

«٢» سورة الحج آية ٥

علفتها تبناً وماء باردا

وقال الآخر :

متقلداً سيفاً ورمحا

لما دل الكلام الأول عليه ، فاذا لم يكن في الكلام ما يدل عليه ، لا يجوز إضماره ، ولا يجوز أن ينصب بالفعل الأول الذي هو الختم ، لأن الختم لا يطلق على البصر ، كما ذكر في قوله تعالى : (وختم على سمعه وقلبه) ثم قال : (وجعل على بصره غشاوة) «١» فلم يدخل المنصوب في معنى الختم . وقال قوم : إن ذلك على وجه الدعاء عليهم ، لا للاخبار عنهم ، وهذا يمكن في قوله تعالى : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وفي قوله (وعلى أبصارهم غشاوة) فيمن نصب غشاوة ، فاما من رفع ذلك ، فلا يكون دعاء . والأقوى أن ذلك خبر ، لأنه خرج مخرج الذم لهم والازراء عليهم ، فكيف يحمل على الدعاء ؟

ويحتمل أن يكون المراد (بختم) أنه سيختم ، ويكون الماضي بمعنى المستقبل ، كما قال : (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) «٢» وعلى هذا يسقط سؤال المخالف

والقلب جعل الشيء على خلاف ما كان . يقال : قلبه يقلبه قلباً ، والقليب البئر لأن الماء ينقلب اليها ، وما به قلبة : أي انقلاب عن صحة ، وفلان حول قلب : اذا كان يقلب الامور برأيه ويحتال عليها ، والقلوب الذئب لتقلبه في الحيلة على الصيد بخبثه ، وسمي القلب قلباً لتقلبه بالخواطر . قال الشاعر :

ما سمي القلب إلا من تقلبه   والرأي يعزب والانسان أطوار

والبصر : مصدر بصر به يبصر بصراً ، بمعنى أبصره ابصاراً . والبصيرة : الابصار للحق بالقلب . والبصائر قطع الدم لأنها ترى كثيرة للغسل .

(ولهم عذاب عظيم) باظهار التنوين ، لأن النون تبين عند حروف الحلق وهي ستة أحرف : العين ، والغين ، والحاء ، والخاء ، والهمزة والهاء ومن هذه الاحرف ما لا يجوز فيه الاخفاء ، وهي العين ، كقوله : « من عند الله » و « من

«١» سورة الجاثية آية ٢٢

«٢» سورة الاعراف آية ٤٣

عليها ». والهمزة ، نحو قوله : « غثاء أحوى » «١» والخاء والغين يجوز إخفاؤهما عندهم على ضعف فيه من قوله : « والمنخنقة » و (ناراً خالدا) (فان خفتم) (من خلفهم) و (ميثاقاً غليظاً) «٢» (ماء غدقا) «٣» (قولا غير الذي) «٤» قال الفراء : أهل العراق يبينون وأهل الحجاز يخفون وكل صواب .

فان قيل : اذا قلتم : ان الله ختم على قلوبهم ، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فكيف يكونون قادرين على الايمان ؟ قيل : يكونون عليه لأن الختم والغشاوة ليسا بشيء يفعلها الله تعالى في القلب والعين يصد بها عن الايمان ، ولكن الختم شهادة على ما فسرناه من الله عليهم بانهم لا يؤمنون ، وعلى قلوبهم بانها لا تعي الذكر ، ولا تعي الحق ، وعلى اسماعهم بأنها لا تصغي الى الحق . وهذا إخبار عمن يُعلم منه أنه لا يؤمن . والغشاوة هي « إلفهم الكفر بحبهم له » «٥» ولم يقل تعالى: إنه جعل على قلوبهم بل أخبر انه كذلك . ومن قرأ بالنصب ـ وإن كان شاذاً ـ يحتمل أن يكون أراد معنى قوله : ان السورة زادتهم رجساً الى رجسهم والسورة لم تزدهم ولكنهم ازدادوا عندها ، وسنوضح ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى .

(ولهم عذاب عظيم) تقديره : ولهم ، بما هم عليه من خلافك ، عذاب عظيم وحكي ذلك عن ابن عباس . وأصل العذاب الاستمرار بالشيء يقال : عذبه تعذيباً : إذا استمر به الألم . وعذب الماء عذوبة : اذا استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب : اذا استمر به العطش فلم يأكل من شدة العطش . وفرس عذوب مثل ذلك . والعذوب الذي ليس بينه وبين السماء ستر . وأعذبته عن الشيء بمعنى فطمته . وعذبة السوط طرفه والعذاب استمرار الألم .

وأصل العظم عظم الشخص ، ومنه عظيم الشأن الغني بالشيء عن غيره

«١» سورة الاعلى آية ٥

«٢» سورة النساء آية ٢٠ و ١٥٣

«٣» سورة الجن : آية ١٦

«٤» سورة البقرة : آية ٥٩

«٥» في الاصل بياض وفي النسخة الايرانية أحمالات استنتجنا منها العبارة الموجودة .

وعظمة الله تعالى كبرياؤه والعظام من العظم لأنه من أكبر ما يركب منه البدن.

قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. آية

التفسير :

(من) لفظ يخبر به عن الواحد من العقلاء، واثنين وجماعة فلما قال : (وما هم بمؤمنين) دل على أنه أراد الجمع وإنما قال : (يقول) بلفظ الواحد حملا له على اللفظ قال الشاعر :

نكن مثل مَنْ ياذئب يصطحبان

وقيل في معنى الناس وجهان :

أحدها – أن يكون جمعاً لا واحد له من لفظه واحدهم إنسان والانثى انسانة

والثاني — أن أصله : أناس فاسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الألف واللام للتعريف ثم أدغمت لام التعريف في النون كما قيل : (لكنا هو الله) واصله : لكن انا .

وقال بعضهم : ان الناس لغة غير اناس، وإلا لقيل في التصغير : انيس رداً الى اصله .

واشتقاقه من النوس : وهو الحركة ناس ينوس نوساً : اذا تحرك والنوس : تذبذب الشيء في الهواء، ومنه نوس القرط في الاذن لكثرة حركته .

ولا خلاف بين المفسرين ان هذه الآية وما بعدها نزلت في قوم من المنافقين من الأوس والخزرج وغيرهم، روي ذلك عن ابن عباس وذكر اسماءهم ولا فائدة في ذكرها . وكذلك ما بعدها الى قوله : (وما كانوا مهتدين) كلها في صفه هؤلاء المنافقين . والمنافق هو الذي يظهر الاسلام بلسانه وينكره بقلبه .

واليوم الآخر هو يوم القيامه وإنما سمي يوم القيامة اليوم الآخر لأنه يوم لا يوم بعده سواه . وقيل : لأنه بعد ايام الدنيا واول ايام الآخرة . فان قيل :

كيف لا يكون بعده يوم ولا انقطاع للاخرة ولا فناء ؟ قيل : اليوم في الآخره يسمى يوماً بليلته التي قبله فاذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم يوماً فيوم القيامة يوم لا ليل بعده فلذلك سماه اليوم الآخر .

وانما قال : (وما هم بمؤمنين) مع قوله : (. . من يقول آمنا بالله) تكذيباً لهم فيما اخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث والنبوة فبين ان ما قالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم وذلك يدل على ان الايمان لا يكون مجرد القول على ما قالته الكرامية .

(يقول) من القول ومنه : تقوّل اذا تخرص القول واقتال فهو مقيال : اذا أخذ نفعاً الى نفسه بالقول أودفع به ضرراً عنها والمقوَل اللسان يُقوّله تقويلا اذا طالبه باظهار القول .

قوله تعالى :

يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . آية .

القراءة :

قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بضم الياء وبألف . الباقون بفتح الياء بلا الف في قوله (وما يخدعون)

اللغة :

قال ابو زيد : خدعت الرجل اخدعه خدعاً بكسر الخاء وخديعة ويقال في المثل : إنك لأخدع من ضب حرشته . وقال ابن الاعرابي : الخادع : الفاسد من الطعام ومن كل شيء وانشد :

ابيض اللون لذيذاً طعمه طيب الريق اذا الريق خدع

اي تغير وفسد . وقال ابو عبيدة : يخادعون بمعنى يخدعون قال الشاعر :

وخادعت المنية عنك سراً فلا جزع الاوان ولا رواعا

التفسير :

وخداع المنافق إظهاره بلسانه من القول أو التصديق خلاف ما في قلبه من الشك والتكذيب ، ليس لأحد ان يقول : كيف يكون المنافق لله ولرسوله وللمؤمنين مخادعاً وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقية ؟ . وذلك ان العرب تسمي من اظهر بلسانه غير ما في قلبه لينجو مما يخافه مخادعاً لمن تخلص منه بما اظهر له من التقية فلذلك سمي المنافق مخادعاً من حيث انه نجا من اجراء حكم الكفر عليه بما اظهره بلسانه فهو وان كان مخادعاً للمؤمنين فهو لنفسه مخادع لأنه يظهر لها بذلك أنه يعطيها أمنيتها وهو يوردها بذلك أليم العذاب وشديد الوبال ، فلذلك قال : « وما يخدعون إلا أنفسهم » .

وقوله : « وما يشعرون » يدل على بطلان قول من قال : إن الله لا يعذب إلا من كفر عناداً بعد علمه بوحدانيته ضرورة ، لأنه أخبر عنهم بالنفاق وبأنهم لا يعلمون ذلك ، والمفاعلة ، وإن كانت تكون من اثنين ، من كل واحد منهما لصاحبه ، مثل ضاربت وقاتلت وغير ذلك ، فقد ورد من هذا الوزن « فاعَلَ » بمعنى (فعلَ) مثل : قاتله الله ، وطابقت النعل ، وعافاه الله ، وغير ذلك . وقد حكينا أن معناه : يخدعون ، كما قال في البيت المقدّم وقيل : إنه لم يخرج بذلك عن الباب ومعناه : ان المنافق يخادع الله بكذبه بلسانه على ما تقدم ، والله يخادعه بخلافه بما فيه نجاة نفسه كما قال . (انما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين) «١» وحكي عن الحسن ان معنى يخادعون الله انهم يخدعون نبيه لأن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله كما قال : (وان يريدوا ان يخدعوك) «٢» وقيل معناه : انهم يعملون عمل المخادع كما يقال فلان يسخر من نفسه ومن قرأ (وما يخادعون) بألف طلب المشاكلة والازدواج كما قال : (وان عاقبتم فعاقبوا) «٣» وكما قال :

«١» سورة آل عمران : آية ١٧٨ .
«٢» سورة الانفال : آية ٦٣ .
«٣» سورة النحل : آية ١٢٦ .

(وجزاء سيئة سيئة مثلها) «١» وكما قال الشاعر :

ألا لا يجهلن احد علينا　　فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال تعالى : (فيسخرون منهم سخر الله منهم) «٢» ومثله كثير . وقيل في حجة من قرأ يخادعون بألف هو ان ينزل ما يخطر بباله ويهجس في نفسه من الخداع بمنزلة آخر يجازيه ذلك ويفاوضه فكأن الفعل من اثنين كما قال الشاعر وذكر حماراً أراد الورود :

تذكر من أنى ومن أين شربه　　يؤامر نفسيه كذي الهجمة الابل «٣»

فجعل ما يكون منه من وروده الماء والتمثل بينها بمنزلة نفسين وقال الآخر :

وهل تطيق وداعاً ايها الرجل

وعلى هذا قول من قرأ : (قال إعلم ان الله على كل شيء قدير) فوصل فخاطب نفسه ونظائر ذلك كثيرة وانما دعاهم الى المخادعة امور

احدها — التقية وخوف القتل

والثاني — ليكرموهم إكرام المؤمنين .

الثالث — ليأنسوا اليهم في اسرارهم فينقلوها الى اعدائهم . والخداع مشتق من الخدع وهو اخفاء الشيء مع ايهام غيره ومنه المخدع : البيت الذي يخفى فيه الشيء فان قيل : أليس الكفار قد خدعوا المؤمنين بما اظهروا بالسنتهم حتى حقنوا بذلك دماءهم واموالهم ـ وان كانوا مخدوعين في أمر آخرتهم ـ قيل : لا نقول خدعوا المؤمنين لأن اطلاق ذلك يوجب حقيقة الخديعة لكن نقول : خادعوهم وما خدعوهم بل خدعوا انفسهم ، كما قال في الآية ، ولو أن انساناً قاتل غيره ، فقتل نفسه جاز أن يقال : انه قاتل فلاناً ، فلم يقتل إلا نفسه ، فيوجب مقاتلة صاحبه ، وينفي عنه قتله .

والنفس مأخوذة من النفاسة ، لأنها أجل ما في الانسان . تقول : نفس

«١» سورة الشورى : آية ٤٠

«٢» سورة التوبة : آية ٨٠

«٣» في الطبعة الايرانية نفسه بدل نفسيه

ينفس نفاسة : اذا ضن به ، وتنافسوا في الأمر : اذا تشاحوا . والنفس : الروح . ونفس عنه تنفيساً : اذا روح عن نفسه . والنفس : الدم ، ومنه النفساء ، ونفست المرأة . والنفس : خاصة الشيء ، وقوله : « وما يشعرون » يعني وما يعلمون ، يقال ما شعر فلان بهذا الأمر وهو لا يشعر به اذ لم يدر ، شعراً وشعوراً ومشعوراً قال الشاعر :

عقوا بسهم فلم يشعر به احد ثم استفاءوا وقالوا حبذا الوضح «١»

يعني : لم يعلم به أحد . واصل الشعر : الدقة شعر به يشعر : اذا اعلمه بأمر يدق ومنه الشعيرة والشعير ، لأن في رأسها كالشعر في الدقه . والمشاعر : العلامات في مناسك الحج كالموقف والطواف ، وغيرها . واشعرت البدنة ، اذا اعلمتها على انها هدي . والشعار ما يلي الجسد ، لأنه يلي شعر البدن .

الاعراب :

(إلا انفسهم) نصب على الاستثناء .

قوله تعالى :

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ـ آية .

القراءة :

امال الزاي ابن عامر والحلواني وحمزة ، وقرأ اهل الكوفة بفتح الياء يكذبون مخففاً .

اللغة والتفسير :

يقال زاد يزيد زيادة «٢» وقال الشاعر

كذلك زيد المرء بعد انتقاصه

«١» في الطبعة الايرانية بدل (عقوا) عفوا وبدل (استفاءوا) استقادوا وبدل (وقالوا) فقالوا

«٢» وزيداً وزيداً وزيداً ومزيداً وزيداناً

و (زدت) فعل يتعدى الى مفعولين ، قال تعالى (وزدناهم هدى وزدناهم عذاباً فوق العذاب) وزاده بسطة في العلم والجسم وقوله [فزادهم ايمانا] والمعنى: زادهم فوق الناس لهم ايماناً اضمر المصدر في الفعل ، واسند الفعل اليه ، كما قال [ما زادهم إلا نفورا] « ١ » أي ما زادهم مجيء النذير ، والمعنى ازدادوا عنده وقال ابو عبيدة المرض الشك والنفاق ، وقيل في قوله : [فيطمع الذي في قلبه مرض] أي فجور ، وقال سيبويه : مرضته قمت عليه ، ووليته ، وامرضته : جعلته مريضاً .

وقيل إن المرض الغم والوجع من الحسد والعداوة لكم [فزادهم الله مرضاً] دعاء عليهم ، كما قال تعالى : [ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم « ٢ » واصل المرض : السقم في البدن فشبه ما في قلوبهم من النفاق والشك بمرض الاجساد .

والأليم بمعنى المؤلم الموجع : فعيل بمعنى مفعل : مثل بديع بمعنى مبدع ، ومكان حريز بمعنى محرز . قال ذو الرمة :

يصك وجوهها وهج اليم

فان قيل اذا كان معنى قوله : (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق ، ثم قال : [فزادهم الله مرضاً] ثبت ان الله يفعل الكفر بخلاف ما تذهبون اليه . قيل : ليس الأمر على ما ذكرتم ، بل معناه : إن المنافقين كانوا كلما أنزل الله آية أوسورة كفروا بها ، فازدادوا بذلك كفراً الى كفرهم ، وشكاً الى شكهم ، فجاز لذلك أن يقال : فزادهم الله مرضاً لما ازدادوا هم مرضاً عند نزول الآيات : ومثل ذلك قوله حكاية عن نوح : [رب اني دعوت قومي ليلا و نهاراً ، فلم يزدهم دعائي إلا فراراً] « ٣ » وهم الذين ازدادوا فراراً عند دعائه : ومثل قوله : [فزادهم رجساً الى رجسهم] « ٤ » وانما اراد انهم ازدادوا عند نزول الآية وكقوله :

« ١ » سورة فطر آية ٤٢ .

« ٢ » سورة التوبة آية ١٢٨

« ٣ » سورة نوح آية ٦

« ٤ » سورة التوبة آية ١٢٦

(فاتخذتموهم سخريّا حتى انسوكم ذكري) «١» والمؤمنون ما أنسوهم ذكر الله بل كانوا يدعونهم اليه تعالى ، لكن لما نسوا ذكر الله عند ضحكهم من المؤمنين واتخاذهم إياهم سخرياً ، جاز أن يقال : إن المؤمنين انسوهم . ويقول القائل لغيره اذا وعظه فلم يقبل نصيحته : قد كنت شريراً فزادتك نصيحتي شرا . وانما يريد أنه ازداد عنده . فلما كان المنافقون فقد مرضت قلوبهم بما فيها من الشك ، ثم ازدادوا شكا وكفرا عند ما كان تجدد من امر الله ونهيه ، وما ينزل من آياته ، جاز أن يقال : [فزادهم الله مرضا] فان قيل : فعلى هذا ينبغي أن يكون انزال الآيات مفسدة ، لانهم يزدادون عند ذلك الكفر . قلنا: ليس احد المفسدة ما وقع عنده الفساد ، وانما المفسدة ما وقع عندها الفساد ، ولولاها لم يقع ، ولم يكن تمكيناً ، وهذا تمكين لهم من النظر في معجزاته ودلائله ، فلم يكن استفساداً ولو كان الأمر على ما قالته المجبرة :إن الله يخلق فيهم الكفر لقالت الكفار ما ذنبنا ، والله تعالى يخلق فينا الكفر ، ويمنعنا من الايمان . فلم تلوموننا على ما فعله الله ؟ فتكون الحجة لهم لا عليهم. وذلك باطل ،والتقدير في الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بنبيه مرض ، وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه. قال الشاعر :

هلا سألت الخيل ياابنة مالك   ان كنت جاهلة بما [٢] لم تعلمي

يعني اصحاب الخيل كما قال: [ياخيل الله اركبي] يعني يااصحاب خيل الله ، وكما قال تعالى: [واسأل القرية] [٣] وانما اراد اهلها. وروي عن ابن عباس أن المرض المراد به الشك والنفاق ، وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد

والكذب ضد الصدق ، وهو الاخبار عن الشيء لا على ما هو به ، يقال كذب يكذب كذبا وكذابا ـ خفيف وثقيل ـ مصدران . والكذب كالضحك والكذاب كالكتاب والاكذاب : جعل الفاعل على صفةالكذب. والتكذب:التحلي

«١» سورة الاحزاب: آية ١١١ .
«٢» في الطبعة الايرانية (لما)
«٣» سورة يوسف : آية ٨٢ .

بالكذب . وجهة من ضم الياء وشدد الذال أنه ذهب الى أنهم استحقوا العذاب بتكذيبهم النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ وبما جاء به . ومن فتح الياء وخفف الذال قدر المضاف ، كأنه قال : بكذبهم ، وهو اشبه بما تقدم ، وهو قولهم : (آمنا بالله وباليوم الآخر) [١] ، فاخبر الله عنهم فقال : (وما هم بمؤمنين) ولذلك يحمد تكذيبهم . وادخل كان ليعلم ان ذلك كان فيما مضى ، كقول القائل : ما احسن ما كان زيداً . وقال بعض الكوفيين : لا يجوز ذلك ، لأن حذف كان ، انما أجازوه في التعجب . لأن الفعل قد تقدمها فكأنه قال حسناً كان زيد . ولا يجوز ذلك ههنا لأن كان تقدمت الفعل .

قوله تعالى :

وَاذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفسِدُوا في الأَرْضِ قالوا إنَّما نَحْنُ مُصلِحونَ . آية

القراءة :

رام ضم القاف فيها وفي أخواتها الكسائي وهشام ورويش (٢) ووافقهم ابن ذكوان في السين والحاء ، مثل : حيل وسيق ، وسيئت ، ووافقهم اهل المدينة في سيق وسيئت فمن ضم ذهب الى ما حكي عن بعض العرب : قد قول ، وقد بوع المتاع ، بدل قيل وبيع ، ومن كسرها قال : لأن ياء الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم ، ومن اشم قال : اصله قول ، فاستثقلت الضمة ، فقلبت كسرة ، واشمت ليعلم ان الأصل كانت ضمة .

المعنى :

وروي عن سلمان ــ رحمه الله ــ أنه قال : لم يجئ هؤلاء . وقال أكثر المفسرين : إنها نزلت في المنافقين الذين فيهم الآيات المتقدمة ، وهو الأقوى ويجوز أن يراد بها من صورتهم صورتهم ، فيحمل قول سلمان ــ رحمه الله ــ على أنه

«١» سورة البقرة آية ٨ .

«٢» لم نعثر على هذا الاسم في كتب الرجال ولعله ورش .

أراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية .

ومعنى قولهم له : (انما نحن مصلحون) يحتمل امرين :

أحدها — ان يقول : إن هذا الذي عندكم فساد ، هو صلاح عندنا ، لأنا إذا قابلناهم استدعيناهم الى الحق في الدين .

والثاني ـ أن يجحدوا ذلك البلاغ .

والافساد مأخوذ من الفساد : وهو كلما يغير عن استقامة الحال . تقول : فسد يفسد فسادا . والافساد : إحداث الفساد . والمفاسدة : المعاملة بالفساد . والتفاسد : تعاطي الفساد بين اثنين . والاستفساد . المطاوعة على الفساد . لا تفسدوا في الأرض فيقولون انما نحن مصلحون ، ويقال لهم : آمنوا كما آمن الناس فيقولون أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ فليس هؤلاء منافقين ، بل مظهرون لكفرهم . والآية في المنافقين قيل : المنافقون وإن كانوا يظهرون الايمان للنبي ـ صلى الله عليه وآله ـ فانهم كانوا لا يألون المسلمين خبالا ، وكانوا يثبطون عن النبي (ص) ويدعون الى ترك نصرته من يثقون باستماعهم منهم ، ومن يظنون ذلك به ، وربما صادفوا من المؤمنين التقي فيجيبهم بما ذكر الله ، فاذا أخبر أولئك النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم ذكروا له (١) ما قالوا وعاتبهم النبي (ص) عادوا الى إظهار الايمان والندم عليه ، أو كذبوا قائله والحاكي عنهم ، وكان لا يجوز في الدين إلا قبول ذلك منهم بما يظهرون ، وخاصة في صدر الاسلام ، والحاجة الى تألف قلوبهم ماسة (٢) . ومن قرأ الاخبار تبين صحة ما قلناه .

والافساد في الارض : العمل فيها بما نهى الله عنه ، وتضييع ما أمر الله بحفظه كما قال تعالى حاكياً عن الملائكة : (أتجعل فيها من يفسد فيها) ؟(٣) يعنون من يعصيك ، ويخالف امرك ، وهذه صفة المنافقين .

والأرض : هي المستقر للحيوان ، ويقال لقوائم البعير : أرض ، وكذلك

---

(١) في الطبعة الايرانية : ثم ذكروه ولعل الصحيح ما ذكرنا

(٢) في الطبعة الايرانية (ماسة) ضرب عليها ولعل وجودها اصح

(٣) سورة البقرة : آية ٣٠

الفرس ان قوي . والارض : الرعدة ، وقال ابن عباس : ما أدري إذاً زلزلت الأرض ام بي أرض ؟ أي رعدة ، والأرضة : دويبة تأكل الخشب .

والصلاح : استقامة الحال ، فالاصلاح : جعل الحال على الاستقامة . والاصطلاح الاجتماع . والتصالح : التمالي على الصلاح ، ومنه المصالحة والاستصلاح ، والصالح : المستقيم الحال ، والمصلح : المقوم للشيء على الاستقامة .

قوله تعالى :

أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ . آية

التفسير :

ألا : فيها تنبيه ، ومعناها لاستفتاح الكلام ، ومثله : ألا ترى ؟ أما تسمع ؟ وأصلها (لا) دخل عليها ألف الاستفهام والألف اذا دخل على الجحد أخرجه الى الايجاب نحو قوله : (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟) لأنه لا يجوز للمجيب إلا الاقرار ببلى .

والهاء والميم في موضع النصب بأن . وهم فصل عند البصريين ويسميه الكوفيون عمادا . وقوله [لا يشعرون] قد فسرناه [١] وفيها دلالة على من قال: بان الكفار معاندون عالمون بخطاياهم وان المعرفة ضرورة ووصفهم بانهم [هم المفسدون] لا يمنع من وصف غيرهم بانه مفسد ، لأن ذلك دليل الخطاب

وحكي عن ابن عباس: أن معنى قوله [انما نحن مصلحون] انما يريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين واهل الكتاب وحكي عن مجاهد انهم اذا ركبوا معصية الله ، قيل لهم : لا تفعلوا هذا . قالوا : إنما نحن مصلحون أي : انما نحن على الهدى وكلا الأمرين محتمل لأنها جميعاً عندهم أنه إصلاح في الدين وإن كان ذلك إفساداً عند الله ، ومن حيث أنه خلاف لما أمرهم به ، وإنما جاز تكليف ما لا يشعر أنه على ظلال ، لأن له طريقاً الى العلم .

« ١ » في قوله : « يخادعون الله . . » تتمة الآية

قوله تعالى :

وإذا قِيلَ لَهُمْ آمنوا كما آمنَ النَّاسُ ، قالُوا أنؤْمنُ كما آمنَ السُّفهاءُ ألاَ إنهم همُ السفهاءُ ولكنْ لاَ يعلمُونَ . آية

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة بتحقيق الهمزتين ، وكذلك كل همزتين مختلفتين من كلمتين . الباقون بتخفيف الأولى وتليين الثانية .

المعنى :

المعنيّ بهذه الآية هم الذين وصفهم تعالى بانهم يقولون : « آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين »

والمعنى إذا قيل لهم آمنوا بمحمد (ص) وبما جاء من عند الله ، كما آمن به الناس يعني المؤمنين حقاً ، لأن الألف واللام ليسا فيه للاستغراق ، بل دخلا للعهد ، فكأنه قيل : آمنوا كما آمن الناس الذين تعرفونهم باليقين والتصديق بالله ونبيه ـ صلى الله عليه وآله ـ وبما جاء به من عند الله .

والألف في قوله : (أنؤمن) ألف إنكار ، وأصلها الاستفهام ، ومثاله (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) «١» وكقول القائل : أأضيع ديني وأثلم مروّتي ؟ وكل هذا جواب ، لكن قد وضع السؤال فيه وضعاً فاسداً ، لوصفهم ان الذين دعوا إليهم سفهاء .

وموضع (إذا) نصب ، وتقديره : قالوا إذا قيل لهم ذلك انؤمن ، فالعامل فيه قالوا .

والسفهاء جميع سفيه ، مثل : علماء وعليم ، وحكماء وحكيم ، والسفيه : الضعيف الرأي الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله الصبيان سفهاء بقوله : (لا تؤتوا السفهاء اموالكم) (٢) فقال عامه اهل التأويل هم النساء والصبيان لضعف آرائهم وأصل السفه : خفة الحلم وكثرة الجهل . يقال : ثوب سفيه اذا

«١» سورة يس : آية ٤٧ . «٢» سورة النساء : آية ٤

كان رقيقاً بالياً . وسفهته الريح : اذا طيرته كل مطيّر . وفي اخبارنا أن شارب الخمر سفيه فأمر الله تعالى أن يؤمنوا كما آمن المؤمنين المستبصرون فقالوا : أنؤمن كما آمن الجهال ،ومن لا رأي له ومن لا عقل له كالصبيان والنساء، فحكم الله عليهم حينئذ بانهم السفهاء باخباره عنهم بذلك. وهو من تقدم ذكره من المنافقين .

والسفيه إنما سمي مفسداً من حيث انه يفسد من حيث يظن انه يصلح ، ويضيّع من حيث يرى أنه يحفظ وكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يظن انه يطيع ويكفر به من حيث يظن أنه يؤمن به . والألف واللام في السفهاء للعهد كما قلناه في الناس .

وهذه الآية ايضاً فيها دلالة على من قال : إن الكافر لا يكون إلا معانداً، لأنه قال : (ولكن لا يعلمون) .

قوله تعالى:

وإذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وإذا خَلَوْا الى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إنا مَعَكُمْ إنما نَحْنُ مُسْتَهزِئُونَ ـ آية.

القراءة

قرىء في الشواذ واذا لاقوا الذين . قرأها اليماني . وفي القراء من همز « مستهزئون»، ومنهم من ترك الهمزة .

المعنى:

حكي عن ابن عباس أنه قال : هذه في صفة المنافقين فكان الواحد منهم اذا لقي اصحاب النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ قال إنا معكم ـ أي على دينكم ـ وإذا خلوا الى شياطينهم ـ يعني اصحابهم ـ قالوا انما نحن مستهزئون ـ يعني نسخر منهم يقال خلوت اليه ، وخلوت معه . ويقال خلوت به على ضربين : احدهما ـ بمعنى خلوت معه ، والآخر ـ بمعنى سخرت منه . وخلوت اليه في قضاء الحاجة لا غير. وخلوت به له معنيان : احدهما ـ هذا ، والآخر ـ سخرت منه . قال الأخفش :

رقد تكون « الى » في موضع الباء ، « وعلى » في موضع عن ، وانشد :

اذا رضيت عليّ بنو قشير   لعمر الله أعجبني رضاها

فعلى هذا يحتمل أن تكون الآية : (خلوا مع . .) وقال الرماني : الفرق بين اللقاء والاجتماع ، أن اللقاء لا يكون إلا على وجه المجاورة ، والاجتماع قد يكون كاجتماع العرضين في محل . وقد بينا معنى الشيطان فيما مضى (١) معكم (ومعكم) ـ بفتح العين وسكونها ـ لغتان .

وترك الهمزة في (مستهزئون) لغة قريش ، وعامة غطفان . وكنانة بعضها يجعلها بمنزلة (يستقصون ، ويستعدون) بحذفها . وبعض بني تميم وقيس يشيرون الى الزاء بالرفع ، بين الرفع والكسر ، وهذيل ، وكثير من تميم يخففون الهمزة

وقال بعض الكوفيين : إن معنى (إذا خلوا) : إذا انصرفوا خالين ، فلأجل ذلك قال : الى شياطينهم . على المعنى ، وهو مليح ، وقيل : إن شياطينهم : رؤساؤهم وقيل : أريد بهم أصحابهم من الكفار . وروي عن أبي جعفر عليه السلام : أنهم كهانهم .

والاستهزاء : طلب الهزء بايهام أمر ليس له حقيقة في من يظن فيه الغفلة . والهزء : ضد الجد يقال هزىء به هزء والتهزي : طلب الهزء : بالشيء ، وغرضهم كان بالاستهزاء مع علمهم بقبحه حقن دمائهم باظهار الايمان واذا خلوا الى شياطينهم كشفوا ما في نفوسهم

قوله تعالى :

اللهُ يَستَهزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغيَانِهِمْ يَعمَهُونَ ـ آية

الاعراب :

الله : رفع بالابتداء وخبره : يستهزىء بهم

« ١ » مر في الاستعاذة .

المعنى :

والله تعالى لا يجوز عليه حقيقة الاستهزاء لأنها السخرية على ما بيناه ومعناها من الله هو الجزاء عليها وقد يسمى الشيء باسم جزائه ، كما يسمى الجزاء باسم ما يستحق به كما قال تعالى : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) «١» وقال : (ومكروا ومكر الله) «٢» وقال : (وان عاقبتم فعاقبوا) «٣» والأول ليس بعقوبة والعرب تقول : الجزاء بالجزاء · والأول ليس بجزاء (والبيت الاول شاهد بذلك) (؟) وقيل إن استهزاءهم لما رجع عليهم جاز أن يقول عقيب ذلك : (الله يستهزئ بهم) يراد به ان استهزاءهم لم يضر سواهم وانه (دبر) [٤] عليهم واهلكهم · يقول القائل : أراد فلان أن يخدعني فخدعته : أي دبر علي امراً فرجع ضرره عليه · وحكي عن بعض من تقدم أنه قال اذا تخادع لك انسان ليخدعك فقد خدعته

وقيل ايضاً : إن الاستهزاء من الله : الاملاء الذي يظنونه إغفالا وقيل : إنه لما كان ما اظهره من اجراء حكم الاسلام عليهم في الدنيا بخلاف ما أجراه عليهم في الآخرة من العقاب وكانوا فيه على اغترار به كان كالاستهزاء وروي في الاخبار أنه يفتح لهم باب جهنم ، فيظنون أنهم يخرجون منها ، فيزدحمون للخروج ، فاذا انتهوا الى الباب ، ردتهم الملائكة حتى يرجعوا ، فهذا نوع من العقاب ، وكان الاستهزاء ، كما قال الله تعالى : (كلما أرادوا أن يخرجوا فيها من غم اعيدوا فيها) «٥»

وقوله (يمدهم) حكي عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قالا : معناه يملي لهم بأن يطوّل أعمارهم ، وقال مجاهد : يزيدهم وقال بعض النحويين يمدهم كما يقولون نلعب الكعاب : أي بالكعاب . وحكي أن مد وأمدّ لغتان ، وقيل مددت له وأمددت له يقال مد البحر فهو ماد ، وأمد الجرح فهو ممد قال الجرمي : ما كان من الشر فهو

«١» سورة الشورى : آية : ٤٠

«٢» سورة آل عمران : آية ٥٤ . «٣» سورة النحل : آية ١٢٦ .

« ؟ »

«٤» في الطبعة الايرانية (دمر) بدل « دبر » وما ذكر في المتن هو الصحيح بقرينة ما يأتي من قوله : « . . دبر علي أمراً » «٥» سورة الحج : آية ٢٢

مددت وما كان من الخير فهو أمددت ، فعلى هذا ، إن اراد تركهم ، فهو من مددت واذا أراد اعطاءهم يقال أمدهم ، وقرىء في الشواذ : ويُمدهم — بضم الياء. وقال بعض الكوفيين كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه ، فهو مددت — بغير ألف — كما يقولون مد النهر ومده نهر آخر ، فصار منه اذا اتصل به ، وكل زيادة حدثت في الشيء من غيره فهو أمددت — بألف — كما يقال أمد الجرح لأن المدة «١» من غير الجرح ، وأمددت الجيش .

واقوى الاقوال أن يكون المراد به نعدهم على وجه الاملاء والترك لهم في خيرهم ، كما قال : « انما نملي لهم ليزدادوا إثما) «٢» ، وكما قال : (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) يعني يتركهم فيه . والطغيان : العملان من قولك طغى فلان يطغى طغياناً ، اذا تجاوز حده ، ومنه قوله : (كلا إن الانسان ليطغى) «٣» أي يتجاوز حده ، والطاغية : الجبار العنيد ، وقال أمية بن أبي الصلت :

ودعا الله دعوة لات هنّا بعد طغيانه فظل «٤» مشيرا

يعني لا هنا . ومعناه في الآية : في كفرهم يترددون . والعمه : التحير . يقال : عمه يعمه عمها فهو عمه وعامه : أي حائر عن الحق ، قال رؤبة :

ومهمه اطرافه في مهمه أعمى الهدى بالحائرين «٥» العُمّه

جمع عامه ، فان قيل : كيف يخبر الله أنه يمدهم في طغيانهم يعمهون ، وانتم تقولون : إنما أبقاهم ليؤمنوا لا ليكفروا ، وانه أراد منهم الايمان دون الكفر ؟ قيل معناه : أنه يتركهم وما هم فيه لا يحول بينهم وبين ما يفعلونه ، ولا يفعل بهم

«١» المدة : ما يجتمع في الجرح من القيح .

«٢» سورة آل عمران : آية ١٧٨ .

«٣» سورة العلق : آية ٦

«٤» في الطبعة الايرانية « فصار » بدل « فظل » والبيت في ديوان امية . و « لات هنا » كلمة تدور في كلامهم يريدون بها : « ليس هذا حين ذلك » و « هنّا » مفتوحة الهاء مشددة النون مثل « هنا » مضمومة الهاء مخففة النون .

«٥» الصحيح ما ذكرنا وفي الطبعة الايرانية « فالحائرين » وفي تفسير الطبري نقلا عن ديوان رؤبة بالجاهلين .

من الألطاف التي يؤتيها المؤمنين ، فيكون ذلك عقوبة لهم واستصلاحاً . ونظير ذلك قول القائل لأخيه ، اذا هجره أخوه متجنياً عليه ، اذا استعتبه فلم يراجعه : سأمد لك في الهجران مداً يريد سأتركك وما صرت اليه تركا ينبهك على قبح فعلك لا أنه يريد بذلك أن يهجره أخوه ، ولكن على وجه الغضب والاستصلاح والتنبيه

قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . آية

القراءة :

ضم جميع القراء الواو من (اشتروا الضلالة) وروى السوخردي عن زيد ابن اسماعيل بتخفيف ضمة الواو ، وكذلك نظائره ، نحو : (لتبلون) ، (فتمنوا الموت) . وروى عن يحيى بن يعمر في الشواذ أنه كسرها ، شبهها بواو : (لو) في قوله : (لو استطعنا لخرجنا) «١» وضم يحيى بن وثاب واو (لووا) وفيما ذكرناه شبهها بواو الجمع ، والصحيح ما عليه القراء ، لأن الواو في الآية ونظائرها واو الجمع فحركت بالحركة التي من جنسها لالتقاء الساكنين .

المعنى :

وهذه الآية الاشارة بها الى من تقدم ذكره من المنافقين ، وقال ابن عباس اشتروا الكفر بالايمان ، وقال قتادة : استحبوا الضلالة على الهدى ، وقال ابن مسعود : اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، وقال مجاهد آمنوا ثم كفروا . وهذه الأقوال متقاربة المعاني . فان قيل كيف اشتروا هؤلاء القوم الضلالة بالهدى ، وانما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم ايمان ؟ فيقال فيهم باعوا ما كانوا عليه بضلالتهم التي استبدلوها منه ، والمفهوم من الشراء اعتياض شيء ببذل شيء مكانه عوضاً منه ، وهؤلاء ما كانوا قط على الهدى .

«١» سورة التوبة : آية ٤٣

قلنا : من قال : بان الآية مخصوصة بمن كفر بعد إيمانه . فقد تخلص من هذا السؤال ، غير أن هذا لا يصح عندنا ، من أن من آمن بالله لا يجوز أن يكفر . وان حملنا على اظهار الايمان ، لم يكن في الآية توبيخ ، ولا ذم . والآية تتضمن التوبيخ على ما هم عليه ، لأنها اشارة الى ما تقدم وتلك صفات المنافقين . والجواب عن ذلك ان نقول : إن من ارتكب الضلالة وترك الهدى ، جاز ان يقال ذلك فيه ويكون معناه : كان الهدى الذي تركه هو الثمن الذي جعله عوضاً عن الضلالة التي أخذها فيكون المشتري أخذ المشترى مكان الثمن المشترى به كما قال الشاعر :

أخذت بالجمة رأساً أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمراً جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا «١»

ومنهم من قال : استحبوا الضلالة على الهدى انما قال ذلك لقوله تعالى : (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) «٢» فحمل هذه الآية عليه . ومن حملها على انهم اختاروا الضلالة على الهدى . فان ذلك مستعمل في اللغة يقولون اشتريت كذا على كذا . واشتريته يعنون اخترته . قال اعشى بني ثعلبة .

فقد اخرج الكاعب المسترا «٣» ة من خدرها واشيع القمارا

يعني : المختارة . قال ذو الرمة في معنى الاختيار :

يذب القصايا عن شراة كأنها جماهير تحت المدجنات الهواضب «٤»

وقال آخر :

«١» زعر الشعر فهو زعر وازعر : قل وتفرق .
الدردر : مغارز اسنان الصبي أو هي قبل نباتها وبعد سقوطها . الجيدر : القصير والمراد قصير العمر

«٢» سورة حم السجدة : آية ١٧ .

«٣» في الطبعة الايرانية « المشتراة » وكذلك في مخطوطة تفسير الطبري اما في ديوانه ٣٥ وطبقات فحول الشعراء ٣٦ واللسان « سرا » فكما ذكرنا .

«٤» ديوانه . يذب : يدفع ويطرد . والقصايا : وهي من الابل رذالتها ضعفت فتخلفت . وجماهير جمهور : وهو رملة مشرفة على ما حولها . والهواضب : التي دام مطرها . والمدجنات من سحابة داجنة : أي كثيفة .

إن الشراة روقة الأموال وحزرة القلب خيار المال «١»

والأول أقوى لقوله : (فما ربحت تجارتهم) فبين ان ذلك بمعنى الشراء والبيع الذي يتعارفه الناس . والربح — وان اضافه الى التجارة — فالمراد به التاجر لأنهم يقولون ربح : بيعك وخسر بيعك وذلك يحسن في البيع والتجارة ، لأن الربح والخسران يكون فيها . ومتى التبس فلا يجوز إطلاقه . لا يقال : ربح عبدك اذا أراد ربح في عبده ، لأن العبد نفسه قد يربح ويخسر . فلما أوهم لم يطلق ذلك فيه .

وقيل : إن المراد ، فما ربحوا في تجارتهم . كما يقال : خاب سعيك : أي خبت في سعيك . وانما قال ذلك لأن المنافقين بشرائهم الضلالة خسروا ولم يربحوا ، لأن الرابح من استبدل سلعة بما هو أرفع منها . فاما اذا استبدلها بما هو أدون منها فانما يقال خسر فلما كان المنافق استبدل بالهدى الضلالة وبالرشاد الخيبة عاجلا وفي الآخرة الثواب بالعقاب كان خاسراً غير رابح . وانما قال : « وما كانوا مهتدين » ، لأنه يخسر التاجر ولا يربح ويكون على هدى . فأراد الله تعالى أن ينفي عنهم الربح والهداية فقال : « فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » باستبدالهم الكفر بالايمان ، واشترائهم النفاق بالتصديق ، والاقرار بها . فان قيل : لم قال : فما ربحت تجارتهم في موضع ذهبت رؤوس اموالهم ؟ قيل : لأنه قد ذكر الضلالة بالهدى ، فكأنه قال : طلبوا الربح فما ربحوا ، لما هلكوا . وفيه معنى ذهبت رؤوس اموالهم ويحتمل ان يكون ذلك على وجه التقابل : وهو ان الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا ، كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ، ربحوا . قوله تعالى :

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . آية .

اللغة :

إن قيل : كيف قال : (مثلهم) ، أضاف المثل الى الجمع ، ثم شبهه بالواحد في

«١» في الطبعة الايرانية : « الشراء » بدل « الشراة » وحوزة بدل « حزرة » والصحيح ما ذكرنا كما عن اللسان في مادة « حزر » وروقة الناس : خيارهم . وحزرة نفسي : خير ما عندي .

قوله : « كمثل الذي استوقد ناراً » ، هلاّ قال كمثل الذين استوقدوا نارا ، يكني به عن جماعة من الرجال ، والنساء ، والصبيان . والذي لا يعبر به إلا عن واحد مذكر ولو جاز ذلك ، لجاز أن يقول القائل : كأن أجسام هؤلاء — ويشير الى جماعة عظيمي القامة — نخلة . وقد علمنا أن ذلك لا يجوز ؟ قلنا : في الموضع الذي جعله مثلا لأفعالهم جائز حسن وله نظائر كقوله : « تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » «١» . والمعنى : كدور أعين الذي يغشى عليه من الموت وكقوله « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » «٢» ومعناه إلا كبعث نفس واحدة لأن التمثيل وقع للفعل بالفعل وأما في تمثيل الأجسام لجماعة من الرجال في تمام الخلق والطول بالواحد من النخيل ، فغير جائز ، ولا في نظائره .

التفسير :

والفرق بينها ، أن معنى الآية ، أن مثل استضاءة المنافقين بما أظهروا من الاقرار بالله ، وبمحمد صلى الله عليه وآله ، وبما جاء به قولا — وهم به مكذبون اعتقاداً — كمثل استضاءة الموقد ، ثم اسقط ذكر الاستضاءة ، واضاف المثل اليهم كما قال الشاعر وهو نابغة جعدة :

وكيف تواصل من اصبحت خلالته كأبي مرحب «٣»

أي كخلالة أبي مرحب . واسقط لدلالة الكلام عليه وأما إذا أراد تشبيه الجماعة من بني آدم وأعيان ذوي الصور والاجسام بشيء فالصواب أن يشبه الجماعة بالجماعة ، والواحد بالواحد ، لأن عين كل واحد منهم غير اعيان الآخر كما قال تعالى : « كأنهم خشب مسندة » «٤» وقال : « كأنهم اعجاز نخل خاوية » «٥»

«١» سورة الاحزاب آية ١٩ .

«٢» سورة لقمان آية ٢٨ .

«٣» الخلة والخلالة الصداقة التي ليس فيها خلل . وابو مرحب كناية عن الظل . يريد أنها تزول كما يزول الظل لا تبقى له مودة .

«٤» سورة المنافقون : آية ٤ .

«٥» سورة القمر آية ٢٠ .

واراد جنس النخل ومثل قوله : ما افعالكم إلا كفعل الكلب ثم يحذف الفعل فيقال : ما افعالكم إلا كالكلب .

وقيل : إن « الذي » بمعنى الذين كقوله . « والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون » «١» وقال الشاعر :

وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يام خالد

وانما جاز ذلك ، لأن الذين منهم يحتمل الوجوه المختلفة وضعف هذا الوجه من حيث ان في الآية الثانية وفي البيت دلالة على انه اريد به الجمع . وليس ذلك في الآية التي نحن فيها . وقيل فيه وجه ثالث وهو ان التقدير : مثلهم كمثل اتباع الذي استوقد ناراً وكما قال : (واسأل القرية) «٢» وانما اراد اهلها . وفي الآية حذف (طفئت عليهم النار)

وقوله : (استوقد ناراً) معناه : اوقد ناراً كما يقال استجاب بمعنى اجاب قال الشاعر :

وداع دعا يامن يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

يريد : فلم يجبه

الوَقود : الحطب . والوُقود : مصدر وقدت النار وقودا . والاستيقاد : طلب الوقود . والايقاد : ايقاد النار . والتوقد : التوهج . والايقاد : التهاب النار . وزند ميقاد : سريع الوَرْي . وقلب وقاد : سريع الذكاء والنشاط . وكل شيء يتلألأ فهو يتقد . وفي الحجر نار لا تقد ، لأنها لا تقبل الاحتراق والوقود : ظهور النار فيما يقبل الاحتراق .

وأصل النار النور . نار الشيء اذا ظهر نوره . وانار: اظهر نوره . واستنار: طلب اظهار نوره . والمنار: العلامات . والنار : السمت . وضاءت النار : ظهر ضوؤها وكل ما وضح فقد اضاء . واضاء القمر الدار : كقوله : اضاءت ما حوله . قال الشاعر:

«١» سورة الزمر آية ٣٣ .

«٢» سورة يوسف: آية ٨٢ .

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم　　دجى الليل حتى نظّم الدر ثاقبه «١»

وقوله : [حوله] مأخوذ من الحول وهو الانقلاب . يقال حال الحول : اذا انقلب الى أول السنة وأحال في كلامه اذا صرفه عن وجهه وحوّله عن المكان : أي نقله الى مكان آخر : وتحول : تنقل واحتال عليه وحاوله طالبه بالانقلاب الى مراده والحَول بالعين ـ بالفتح ـ والحِول ـ بالكسر ـ الانقلاب عن الأمر ومنه قوله « لا يبغون عنها حولا » «٢» والحوالة انقلاب الحق عن شخص الى غيره والمحالة : البكرة . والحيلة : إيهام الأمر للخديعة . وحال بينه وبينه : مانع والحائل : الناقة التي انقطع حملها . والحائل : العير . وحوله الصبا : أي دارته

ذهب به واذهبه : أي أهلكه ، لا ذهابه الى مكان يعرف ، ومنه (ذهب الله بنورهم) . والمذهب : الطريقة في الأمر . والذّهبه : المطرة الجود . وقوله : (وتركهم في ظلمات) : أي أذهب النور بالظلمات . وتاركه متاركة وتتاركوا : تقابلوا في الترك . واترك اتراكا : اعتمد الترك . والتركة والتريكة : بيضة النعام المنفردة لتركها وحدها .

والظلمات : جمع الظلمة ، واصلها انتقاص الحق من قوله : ولم تظلم منه شيئاً أي لم تنقص . واظلم الجواد احتمل انتقاص الحق لكرمه ، ومن أشبه أباه فما ظلم أي ما انتقص حق الشبه . وظلمت الناقة : اذا نحرت من غير علة .

والظلم : ماء الأسنان من اللون لا من الريق . والظلم : الثلج . وقوله : (في ظلمات لا يبصرون) . قال ابن عباس : إنهم يبصرون الحق ويقولون به حتى اذا خرجوا من ظلمة الكفر ، أطفأوه بكفرهم به ، فتركهم في ظلمات الكفر ، فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حق ، وروي عنه أيضاً أنه قال : هذا مثل ضربه الله تعالى المنافقين ، أنهم كانوا يعتزون بالاسلام ، فيناكحهم «٣» المسلمون

«١» وفي رواية « الجزع » بدل « الدر » .

«٢» سورة الكهف : آية ١٠٩

«٣» في الطبعة الايرانية ، بصيغة الماضي والظاهر من السياق ان الصيغة ما ذكرنا

ويولدونهم ، ويقاسمونهم الفيء ، فلما ماتوا ، سلبهم الله ذلك العز ، كما سلب صاحب النار ضوءه ، وتركهم في عذاب ، وهو أحسن الوجوه . وقال أبو مسلم : معناه أنه لا نور لهم في الآخرة ؛ وإن ما أظهروه في الدنيا ، يضمحل سريعاً كاضمحلال هذه اللمعة . وحال من يقع في الظلمة بعد الضياء اشق في الحيرة ، فكذلك حال المنافقين في حيرتهم بعد اهتدائهم ، ويزيد استضرارهم على استضرار من طفئت ناره بسوء العاقبة . وروي عن ابن مسعود وغيره أن ذلك في قوم كانوا اظهروا الاسلام ، ثم أظهروا النفاق ، فكان النور الايمان ، والظلمة نفاقهم . وقيل فيها وجوه تقارب ما قلناه

وتقدر بعد قوله : (فلما اضاءت ما حوله) (انطفأت) لدلالة الكلام عليها كما قال ابو ذؤيب الهذلي :

دعاني اليها القلب إني لأمره　　مطيع فما ادري ارشد طلابها ؟ «٢»

وتقديره ، ارشد طلابها ام غي ؟

وقال الفراء يقال ضاء القمر يضوء ، واضاء يضيء ، لغتان وهو الضوء والضوء ـ بفتح الضاد وضمها ـ وقد اظلم الليل ، وظلم ـ بفتح الظاء وكسر اللام ـ وظلمات على وزن غرفات ؛ وحجرات ، وخطوات ، فأهل الحجاز وبنو اسد يثقلون وتميم وبعض قيس يخففون والكسائي يشم الهاء الرفع بعد نصب اللام في قوله (حوله) ، و (نجمع عظامه) في حال الوقف الباقون لا يشمون وهو احسن

قوله تعالى

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ . آية بلا خلاف

التفسير واللغة :

قال قتادة « صم » لا يسمعون الحق « بكم » لا ينطقون به « عمي »

«١» وفي ديوان الهذليين : ٧١ « عصاني اليها القلب » والروايتان صحيحتان

لا يرجعون عن ضلالتهم صم رفع على انه خبر ابتداء محذوف، وتقديره هؤلاء الذين ذكرناهم في القصة : صم بكم عمي والأصم هو الذي ولد كذلك وكذلك الأبكم هو الذي ولد أخرس . ويقال الأبكم : المسلوب الفؤاد . ويجوز أن يجمع أصم : صمان : مثل اسود وسودان . واصل الصم : السد ، فمنه الصم : سد الأذن بما لا يقع معه سمع وقناة صماء : كبيرة الجوف صلبة ، لسد جوفها بامتلائها . وفلان أصم ، لسد خروق مسامعه عن ادراك الصوت . وحجر أصم ، أي صلب . وفتنة صماء ; أي شديدة . والتصميم : المضي في الأمر . والصمام : ما يشد به رأس القارورة ، لسده رأسها . والفعل : أصمها .والصميم : العظم الذي هو قوام العضو ، لسد الخلل به وأصل البكم : الخرس . وقيل هو الذي يولد أخرس وبكم عن الكلام : اذا امتنع منه جهلا أو تعمداً كالخرس والأبكم : الذي لا يفصح ، لأنه كالخرس

واصل العمى :ذهاب الادراك بالعين والعمى في القلب كالعمى في العين بآفة تمنع من الفهم واعماه : إذا اوجد في عينيه عمىً .وعمّي الكتاب تعمية ، وتعامى عن الأمر تعامياً وتعمى الأمر : تطمس كأن به عمى وما اعماه : من عمى القلب ، ولا يقال ذلك من الجارحة . والعماية : الغواية . والعماء : السحاب الكثيف المطبق .

والرجوع: مصدر رجع يرجع رجوعا ، ورجعه رجعا . والارتجاع :اجتلاب الرجوع . والاسترجاع : طلب الرجوع . وتراجع : تحامل . وترجع : تعمد للرجوع ورجّع : كثر في الرجوع . ورجع الجواب : رده . والمرجوعة : جواب الرسالة . والرجع : المطر ، ومنه قوله : (والسماء ذات الرّجْع) «١» والرجع : نبت الربيع والرجوع عن الشيء بخلاف الرجوع اليه

والمعنى : إنهم صم عن الحق لا يعرفونه ، لأنهم كانوا يسمعون بآذانهم ، وبكم عن الحق لا ينطقون مع ان ألسنتهم صحيحة ، عمي لا يعرفون الحق واعينهم صحيحة ، كما قال : (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) . (فهم لا يرجعون) ويحتمل امرين :

«١» سورة الطارق آية ١١.

أحدها — ما روي عن ابن عباس ، أنه على الذم والاستبطاء .

والثاني — ما روي عن ابن مسعود ، انهم لا يرجعون الى الاسلام . وقال قوم : إنهم لا يرجعون عن شراء الضلالة بالهدى . وهو أليق بما تقدم وهذا يدل على أن قوله : « ختم الله على قلوبهم » وطبع الله عليها ، ليس هو على وجه الحيلولة بينهم وبين الايمان ، لأنه وصفهم بالصم والبكم ، والعمى مع صحة حواسهم . وانما أخبر بذلك عن إلفهم الكفر واستثقالهم للحق والايمان كأنهم ما سمعوه ولا رأوه فلذلك قال : « طبع الله على قلوبهم » « وأضلهم » « وأصمهم » « وأعمى أبصارهم » « وجعل على قلوبهم أكنة » « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » وكان ذلك إخباراً عما أحدثوه عند امتحان الله إياهم وأمره لهم بالطاعه والايمان لأنه ما فعل بهم ما منعهم من الايمان . وقد يقول الرجل : حب المال قد اعمى فلاناً واصمه ولا يريد بذلك نفي حاسته لكنه اذا شغله عن الحقوق والقيام بما يجب عليه قيل : اصمه واعماه وكما قيل في المثل : حبك للشيء يعمي ويصم — ويريدون به ما قلناه — وقال مسكين الدارمي :

اعمى اذا ما جارتي خرجت　　حتى يواري جارتي الخدر

ويصم عما كان بينهما　　سمعي وما بي غيره وقر (١)

وقال آخر : اصم عما ساءه سميع . فجمع الوصفين . وانما جاز (صم وبكم) بعد وصف حالهم في الآخرة كما في قوله : (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) لامرين :

احدها — ان المعتمد من الكلام على ضرب المثل لهم في الدنيا في الانتفاع باظهار الايمان .

الثاني إنه اعتراض بين مثلين بما يحقق حالهم فيها على سائر امرها . وقيل إن معناه : التقديم والتأخير

---

(١) في الطبعة الايرانية بدل « يصم » « تصم » وبدل : « سمعي » « أذني » وبدل « بي » « في » وبدل « غيره » « سمها » والبيتان في « معجم الادباء ١١ : ١٣٢ »

قوله تعالى :

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ .

اللغة والتفسير :

الصيب على فيعل من صاب يصوب ، وأصله صَيْوِبٌ ، لكن استقبلتها ياء ساكنة فقلبت الواو ياء وأدغمتا ، كما قيل : سيد من ساد يسود ، وجيد من جاد يجود ، قياساً مطرداً . والصيب المطر . وكل نازل من علو الى أسفل يقال فيه صاب يصوب . قال الشاعر :

كأنهم صابت عليهم سحابة   صواعقها لطيرهن دبيب «١»

وقال عبيد بن الأبرص :

حيّ عفاها صيب رعده   داني النواحي مغدق وابل

وهذا مثل ضربه الله للمنافقين ، كان المعنى : أو كاصحاب صيب . فجعل كفر الاسلام لهم مثلا فيما ينالهم فيه من الشدائد ، والخوف . وما يستضيئون به من البرق مثلا لما يستضيئون به من الاسلام . وما ينالهم من الخوف في البرق بمنزلة ما يخافونه من القتل بدلالة قوله : (يحسبون كل صيحة عليهم) «٢» وقال ابن عباس : الصيب القطر . وقال عطا : هو المطر . وبه قال ابن مسعود ، وجماعة من الصحابة . وبه قال قتادة . وقال مجاهد : الصيب : الربيع .

وتأويل الآية : مثل استضاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالاسلام مع استسرارهم الكفر كمثل مُوقد نار ، يستضيء بضوء ناره ، أو كمثل مطر مظلم ودقه يجري من السماء ، تحمله مزنة ظلماء في ليلة مظلمة . فان قيل : فان كان المثلان للمنافقين

«١» في الطبعة الايرانية (يطرهن) بدل (لطيرهن) والبيت لعلقمة بن عبدة ، والبيت في ديوانه وفي شرح المفضليات «٢» سورة المنافقون : آية ٤

فلِمَ قال : (أو كصيب) وأو لا تكون إلا للشك وان كان مثلهم واحداً منها ، فما وجه ذكر الآخر بأو وهي موضوعه للشك من المخبر عما أخبر به ؟ قيل : إن (أو) قد تستعمل بمعنى الواو كما تستعمل للشك بحسب ما يدل عليه سياق الكلام . قال توبة بن الحمير :

وقد زعمت ليلى بأني فاجر   لنفسي تقاها أوعليها فجورها

ومعلوم أن توبة لم يقل ذلك على وجه الشك ، وانما وضعها موضع الواو . وقال جرير :

نال الخلافة أو كانت له قدرا   كما أتى ربه موسى على قدر

ومثله كثير . قال الزجّاج : معنى (أو) في الآية التخيير ، كأنه قال : إنكم مخيرون بان تمثلوا المنافقين تارة بموقد النار ، وتارة بمن حصل في المطر . يقال : جالس الحسن أو ابن سيرين . أي : انت مخير في مجالسة من شئت منها .

والرعد : قال قوم : هو ملك موكل بالسحاب يسبح . روي ذلك عن مجاهد وابن عباس ، وابي صالح . وهو المروي عن أئمتنا (عليهم السلام) . وقال قوم : هو ريح يختنق تحت السماء . رواه ابو خالد عن ابن عباس . وقال قوم : هو اصطكاك اجرام السحاب . فمن قال انه ملك قدر فيه صوته ، كأنه قال : فيه ظلمات وصوت رعد ، لأنه روي انه يزعق به ، كما يزعق الراعي بغنمه . والصيب اذا كان مطراً . والرعد إذا كان صوت ملك ، كان يجب أن يكون الصوت في المطر ، لأنه قال (فيه) والهاء راجعة اليه ، والمعلوم خلافه ، لأن الصوت في السحاب والمطر في الجو الى أن ينزل . ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن يقال : لا يمتنع أن يحل الصوت المطر حين انفصاله من السحاب ، ولا مانع يمنع منه ، ويحتمل أن يكون المراد بفي (مع) ، كأنه قال : معه ظلمات ورعد . وقد بينا جوازه فيما مضى .

واما البرق ، فروي عن علي (عليه السلام) أنه قال : مخاريق الملائكة من حديد ، تضرب بها السحاب ، فتنقدح منها النار . وروي عن ابن عباس : انه سوط من نور ، يزجر به الملك السحاب . وقال قوم : إنه ما رواه ابو خالد عن ابن

عباس . وقال مجاهد : هو مصع ملك . والمصاع : المجالدة بالسيوف وبغيرها . قال أعشى بني ثعلبة ، يصف جواري لعبن بحليهن :

اذا هن نازلن أقرانهن   وكان المصاع بما في الجون «١»

يقال منه : ماصعه مصاعا ، والمعاني متقاربة ، لأن قول علي عليه السلام : إنه مخاريق . وقول ابن عباس : إنه سياط يتقاربان . وما قال مجاهد : إنه مصاع قريب ، لأنه لا يمتنع انه أراد مصاع الملك بذلك ، وإزجاره به .

والصواعق جمع صاعقة : وهو الشديد من صوت الرعد ، فتقع منه قطعة نار تحرق ما وقعت فيه . والصاعقة : صيحة العذاب . والصاعاق : الصوت الشديد للثور والحمار صعق صعاقا . والصعق : الموت من صوت الصاعقة . والصعق : الغشي من صوت الصاعقة . صعق فهو صعق . ومنه قوله : (وخر موسى صعقا) «٢» وروي شهر ابن حوشب : ان الملك اذا اشتد غضبه ، طارت النار من فيه ، فهي الصواعق . وقيل : إن الصواعق نار تنقدح من اصطكاك الاجرام . وقريش وغيرهم من الفصحاء يقولون : صاعقة وصواعق ، والقوم يصعقون . وتميم وبعض ربيعة يقولون : صواقع ، والقوم يصقعون .

وفي تأويل الآية ، وتشبيه المثل أقاويل :

روي عن ابن عباس : أنه مثل للقرآن . شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن وما فيه الظلمات بما في القرآن من الابتلاء . وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر . وما فيه من البرق بما فيه من البيان . وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلا ، والدعاء الى الجهاد عاجلا .

والثاني — وقيل : إنه مثل للدنيا وما فيها من الشدة والرخاء ، والبلاء كالصيب الذي يجمع نفعاً وضراً ، فان المنافق يدفع عاجل الضر ، ويطلب آجل النفع .

والثالث — انه مثل القيمة لما يخافونه من وعيد الآخرة ، لشكهم في دينهم

«١» في الطبعة الايرانية (كان) بدل وكان .ما ذكرنا عن ديوانه ١٥

«٢» سورة الاعراف : آية ١٤٢

وما فيه من البرق بما فيه من إظهار الاسلام ، من حقن دمائهم ، ومناكحتهم ، ومواريثهم . وما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل .

والرابع — أنه ضرب الصيب مثلا بضرب إيمان المنافق . ومثل ما في الظلمات بضلالته . وما فيه من البرق بنور إيمانه . وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه .

والوجه الأخير اشبه بالظاهر ، وأليق بما تقدم .

وروي عن ابن مسعود ، وجماعة من الصحابة : أن رجلين من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فاصابهما المطر الذي ذكره الله (فيه رعد شديد وصواعق وبرق) ، فجعلا كلما اصابتهما الصواعق ، جعلا أصابعهما في آذانهما من الفرق «١» أن تدخل الصواعق فى آذانهما فتقتلهما واذا لمع البرق مشيا في ضوئه ، واذا لم يلمع ، لم يبصرا ، فاقاما في مكانهما لا يمشيان . فجعلا يقولان : ليتنا قد اصبحنا فنأتي محمداً ، فنضع أيدينا في يده . فاصبحا فاتياه ، وأسلما ، وحسن إسلامهما فضرب الله شأن هذين المنافقين مثلا لمنافقي المدينة ، وأنهم اذا حضروا النبي (ص) ، جعلوا أصابعهم فرقاً من كلام النبي (ص) أن ينزل فيهم شيء ، كما قام ذانك المنافقان ، يجعلان أصابعهما في آذانهما .

(واذا أضاء لهم مشوا فيه) : يعني اذا كثرت اموالهم ، وأصابوا غنيمة وفتحاً ، مشوا فيه ، وقالوا دين محمد (صلى الله عليه وآله) صحيح .

(واذا أظلم عليهم قاموا) : يعني اذا أهلكت أموالهم ، وولد البنات ، واصابهم البلاء ، قالوا : هذا من أجل دين محمد (ص) ، وارتدوا كما قام ذانك المنافقان اذا أظلم البرق عليهما . ويقوي عندي ، أن هذا مثل آخر ، ضربه الله بالرعد والبرق لما هم فيه من الحيرة والالتباس . يقول لا يرجعون الى الحق إلا خلسا كما يلمع البرق ، ثم يعودون الى ضلالهم واصلهم الذي هم عليه ثابتون واليه يرجعون . والكفر كظلمة الليل والمطر الذي يعرض في خلالها البرق لمعاً . وهم في

«١» الفرق : الخوف

اثناء ذلك يحذرون الوعيد والعذاب العاجل إن أظهروا الكفر كما يحذرون الصواعق من الرعد ، فيضعون أصابعهم في آذانهم ارتياعا وانزعاجا في الحال ثم يعودون الى الحيرة والضلال .

(حذر الموت) : نصب على التمييز وتقديره (من حذر الموت) . ويجوز ان يكون نصباً ، لأنه مفعول له فكأنه قال : يفعلون هذا الأجل حذر الموت . ويحتمل أن يكون نصباً على الحال .

والموت : ضد الحياة . والاماتة : فعل بعده الموت . والميتة : ما لم تدرك ذكاته . والميتة : الموت في حال مخصوص من ذلك ميتة سوء . والموتان : وقوع الموت في المواشي . وموّتت المواشي : اذا كثر فيها الموت . وموتان الأرض : التي لم تزرع .

والحذر : طلب السلامة من المضرة . وحذّره تحذيرا ، وحاذره محاذرة والحذيرة : المكان الغليظ ، لأنه يتحذر منه .

قوله : (محيط بالكافرين) يحتمل أمرين :

احدهما — إنه عالم بهم ـ وإن كان عالماً بغيرهم ـ وإنما خصهم لما فيه من التهديد .

والثاني — إنه المقتدر عليهم ـ وان كان مقتدراً على غيرهم ـ ، لأنه تقدم ذكرهم ، ولما فيه من الوعيد . والمحيط : القادر . قال الشاعر :

أحطنا بهم حتى اذا ما تيقنوا بما قدروا مالوا جميعاً الى السلم

أي قدرنا عليهم . فاما الاحاطة بمعنى كون الشيء حول الشيء ، مما يحيط به فلايجوز على الله تعالى ، لأنه من صفات الأجسام . والذي يجوز ، الاحاطة بمعنى الاقدار والملك . كما يقال : أحاط ملكك بمال عظيم : يعنون أنه يملك مالا عظيما . ويقال : حاطه يحوطه حوطا : اذا حفظه من سوء يلحقه . ومنه الحائط ، لأنه يحيط بما فيه . واحاط به : جعل عليه كالحائط الدائر . والاحتياط : الاجتهاد في حفظ الشيء .

قوله تعالى :

يكادُ البرْقُ يخطَفُ أبصَارَهمْ كلما أضاءَ لهمْ مَشوْا فيه وإذا أظلمَ عليهمْ قامُوا ولَوْ شاءَ اللهُ لذَهبَ بسَمعِهِمْ وأبصَارِهمْ إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قَديرٌ . آية.

المعنى :

معنى (يكاد) : يقارب ، وفيه مبالغة في القرب ، وحذفت منه أن ، لأنها للاستقبال . قال الفرزدق :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

(يخطف) فيه لغتان يقال : خطف يخطف ، وخطِف يخطف . والأول أفصح ، وعليه القراء . وروي عن الحسن (يخطف) ـ بكسر الخاء وكسر الطاء ـ ويروى (يخطف) بكسر الياء والخاء والطاء . والخطف : السلب . ومنه الحديث ، أنه نهى عن الخطفة : يعني النهبة . ومنه قيل الخطاف : . والذي يخرج به الدلو من البئر (خطاف) ، لاختطافه واستلابه . قال نابغة بني ذبيان :

خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد اليك نوازع «١»

جعل ضوء البرق ،وشدة شعاع نوره ، كضوء إقرارهم بألسنتهم بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله ، واليوم الآخر ، ثم قال : (كلما أضاء لهم مشوا فيه) : يعني كلما أضاء البرق لهم . وجعل البرق مثلا لايمانهم . وإضاءة الايمان أن يروا فيه ما يعجبهم في عاجل دنياهم ، من إصابة الغنائم ، والنصرة على الأعداء فلذلك أضاء لهم ، لأنهم إنما يظهرون بألسنتهم ما يظهرونه من الاقرار ابتغاء ذلك ، ومدافعة عن انفسهم واموالهم ، كما قال : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه » «٢» . (واذا أظلم عليهم) : يعني

«١» خطاطيف : ج خطاف . وحجن ج أحجن : وهو المعوج . ونوازع ج نازع ونازعة من قولهم نزع الدلو من البئر ينزعها جذبها أخرجها

«٢» سورة الحج آية ١١

ضوء البرق على السائرين في الصيب الذي ضربه مثلا للمنافقين ، وظلام المنافقين : أن يروا في الاسلام ما لا يعجبهم في دنياهم ، من ابتلاء الله المؤمنين بالضراء ، وتمحيصه اياهم بالشدائد والبلاء من إخفاقهم في مغزاهم ، أو إدالة عدوهم ، أو إدبار دنياهم عنهم ، أقاموا على نفاقهم ، وثبتوا على ضلالهم ، كما ثبت السائر في الصيب الذي ضربه مثلا . (اذا أظلم) وخفت ضوء البرق ، فحار في طريقه ، فلم يعرف منهجه . وقوله : (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) ، انما خص الله تعالى ذكر السمع والبصر ، انه لو شاء ، لذهب بها دون سائر اعضائهم ، لما جرى من ذكرهما في الآيتين من قوله : (يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت) ، وفي قوله : (يخطف أبصارهم) فلما جرى ذكرهما على وجه المثل ، عقب بذكر ذلك بانه لو شاء ، اذهبه من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم ، وكفرهم ، كما توعد في قوله : (محيط بالكافرين) . وقوله : « بسمعهم » قد بينا فيما تقدم ، أنه مصدر يدل على الجمع وقيل : إنه واحد موضوع للجمع ، فكأنه أراد « باسماعهم » قال الشاعر :

كلوا في نصف بطنكم تعفوا   فان زمانكم زمن خميص (١)

اراد البطون ويقال : ذهبت به واذهبته وحكي أذهب به ، وهو ضعيف ذكره الزجاج والمعنى : ولو شاء الله لأظهر على كفرهم فدمر عليهم وأهلكهم لأنه) على كل شيء قدير) : أي قادر وفيه مبالغة

قوله تعالى :

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . آية

القراءة :

أفصح اللغات فتح الهاء بـ « أيها » وبعض بني مالك من بني اسد رهط شقيق بن سلمة يقولون : ياأيه الناس ويا أيته المرأة وياأيه الرجل.ولا يقرأ بها . ومن

---

(١) من ابيات سيبويه التي لا يعلم قائلها . سيبويه . الخزانة

رفعها توهمها آخر الحروف وقد حذفت الألف في الكتابة من ثلاثة مواضع : أيه المؤمنون وياأيه الساحر وأيه الثقلان وسنذكر خلاف القراء في التلفظ بها

النزول :

وروي عن علقمة والحسن : أن كلما في القرآن « ياأيها الذين آمنوا » نزل بالمدينه وما فيه « ياايها الناس » نزل بمكة

واعلم أن « أيا » اسم مبهم ناقص جعل صلة الى نداء ما فيه الألف واللام ويلزمه ها التي للتنبيه لابهامه ونقصه واجاز المازني « ياأي الظريف » قياساً على « يازيد الظريف » ولم يجزه غيره لأن « ايا » ناقص والنصب عطفاً على الموضع بالحمل على المعنى ولا يحمل على التأويل إلا بعد التمام وهذا هو الصحيح عندهم

المعنى :

وهذه الآية متوجهة الى جميع الناس : مؤمنهم ، وكافرهم ، لحصول العموم فيها . إلا من ليس بشرائط التكليف من المجانين والأطفال وروي عن ابن عباس أنه قال : قوله « اعبدوا ربكم » : أي وحدوه وقال غيره : ينبغي أن يحمل على عمومه في كل ما هو عبادة لله : من معرفته ، ومعرفة أنبيائه ، والعمل بما أوجبه عليهم وندبهم اليه وهو الأقوى وقوله : « لعلكم تتقون » : أي تتقون عذابه بفعل ما أوجبه عليكم كما قال : « واتقوا النار التي أعدت للكافرين »

الاعراب :

وقوله : « والذين » في موضع نصب لأنه عطف على الكاف والميم في قوله : (خلقكم) وهو مفعول به

(من قبلكم) : اي من تقدم زمانكم من الخلائق والبشر وقال مجاهد : (تتقون) : مطيعون والاول أقوى والخلق : هو الفعل على تقدير وخلق الله السماوات : فعلها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيارة ولا نقصان ومثله الرزق والخلق : الطبع والخليقة : الطبيعة وخليق به : شبيه به والخلاق : النصيب والاختلاق : افتعال الكذب والخلق : البالي والاخلق : الاملس

ومعنى « لعلكم تتقون » قال الشاعر :

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق

فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمح سراب في الملا متألق (١)

يعني قلتم لنا : كفوا لنكف ، لأنه لو كان شاكا لما كانوا وثقوا كل موثق ويقول القائل : اقبل قولي لعلك ترشد وادخاله « لعل » ترقيق للموعظة وتقريب لها من قلب الموعوظ يقول القائل لأجيره : اعمل لعلك تأخذ الاجرة وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتأخذ اجرتك وقال سيبويه : انما ورد ذلك على شك المخاطبين كما قال تعالى : (فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر او يخشى) واراد بذلك الابهام على موسى وهارون وفائدة ايراد لفظة « لعل » هو ان لا يحل العبد ابداً محل الأمن المدل الكي يزداد حرصاً على العمل وحذراً من تركه واكثر ما جاءت لعل وغيرها من معاني التشكيك فيما يتعلق بالاخرة في دار الدنيا فاذا ذكرت الأخرة مفردة جاء اليقين وهذه الآية يمكن الاستدلال بها على ان الكفار مخاطبون بالعبادات ، لدخولهم تحت الاسم . وقال بعضهم : معنى قوله (لعلكم تتقون) الكي تتقوا النار في ظنكم ورجائكم ، لأنهم لا يعلمون انهم يوقون النار في الآخرة ، لأن ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله . قال : لعلكم تتقون ذلك في ظنكم ورجائكم واجرى (لعل) على العباد دون نفسه تعالى الله عن ذلك . وهذا قريب مما حكيناه عن سيبويه . و (لعل) في الآية ، يجوز أن تكون متعلقة بالتقوى . ويجوز أن تكون متعلقة بالعبادة في قوله : (اعبدوا) . وهوالاقوى . قوله تعالى :

الَّذِي جعلَ لكمُ الارضَ فراشاً وَالسَّماءَ بناء وَأَنزلَ منَ السَّماءَ مَاء فاخرَجَ به منَ الثمرَات رِزقاً لكمْ فلا تجْعلوا للهِ أنداداً وأَنتمْ تعلمونَ

آية واحدة .

(الذي) : في موضع نصب ، لأنه نعت لقوله : (ربكم) في قوله : (اعبدوا

---

(١) قائلها غير معروف ، رواها ابن الشجري في أماليه ١ ـ ١٥ وهناك رواية أخرى ـ

ربكم) وهي مثل الذي قبلها . فانها جميعاً نعتان لـ (ربكم) .

فراشا : يعني مهاداً ، أو وطاء . لا حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها . وتقديره: اعبدوا ربكم الخالق لكم والخالق للذين من قبلكم ، الجاعل لكم الارض فراشاً . فذكر بذلك عباده نعمه عليهم ، وآلاءه لديهم ، ليذكروا اياديه عندهم ، فيثبتوا على طاعته تعطفاً منه بذلك عليهم ، ورأفة منه بهم ، ورحمة لهم من غير ما حاجة منه الى عبادتهم ، ليتم نعمته ، لعلهم يهتدون .

وسمّي السماء سماء لعلوها على الأرض ، وعلو مكانها من خلقه وكل شيء كان فوق شيء فهو لما تحته سماء لذلك . وقيل لسقف البيت سماء لأنه فوقه .

وسمي السحاب سماء . ويقال : سمى فلان لفلان اذا أشرف له ، وقصد نحوه عاليا عليه . قال الفرزدق :

سمونا لنجران اليماني واهله ونجران أرض لم تديث مقاوله (١)

وقال النابغة الذبياني :

سمت لي نظرة فرأيت منها تحيت الخدر واضعة القرام (٢)

يريد بذلك أشرفت لي نظرة وبدت . وقال الزجاج : كل ما على الأرض فهو فهو بناء لامساك بعضه بعضاً ، فيأمنوا بذلك سقوطها . فخلق السماء بلا عمد ، وخلق الأرض بلا سند ، يدل على توحيده وقدمه ، لأن المحدث لا يقدر على مثل ذلك . وانما قابل بين السماء وبين الفراش لأمرين :

احدها — ما حكاه أبو زيد : أن بنيان البيت سماؤه : وهو اعلاه ، وكذلك بناؤه وانشد :

بنى السماء فسواها ببنيتها ولم تمد باطناب ولا عمد

— « كلمح سراب في الفلا . . » والمعنى واحد فالملا : الصحراء والمتسع من الأرض . والفلا جمع فلاة : وهي الأرض المستوية ليس فيها شيء .

(١) ديوانه : ٧٣٥ . ونجران : ارض في مخاليف اليمن من مكة وديث البعير : ذلله بعض الذل حتى تذهب صعوبته . والمقاول : جمع مقول ، والمقول والقيل : الملك من ملوك حمير .

(٢) ديوانه : ٨٦ وروايته : « صفحت بنظرة » والقرام : ستر رقيق فيه رقم ونقوش . والخدر هنا : الهودج . وفي الطبعة الايرانية بدل « تحيت » « بحيث » .

يريد (بينيتها) : علوها .

والثاني — أن سماء البيت لما كان قد يكون بناء وغير بناء : اذا كان من شعر او وبر ، أو غيره . قيل جعلها بناء ليدل على العبرة برفعها . وكانت المقابلة في الارض والسماء باحكام هذه بالفرش ، وتلك بالبناء .

وقوله : (من السماء) أي من ناحية السماء . قال الشاعر :

أمنك البرق أرقبه فهاجا

أي من ناحيتك . فبناء السماء على الأرض كهيئة القبة . وهي سقف على الأرض وانما ذكر السماء والأرض ، فيما عد عليهم من نعمه التي أنعمها عليهم ، لأن فيها أقواتهم ، وأرزاقهم ومعايشهم ، وبها قوام دنياهم . وأعلمهم أن الذي خلقها وخلق جميع ما فيها من أنواع النعم هو الذي يستحق العبادة والطاعـة ، والشكر . دون الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع . وقوله : (وأنزل من السماء ماء) : يعني مطراً . فاخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم ، وغروسهم ثمرات رزقا لهم ، وغذاء وقوتاً ، تنبيهاً على أنه هوالذي خلقهم ، وأنه الذي يرزقهم ويكلفهم دون من جعلوه نداً وعدلا من الأوثان والآلهـة ، ثم زجرهم أن يجعلوا له نداً مع علمهم بان ذلك كما أخبرهم ، وانه لا ند له ولا عدل . ولا لهم نافع ولا ضار ، ولا خالق ولا رازق سواه بقوله : « فلا تجعلوا لله أنداداً » .

والند : العدل والمثل . قال حسان بن ثابت :

اتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء (١)

أي لست له بمثل ولا عدل . وقال جرير :

أتيما تجعلون إلي نداً وما تيم لذي حسب نديد

وقال مفضل بن سلمة الند : الضد . والندود : الشرود ، كما يند البعير . ويوم التناد : يوم التنافر . والتنديد : التقليل . والفراش : البساط . والفرش : البسط . فرش يفرش فرشاً ، وافترش افتراشاً . وفراش الرأس : طرائق رقاق من القحف .

(١) ديوانه ٢٨ روايته « بكفء »

والفراش : فراش القاع والطين بعد ما يبس على وجه الأرض . والفراش : الذي يطير ويتهافت في السراج . وجارية فريش : قد افترشها الرجل . والفرش : صغار النعم . ورجل فراشة : خفيف . والفرش من الشجر : دقه . واصل الماء : موه ، لأنه يجمع امواها : ويصغر مويه . وماهت الركية تموه موها . واماهها صاحبها : — اذا أكثر ماءها — إماهة .

وروى عن ابن مسعود وغيره من الصحابة ، أن معنى الآية : لا تجعلوا لله أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله . قال ابن عباس : إنه خاطب بقوله : (ولا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون) ، جميع الكفار من عباد الاصنام ، واهل الكتابين ، لأن معنى قوله : « وانتم تعلمون » أنه لا رب لكم يرزقكم غيره . وإن ما تعبدون لا يضر ولا ينفع . وروي عن مجاهد : أنه عنى بذلك أهل الكتابين . لأنهم الذين كانوا يعلمون أنه لا خالق لهم غيره ، ولا منعم عليهم سواه . والعرب ما كانت تعتقد وحدانيته تعالى . والأول أقوى لأن الله تعالى ، قد أخبر أن العرب قد كانت تعتقدوحدانيته تعالى . فقال تعالى حكاية عنهم : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله . ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) . وقال تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويدبر الأمر سيقولون الله فقل ألا تتقون » (١) ؟ فحمل الآية على عمومها اولى ، ويطابق أول الآية . وقد بينا أن خطابه لجميع الخلق . واستدل ابو علي الجبائي بهذه الآية ، على أن الأرض بسيطة ليست كرة كما يقول المنجمون والبلخي بأن قال : جعلها فراشاً . والفراش البساط بسط الله تعالى اياها . والكرة لا تكون مبسوطة . قال : والعقل يدل ايضاً على بطلان قولهم ، لأن الأرض لا يجوز أن تكون كروية مع كون البحار فيها ، لأن الماء لا يستقر إلا فيما له جنبان يتساويان ، لأن الماء لا يستقر فيه كاستقراره في الأواني . فلو كانت له ناحية في البحر مستعلية على الناحية الأخرى ، لصار الماء من الناحية المرتفعة الى الناحية

(١) سورة يونس : آية ٣١

المنخفضة . كما يصير كذلك إذا امتلأ الاناء الذي فيه الماء . وهـذا لا يدل على ماقاله ، لأن قول من قال الأرض كروية ، معناه إن لجميعها شكل الكرة.

وقوله : « وانتم تعلمون » يتحمل امرين :

احدها — إنكم تعلمون أنه لا خالق لكم ، ولا منعم بما عدده من انواع النعيم سوى الله . وإن من اشركتم به لا يضر ولا ينفع .

والثاني — إنه أراد ، وأنتم علماء بامور معايشكم ، وتدبير حروبكم ، ومضاركم ومنافعكم . لستم باغفال ولا جهال .

قوله تعالى :

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ . آية بلا خلاف .

الحجة :

هذه الآية فيها احتجاج لله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) على مشركي قوم من العرب والمنافقين ، وجميع الكفار من أهل الكتابين ، وغيرهم ، لأنه خاطب أقواماً عقلاء ألباء «١» في الذروة العليا من الفصاحة ، والغاية القصوى من البلاغة واليهم المفزع في ذلك . فجاءهم بكلام من جنس كلامهم وجعل عجزهم من مثله حجة عليهم ، ودلالة على بطلان قولهم . ووبخهم ، وقرعهم وامهلهم المدة الطويلة . وقال لهم : (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) «٢» ، ثم قال : (فاتوا بسورة مثله) «٣» وقال في موضع آخر : (بسورة من مثله) . وخبرهم أن عجزهم ، إنما هو عن النظير والجنس ، مع أنه ولد بين أظهرهم ونشأ معهم ، ولم يفارقهم في سفر ولا حضر . وهو من لا يخفى عليهم حاله لشهرته وموضعه . وهم اهل الحمية والانفة يأتي الرجل منهم بسبب كلمة على القبيلة ، فبذلوا أموالهم ونفوسهم في إطفاء امره ولم يتكلفوا معارضته

«١» الباء : ج لبيب

«٢» سورة هود : آية ١٣

«٣» سورة يونس : آية ٣٨

بسورة ولا خطبة فدل ذلك على صدقه. وذكرنا ذلك في الأصول

المعنى :

وقوله : (بسورة من مثله) قال قوم : إنها بمعنى التبعيض : وتقديره : فاتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة . وقال آخرون : هي بمعنى تبيين الصفة كقوله : (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) «١» وقال قوم : إن « من » زائدة . كما قال في موضع آخر : « بسورة مثله » : يعني مثل هذا القرآن . وقال آخرون : أراد ذلك من مثله في كونه بشراً امياً ،طريقته مثل طريقته. والأول أقوى، لأنه تعالى قال في سورة أخرى: « بسورة مثله» . ومعلوم أن السورة ليست محمداً «ص»، ولا له بنظير ولأن في هذا الوجه تضعيفاً لكون القرآن معجزة ، ودلالة على النبوة .

وقوله : « وادعوا شهداءكم من دون الله » . قال ابن عباس : أراد أعوانكم على ما أنتم عليه ، إن كنتم صادقين . وقال الفراء : أراد ادعوا آلهتكم . وقال مجاهد وابن جريج أراد قوماً يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم . وقول ابن عباس أقوى

وقوله : « مثله » ، أراد به ما يقاربه في الفصاحة ، ونظمه ، وحسن ترصيفه وتأليفه ، ليعلم أنه اذا عجزوا عنه ، ولم يتمكنوا منه ، أنه من فعل الله تعالى ، جعله تصديقاً لنبيه ، وليس المراد أن القرآن له مثل عند الله ، ولولاه لم يصح التحدي لأن ما قالوه : لا دليل عليه . والاعجاز يصح ، وإن لم يكن له مثل أصلا ، بل ذلك أبلغ في الاعجاز ، لأن ذلك جار مجرى قوله : (هاتوا برهانكم) «٢» وانما أراد نفي البرهان أصلا . والدعاء اراد به الاستعانة . قال الشاعر :

وقبلك ربّ خصم قد تمالوا عليّ فما جزعت ولا دعوت

وقال آخر :

فلما التقت فرساننا ورجالهم دعوا يالكعب واعتزينا لعامر «٣»

«١» سورة الحج آية ٣٠

«٢» سورة البقرة آية ١١١

«٣» في الطبعة الايرانيسة و « رجالنا » بدل « رجالهم » والبيت للراعي النميري : اللسان « عزا » واعتزى .

يعني انتصروا بكعب واستغاثوا بهم .

وشهداء جمع شهيد : مثل شريك وشركاء وخطيب وخطباء . والشهيد : يسمى به الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه . وقد يسمى به المشاهد للشيء . كما يقال : جليس فلان . يريد به مجالسه ومنادمه . فعلى هذا تفسير ابن عباس أقوى. وهو ، أن معناه استنصروا أعوانكم على أن يأتوا بمثله، وشهداءكم الذين يشاهدونكم ويعاونونكم على تكذيب الله ورسوله ، ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم إن كنتم محقين . وما قاله مجاهد وابن جريج في تأويل ذلك لا وجه له ، لأن القوم على ثلاثة اصناف : فبعضهم اهل ايمان صحيح . وبعضهم أهل كفر صحيح . وبعضهم أهل نفاق . فأهل الايمان اذا كانوا مؤمنين بالله ورسوله ، فلا يجوز ان يكونوا شهداء للكفار على ما يدعونه . واما اهل النفاق والكفر فلا شك انهم اذا دعوا الى تحقيق الباطل وابطال الحق ، سارعوا اليه مع كفرهم وضلالتهم . فمن أي الفريقين كانت تكون شهداء . لكن يجري ذلك مجرى قوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » «١» وقد أجاز قوم هذا الوجه أيضاً قالوا : لأن العقلاء لا يجوز أن يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يفتضحون به في كلام أنه مثل القرآن ولا يكون مثله . كما لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على ان يعارضوا ما ليس بمعارض في الحقيقة .

ومعنى الآية : إن كنتم في شك من صدق محمد صلى الله عليه وآله فيما جاءكم به من عندي ، فاتوا بسورة من مثله ، فاستنصروا بعضكم بعضاً على ذلك إن كنتم صادقين في زعمكم حتى إذا عجزتم وعلمتم انه لا يقدر على ان يأتي به محمد « ص » ، ولا احد من البشر يتضح عندكم انه من عند الله تعالى قوله تعالى :

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ . آية

المعنى :

معنى « فان لم تفعلوا » لم تأتوا بسورة من مثله -- وقد تظاهرتم انتم

«١» سورة أسرى : آية ٨٨ .

وشركاؤكم عليه واعوانكم — وقد تبين لكم بامتحانكم ، واختباركم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندي ، ثم اقمتم على التكذيب به

وقوله : (ولن تفعلوا) لا موضع له من الاعراب ، وانما هو اعتراض بين المبتدأ والخبر ، كقولك : زيد - فافهم ما اقول — رجل صدق . وانما لم يكن له موضع اعراب ، لأنه لم يقع موضع المفرد . ومعنى (ولن تفعلوا) : اي لن تأتوا بسورة من مثله ابداً ، لأن (لن) تنفي على التأبيد في المستقبل وفي قوله : (ولن تفعلوا) دلالة على صحة نبوته ، لأنه يتضمن الاخبار عن حالهم في المستقبل بانهم لا يفعلون ولا يجوز لعاقل ان يقدم على جماعة من العقلاء يريد تهجينهم فيقول : انتم لا تفعلون إلا وهو واثق بذلك ، ويعلم ان ذلك متعذر عندهم وينبغي ان يكون الخطاب خاصاً لمن علم الله انه لا يؤمن ، ولا يدخل فيه من آمن فيما بعد وإلا كان كذبا

وقوله : (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) . الوقود ـ بفتح الواو ـ اسم لما يوقد . والوُقود ـ بضمها ـ : المصدر . وقيل إنها بمعنى واحد في المصدر واسم الحطب . حكاه الزجاج والبلخي . والاول أظهر .

(اتقوا الله) ـ مشددة ـ لغة اهل الحجاز . وبنو أسد وتميم يقولون : (تقوا الله) خفيف بحذف الألف .

(الحجارة) قيل : إنها حجارة الكبريت لأنها أحر شيء اذا حميت . وروي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود . والظاهر إن الناس والحجارة : وقود النار وحطبها كما قال : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) «١» تهيباً وتعظيما بانها تحرق الحجارة والناس .

وقيل : إن أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقدها النار بالقدح وقال قوم معناه : أنهم يعذبون بالحجارة المحماة مع النار . والاول أقوى وأليق بالظاهر . وانما جاز أن يكون قوله : (فاتقوا النار) جواب الشرط مع لزوم الاتقاء

«١» سورة الانبياء : آية ٩٨ .

من النار كيف تصرفت الحال ، لأنه لا يلزمهم الاتقاء على التصديق بالنبوة إلا بعد قيام المعجزة ، فكأنه قال : فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا ، فقد قامت الحجة ، ووجب اتقاء النار بالمخالفة .

وقوله : (اعدت للكافرين) لا يمنع من اعدادها لغير الكافرين من الفسّاق كما قال : (وإن جهنم لمحيطه بالكافرين) «١» ولم يمنع ذلك من إحاطتها بالفساق والزناة والزبانية . وقال قوم : هذه نار مخصوصة للكافرين لا يدخلها غيرهم . والفساق لهم نار أخرى . وقد استدل بهذه على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلي . بان قيل : كما احتج الله تعالى على الكافرين بما ذكره في هذه الآية وألزمهم به تصديق النبي (ص) والمعرفة بان القرآن كلامه ، لأنه قال : إن كان هذا القرآن كلام محمد فاتوا بسورة من مثله . ودلهم بعقولهم أنه لو كان كلام محمد لتهيأ لهم مثل ذلك ، لأنهم الذين يؤخذ عنهم اللغة . واذا كان لم يتهيأ لهم ذلك علموا بعقولهم أنه من كلام الله وهذا هو معنى الاحتجاج بالعقول ، فيجب ان يكون ذلك صحيحاً من كل واحد

قوله تعالى :

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمنوا وَعَملوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهمْ جنات تَجْرِي مِنْ تَحتِها الأَنْهارُ كلما رُزِقوا مِنها مِنْ ثَمرةٍ رِزقاً قالوا هَذا الَّذي رُزِقنا مِنْ قبلُ وأُتوا بِهِ مُتَشابِهاً وَلَهمْ فيها أَزوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيها خالدُونَ . آية

اللغة :

البشارة : هو الاخبار بما يسر المخبر به إذا كان سابقاً لكل خبر سواه ، لأن الثاني لا يسمى بشارة وقد قيل : إن الاخبار بما يغم ايضاً يسمى بشارة . كما قال تعالى :(فبشرهم بعذاب أليم) «٢» والاولى أن يكون ذلك مجازاً . وهي مأخوذة

«١» سورة التوبة : آية ٥٠ .

«٢» سورة آل عمران: آية ٢١ .

من البشرة : وهي ظاهر الجلد لتغيرها بأول الخبر . ومنـه تباشير الصبح : أوله ، وكذلك تباشير كل شيء .المبشرات : الرياح التي تجيء لسحاب . والبشر : الانسان والبشرة : أعلى جلدة الجسد ، والوجه من الانسان .

والمباشرة : ملاصقة البشرة . والبشر : قشر الجلد .

والجنان : جمع جنة ، والجنة : البستان . والمراد بذكر الجنة ما في الجنـة من اشجارها واثمارها ، وغروسها دون أرضها ، فلذلك قال: (تجري من تحتها الانهار) لأنه معلوم انه اراد الخبر عن ماء انهارها انه جار تحت الاشجار والغروس والثمار لا انه جار تحت ارضها ، لأن المـاء اذا كان تحت الارض جاريا ، فلا حظ فيـه للعيون إلا بكشف الساتر بينـه وبينها ، على ان الذي يوصف به انهار الجنة انها جارية في غير اخاديد . روي ذلك عن مسروق ، رواه عنه ابو عبيدة وغيره .

الاعراب :

(وجنات) : منصوب بان . وكسرت التاء لأنها تاء التأنيث في جمع السلامة وهي مكسورة في حال النصب بالخفض . وموضع « ان » نصب بقوله : « وبشر الذين » .وقال الخليل والكسائي : موضعه الجر بالباء كأنه قال : وبشرهم بأن لهم .

المعنى :

وقال الفضل : الجنة: كل بستان فيه نخل ، وإن لم يكن شجر غيره . وإن كان فيه كرم : فهو فردوس ، كان فيه شجر غير الكرم ام لم يكن

(من ثمرة) : من زائدة والمعنى: كلما رزقو ثمرة . (ومنها) : يعني من الجنات والمعنى : أشجارها وتقديرها : كلمـا رزقوا من اشجار البساتين التي اعدها الله المؤمنين وقال الرماني : هي بمعنى التبعيض ، لأنهم يرزقون بعض الثمرات في كل وقت ويجوز ان تكون بمعنى تبيين الصفة وهو ان يبين الرزق من اي جنس هو

وقوله : « هذا الذي رزقنا من قبل » روي عن ابن عباس ، وابن مسعود

وجماعة من الصحابة انه الذي رزقنا في الدنيا وقال مجاهـد : معناه اشبهه به . وقال بعضهم : إن ثمار الجنة إذا جنيت من اشجارها ، عاد مكانها فاذا رأوا ما عاد بعـد الذي جني ، اشتبه عليهم . فقالوا :هذاالذي رزقنا من قبل .وهذا قول أبي عبيدة ، ويحيى بن أبي كثير . وقال قوم : هذا الذي رزقنا ، وعدنا به في الدنيا . وقد بينا فيما تقدم ، أن الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد المنع منه . وقال المفضل ذلك يخص الاقوات . وقال قوم : هذا الذي رزقنا من قبـل لمشابهته في اللون وإن خالفه في الطعم . واقوى الأقوال قول ابن عباس وأن معناه هذا الذي رزقنا في الدنيا ، لأنه قال : (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هـذا الذي رزقنا من قبل) فعم ولم يخص . فاول ما اتوا به لا يتقدر هذا القول فيه إلا بأن يكون اشارة الى ما تقدم رزقه في الدنيا ، لأنا فرضناه أولا وليس في الآية تخصيص ويكون التقدير هذا الذي رزقنا في الدنيا لأن ما رزقوه أولا قد عدم واقام المضاف اليه مقام المضاف كما أن القائل اذا قال لغيره: أعددت لك طعاماً ، ووصفه له ، يحسن أن يقول : هذا طعام كل وقت يريد مثله ومن جنسه ، ونوعه وقوله : «واتوا به متشابها»قال الضحاك :إذا رأوه ،قالوا : هوالأول في النظر واللون ، واذا طعموا وجدوا له طعماً غير طعم الاول وقوله :

(واتوا به) معناه جيئوا به ، وليس معناه أعطوه . وقال قوم: (وأتو به متشابهاً) أي يشبه بعضه بعضاً إلا في المنظر والطعم أي كل واحد منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للاخر في نحوه . ذكره الأخفش . وهـذا كقول القائل : وقـد جيء بأثواب أو أشياء رآها فاضلة فاشتبهت عليه في الفضل، فقال :ما أدري ما أختار منها كلها عندي فاضل . قال الشاعر

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

يعني أنهم تساووا في الفضل والسؤدد . وروي هذا عن الحسن وابن جريج وقال قتادة معناه يشبه ثمار الدنيا غـير انها أطيب . وقال ابن زيد والاشجعي: إن التشابه في الاسماء دون الالوان والطعوم ، فلا يشبه ثمار الجنة شيء من ثمار الدنيا

في لون ولا طعم . واولى هـذه الاقوال أن يكون المراد به متشابهاً في اللون والمنظر على ان الطعم مختلف لما قدمناه من أن هذا يقولونه في أول الحال أيضاً ، وما تقدر عليه غرة . وبعد هذا قول من قال : معناه أن كلها جياد لا رذال فيه . وقال بعض المتأخرين في قوله (هذا الذي رزقنا من قبل) معناه هذا الذي اعطينا بعبادتنا من قبل وقال ابو علي معناه ذلك ما يؤتون به في كل وقت من الثواب مثـل الذي يؤتى في الوقت الذي قبله من غير زيادة ولا نقصان ، لأنه لابد أن تتساوى مقادير الاستحقاق في ذلك ، وقال أيضاً يجب أن يسوي بينهم في الاوقات في مقـدار ما يتفضل به عليهم في وقت ، ويزدادون في وقت آخر قال : لأن ذلك يؤدي الى أن التفضل أعظم من الثواب . وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لأن العقـل لا يدل على مقادير الثواب في الاوقات ولا يعلم ذلك غير الله ، بل عندنا لا يدل العقل على دوام الثواب وانما علم ذلك بالسمع والاجماع واما التفضل فلا شك أنه يجوز أن يزيد في وقت على ما يفضـله في وقت آخر ولا يؤدي ذلك الى مساواته للثواب ، لأن الثواب يتميز من التفضل لمقارنة التعظيم له والتبجيل ولأجل ذلك يتميز كل جزء من الثواب من كل جزء من التفضل ولا زيادة هناك

وقوله (ولهم فيها ازواج مطهرة) قيل في الأبدان والأخلاق والافعال ولا يحضن ، ولا يلدن ، ولا يذهبن الى غائط . وهو قول جماعة المفسرين

وقوله (وهم فيها خالدون) أي دائمون يبقون ببقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاد

قوله تعالى:

إِنَّ اللهَ لا يَستحيي أَنْ يَضرِبَ مَثَلاً ما بَعوضَةً فما فوقَها فأما الَّذينَ آمَنوا فَيعلمونَ أنهُ الحقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وأما الَّذينَ كَفروا فَيقولونَ ماذا أرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً يُضلُّ بهِ كَثيراً وَيَهدي بهِ كَثيراً وما يُضلُّ بهِ إلا الفاسِقينَ . آية واحدة . سبب النزول :

اختلف اهل التأويل في سبب نزول هذه الآية فروي عن ابن مسعود وابن

عباس أن الله تعالى ، لما ضرب هذين المثلين للمنافقين وهو قوله (كمثل الذي استوقد ناراً) وقوله (أو كصيب من السماء) قال المنافقون الله أجل من (أن يضرب مثلا) الى آخر الآية ، وقال الربيع بن أنس هـذا مثل ضربه الله للدنيا ، لأن البعوضة تحيا ما جاعت ، فاذا سمنت ماتت فشبه الله تعالى هؤلاء بانهم اذا امتلؤوا أخذهم الله ، كما قال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الى آخر الآية) (١) — الى ان قال — (حتى اذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) «٢» ، وقال قتادة معناه أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها أي لا يستحيي من الحق أن يذكر منه شيئاً ما قل أو كثر . إن الله تعالى حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال اهل الضلالة ماذا اراد الله من ذكر هذا ؟ فانزل الله تعالى (ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها : الآية) وكل هـذه الوجوه حسنة . واحسنها قول ابن عباس ، لأنه يليق بما تقدم . وبعده ما قال قتادة . وليس لأحد ان يقول : هذا المثل لا يليق بما تقدم . من حيث لم يتقدم للبعوضة ذكر . وقد جرى ذكر الذباب والعنكبوت في موضع آخر . في تشبيه آلهتهم بها وان يكون المراد بذلك اولى ، وذلك ان قوله : « ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » . انما هو خبر منه تعالى انه لا يستحيي تعالى أن يضرب مثلا في الحق من الأمثال : صغيرها وكبيرها ، لأن صغير الأشياء عنده وكبيرها بمنزلة واحدة من حيث لا يتسهل الصغير ، ولا يصعب الكبير . وإن في الصغير من الاحكام والاتقان ما في الكبير . فلما تساوى الكل في قدرته ، جاز أن يضرب المثل بما شاء من ذلك ، فيقر بذلك المؤمنون ، ويسلمون — وان ضل به الفاسقون بسوء اختيارهم — وهذا المعنى مروي عن مجاهد . وروي عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) انه قال : إنما ضرب الله بالبعوضة ، لأن البعوضة على صغر خلق فيها جميع ما في الفيل على كبره وزيادة عضوين آخرين. فاراد الله ان ينبه بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب عظم صنعه.

«١و٢» سورة الانعام: آية ٤٤.

المعنى :

و (يستحيي) لغة اهل الحجاز وعامة العرب بيائين . وبنو تميم يقولون : بياء واحدة اخصر. كما قالوا : الم يك ، ولا ادر ومعنى (يستحيي) : قال بعضهم : إنه لا يخشى ان يضرب مثلا كما قال : (وتخشى الناس والله احق ان تخشاه)«١» معناه : تستحي الناس والله احق ان تستحييه ، فيكون الاستحياء بمعنى الخشية بمعنى الاستحياء . وقال الفضل بن سلمة : معناه لا يمتنع وقال قوم : لا يترك وهو قريب من الثاني

واصل الاستحياء : الانقباض عن الشيء ، والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح والاستحياء ، والانخزال والانقماع ، والارتداع متقاربة المعنى وضد الحياء القحة ومعنى (الاستحياء)في الآية: انه ليس في ضرب المثل بالحقير عيب يستحي وكأنه قال : لا يحل ضرب المثل بالبعوضة محل ما يستحي منه فوضع قوله : ـ (إن الله لا يستحيي) الآية ـ إختاره الرماني وقوله : (ان يضرب مثلا) فهو ان يصف ويمثل ويبين كما قال تعالى (ضرب لكم مثلا من انفسكم)«٢» معناه وصف لكم كما قال الكميت:

وذلك ضرب أخماس أريدت لأسداس عسى أن لا تكونا

والمعنى وصف أخماس . وضرب المثل بمثله . يقال : أي ضرب هذا ؟ أي من أي جنس ولون . والضروب : الأمثال . والمثل : الشبه . ويقال : مِثل ومَثل . كما قالوا : شِبه وشَبه . كقول كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لنا مثلا وما مواعيده إلا الأباطيل

يعني شبهاً . فمعنى الآية : إن الله لا يستحيي أن يصف شبهاً لما شبه به .

الاعراب :

وإما إعراب (بعوضة) : فنصب من وجهين — على قول الزجاج — احدها — ان تكون « ما » زائدة . كأنه قال : إن الله لا يستحيي أن

«١» سورة الاحزاب . آية ٣٧.

«٢» سورة الروم: آية ٢٨ .

يضرب بعوضة مثلا أو مثلا بعوضة وتكون « ما » زائدة . نحو قوله : (فبما رحمة من الله) . «١»

والثاني — أن تكون « ما » نكرة . ويكون المعنى : أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا شيء بعوضة . فكان بعوضة في موضع نصب شيء ، لأنه قال : يستحيي ان ضرب مثلا شيء من الاشياء بعوضة فما فوقها . قال الفراء يجوز أن يكون معنى « ما » بين بعوضة الى ما فوقها كما يقول القائل : مطرنا ما «٢» زبالة فالثعلبية . وله عشرون ما ناقة وجملا . وهي أحسن الناس ما قرنا فقدما . يعنون ما بين في جميع ذلك . وقال بعضهم : « ما » بمعنى الذي . ويكون التقدير الذي هو بعوضة لأنها من صلة الذي ، فأعربها باعرابه . كما قال حسان بن ثابت :

فكفى بنا فخراً على من غيرنا حب النبي محمد ايانا

فأعرب (غيرنا) باعراب (من) ويجوز ذلك في من وما ، لأنها يكونان تارة معرفة وتارة نكرة .

والبعوضة : من صغار البق . وقوله : « فما فوقها » في الصغر والقلة . كما يقول القائل : إن هذا الأمر لصغير ، فيقول المجيب : وفوق ذلك أي هو أصغر مما قلت . وكلاهما جائز فمن قال بالأول ، قال : لأن البعوضة غاية في الصغر ومن قال بالثاني ، قال : يجوز أن يكون ما هو أصغر منها وحكي عن رؤبة ابن العجاج : انه رفع بعوضة وانشد بيت النابغة :

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا أو نصفه فقد «٣»

بالرفع فأعمل ما ولم يعمل ليت قال : وهي لغة تميم يعملون آخر الأداتين وقال الزّجاج : الرفع كان يجوز وما قرىء به اذا كانت « ما » بمعنى الذي ، ويقدر بعدها هو ويكون تقديره مثلا الذي هو بعوضة كمن قرأ تماماً على الذي هو أحسن وقد قرىء به وهو ضعيف عند سيبويه وفي الذي اقوى ، لأنه أطول ، ولأنها

«١» سورة آل عمران : آية ١٥٩

«٢» في المطبوعة « بين » بعد ما زائدة

«٣» قد : اسم فعل بمعنى يكفي

لا تستعمل إلا في الاسماء

وقوله : (فأما الذين) لغة العرب جميعاً بالتشديد . وكثير من بني عامر وتميم يقولون أيما فلان ففعل الله به وانشد بعضهم :

مبتلة هيفاء أيما وشاحها فيجري وايما الحجل منها فلا يجري

(آمنوا فيعلمون أنه الحق) الفاء جواب (أما) وفيها معنى الشرط والجزاء

والمعنى : ان المؤمنين بالله على الحقيقة يعلمون أن هذا المثل حق من عند الله وأنه من كلامه . (واما الذين كفروا) يعني الجاحدين ، (فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا) على ما بيناه .

وانتصب (مثلا) عند ثعلب بانه قطع . وعند غيره انه تفسير . وقال قوم : إنه نصب على الحال . وذا مع ما بمعنى أي شيء الذي أراد الله بهذا مثلا . فعلى هذا يكون الجواب رفعاً ، كقولك : البيان لحال الذي ضرب له المثل . ويحتمل أن يكون وقعا ذا وما بمنزلة اسم واحد فيكون الجواب نصباً كقولك : البيان لحال الممثل به . ورد القرآن بها جميعاً . قال تعالى : (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وفي موضع آخر : (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) ذكرها سيبويه ، والأخفش وهذا إشارة الى المثل . ومثلا ما ، نون التنوين تدغم في الميم عند جميع القراء . ويكره الوقف فيها على قوله : « لا يستحيي » ثم يقول : (أن يضرب مثلا) وكذلك على قوله : « والله لا يستحيي » ثم يقول : « من الحق » .

وقوله : « يضل به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين » . إن قيل : أليس تقولون : إن الله لا يضل أحداً ، ولا يهدي خلقاً ، وإن العباد هم يضلون انفسهم ويهدونها ، وهم يضلون من شاءوا ويهدون من شاءوا . وقد قال الله تعالى : في غير موضع من كتابه نحو قوله : (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ، ولا يمكنكم ان تقولوا : إن المراد بالاضلال العقوبة والتسمية ، لأنه لو قال : يضل كثيراً ويهدي كثيراً ، كان ذلك ممكناً ، لكنه قال : (يضل به) و (يهدي به) والهاء راجعة الى القرآن ، والمثل الذي ضربه فيه . ولا يجوز أن يعاقب بالمثل ، ولا أن يسمى

بالمثل . فعلم بذلك أنه أراد أنه ليس عليهم وجمله حيرة لهم

قلنا اول ما في ذلك انا لا نطلق أن الله لا يضل احداً ولا يهدي احداً . ومن اطلق ذلك ، فقد اخطأ . ولا نقول ايضاً إن العباد يضلون انفسهم ويهدونها مطلقاً او يضلون غيرهم ويهدونه . فان إطلاق جميع ذلك خطأ ، بل نقول : إن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء . ونقول : إن من اضله الله فهو الضال ومن هداه فهو المهتدي ، ولكن لا نريد بذلك ما يريده المخالف مما يؤدي الى التظليم والتجوير لله في حكمه والمخالف يقول : إن الله يضل كثيراً من خلقه بمعنى انه يصدهم عن طاعته ، ويحول بينهم وبين معرفته ، ويلبس عليهم الأمور ويحيرهم ويغالطهم ، ويشككهم ويوقعهم في الضلالة ، ويجبرهم عليها . ومنهم من يقول : يخلقها فيهم ، ويخلق فيهم قدرة موجبة له ، ويمنعهم الأمر الذي به يخرجون منها ، فيصفون الله تعالى باقبح الصفات وأخسها . وقالوا فيه بشرّ الأقوال . وقلنا نحن : إن الله قد هدى قوماً واضل آخرين ، وأنه يضل من يشاء . غير أن لفضله وكرمه ، وعدله ورحمته لا يشاء أن يضل إلا من ضل وكفر وترك طريق الهدى وإنه لا يشاء ان يضل المهتدين والمتمسكين بطاعته ، بل شاء أن يهديهم ويزيدهم هدى ، فانه يهدي المؤمنين بان يخرجهم من الظلمات الى النور . كما قال تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم) «١» وقال : (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) «٢» . وقال : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) «٣» وقال : (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اولئك هم الخاسرون)«٤» وقال : (ويضل الله الظالمين) «٥» . والاضلال على وجوه كثيرة منها :

— ما نسبه الله تعالى الى الشيطان : وهو الصد عن الخير والرشد والدعاء الى

«١» سورة محمد : آية ١٧ .

«٢» سورة التغابن : آية ١١ .

«٣» سورة البقرة : آية ٢٥٧ .

«٤» سورة البقرة : آية ٢٧ .

«٥» سورة ابراهيم : آية ٢٧ .

الفساد والضلال ، وتزيين ذلك ، والحث عليه . وهذا ينزه الله تعالى عنه .

— ومنها التشديد الامتحان والاختبار اللذين يكون عندها الضلال ويعقبها ونظير ذلك في اللغة أن يسأل الرجل غيره شيئاً نفيساً خطيراً يثقل على طباعه بذله فاذا بخل به ، قيل له نشهد لقد بخل به فلان . وليس يريدون بذلك عيب السائل وانما يريدون عيب الباخل المسؤول، لكن لما كان بخل المسؤول ظهر عند مسألة السائل جاز أن يقال في اللغة : انه بخلك . ويقولون للرجل اذا أدخل الفضة النار ليعلم فسادها من صلاحها ، وظهر فسادها : أفسدت فضتك ، ولا يرون أنه فعل فيها فساداً ، وإنما يريدون ان فسادها ظهر عند محنته . ويقرب من ذلك قولهم : فلان أضل ناقته ، ولا يريدون انه أراد أن يضل ، بل يكون قد بالغ في الاستتار منها وانما يريدون ضلت منه لا من غيره . ويقولون افسدت فلانة فلانا ، واذهبت عقله . وهي لا تعرفه ، لكنه لما فسد وذهب عقله من أجلها ، وعند رؤيته إياها قيل : قد افسدت ، واذهبت عقله .

— ومنها التخلية على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر والاجبار ، ومنع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين جزاء على ايمانهم . كما يقول القائل لغيره افسدت سيفك ، اذا ترك أن يصلحه . لا يريد أنه أراد أن يفسد أو أراد سبب فساده ، أولم يحب صلاحه ، لكنه تركه فلم يحدث فيه الاصلاح ـ في وقت ـ بالصقل والاحداد . وكذلك قولهم : جعلت اظافيرك سلاحاً . وانما يريدون تركت تقليمها .

— ومنها التسمية بالاضلال والحكم به كافراً . يقال : أضله اذا سماه ضالا . كما يقولون : أكفره اذا سماه كافراً ، ونسبه اليه . قال الكميت :

وطائفة قد أكفروني بحبكم وطائفة قالوا : مسيء ومذنب

— ومنها الاهلاك والتدمير . قال الله تعالى : « أإذا ضللنا في الارض » أي هلكنا . فيجوز أن يكون أراد بالآية : حكم الله على الكافرين ، وبراءته منهم ولعنه إياهم إهلاكا لهم ، ويكون اضلاله إضلالا كما كان الضلال هلاكا . واذا كان الضلال ينصرف على هذه الوجوه ، فلا يجوز أن ينسب الى الله تعالى اقبحها وهو ما أضافه الى الشيطان ، بل ينبغي أن ينسب اليه أحسنها وأجلها . واذا ثبتت

هذه الجملة ، رجعنا الى تأويل الآية ، وهو قوله : « يضل به كثيراً » معناه أن الكافرين لما ضرب الله لهم الامثال قالوا : ما الحاجة اليها ؟ قال الله تعالى : فيها أعظم الفائدة : لأنها محنة واختبار . وبها يستحق الثواب ، ويوصل إلى النعيم. فسمى المحنة اضلالا وهداية ، لأن المحنة إذا اشتدت على الممتحن وثقلت فضل عندها ، جاز أن تسمى اضلالا ، فاذا سهلت فاهتدى عندها ، سميت هداية ، كما أن الرجل يقول لصاحبه : ما يفعل فلان ؟ فيقول هو ذا . يسخي قوماً ويبخل قوماً آخرين أي يسأل قوماً فيشتد عليهم للعطاء فيبخلون ، ويسأل آخرين ، فيسهل عليهم فيعطون ويجودون ، فسمي سؤاله باسم ما يقع عنده ويعقبه .

ثم معنى قوله : « يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً » أي يمتحن به عباده ، فيضل به قوم كثير ، ويهتدي به قوم كثير . ولا يجب على ذلك أن يكون أراد إضلالهم . كما لا يجب ذلك في السائل الذي لا يريد بخل المسئول ، بل يريد إعطاءه فان قيل : أليس الله تعالى امتحن بهذه الأمثال المؤمنين كما امتحن بها الكافرين ، فيجب أن يكون مضلا لهم ؟ قلنا : إنما سمى المحنة الشديدة إضلالا إذا وقع عندها الضلال كما أن السؤال يسمى تبخيلا إذا وقع عنده البخل .

وقال قوم : معنى قوله : « يضل به كثيراً » يعني يضل بالتكذيب بهذه الأمثال كثيراً ويهدي بالايمان كثيراً ، لأنه لو كان سبباً للضلال لما وصفه الله بأنه هدى وبيان وشفاء لما في الصدور . وحذف التكذيب والاقرار اختصاراً ، لأن في الكلام ما يدل عليه . كما يقول القائل : نزل السلطان فسعد به قوم وشقي به آخرون . وانما يراد به سعد باحسانه قوم وشقي باساءته آخرون . لا بنزول جيشه ، لأنه نفسه لايقع به سعادة ولا شقاء . وكما قال : « وأشربوا في قلوبهم العجل » وانما أراد حب العجل . وذلك كثير . وقد بينا أن الاضلال والهداية يعبر بها عن العذاب والثواب ، فعلى هذا يكون تقدير الآية : يضل أي يعذب بتكذيب القرآن ، والأمثال كثيراً ، ويهدي أي يثيب بالاقرار به كثيراً . والدليل على

ما قلناه قوله : « وما يضل به إلا الفاسقين » فلا يخلو أن يكون أراد ما قلناه من العقوبة على التكذيب ، أو أراد به الحيرة والتشكيك ، وقد ذكرنا انه لا يفعل الحيرة المتقدمة التي بها صاروا ضلالا فساقاً ، لم يفعلها الله إلا بحيرة قبلها ، وهذا يوجب مالا نهاية له من حيرة قبل حيرة ، لا إلى أول ، أو اثبات إضلال لا إضلال قبله ، فان كان الله قد فعل هذا الضلال الذي لم يقع قبله ضلال فقد أضل من لم يكن فاسقاً ، وهذا خلاف قوله : « وما يضل به إلا الفاسقين » فثبت أنه أراد أنه لا يعاقب إلا الفاسقين ، كما قال : « ويضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء « ١ »

وحكى الفراء وجهاً آخو آمليحاً ، قال : قوله « ماذا أراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً » حكاية عمن قال ذلك ، كأنهم قالوا : ماذا أراد بهذا مثلا يضل به كثيراً ، أي يضل به قوم ويهدي به قوم ، ثم قال الله : « وما يضل به إلا الفاسقين » فبين عزوجل الاضلال ، وأنه لا يضل إلا ضالا فاسقاً ، واقتصر على الاخبار عنهم وبيان ما بين الاضلال دون ما أراد بالمثل ، وهذا وجه حسن تزول معه الشبهة .

وأصل الفسق في اللغة الخروج عن الشيء ، يقال منه : فسقت الرطبة إذا اخرجت من قشرها ، ومن ذلك سميت الفارة فويسقة ، لخروجها من حجرها ، ولذلك سمي المنافق والكافر فاسقين لخروجها عن طاعة الله ، ولذلك قال الله تعالى في صفة إبليس : « إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » « ٢ » يعني خرج من طاعته واتباع أمره .

قوله تعالى :

الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ

« ١ » سورة ابراهيم : آية ٢٧ .

« ٢ » سورة الكهف آية ٥١ .

اللهُ بهِ أن يُوصَلَ وَيُفسدونَ في الأَرْضِ أُولَئكَ هُمُ الخاسرونَ.

آية واحدة.

العهد : العقد ، والأصر مثله ، والعهد : الموثق . والعهد : الالتقاء ، يقال : ما لفلان عهد بكذا ، وهو قريب العهد بكذا . والعهد له معان كثيرة . وسمي المعاهد — وهو الذمي — بذلك لأنه بايع على ما هو عليه من إعطاء الجزية ، والكف عنه . والعهدة كتاب الشراء ، وجمعه عهد . وإذا أقسم بالعهد تعلق به عندنا كفارة الظهار ، وقال قوم : كفارة يمين ، وقال آخرون : لا كفارة عليه .

و « عهد الله » قال قوم : هو ما عهد إلى جميع خلقه في توحيده وعدله ، وتصديق رسوله بما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته ، وعهد إليهم في أمره ونهيه ، وما احتج به لرسله بالمعجزات التي لا يقدر على الاتيان بمثلها الشاهدة لهم على صدقه . ونقضهم ذلك : تركهم الاقرار بما قد ثبت لهم صحته بالأدلة ، وتكذيبهم الرسل والكتب .

وقال قوم هو وصية الله إلى خلقه ، وأمره على لسان رسله إياهم فيما أمرهم به من طاعته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه . ونقضهم : تركهم العمل به .

وقال قوم : هذه الآية نزلت في كفار أهل الكتاب ، والمنافقين منهم ، وإياهم عنى الله عزوجل بقوله « إن الذين كفروا سواء عليهم .. » الآية . وقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله » وكل ما في هذه الآية من اللوم والتوبيخ متوجه إليهم . وعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه هو ما أخذه عليهم في التوراة من العمل بما فيها ، واتباع محمد (ص) إذا بعث ، والتصديق بما جاء به من عند ربهم ، ونقضهم ذلك جحودهم به بعد معرفتهم بحقيته « ١ » وانكارهم ذلك ،

«١» نسخة بدل (بحقيته)

وكتمانهم ذلك عند الناس بعد إعطائهم إياه تعالى من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، وإيمانهم أنهم متى جاءهم نذير آمنوا به ، فلما جاءهم النذير ازدادوا نفوراً ، ونبذوا ذلك وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا . وهذا الوجه اختاره الطبري . ويقوي هذا قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين من كتابٍ وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم على ذلك امري قالوا : اقررنا ، قال : فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين » « ١ » والامر العهد أيضاً وقال في موضع آخر: « وأقسموا بالله جهدأيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها» «٢» وقال : « وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا » « ٣ » وقال قوم : انما عنى بذلك العهد الذي أخذه الله حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصفه في قوله : « واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم .. الى آخر الآية » « ٤ » وهذا الوجه عندي ضعيف لأن الله تعالى لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه . وما ذكروه غير معلوم اصلا . والآية سنبين القول فيها اذا انتهينا اليها إن شاء الله .

والقطع هو الفصل بين الشيئين احدهما من الآخر . والأصل أن يكون في الأجسام ويستعمل في الأعراض تشبيهاً به . يقال قطع الحبل والكلام . والأمر هو قول القائل لمن دونه : افعل وهو ضد النهي . والوصل هو الجمع بين الشيئين من غير حاجز وقال قوم الميثاق هوالتوثيق . كما قال : « انبتكم من الارض نباتا » كقولهم اعطيتهم عطاء يريد اعطاء . الاعراب : ـ وقوله : «ان يوصل» بدل من الهاء التي في به تقديره : ما أمر الله بأن يوصل ، وهو في موضع خفض. (والذين) موضعه نصب ، لأنه صفة للفاسقين .(أولئك) رفع بالابتداء . (والخاسرون)خبره . (وهم) فصل عند

«١» سورة آل عمران اية ٨١ .

«٢» سورة الانعام اية ١٠٩ .

«٣» سورة فاطمة اية ٤٣ .

«٤» سورة الاعراف اية ١٧١ .

البصريين وعماد عند الكوفيين . ويجوز أن يكون هم ابتداء ثانياً . والخاسرون خبره . والجملة في موضع خبر اولئك والنقض ضد الابرام . والميثاق والميعاد والميقات متقاربة المعنى . يقال وثق يثق ثقة واوثق ايثاقاً . وتوثق توثقاً . ويقال فلان ثقة للذكر والانثى ، والواحد والجمع بلفظ واحد . فاذا جمع قيل ثقـات في الرجال والنساء . ومن لابتداء الغاية في الآية . وقيل : إنها زائدة . والهاء في قوله ميثاقه يحتمل ان تكون راجعة الى اسم الله تعالى . وقال قتادة قوله : « ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل » وقطيعة الرحم والقرابة . وقال غيره معناه الأمر بأن يوصل كل من أمر الله بصلة من اوليـائه . والقطع : البراءة من اعدائه وهـذا أقوى ، لأنه أعم من الأول . ويدخل فيه الأول . وقال قوم : اراد صلة رسوله وتصديقـه ، فقطعوه بالتكذيب وهو قول الحسن . وقال قوم أراد أن يوصل القول بالعمل ، فقطعوا بينهما بأن قالوا ولم يعملوا . وما قلناه اولا أولى لأنا إذا حملناه على عمومه دخل ذلك فيه .

وقوله : « يفسدون في الأرض » . قال قوم : استدعاؤهم الى الكفر . وقال قوم : إخافتهم السبيل وقطعهم الطريق . وقال قوم اراد كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها . والخسران هو النقصان . قال جرير :

إن سليطا في الخسار إنه أولاد قوم خلقوا أقنـه

يعني بالخسار ما ينقص من حظوظهم وشرفهم . وقال قوم : الخسار هاهنا : الهلاك يعني هم الهالكون . وقال قوم : كلما نسبه الله من الخسار الى غير المسلمين فانما عنى به الكفر وما نسب به إلى المسلمين انما عنى به الدنيـا ؛ روي ذلك عن ابن عباس .

كَيفَ تَكفرُونَ بِاللّه وَكُنتم أمواتاً فأحياكم ثُمّ يُميتُكمْ ثمّ يُحييكم ثمَّ إليه تُرجَعونَ . آية

« كيف » موضوعة للاستفهام عن الحال . والمعنى ههنا التوبيخ . وقال الزجاج : هو التعجب للخلق وللمؤمنين . أي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون . وقـد

ثبتت حجة الله عليهم .

ومعنى « وكنتم » أي وقد كنتم . الواو واو الحال . واضمار قد جائز اذا كان في الكلام ما يدل عليها . كما قال : (حصرت صدورهم) أي قد حصرت صدورهم وكما قال : (إن كان قميصه قد من دبر) أي قد قدّ من دبر . ومن قال هو توبيخ قال هو مثل قوله : « فأين تذهبون » . وقال قتادة : وكنتم امواتاً فأحياكم كما كانوا امواتاً في اصلاب آبائهم يعني نطفاً ، فاحياهم الله بأن أخرجهم ثم اماتهم الله الموتة التي لا بد منها ، ثم احياهم بعد الموت . وهما حياتان وموتان وعن ابن عباس وابن مسعود أن معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم يوم القيامة . وروى ابو الأحوص عن عبدالله في قوله : « امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين » قال : هي كالتي في (البقرة) : « كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين . وروي عن أبي صالح أنه قال : كنتم امواتاً في القبور فأحياكم فيها ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم يوم القيامة وقال قوم : كنتم امواتاً يعني خاملي الذكر ، دارسي الاثر ، فاحياكم بالظهور والذكر ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم للبعث قال ابو نخيلة السعدي :

فاحييت من ذكري وما كان خاملا   ولكن بعض الذكر انبه من بعض

وهذا وجه مليح غير أن الاليق بما تقدم قول ابن عباس وقتادة . وقال قوم : معناه أن الله تعالى احياهم حين أخذ الميثاق منهم وهم في صلب آدم وكساهم العقل ثم اماتهم ثم احياهم واخرجهم من بطون امهاتهم . وقد بينا أن هذا الوجه ضعيف في نظائره ، لأن الخبر الوارد بذلك ضعيف والاقوى في معنى الآية أن يكون المراد بذلك تعنيف الكفار واقامة الحجة عليهم بكفره وجحودهم ما انعم الله تعالى عليهم وانهم كانوا أمواتاً قبل ان يخلقوا في بطون امهاتهم واصلاب آبائهم يعني نطفاً والنطفة موات، ثم احياهم فاخرجهم الى دار الدنيا احياء ، ثم يحييهم في القبر للمساءلة ، ثم يبعثهم يوم القيامة للحشر والحساب وهو قوله تعالى : « ثم اليه ترجعون » معناه ترجعون للمجازاة على الاعمال كقول القائل : طريقك عليّ

ومرجعك الي . يريد اني مجازيك ومقتدر عليك وسمى الحشر رجوعاً الى الله ، لأنه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم فيه غير الله فيجازيكم على اعمالكم كما يقول القائل : امر القوم الى الأمير أو القاضي ولا يراد به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة دون غيره فان قال قائل : لم يذكر الله احياء في القبر فكيف تثبتون عذاب القبر قلنا : قد بينا أن قوله : « ثم يحييكم » المراد به احياؤهم في القبر للمساءلة وقوله : « ثم اليه ترجعون » معناه احياؤهم يوم القيامة وحذف ثم يميتكم بعد ذلك لدلالة الكلام عليه على ان قوله : « ثم يحييكم » لو كان المراد به يوم القيامة ، لم يمنع ذلك من احياء في القبر ، واماتة بعده كما قال تعالى : «ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم»«١» ولم يذكر حياة الذين احيوا في الدنيا بعد ان ماتوا . وقال في قوم موسى « فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثنا من بعد موتكم لعلكم تشكرون » «٢» ولم يذكر حياتهم في الدنيا ولم يدل ذلك على أنهم لم يحيوا في الدنيا بعد الموت وكذلك ايضاً لا تدل هذه الآية على ان المكلفين لا يحيون في قبورهم للثواب والعقاب على ما أخبر به الرسول (عليه السلام) وقول من قال : لم يكونوا شيئاً . ذهب الى قول العرب للشيء الدارس الخامل : إنه ميت يريد خموله ودرسه وفي ضد ذلك يقال : هذا أمر حي يراد به ، كانه متعالم في الناس ومن اراد الاماتة التي هي خروج الروح من الجسد ، فانه اراد بقوله : « وكنتم امواتا » انه خطاب لأهل القبور بعد احيائهم فيها وهذا بعيد لأن التوبيخ هنالك انما هو توبيخ على ما سلف ، وفرط من اجرامهم لا استعتاب واسترداع وقوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا » توبيخ مستعتب ، وتأنيب مسترجع من خلقه من المعاصي الى الطاعة ، ومن الضلالة الى الانابة ولا انابة في القبر ولا توبة فيها بعد الوفاة واحسن الوجوه مما قدمنا ما ذكر ابن عباس وبعده قول قتادة.

«١» سورة البقرة آية ٢٤٣ .

«٢» سورة البقرة : آية ٥٤ ـ ٥٥

قوله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِي خلقَ لَكُمْ مَاَ فِي الارْضِ جَمِيعاً ثُمَّ استوى الى السَّماءِ فَسوَّاهُنَّ سَبعَ سماوات وَهُوَ بِكلِّ شيءٍ عليمٍ . آية بلا خلاف .

المعنى :

« هو » كناية عن الله عز وجل في قوله : « تكفرون بالله » واراد به تأكيد الحجة فقال : « كيف تكفرون بالله » الذي احياكم بعــد موتكم « ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليــه ترجعون الذي خلق لكم ما في الارض » يعني الذي في الارض .

و « ما » في موضع نصب ، لأن الأرض وجميع ما فيها نعمة من الله لخلقه : اما دينية فيستدلون بها على معرفته ، وإما دنيوية فينتفعون بها بضروب النفع عاجلا

وقوله : « ثم استوى الى السماء فيه وجوه :

احدها — ما قاله الفراء : من ان معناه اقبل عليها . كما يقول القائل : كان فلان مقبلا على فلان يشتمه ، ثم استوى الي يشتمني ، واستوى علي يشاتمني قال الشاعر :

اقول وقـد قطعن بنا شروري ثواني واستوين من الضجوع «١»

أي أقبلن وخرجن من الضجوع وقال قوم : ليس معنى البيت ما قاله وانمـا معناه استوين على الطريق من الضجوع خارجات «٢» بمعنى استقمن عليه . وقال قوم : معنى استوى : قصدها لتسويتها كقول القائل : قام الخليفـة يدبر أمر بني تميم ، ثم استوى وتحول الى بني ربيعة ، فأعطاهم وقسم لهم اي قصد اليه . ويقال مر فلان مستوياً الى موضع كذا ولم يعـدل اى قصـد اليها . وقال قوم : معنى استوى اى استولى على السماء بالقهر كما قال : « لتستووا على ظهوره » «٣» أى تقهروه ومنه قوله تعالى : « ولما بلغ أشده واستوى » «٤» أى تمكن من أمره

«١» قاله تميم بن ابي . عن معجم ما استعجم . في المطبوعة « سواند » بدل « ثواني » شروري : جبل بين بني اسد وبني عامر في طريق الكوفة . الضجوع ـ بفتح الضاد ـ مكان

«٢» في المطبوعة « فارجات » والصحيح ما ذكرنا

«٣» سورة الزخرف . آية ١٣ «٤» سورة القصص : آية ١٤

وقهر هواه بعقله فقال : (ثم استوى الى السماء) فى تفرده بملكها ، ولم يجعلها كالارض ملكا لخلقه ومنه قول الشاعر :

فلما علونا واستوينا عليهم   تركناهم صرعى لنسر وكاسر

وقال آخر :

ثم استوى بشر على العراق   من سيف ودم مهراق

وقال الحسن : ثم استوى امره وصنعه الى السماء ، لأن أوامره وقضاياه تنزل من السماء الى الأرض وقال بعضهم استوى بمعنى استوت به السماء كما قال الشاعر:

اقول له لما استوى في ترائه   على أي دين قتّل الناس مصعب «١»

وأحسن هذه الوجوه أن يحمل على أنه علا عليها فقهرها ، وارتفع فدبرها بقدرته ، وخلقهن سبع سماوات ، فكان علوه عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال ، وبعد ذلك قول من قال : قصد اليها لخلقها ، ولا يقدح في الأول علوه تعالى على الاشياء فيما لم يزل ، لأنه وان كان كذلك لم يكن قاهراً لها بخلقها ، لأن ذلك متجدد ، وانما قال : الى السماء ولا سماء هناك كما يقول القائل : اعمل هذا الثوب وانما معه غزل ، وقال قوم : انما سواهن سبع سماوات بعد ان كانت دخانا والاول أملح ، وقال الرماني السموات غير الافلاك لأن الأفلاك تتحرك وتدور واما السماوات لا تتحرك ولا تدور لقوله تعالى : (ان الله يمسك السماوات والأرض ان تزولا) «٢» وهذا ليس بصحيح ، لأنه لا يمتنع ان تكون السماوات هي الأفلاك وان كانت متحركة ، لأن قوله تعالى : (يمسك السماوات والارض أن تزولا) معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها . ولولا امساكه لهوت بما فيها من الاعمالات سفلا . ومعنى (سواهن) أي هيأهن وخلقهن وقومهن ودبرهن والتسوية : التقويم والاصلاح . يقال سوى فلان لفلان هذا الأمر أي قومه واصلحه . وقال الفراء : السماء واحدة تدل على الجمع فلذلك قال : (ثم استوى الى السماء) فذكرها بلفظ الواحد . ثم اخبر عنها بلفظ الجمع في قوله : (فسواهن) وقال

«١» لم يعرف قائل هذا البيت فى مطبوعة « الطبري » « ترابه » بدل ترائه

«٢» سورة فاطر : آية ٤١

الأخفش : السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير كقولهم اهلك الناس الدينار والدرهم . وقال بعضهم : السماء جمع واحده سماوة : مثل بقرة وبقر ، ونخلة ونخل ، وثمرة وثمر «١» ولذلك أنثت فقيل هـذه سماء ، وذكرت أخرى فقيـل : (السماء منفطر به) «٢» كما يفعل ذلك بالجمع الذى لا فرق بينه وبين واحده غـير دخول الهاء وخروجها فيقال : هذا نخل ،وهذه نخل وهذا بقر وهذه بقر . ومن قال بالاول قال : إذا ذكرت فانما هو على مذهب من يذكر المؤنث . كقول الشاعر :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض ابقل ابقالها «٣»

وقال اعشى بني ثعلبة :

فاما ترى لمتي بدّلت فان الحوادث أزرى بها «٤»

وقال قوم : إن السماوات ، وان كانت سماء فوق سماء . وارضـاً فوق أرض فهي في التأويل واحدة ، وتكون الواحدة جماعا كما يقال : ثوب أخلاق وأسمال ، ورمة اعشار ، للمتكسرة ، وبرمه اكسار واجبار واخلاق ، أي نواحية أخلاق «٥» ويقال ارض اعقال وارض اخصاب . والمعنى أن كل ناحية منها كذلك ، فجمع على هذا . ولا ينافي ذلك قول من قال : إن السماء كانت دخاناً قبل أن يسويها سبع سماوات ، ثم سبعاً بغـير استوائه عليها . وذلك أنه يقول : كن سبعاً غير مستويات ، فسواها الله تعالى فان قيل : قوله (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء) ظاهره يوجب أنه خلق الأرض قبـل السماء ، لأن (ثم) للتعقيب ، وللتراخي . وقال في موضع آخر : (انتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها) ثم قال : (والأرض بعد ذلك دحاها) هذا ظاهر التناقض . قلنا : المعنى

«١» ثمرة وثمر (نسخة) .

«٢» سورة المزمل : آية ١٨ .

«٣» صاحب البيت عامر بن جوين ، المزنه : قطعة السحاب . الودق : المطر . ابقلت الارض : اخرجت بقلها .

«٤» ازرى بها : حقرها وانزل بها الهوان .

«٥» الخلق : البالي . وبرمة اجبار جاء برمة اجبر وان لم يقولوه مفردا . واصله من جبر العظم وهو لأمه .

في ذلك خلق الارض قبل السماء غير أنه لم يدحها . فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحوها : بسطها ، ومدها ومنه ادحية لنعام ، سميت بذلك ، لأنها تبسطها لتبيض فيها . ويجوز أن لا يكون معنى (ثم) و (بعد) في هذه الآيات الترتب في الاوقات والتقدم والتأخر فيها ، انما هو على جهة تعداد النعم والاذكار لها . كما يقول القائل لصاحبه : أليس قد اعطيتك ، ثم حملتك ، ثم رفعت في منزلتك ، ثم بعد ذلك كله خاطتك بنفسي وفعلت بك وفعلت . وربما يكون بعض الذى ذكره في اللفظ متقدما ، كان متأخرا ، لأن المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل ، وانما المراد الذكر والتنبيه عليها . فان قيل أي نسبة بين قوله : (ثم استوى الى السماء) وبين قوله : (وهو بكل شيء عليم) وكان يجب ان يقول : (وهو على كل شيء قدير) قيل انما جاز ذلك ، لأن الله لما وصف نفسه بما يدل على القدرة والاستيلاء وصل ذلك بما يدل على العلم ، إذ بها يصح وقوع الفعل على وجه الاحكام ، والاتقان . وايضاً اراد أن يبين انه عالم بما يؤول اليه حاله ، وحال المنعم به عليه ، فيستحق بذلك النعمة .

وتلخيص معنى الآية ان الله تعالى هو الذى خلق لكم الارض وما فيها من الجبال والمياه والاشجار ، وما قدر فيها من الأقوات ، ثم قضى خلق السماء بعد خلقه الأرض . ومعنى استوى أي عمد لها وقصد الى خلقها ، وسواها سبع سماوات فبناهن وركبهن كذلك ونظير ذلك قوله : (أإنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام) «١» يعني يومين بعد اليومين الأولين حتى صار بذلك اربعة ايام ثم استوى الى السماء . فمعنى قوله : (خلق لكم ما في الأرض جميعاً) هو الذي بينه بقوله : (وجعل فيها رواسي من فوقها .. الآية) وجعل ذكره لذلك في الآية الأولى تأكيد الحجة على عباده لئلا يكفروا به ، ولأن يؤمنوا به ويشكروه . وقوله : (كيف تكفرون) يدل انه تعالى ما اراد الكفر

«١» سورة حم السجدة : آية ٩ و ١٠

منهم ، لأنه لو اراده منهم وخلقه فيهم لما قال ذلك . كما لا يحسن أن يقول : لم كنتم سوداً وبيضاً وطوالا وقصاراً . وقوله : وهي دخان . فالذي روي في الاخبار أن الله تعالى لما خلق الارض ، خلقها بعد الماء فصعد منه بخار وهو الدخان ، فخلق الله منه السماوات وذلك جائز لا يمنع منه مانع . وقوله : (وهو بكل شيء عليم) معناه عالم وفيه مبالغة . وانما أراد اعلامهم أنه لا يخفى عليه شيء من افعالهم الظاهرة والباطنة ، والسر والعلانية .

قوله تعالى :

وَاذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكةِ إني جَاعِلٌ في الارْضِ خَلِيفَةً قَالوا أتجعلُ فِيها مَنْ يُفسدُ فِيها وَيسفِكُ الدِّمَاءَ وَنحنُ نُسبِّحُ بحمدِكَ ونُقدِّسُ لكَ قالَ إني أعلمُ ما لا تعلمونَ . آية

المعنى :

قال أبو عبيدة : (إذا) زائدة . والتقدير (قال ربك للملائكة) . وهي تحذف في مواضع . قال الاسود بن يعمر :

واذا وذلك لا مهاه لذكره والدهر يعقب صالحاً بفساد «١»

معناه وذلك لا مهاه لذكره . قال عبد مناف بن ربع وقيل : ابن ربع الهذلي

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة شلاً كما تطرد الجمالة الشردا «٢»

ومعناه حتى اسلكوهم . والقتائد : الموضع الذي فيه قتاد «٣» كثير . والشل الطرد . والجمالة : الجمالون . والشرد الابل التي تشرد عن مواضعها ، وتقصد غيرها وتطرد عنها . وهذا الذي ذكره ليس بصحيح ، لأن إذا : حرف يأتي بمعنى الجزاء ويدل على مجهول من الوقت . ولا يجوز إبطال حرف كان دليلا على معنى في الكلام

«١» في المطبوعة (لا مهاة) والصحيح ما ذكرنا كما عن (المفضليات) يقال ليس لعيشنا مهه ومهاه أي ليس له حسن او نضارة «٢» في المطبوعة (يطرد) والبيت في ديوان الهذليين والخزانة اسلك الرجل غيره الطريق وسلكه فيه اضطره اليه والقتائدة : جبل في طريق مكة والمدينة وجواب (اذا) في البيت فعل محذوف دل عليه المصدر . «٣» القتاد نبات ذو شوك .

إلا لضرورة . وليس المعنى في البيتين على ما ظن ، بل لو حمل (إذا) في البيتين على البطلان بطل معنى الكلام الذي أراد الشاعر ، لأن الأسود أراد بقوله :(واذا) الذي نحن فيه وما مضى من عيشنا .واراد بقوله (ذلك)الاشارةالى ما تقدموصفه من عيشهالذي كان فيه لا مهاه لذكره . يعني لا طعم له ، ولا فضل لأعقاب الدهر ذلك بفساد . ومعنى قول عبد مناة بن ربع: حتى اذا اسلكوهم في قتائدة . إن قوله : اسلكوهم مثلا يدل على معنى محذوف ، واستغنى عن ذكره بدلالة (اذا) عليه فحذف كما قال نمر بن تولب :

فان المنية من يخشها فسوف تصادفه اينما

يريد اينما ذهب . وكما يقول القائل : من قبل ، ومن بعد . يريد من قبل ذلك ، ومن بعد ذلك ، ويقول القائل : اذا اكرمك أخوك فاكرمه واذا لا «١» فلا يريد واذا لم يكرمك فلا تكرمه . ومن ذلك قول الشاعر :

فاذا وذلك لا يضرك ضرة في يوم اسأل نائلاو انكد «٢»

وكذلك لو حذف (اذا) في الآية لاستحالت عن معناهاالذي تفيده(إذ) ، لأن تقديره : ابتدأ خلقكم اذ قال ربك للملائكة . قال الزجاج والرماني أخطأ أبو عبيدة ، لأن كلام الله لا يجوز أن يحمل على اللغو مع امكان حمله على زيادة فائدة قال : ومعنى إذ : الوقت وهي اسم كيف يكون لغواً ؟ قال والتقدير الوقت والحجة في (إذ) أن الله عز وجل ذكر خلق الناس وغيرهم ، فكأنه قال : ابتدأ خلقك اذ قال ربك للملائكة . وقال الفضل : لما امتن الله بخلق السماوات والأرض ، ثم قال : وإذ قلنا للملائكة ما قلناه فهو نعمة عليكم وتعظيم لأبيكم . واختار ذلك الحسن «٣» بن علي المغربي . وقالالرماني والزهري : اذكر اذ قال ربك . والملائكة جمع غير أن واحدهم بغير همز أكثر فيحذفون الهمزة ويحركون اللام التي كانت ساكنة لو همز الاسم الى اللام . فاذا اجمعوا ، ردوه الى الأصل وهمزوا . كما

«١» في المطبوعة « لا » ساقطة ولا يستقيم المعنى بدونها . «٢» في المطبوعة « نكرا » بدل انكد. ونكده ما سأله: قال له العطاء او لم يعطه البتة . «٣» نسخة بدل « الحسين » .

يقولون: رأى ، ثم يقولون يرى بلا همز . وذلك كثير. وقد جاء مهموزا في واحده قال الشاعر :

فلست بأنسي ولكن ملأكا   تنزل من جو السماء يصوب «١»

وقد يقال في واحدهم مألك : مثل قولهم : جبذ وجذب فيقلبونه ، وشأمل وشمأل . ومن قال : مألك يجمعه ملائك بلا هاء مثل اشعث واشاعث . قال أمية ابن ابي الصلت :

وفيها من عباد الله قوم   ملائك ذللوا وهم صعاب «٢»

واصل الملأك «٣» الرسالة . قال عدي بن زيد العبادي :

ابلغ النعمان عني ملأكاً   أنه قدطال حبسي وانتظاري «٤»

وقد ينشد ملأكا ومألكا على اللغة الأخرى . فمن قال: ملأكا فهو مفعل من لاك اليه يليك إذا أرسل اليه رسالة: ومن قال مألكا فهو مفعل من ألكت اليه إلاكة اذا ارسلت اليه مألكة والوكا وكما قال لبيد بن ربيعة :

وغلام ارسلته امه   بالوك فبذلنا ما سأل

وهـذا من الكت ويقـال : لاك يلأك والك يألك اذا أرسل قال عبد بني الحسحاس «٥» :

ألكني اليها عمرك الله يافتى   بآية ما جاءت الينا تهاديا «٦»

يعني أبلغها رسالتي . فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة ، لأنها رسل الله بينه وبين انبيائه ، ومن أرسل من عباده . هذا عند من يقول : إن جميع الملائكة رسل فاما ما يذهب اليه اصحابنا أن فيهم رسلا وفيهم من ليس برسل ، فلا يكون الاسم

«١» البيت منسوب لعلقمة بن عبدة وليس في ديوانه وهو من ابيات سيبويه وفي اللسان «ألك» «٢» ديوانه . ذللوا : من الذل . «٣» في المطبوعة «ملك» وصححت ب «مألك»

«٤» الاغاني والعقد الفريد بعد البيت وهو متمم له :

لو بغير الماء حلقي شرق   كنت كالغصان بالماء اعتصاري

«٥» في المطبوعة عبيد بن الحسحاس .

«٦» الكني اليها : ابلغها رسالة مني . ديوان سحيم عبد بني الحسحاس .

مشتقاً ، بل يكون علماً او اسم جنس . وانما قالوا : إن جميعهم ليسوا رسل الله لقوله تعالى : (يصطفي من الملائكة رسلا) «١» فلو كانوا جميعاً رسلا ، لكانوا جميعاً مصطفين ، لأن الرسول لا يكون إلا مختاراً مصطفى . وكما قال : (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) «٢» .

وقوله : (اني جاعل) أي فاعل وخالق . وهما يتقاربان . قال الرماني : حقيقة الجعل : تصيير الشيء على صفة . والاحداث حقيقة : إيجاد الشيء بعد أن لم يكن موجوداً . والخليفة : الفعيلة من قولهم : خلف فلان فلاناً في هذا الأمر : اذا قام مقامه فيه بعده ، لقوله تعالى : (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) «٣» يعني بذلك : أبدلكم في الارض منهم ، فجعلكم خلفاً في الارض من بعدهم . وسمي الخليفة خليفة من ذلك ، لأنه خلف من كان قبله ، فقام مقامه. الخلف ـ بتحريك اللام ـ يقال : فيمن كان صالحاً . ـ وبتسكين اللام ـ اذا كان طالحاً . قال الله تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) . وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : ينقل هذا العلم من كل خلف عدوله . وقال قوم : سمى الله تعالى آدم خليفة ، لأنه جعل آدم وذريته خلفاء الملائكة ، لأن الملائكة كانوا سكان الأرض . وقال ابن عباس : انه كان فى الارض الجن ، فافسدوا فيها ، وسفكوا الدماء ، فاهلكوا ، فجعل الله آدم وذريته بدلهم . وقال الحسن البصري : إنما أراد بذلك قوماً يخلف بعضهم بعضاً من ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم في إقامة الحق وعمارة الأرض . وقال ابن مسعود : أراد أني جاعل في الأرض خليفة يخلفني في الحكم بين الخلق ، وهو آدم ، ومن قام مقامه من ولده . وقيل انه يخلفني في انبات الزرع واخراج الثمار ، وشق الانهار . وقيل ان الأرض أراد بها مكة ، روي ذلك عن ابن سارط ، أن النبي (ص) قال : دحيت الأرض من مكة ولذلك سميت ام القرى . قال : دفن نوح وهود وصالح وشعيب

«١» سورة الحج : آية ٧٥ .

«٢» سورة الدخان : آية ٣٢ .

«٣» سورة يونس : آية ١٤ .

بين زمزم والمقام . وقال قوم : انها الأرض المعروفة . وهو الظاهر .

وقوله : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وروي ان خلقاً يقال لهم الجان كانوا في الأرض فافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله تعالى ملائكة اجلتهم من الأرض . وقيل : ان هؤلاء الملائكة كانوا سكان الارض بعد الجان فقالوا : ياربنا أتجعل في الارض يفسد فيها ويسفك الدماء . على وجه الاستخبار منهم والاستعلام عن وجه المصلحة ، والحكمة لا على وجه الانكار . كأنهم قالوا ان كان هذا كما ظننا فعرفنا وجه الحكمة فيه . وقال قوم : المعنى فيه ان الله اعلم الملائكة انه جاعل في الارض خليفة وان الخليفة فرقة تسفك الدماء وهي فرقة من بني آدم فأذن الله للملائكة ان يسألوه عن ذلك وكان اعلامه أياهم هذا زيادة على التثبيت في نفوسهم انه يعلم الغيب فكأنهم قالوا : أتخلق فيها قوماً يسفك الدماء ، ويعصونك وانما ينبغي انهم اذا عرفوا انك خلقتهم ان يسبحوا بحمدك كما نسبح ويقدسوا كما نقدس ؟ ، ولم يقولوا : هذا إلا وقد اذن لهم ، لأنهم لا يجوز ان يسألوا ما لا يؤذن لهم ما فيه ويؤمرون به ، لقوله : (ويفعلون ما يؤمرون) «١» فان قيل من اين لكم أنهم كانوا عاموا ذلك ؟ قيل ذلك محذوف لدلالة الكلام عليه ، لأنا علمنا أنهم لا يعلمون الغيب وليس اذا فسد الجن في الارض ، وجب أن يفسد الانس وقوة السؤال تدل على أنهم كانوا عالمين وجرى ذلك مجرى قول الشاعر :

فلا تدفنوني إن دفني محرم عليكم ولكن خامري أم عامر «٢»

فحذف قوله : دعوني للتي يقال لها إذا أريد صيدها خامري أم عامر فكأنه قال : إني جاعل في الأرض خليفة يكون من ولده افساد في الأرض وسفك الدماء وقال ابو عبيدة والزجاج : أنهم قالوا ذلك على وجه الايجاب وإن خرج مخرج الاستفهام كما قال جرير :

ألستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح ؟

«١» سورة النحل : آية ٥٠ «٢» الشعر للشنفرى . الحماسة الاشانى . ويروى (فلا تقبروني ان قبري) (ولكن ابشري) خامري : استتري . ام عامر : كنية الضبع .

فعلى هـذا الوجه قال قوم : إنما أخبروا بذلك عن ظنهم وتوهمهم ، لأنهم رأوا الجن من قبلهم قـد افسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فتصوروا أنه إن استخلف غيرهم ، كانوا مثلهم ، فقال تعالى منكراً لذلك : (إني اعلم ما لا تعلمون) وهذا قول قتادة وا بن عباس وابن مسعود . وقال آخرون : إنهم قالوه يقينا لأن الله كان أخـبرهم انه يستخلف في الارض من يفسـد فيها ويسفك الدماء . فاجابوه بعد علمهم بذلك بأن قالوا : « اتجعل فيها من يفسـد فيها ويسفك الدماء » وانما قالوه استعظاماً لفعلهم أي كيف يفسدون فيها ويسفكون الدماء ، وقـد انعمت عليهم واستخلفتهم فيها فقال : « إني اعلم ما لا تعلمون » وقال قوم : إنهم قالوا ذلك متعجبين من استخلافه لهم أي كيف يستخلفهم وقد علم انهم « يفسـدون فيها ويسفكون الدماء »؟ فقال : « إني اعلم ما لا تعلمون » .

والسفك : صب الدماء خاصة دون غيره من الماء ، وجميع المايعات . والسفح مثله لأنه مستعمل في جميع المايعات على وجه التضييع ، ولذلك قالوا في الزنا انه سفاح لتضييع مائه فيه .

والملائكة المذكورون في الآية . قال قوم : هم جميع الملائكة . وقال آخرون ـ وهو المروي عن ابن عباس والضحاك ـ إنه خطاب لمن اسكنه من الملائكة الأرض بعد الجان ، وقبل خلق آدم ، وهم الذين أجلوا الجان عن الارض . وقال قتادة في قوله : « اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء عنـد الله أكبر من سفك الدماء والافساد في الارض قال الله تعـالى : « إني اعلم ما لا تعلمون » من أنه سيكون من الخليفة رسل وانبياء ، وقوم صالحون وساكنون الجنة . واقوى هـذه الوجوه قول من قال : إن الملائكة إنما قالت : « اتجعل فيها من يفسد فيها » على وجه التعجب من هذا التـدبير ، لا إنكاراً له ولكن على وجه التألم والتوجع والاغتمام والاستعلام لوجه التـدبير فيه ، فقال : « إني اعلم ما لا تعلمون » من وجه المصلحة في خلقهم ، وما يكون منهم من الخير والرشد والعلم ، وحسن التدبير والحفظ ، والطاعة ما لا تعلمون . فإن قيل : الملائكة

بم عرفت ذلك ، اذ لم يمكنها أن تستدرك ذلك بالنظر والفكر . قلنا : قد يجوز أن لا يكون خَطَر ببالها ذلك إلا عند ما أعلمهم الله ، فلما علموا ذلك ، فزعوا الى المسألة عنه ، لأن المسألة لمن يتوقع سرعة جوابه أو يوثق بعلمه وخبره يقوم مقام النظر والفكر . وقوله : « أتجعل فيها من يفسد فيها » يريدون من ولد آدم الذين ليسوا أنبياء ، ولا أئمة معصومين . فكأنه قال تعالى : إني جاعل في الأرض خليفة يكون له ولد ونسل يفعلون كيت وكيت . فقالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها » يريدون الولد . وقد بينا أن الخليفة من يخلف مَن تقدمه، جماعة كانوا أو واحداً فلما أخبر الله تعالى الملائكة أنه يخلق في الارض عباداًهم آدم وولده ويكون خليفة لمن تقدمهم من الجن أو غيرهم ، قالوا ما قالوا . ويحتمل أن يكون قوله : « من يفسد فيها » يريدون البعض لا الكل . كما يقال : بنو شيبان يقطعون الطريق . ويراد بعضهم دون جميعهم .

وقوله : (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) والتسبيح هو التنزيه من السوء على وجه التعظيم وكل من عمل خيراً قصد به الله فقد سبح . يقال : فرغت من سبحتي أي من صلاتي . وقال سيبويه : معنى سبحان الله : براءة الله وتنزيه الله من السوء . قال اعشى بني تغلب :

اقول ـ لما جاءني فخره ـ : سبحان من علقمة الفاخر «١»

أي براءة من علقمة الفاخر . وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب . قال الله تعالى : « إن لك في النهار سبحاً طويلا » «٢» ولا يجوز أن يسبح غير الله وان كان منزها ، لأنه صار علماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه . كما أن العبادة غاية في الشكر لا يستحقها سواه . وقال ابن عباس وابن مسعود : « نحن نسبح بحمدك » بمعنى نصلي لك كما قال : « فلولا انه كان من المسبحين » «٣» أي من المصلين . وقال مجاهد : معناه نعظمك بالحمد والشكر على

«١» ديوانه . الاغاني . علقمة في البيت هو علقمة بن علاثة هجاه الشاعر . «٢» سورة المزمل : آية ٧ . «٣» سورة الصافات : آية ١٤٣ .

نعمك . وقال قتادة : هو التسبيح المعروف . وقال المفضل : هو رفع الصوت بذكر الله . قال جرير :

قبح الاله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وهللوا إهلالا

واصل التقديس : التطهير . ومنه قوله : الأرض المقدسة أي المطهرة . قال الشاعر :

فادركنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس «١»

أي المطهر . وقال قوم : معنى نقدس لك : نصلي لك . وقال آخرون : نقدس انفسنا من الخطايا والمعاصي وقال قوم : نطهرك من الادناس أي لا نضيف اليك القبائح . والقَدَسَ : السطل الذي يتطهر منه أي يقدس . ويوصف تعالى بأنه قدوس سبوح أي سبحانه أن يكون شريكا لغيره طاهر من كل عيب . وقوله : « إني اعلم ما لا تعلمون » . قال قوم : أراد ما أظهره إبليس من الكبر والعجب والمعصية لما أمر الله تعالى لآدم . ذهب اليه ابن مسعود ، وابن عباس . وقال قتادة : أراد من في ذرية آدم من الانبياء والصالحين . وقال قوم : أراد به ما اختص بعلمه من تدبير المصالح . فان قيل : لو كان آدم قادراً على أن لا يأكل من الشجرة ، لكان قادراً على نقض ما دبره الله فيه ، لأنه لو لم يأكل منها للبث في الجنة . والله تعالى إنما خلقه ليجعله خليفة في الأرض فهذا يدل على أنه لم يكن بد من المخالفة . قلنا عن هذا جوابان :

أحدها — ان الجنة التي خلق الله تعالى فيها آدم ، لم تكن جنة الخلد ، وانما كانت في الأرض حيث شاء الله ، وانه حيث كان في الارض ، كان خليفة في الارض وفي هذا سقط السؤال .

والثاني — ان الله تعالى علم أن آدم سيخالف ، وانه يهبط الى الأرض فيستخلفه فيها فأخبر الله تعالى بما علم . وقولهم : إنه لو كان قادراً على أن لا يخالف ، لكان قادراً على نقض تدبيره — جهل ، لأن الله تعالى قد أمره بأن لا

«١» شبرق : مزق

يقرب الشجرة . فهل يجب بأن يكون أمره بأن ينقض تدبيره ؟ فاذا قالوا : لا . قيل: وكذلك الله قد اقدره على ألا يخالف فيلبث في الجنة . ولا يجب بذلك أن يكون أقدره على نقض تدبيره . وقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن الملائكة سألت الله أن يجعل الخليفة منهم . وقالوا : نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا . فقال أبو عبدالله (عليه السلام) : فلما أجيبوا بما ذكر الله في القرآن ، علموا أنهم قد تجاوزوا ما ليس لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً ، فأمر الله آدم بعد هبوطه أن يبني لهم في الارض بيتاً يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون . فقال الله تعالى : إني اعرف بالمصلحة منكم . وهو معنى قوله : « إني اعلم ما لا تعلمون » .

قوله تعالى :

وَعَلَّمَ آدمَ الأسْماءَ كلَّها ثم عَرَضَهم عَلى الملائِكةِ فقالَ انْبئوني بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كنتم صَادِقينَ . آية واحدة بلا خلاف

روي عن النبي (ص) أنه قال : خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، — وقيل قبضها ملك الموت — فجاء بنو آدم على قدر ذلك : منهم الاسود والأحمر ، والابيض ، والسهل ، والحزن ، والخبيث ، والطيب .

اللغة :

وقال ابو العباس : في اشتقاق آدم قولان :

أحدها — انه مأخوذ من أديم الارض . قال : فاذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته ، صرفته .

والثاني — انه مأخوذ من الادمة على معنى اللون والصفة ، فاذا سميت به في هذا الوجه ، ثم نكرته ، لم تصرفه .

والأدمة والسمرة ، والدكنة والورقة متقاربة المعنى في اللغة . وقال صاحب العين الأدمة في الناس : شربة من سواد . وفي الابل والظباء : بياض . وادمة

الارض : وجهها . والمؤدم «١» من الجلد خلاف المبشر وأدما أنثى . وآدم ذكر وهي الأدم في الجماعة . وآدم أبو البشر . والأدم : ما يؤتدم به وهو الادام . والأدم : جماعه الأديم . وأديم كل شيء : وجهه . و (كل) لفظة عموم على وجه الاستيعاب . وقال الرماني : حدّه الاحاطة بالابعاض ، يقال : أبعض القوم جاءك أم كلهم ؟ وتكون تأكيداً مثل أجمعين . غير أنه يبتدأ في الكلام بكل ، كقوله تعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » «٢» لأن كلاً قد يلي العوامل ويبتدأ واجمعون لا تكون إلا تابعة .

ويقال عرض عرضاً . قال صاحب العين : عرض علينا فلان المتاع يعرض عرضاً للشراء او الهبه . وقال الزجاج : العرض أصله في اللغة : الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول . وعِرض الرجل . قال بعضهم : ما يمدح به أو يذم وقيل عِرضه : خليقته المحمودة . وقيل عِرضه : حسبه. وقال الرماني : هي ناحيته التي يصونها عن المكروه وحقيقة العرض : الاظهار للشيء ليتصفح

والانباء والاعلام والاخبار واحد . قال صاحب العين : النبأ — مهموز — هو الخبر المنبيء والمخبر ولفلان نبأ أي خبر ويقال : نبأته وأنبأته واستنبأته والجمع الانباء . والنبوة اذا أخذت من الانباء فهي مهموزة لكن روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه «٣» قال : لا تنبز باسمي ، لرجل قال له : يانبيء الله . والنبيء — بالهمز — : الطريق الواضح ، يأخذ بك الى حيث تريد. والنبأة : صوت الكلاب تنبأ به نبأ. وحقيقة الانباء : الاظهار للخبر . قال الشاعر :

أدان وانبأه الأولون   بأن المدان ملي وفي

والفرق بين الاخبار والاعلام أن الاعلام قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم بالمشاهدات . وقد يكون بنصب الادلة للشيء . والاخبار هو إظهار الخبر ، علم به أو لم يعلم . ولا يكون مخبراً بما يحدثه

«١» المؤدم : الحاذق المجرب جمع لين الادمة وخشونة البشرة .

«٢» سورة الحجر : آية ٣٠ .

«٣» ـ أنه ـ ساقطة من المطبوعة .

من العلم في القلب . كما يكون معلماً بذلك .

وقوله : « ثم عرضهم على الملائكة » إنما لم يقل : ثم عرضها ، اذ كانت الاسماء لا تعقل ، لأنه أراد أصحاب الاسماء وفيهم ما لا يعقل . كما تغلب المذكر اذا اجتمع مع المؤنث ، لأنهم يقولون : إن أصحابك وإماءك جاءوني . وروي عن ابن عباس أنه قال : عرض الخلق . وقال مجاهد : عرض أصحاب الاسماء .

وقوله : « وعلم آدم الاسماء كلها » معناه أنه علمه معاني الاسماء ، من قبل أن الاسماء بلا معان لا فائدة فيها ، ولا وجه لايثاره الفضيلة بها . وقد نبه الله الملائكة على ما فيه من لطيف الحكمة ، فاقروا عند ما سئلوا عن ذكرها والاخبار عنها أنهم لا علم لهم بها . فقال : « ياآدم أنبئهم باسمائهم » . وقول قتادة ، وظاهر العموم يقتضي أنه علمه الاسماء . وبه قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة . وأكثر المتأخرين : كالبلخي والجبائي وابن الاخشيد والرماني وقال الطبري بما يحكى عن الربيع وابن زيد : انهما قالا : علمه الله اسماء ذريته واسماء الملائكة وقال هو الاختيار دون قول ابن عباس . وقال : إن قولهم : « عرضهم » إنما يكون لمن يعقل في الاظهر من كلام العرب وهذا غلط لما بيناه من التغليب وحسنه . كما قال تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع » «١» وهذا يبطل ما قاله ، ويبقى اللفظ على عموم وظاهر الآية وعمومها يدل على انه علمه جميع اللغات وبه قال الجبائي والرماني فأخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا ، تكلم كل قوم منهم بلسان ألفوه واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه ويجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح فلما أهلك جميع الخلائق إلا نوحاً ومن معه ، كانوا هم العارفين بتلك اللغات فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها ، وتركوا ما سواها ، وانقرض ونسوه . والخبر الذي يروي أن الناس امسوا ولغتهم واحدة ثم اصبحوا وقد تغيرت السنتهم وكان لا يعرف كل فريق منهم إلا كلام من كان

«١» سورة النور : آية ٤٥ .

على لغتهم ـ خبر ضعيف وأيضاً فلا يجوز أن ينسى العاقل ما كان في امسه من جلائل الامور مع سلامة عقله . قالوا : واللغات جميعاً إنما سمعت من آدم ، وعنه أخذت وقال ابن الاخشيد : إن الله فتق لسان اسماعيل بالعربية ولذلك صار اصلا للعرب من ولده ، لأنه تكلم بها على خلاف النشوء والعادة ، بل على أنه ابتدأه بها وألهمه إياها . فان قيل: مامعنى قوله: « انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ما الذي ادعي حتى قيل هذا ؟ قيل عن ذلك اجوبة كثيرة للعلماء .

احدها — ان الملائكة لما أخبرهم الله عز وجل أنه جاعل في الأرض خليفة هجس في نفوسها أنه لو كان الخليفة منهم بدلا من آدم وذريته ، لم يكن فساد ولا سفك دماء . كما يكون من ولد آدم ، وان ذلك أصلح لهم وان كان الله عز وجل لا يفعل إلا ما هو اصلح في التدبير ، والأصوب في الحكمة . فقال الله تعالى : « انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » فيما ظننتم في هذا المعنى ليدلهم على أنهم إذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا ، كانوا من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد

والثاني - أنه وقع في نفوسهم أنه لم يخلق الله خلقاً إلا كانوا أفضل منهم في سائر ابواب العلم . فقيل : إن كنتم صادقين في هذا الظن فاخبروا بهذه الاسماء .

والثالث — قال ابن عباس : إن كنتم تعلمون لم أجعل في الارض خليفة فـ « انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » لأن كل واحد من الأمرين من علم الغيب . فكما لا تعلمون ذا لا تعلمون الآخر .

والرابع — ما ذكره الأخفش والجبائي وابن الأخشيد : إن كنتم صادقين فيما تخبرون به من اسمائهم . كقول القائل للرجل : أخبرني بما في يدي إن كنت صادقاً أي إن كنت تعلم فاخبر به ، لأنه لا يمكن أن يصدق في مثل ذلك إلا اذا أخبر عن علم منه ، ولا يصح أن يكلف ذلك إلا مع العلم به ، ولا بد إذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من أن يشرط بهذا الشرط ، ووجه ذلك التنبيه كما يقول العالم للمتعلم : ما تقول في كذا ، ويعلم أنه لا يحسن الجواب لينبهه عليه ، ويحثه على طلبه ، والبحث عنه ، فلو قال له : اخبر بذلك إن كنت تعلم ، او قال له :

ان كنت صادقاً ، لكان حسناً . فاذا نبهه على أنه لا يمكنه الجواب أجابه، حينئذ فيكون جوابه بهذا التدريج أثبت في قلبه ، وأوقع في نفسه . وقوله : « انبئوني » قال قوم : هو امر مشروط . كأنه قيل : إن امكنكم أن تخبروا بالصدق فيه ، فافعلوا . وقيل : إن لفظه لفظ الامر ومعناه التنبيه على ما بيناه في سؤال العالم للمتعلم ولا يجوز أن يكون ذلك تكليفاً ، لأنه لو كان تكليفاً ، لم يكن تنبيهاً لهم على أن آدم يعرف من اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه ذلك ما لا يعرفون . فلما أراد تعريفهم ما خص به آدم ، من ذلك علمنا أنه ليس بتكليف . ومعنى قوله : « إن كنتم صادقين » شرط . كأنه قيل : إن كنتم صادقين في الاخبار بذلك وليس « إن » بمعنى « إذ » على ما حكاه الكسائي عن بعض المفسرين ، لأنها لو كانت كذلك ، لكانت « ان » — بفتح الهمزة — وتقديره : ان كنتم محققين ايمانكم ، فافعلوا كذا وكذا ، لأن (إذ) إذا تقدمها فعل مستقبل صارت علة للفعل وسبباً له . كقولك : إذ قمت أي من أجل ان قمت . فلو كانت إن في الآية بمعنى إذ ، كان التقدير : انبئوني باسماء هؤلاء من أجل انكم صادقين واذا وضعت إن مكان ذلك ، وجب أن تفتح الالف وذلك خلاف ما عليه القراء . والانباء . قال قوم : اصله الاعلام . كقولهم : انبأت عمراً زيداً أخاك بمعنى اعلمت ولا يصلح ها هنا أخبرت إلا أنه يتناول انبئوني ها هنا بمعنى اخبروني على وجه المجاز والتوسع لتقارب المعنى في الاخبار والانباء ، لأن الله تعالى عالم بالاشياء فيما لم يزل . فلا يجوز أن يقول : علموني لما هو عالم به ومن قال : أصله الاخبار ، تعلق بظاهر القرآن وفي كيفية عرضهم قولان :

احدهما — انه عرضهم بعد أن خلقهم

والثاني — أنه عرضهم بأن صورهم لقلوب الملائكة وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من حيث أن الله تعالى لما أراد تشريف آدم اختصه بعلم أبانه به من غيره ، وجعل له الفضيلة فيه ، وفي كيفية تعليم الله آدم الاسماء ، قال البلخي : ويجوز ان يكون اخبره بذلك فوعاه في وقت قصير بما اعطاه الله من الفهم والحفظ

او بأن دله ومكنه ، ورسم به رسماً فابتدع هو لكل شيء اسما يشاكله . ولابد ان يكون اعلامه له بلغة قد تقدمت المواضعة عليها حتى يفهم بالخطاب المراد به . وقال المواضعة لابد ان تستند الى سمع عند قوم وعند ابي هاشم واصحابه لا يصح ذلك فأما الذي عرض على الملائكة قال قوم عرضت الاسماء دون المسميات وقال قوم آخرون : عرضت المسميات بها . وهو الأقوى لقوله : « ثم عرضهم » وفي قراءة ابن مسعود : ثم عرضهن . وفي قراءة أبي : عرضها . وقال قوم : إنه عرضهم بعد أن خلق المسميات واحضرها لقوله : اسماء هؤلاء . وذلك إشارة الى الحاضر . وقال آخرون : إنه صورهم لقلوب الملائكة ثم عرضهم قبل خلقهم وقيل : إن قوله اشارة الى الاسماء التي علمها آدم « وانبئوني » اكثر القراء بهمز . وروي عن الأعمش ترك الهمز فيه ، وهي لغة قريش .

« هؤلاء » . لغة قريش ومن جاورهم باثبات الف بين الهاء والواو ، ومد الألف الأخيرة . وتميم وبكر وعامة بني اسد يقصرون الألف الأخيرة وبعض العرب يسقط الألف الأولى التي بين الهاء والواو . ويمد الاخيرة . وانشد :

تجلد لا يقل هؤلاء هذا   بكى لما بكى اسفاً وعيبا

وحقق الهمزة ابن عامر واهل الكوفة اذا اتفقا من كلمتين . وقرأ أبو عمرو واحمد بن صالح عن قالون بتحقيق الأولى فحذف الثانية . وقرأ ورش وقنبل وابو جعفر واويس بتحقيق الاولى وتليين الثانية ، وقرأ ابن كثير إلا قنبلا ونافع إلا ورشا واحمد بن صالح بسكون الاولى ، وتحقيق الثانية في المكسورتين والمضمومتين وفي المفتوحتين بتحقيق الاولى وحذف الثانية

قوله تعالى .

قالوا سُبحانَكَ لا عِلمَ لَنا إلاَّ ما عَلَّمتَنا إنَّكَ أنتَ العَليمُ الحَكيمُ آية

المعنى :

هذه الآية فيها اخبار من الله تعالى عن ملائكته بالرجوع اليه ، والأوبة ،

والتسليم انهم لا يعلمون إلا ما علمهم الله .

وقوله : « سبحانك » نصب على المصدر ومعناه نسبحك وسبحانك مصدر لا ينصرف . وقدمنا في ما مضى أن معنى التسبيح التنزيه ومعناه ها هنا تبرياً منهم أن يعلموا الغيب واقراراً أنه المختص به تعالى دون غيره .

وقوله : « العليم الحكيم » معنى عليم أنه عالم وفيه مبالغة ومن صفات ذاته واذا كانت كذلك ، افادت انه عالم بجميع المعلومات ويوصف به في ما لم يزل ، لأن ذلك واجب في العالم نفسه. وقوله : « الحكيم » يحتمل امرين:

احدهما — انه عالم ، لأن العالم بالشيء يسمى بأنه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم وقد بيناه .

والثاني — ان يكون من صفات الافعال ومعنى ذلك أن افعاله محكمة متقنة وصواب ليس فيها وجه من وجوه القبح ولا التفاوت ولا يوصف بذلك في ما لم يزل . وروي عن ابن عباس انه قال : العليم الذي كمل علمه . والحكيم : الذي كمل في حكمته وقد قيل في معنى حكيم : انه المانع من الفساد ومنه سميت حكمة اللجام لأنها تمنع الفرس من الجري الشديد قال جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم ان اغضبا

أي امنعوهم . والاحكام والاتفاق والاتساق والانتظام متقاربة . والحكمة . نقيض السفه يقال : حكم حكما واحكم إحكاما .ويقال: أحكم فلان عمله إذا بالغ فيه فاصاب حقيقته والحكمة هي التي تقف بك على مر الحق الذي لا يخلطه باطل ، والصدق الذي لا يشوبه كذب ومنه قوله : « حكمة بالغة » « ١ » والحكم بين الناس هو الذي يرضى به ليقف الاشياء مواضعها ومنه قوله : « فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها » « ٢ » والحاكم القاضي بين الناس ، وليقفهم على الحق ويقال : رجل حكيم اذا كان ذلك شانه وكانت معه اصول من العلم والمعرفة ،

« ١ » سورة القمر : آية ٥ .

« ٢ » سورة النساء : آية ٣٤.

واذا حكم بين الرجلين يقال : حكم يحكم واذا صار حكيماً قيل : حكم يحكم وامر مستحكم اذا لم يمكن فيه مطعن . وفي الحديث في رأس كل عبد حكمة اذا هم بسيئة وشاء الله ان يقدعه بها قدعة يعني منعه والحكم في الانسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل ومعنى قول الملائكة « سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » يحتمل امرين :

احدها — ما قدمنا . وهو قول ابن عباس قال : « سبحانك » تنزيهاً لله من أن يكون احد يعلم الغيب سواه .

والثاني — انهم أرادوا أن يخرجوا مخرج التعظيم لله . فكأنهم قالوا : تنزيهاً لك عن القبائح . فعلى هذا الوجه يحسن — وإن لم يعلقه بعلم الغيب كما علق في الأول — وفي الناس من استدلّ بهذه الآية على بطلان الأحكام في النجوم . وهذا يمكن ان يكون دلالة على من يقول : إنها موجبات لا دلالات . فأما من يقول : إنها دلالات على الأحكام نصبها الله . فانه يقول : نحن ماعلمنا إلا ما علمنا الله ، إنه الذي جعل النجوم أدلة لنا . كما أن ما علمناه استدلال غير ضرورة مضاف إليه ايضاً من حيث نصب الدلالة عليه . واستدل جماعة من المفسرين بهذه الآية ، والآيتين قبلها على صدق النبي (ص) وجعلوها من جملة معجزاته إذ كان إخبارا عالا تعلمه العرب ولا يوصل إليه إلا بقراءة الكتب والنبي (عليه السلام) لم يعرف بشيء من ذلك مع العلم بمنشئه ومبتدء أمره ومنتهاه . وهذا يمكن أن يذكر على وجه التأكيد والتقوية لآياته ومعجزاته من غير ان يكون لو انفرد لكفى في باب الدلالة . لأن لقائل أن يقول : إنه قرأ الكتب سراً ، واخذ عمّن قرأها خفياً فلا طريق للقطع على ذلك . وانما تغلب في الظن . فان قيل : ما الفائدة في الجواب بقولهم : « لا علم لنا إلا ما علمتنا » ؟ قلنا : لو اقتصروا على قولهم : « لا علم » ، لكان كافيا ، لكن أرادوا أن يضيفوا إلى ذلك التعظيم والاعتراف بأن جميع ما يعلمونه من تعليمه ، وان هذا ليس من جملة ذلك ، واختصار ذلك أدل على الشكر لنعمه .وقيل في معنى « عليم » امران :

احدها – انه عليم بغير تعليم بدلالة انهم اثبتوا لله ما نفوه عن انفسهم بقولهم : « لاعلم لنا إلا ما علمتنا » أي نحن معلمون وانت العليم غير المعلم .

والثاني — انه العليم الحكيم . وكلاهما حسن . والأول احسن ، لأنه اكثر فائدة ، واولى في تقابل البلاغة وقد تضمنت الآية الدلالة عليه انه لا علم له الا ما علمه الله . اما بالضرورة وإما بالدلالة .

قوله تعالى :

قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . آية بلا خلاف

اللغة :

روى الداحوني عن هشام : انبيهم ونبيهم ، في الحج والقمر ، فقلبت الهمزة وكسرت الهاء . وروى الزينبي من طريق المالكي والعطاء ـ كسر الهاء ، وتحقيق الهمزة . الباقون بضم الهاء وتحقيق الهمزة . قال ابو علي : من ضم الهاء حملها على الأصل ، لأن الأصل أن تكون هاء الضمير مضمومة : مثل قولهم : ضربهم وأنبأهم . وانما تكسر الهاء اذا وليها كسرة أو ياء نحو بهم وعليهم . ومع هذا يضمه قوم حملا على الأصل . ومن كسر الهاء التي قبلها همزة مخففة ، فانه اتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها . واذا كان بينها حاجز . كما قالوا : هذا المرء ومررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل . وحكي عن ابي زيد أنه قال: قال رجل من بكر بن وائل أخذت هذا منه ومنها . وكسر الهاء في الادراج والوقف . وحكي عنه : لم أعرفه ولم أضربه ـ فكسر ـ ، وقال لم اضربها . فكسر الهاء مع الباء . ويحتمل أن يكون ما اعتد بالحاجز بين الكسرة والهاء لسكونها فكان الكسرة وليت الهاء .

ومعنى « انبئهم » : خطاب لآدم ، يعني اخبر الملائكة ، لأن الهاء كناية عنهم وموضعهم النصب .

« باسمائهم » يعني باسماء الذين عرضهم على الملائكة . والهاء والميم في اسمائهم كناية عن المرادين بقوله : « باسماء هؤلاء » . وقد مضى بيانه .

وقوله : (واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) . فالابداء والاعلان والاظهار بمعنى واحد . يقال : بدا وعلن وظهر . وضد الابداء الكتمان ، وضد الاظهار الابطان وضد الاعلان الاسرار . يقال : بدا يبدو من الظهور . وبدأ يبدأ بداء ـ بالهمز ـ بمعنى استأنف . قال صاحب العين : بدا الشيء يبدو بدوا : اذا ظهر . وبداله في الأمر : بدء وبداء ـ بالهمز ـ بمعنى استأنف . والبادية اسم الارض التي لا حضر فيها . واذا خرج الناس من الحضر الى الصحراء والمرعى ، يقال : بدوا بدأ واسمه البدو ويقال اهل البدو ، واهل الحضر . واصل الباب الظهور والخفاء نقيض الظهور وقال الرماني حد الظهور : الحصول على حقيقة يمكن أن تعلم بسهولة . والله ظاهر بادلته باطن عن احساس خلقه . وكل استدلال فانما هو ليظهر شيء بظهور غيره . والكتمان : نقيض إعلان السر ونحوه . وناقة كتوم وهي التي لا ترعو اذا ركبها صاحبها أي لا تصيح . والكاتم من القسي : التي لا ترن اذا انتضيت .

الألف في قوله : « ألم أقل لكم » ألف تنبيه . كقول القائل : أما ترى اليوم ما اطيبه . لمن يعلم ذلك إلا أنك تريد أن تحضر ذهنه ، وان ليس مثله ما يخفى عليه كقوله : « ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » وحكي عن سيبويه : أما ترى أي برق ها هنا ، وهي الف تنبيه اصلها الاستفهام ومن الناس من قال إن معناه التوبيخ ، ومن لم يجز على الملائكة المعصية ، منع من ذلك . فان قيل ما الفائدة في انباء آدم (ع) الملائكة بذلك دون إعلامه إياهم بذلك؟ قلنا : أراد الله بذلك تكرمة آدم (ع) وتشريفه ، وإجلال المنة عليه ، وتعظيم النعمة لديه وجميع قصة آدم تؤذن بذلك.
فان قيل : ما معنى « غيب السماوات والأرض » والله لا يغيب عنه شيء ؟ قيل في معناه : إنه يعلم ما غاب عنهم فلم يشاهدوه كما يعلم ما حضرهم فشاهدوه

وقوله : « واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » قيل في معناه أقوال :

احدها — انه يعلم سرهم وعلانيتهم وذكر ذلك تنبيهاً لهم على ما يجبلهم عليه من الاستدلال ، لأن الاصول الاول لم يستدل بها . إنما تذكر على وجه التنبيه يستخرج بها غيرها ، فيستدل بعلم الغيب انه خلق عباده — على ما خلقهم عليه — للاستصلاح وما توجبه الحكمة .

والثاني — ما يسرون بمعنى ما أضمره إبليس من المعصية والمخالفة . وما يعلنون : قولهم : « اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » . قال الرماني : وهذا الوجه غلط ، لأن ابليس ليس من الملائكة ، ولأن القول على العموم لا يجوز أن يصرف الى الخصوص بغير دلالة . وهذا الوجه اختاره الطبري . وقال : هو بمنزلة قولهم : قتل الجيش وهزموا . وانما قتل البعض . قال الرماني : إنما يقال ذلك اذا حل قتل الواحد محل قتل الجميع : مثل قتل الرئيس او من يقوم مقامه . ولا يقال أيضاً إلا والدلالة عليه ظاهرة وليس كذلك في الآية . وقد روى روايات في هذا المعنى والوجه في هذا أن إبليس لما دخل معهم في الأمر بالسجود ، جاز أن يستثنى من جملتهم

والثالث — قيل : ان الله تعالى لما خلق آدم ، مرت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الروح ، ولم تكن رأت مثله قبل ، فقالت : لن يخلق الله خلقاً إلا كنا اكرم منه وافضل عنده فزعم أن هذا الذي أخفوه في نفوسهم وان الذي أبدوه قولهم : « اتجعل فيها من يفسد فيها » روي ذلك عن الحسن والوجه الأول اقوى ، لأنه اعم ، ويدخل فيه هذا الوجه ولا دلالة يقطع بها على تخصيص الآية فان قيل : ما وجه ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب قلنا على وجه الجواب فيما سألوا عنه من خلق من يفسد ويسفك الدماء وذلك على وجه التعريض بالجواب دون التصريح ، لأنه او صرح به ، لقال : خلقت من يفسد ويسفك الدماء لما اعلم في ذلك من المصلحة لجملة عبادي فيما كلفتهم اياه وأمرتهم به فدل في الاحالة في الجواب على العلم بباطن الامور وظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه بالمصلحة فى ذلك

ودلهم بذلك على أن عليهم الرضا والتسليم لقضاء الله ، لأن الله يعلم من الغيب ما لا يعلمونه ، ويعلم من مصالحهم ما لا يعلمونه في دينهم ودنياهم فان قيل وأي شيء في تعلم آدم الاسماء كلها مما يدل على علم الغيب قلنا : لأنه علمه الاسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل عليها على جهة فتق لسانه بذلك والهامه إياه وهي معجزة أقامها الله تعالى للملائكة تدل على جلالته وارتفاع قدره بما اختصه به من العلم العظيم الذي لا يصل اليه إلا بتعليم الله اياه ، فبان بذلك الاعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه إلا من علام الغيوب . ففيه من المعجزة أنه فتق لسانه بها على خلاف مجرى العادة ، وأنه علمه من لطائف الحكمة فيـــه ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها ، وانها اعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكداً لما يعلمونه من ذلك بالادلة العقلية . ولذلك نبههم فقال : « ألم أقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض اي قد دللتكم على ذلك من قبل وهذه دلالة بعد وقيل : افتتح الله الدلالة على الاعجاز بالكلام في آدم ، ثم ختم به في محمد (ص)

قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . آية واحدة .

القراءة :

ضم التاء من الملائكة ابو جعفر وحده وحيث وقع اتبع التاء ضمة الجيم . وقيل : انه نقل ضمة الهمزة وابتدا بها والأول اقوى ، لأن الهمزة الف وصل تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل فالوجه الاول هو المعتمد عليه والصحيح ما عليه القراء من كسر التاء بلام الجر

و « ابليس » نصب بالاستثناء من الاثبات

ويكره الوقف على قوله : « فسجدوا » وعلى « إلا » حتى يقول : « إلا إبليس » وكذلك كل استثناء

وظاهر الآية يقتضي ان الأمر كان لجميع الملائكة بالسجود ، لعمومها . وقال قوم : إن الامر كان خاصاً بطائفة من الملائكة كانوا مع ابليس طهر الله بهم الارض من الجن والأول اقوى

اللغة :

والسجود والخضوع والتذلل بمعنى واحد في اللغة . ونقيض التذلل التكبر يقال سجد يسجد سجودا ، واسجد اسجادا : إذا خفض رأسه من غير وضع لجبهته . قال الشاعر :

وكلتاهما خرت واسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف

والسجود في الشرع : عبارة عن عمل مخصوص في الصلاة ـ والركوع والقنوت كذلك ـ وهو وضع الجبهة على الأرض . ويقال سجدنا لله سجوداً . وقوم سجد ونساء سجد . والسجد من النساء : الفاترات الأعين . قال الشاعر :

أغرك مني ان ذلك عندنا واسجادعينيك الصيودين رابح «١»

وعزائم السجود من ذلك . وقوله : « وإن المساجد لله » قيل : إنه السجود وقيل : إنه المواضع من الجسد التي يسجد عليها . واحدها مسجد . والمسجد اسم جامع لجميع المسجد وحيث لا يسجد بعد ان يكون أخذ لذلك . فاما المسجد من الأرض فهو موضع السجود بعينه . وقال قوم : معنى السجود في اصل اللغة : الخضوع والانحناء ، وقيل التذلل . قال الشاعر :

بجمع يقل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجداً للحوافر

كأنه قال مذللة للحوافر . والسجود على اربعة اقسام : سجدة الصلاة وسجدة التلاوة ، وسجدة الشكر وسجدة السهو .

وقوله : « أبى » معناه ترك وامتنع . والاباء والامتناع والترك بمعنى (واحد) «٢» ونقيض أبى أجاب . يقال أبى يأبى إباء وتأبى تأبيا . قال صاحب

«١» البيت لكثير . اللسان « سجد » في المطبوعة «رابح» مشوشة غير مقروءة .

«٢» « واحد » غير موجود في المطبوعة .

العين : أبى يأبى إباه إذا ترك الطاعة ومال الى المعصية · كقوله : « فكذب وابى »
وكل من ترك أمراً ورده فقـد أباه . ورجل أبي وقوم أبيون وأباة «١»
قال الشاعر :

اباة الضيم من قوم اباة

وليس الاباء بمعنى الكراهة ، لأن العرب تتمدح بأنها تأبى الضيم ولا تتمدح في كراهة الضيم ، وانما المدح في المنع منه . كقوله : « ويأبى الله إلا أن يتم نوره» أي يمنع الكافرين من اطفاء نوره .

والاستكبار والتكبر ، والتعظم والتجبر نظائر . وضدها التواضع . يقـال كبر كبراً ، وأكبر اكباراً ، واستكبر استكباراً ، وتكبر تكبراً ، وتكابر تكابراً وكابره مكابرة ، وكبره تكبرا قال صاحب العين : الكبر : العظمة . والكبر والكبر : الاثم الكبير جعل اسماً من الكبيرة . كالخطيئة والخطيء . وكبر كل شيء معظمه . والكبر مصـدر الكبير في السن من جميع الحيوان · فاذا أردت الأمر العظيم قلت كبر : كبر هذا الأمر كبارة · والكبار في معنى الكبير · ويقال اكبرت الشيء : اذا أعظمته . ومنه قوله : « فلما رأينه اكبرنه » والتكبير في الصلاة تفعيل من قولهم: الله اكبر . واصل الباب الكبر وهو العظم . ويقال على وجهين : كبر الجثة وهو الأصل وذلك لا يجوز عليـه تعالى وكبر الشأن والله تعـالي الكبير من كبر الشأن . وذلك يرجع الى سعة مقدوره ومعلومه وتحقيقه انه قادر على ما لا يتناهى من جميع الاجناس المقدورات . وعالم بكل معلوم . والاستكبار : الأنفـة مما لا ينبغي أن يوقف منـه . وموضع « إذ » من قوله : « وإذ قلنا » نصب ، لأنه عطف على « إذ » الأولى كأنه قال : واذ أراد · وقال ابو عبيدة لا موضع لها من الاعراب لأنها زائدة . وانشد :

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة   شلا كما تطرد الجمالة الشردا «٢»

وقال : المراد واستشهد به على وجهين كل واحد منها نقيض الآخر . فأحد

«١» في المطبوعة « خفيف » بعد ابة وفي الهامش ذكروها « تفيف » على وجه الاحتمال
«٢» مر القول في هذا البيت .

الوجهين قوله : « حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها » فلم يأت « إذ » جواب والوجه الآخر فيه على زيادة « إذ » في هذا الموضع . وكلا الوجهين خطأ عنده ، لأن الجواب في قوله : فتائدة . هو قوله : شلاً بوقوعه موقع : شلوهم شلا كما يقول القائل : إذا أتيت الحرب ، فضربا وطعنا . وأما الزيادة فقد بينا وجه الخطأ فيها فيما تقدم .

واختلفوا في امر الملائكة والسجود لآدم على وجهين :

قال قوم : انه امرهم بالسجود له تكرمة وتعظيما لشأنه . — وهو المروي في تفسيرنا واخبارنا — وهو قول قتادة وجماعة من اهل العلم . واختاره ابن الاخشيد والرماني وجرى ذلك مجرى قوله : (وخروا له سجدا) «١» في اولاد يعقوب ، ولأجل ذلك جعل اصحابنا هذه الآية دلالة على أن الانبياء افضل من الملائكة من حيث امرهم بالسجود له والتعظيم على وجه لم يثبت ذلك لهم بدلالة امتناع ابليس من السجود له وانفته من ذلك وقوله : (قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لأن اخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا) «٢» ولو كان ذلك على وجه كونه قبلة لما كان لذلك وجه ، ولا فيه أنفة ولا يحسن أن يؤمر الفاضل بتعظيم المفضول على نفسه ، لأن ذلك سفه به . وسنبين قول من خالف فيه وشبههم وقال الجبائي والبلخي وجماعة أنه جعله قبلة لهم فامرهم بالسجود الى قبلتهم . وفيه ضرب من التعظيم له وهذا ضعيف ، لأنه لو كان على وجه القبلة لما امتنع ابليس من السجود ، ولما استعظمته الملائكة ، ولكن لما أراد ذلك تعظيما له على وجه ليس بثابت لهم ، امتنع ابليس وتكبر . واختلفوا في ابليس هل كان من الملائكة ام لا ؟ فقال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جريج والطبرى : إنه كان منهم بدلالة استثنائه من جملتهم هاهنا في قوله : « إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » وقال : (ما منعك ان تسجد لما امرتك) مع قوله : (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وهو المروي عن أبي عبدالله (عليه السلام) والظاهر

«١» سورة يوسف: آية ١٠٠ .

«٢» سورة اسرى : آية ٦٢ .

في تفاسيرنا ، ثم اختلف من قال : إنه كان منهم : فنهم من قال : إنه كان خازناً على الجنان ، ومنهم من قال : كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض ، ومنهم من قال : إنه كان يسوس ما بين السماء الى الأرض وقال الحسن البصري وقتادة في رواية ابن زيد والبلخي والرماني وغيره من المتأخرين : انه لم يكن من الملائكة وان الاستثناء في الآيه استثناء منقطع كقوله تعالى : (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) «١» وقوله : (فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا) «٢» وكقوله : (لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم) «٣» وكقول الشاعر ـ وهو النابغة ـ

وقفت فيها اصيلا كي اسائلها اعيت جوابا وما بالربع من احد

إلا الأواري لأياً ما ابينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد «٤»

وانشد سيبويه :

والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح

إلا الفتى الصبار في النجدات والفرس الوقاح «٥»

وقال آخر :

وبلدة ليس بها انيس إلا اليعافير وإلا العيس «٦»

واستدل الرماني على أنه لم يكن من الملائكة باشياء :

منها — قوله : « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » فنفى عنهم المعصية نفياً عاما.

والثاني — انه قال : « إلا إبليس كان من الجن » ومتى اطلق لفظ الجن لم

«١» سورة النساء : آية ١٥٦ .

«٢» سورة يس : آية ٤٣ و ٤٤ .

«٣» سورة هود : آية ٤٣ .

«٤» مر القول في هذا البيت . ايضاً في المطبوعة « لا اسائلها » .

«٥» جحم ـ من الحرب ـ معظمها وشدة القتل في معركتها ـ القاموس ـ . الوقاح : الحافر الصلب ـ القاموس ـ .

«٦» اليعافير : ج يعفور وهو الظبي . العيس : الابل البيض يخالط بياضها شقرة وهواعيس وهي عيساء .

يجز أن يعنى به إلا الجنس المعروف المباين لجنس الانس والملائكة .

والثالث — ان ابليس له نسل وذرية . قال الحسن : ابليس ابو الجن كما أن آدم ابو الانس . وابليس مخلوق من النار والملائكة روحانيون خلقوا من الريح — في قول ابي علي — وقال الحسن : خلقوا من النار لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون . وقال الله في ابليس وولده : « أتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو » .

والرابع — وهو اقوى ما عنده — قوله تعالى: « جاعل الملائكة رسلا أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع » فعمها بالوصف بالرسالة . ولا يجوز على رسل الله أن يكفروا أو يفسقوا كالرسل من البشر .

والجواب عما ذكره اولا : إن قوله : « لا يعصون الله ما أمرهم » صفة لخزنة النيران ، لا جميع الملائكة . يدل على ذلك قوله : « ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » «١» . وليس إذا كان هؤلاء معصومين وجب ذلك في جميعهم .

والجواب عما ذكره ثانيا : ان قوله : كان من الجن معناه صار . ذكر ذلك الأخفش وجماعة من اهل اللغة . وقيل ايضاً : إن ابليس كان من طائفة من الملائكة يسمون جنا من حيث كانوا خزنة الجنة . وقيل سموا بذلك لاختفائهم عن العيون . كما قال اعشى قيس بني ثعلبة :

ولو كان شيء خالداً أو معمراً لكان سليمان البريء من الدهر
براه إلهي واصطفاه عباده وملكه ما بين ثُرْيا الى مصر
وسخر من جن الملائك تسعة قياماً لديه يعملون بلا أجر «٢»

وقد قال الله تعالى : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » «٣» ، لأن قريشاً

«١» سورة التحريم : آية ٦ .

«٢» ملحق ديوان الاعشى . الدهر هنا . كبابه وفي المطبوعة . « تربا » بدل « ثريا » .

«٣» سورة الصافات : آية ١٥٨ .

قالت : الملائكة بنات الله .

والجواب عما ذكره ثالثاً من أن إبليس له نسل ، «١» طريقه الآحاد ، ولو كان صحيحاً ، لم يمنع ان يكون الله ركب فيه شهوة النكاح تغليظاً عليه في التكليف وإن لم يكن ذلك في باقي الملائكة ، فلا وجه لاستبعاده .

والجواب عما ذكره رابعاً قوله « جاعل الملائكة رسلا أولي اجنحة » «٢» فعارض بقوله : « الله يصطفي من الملائكة رسلا » «٣» فان كان ظاهر تلك يقتضي العموم فظاهر هذه يقتضي التخصيص ، لأن (من) للتبعيض ، ولو لم يكن كذلك ، لجاز لنا أن نخص هذا العموم بقوله : (إلا إبليس) لأن حمل الاستثناء على أنه منقطع حمل له على المجاز . كما أن تخصيص العموم مجاز ، واذا تعارضا ، سقطا فأما ما روي عن ابن عباس أن الملائكة كانت تقاتل الجن ، فسبي إبليس ، وكان صغيراً مع الملائكة ، فتعبد معها . فلما أمروا بالسجود لآدم ، سجدوا إلا إبليس ابى ، فلذلك قال الله تعالى : « إلا إبليس كان من الجن » فانه خبر واحد لا يصح . والمعروف عن ابن عباس ما قلناه أنه كان من الملائكة فأبى واستكبر وكان من الكافرين . ومن قال إن إبليس خلق من نار ومن مارج والملائكة لم يخلقها من ذلك فقوله ضعيف ، لأنه لا يمنع أن يكون الله تعالى خلق الملائكة اصنافاً : صنفاً من نار ، وصنفاً من نور ، وصنفاً من غير ذلك ، وصنفاً آخر لا من شيء ، فاستبعاد ذلك ضعف معرفة . (وابليس) قال الزجاج والرماني وغيرهما من النحويين انه ليس بمأخوذ من الابلاس كقوله « مبلسون » أي : آيسون من الخير قالوا : لأنه أعجمي معرب بدلالة أنه لا ينصرف للعجمة والتعريف . وقال الطبري : هو مشتق من الابلاس ووزنه افعيل . وأنشد العجاج :

يا صاح هل تعرف رسماً مكرسا   قال نعم أعرفه وأبلسا

وقال رؤبة :

«١» زاد المصحح في المطبوعة في هذا الموضع « ان ذلك » وبدونه يصح المعنى .

«٢» سورة فاطر آية ١

«٣» سورة الحج آية ٧٥

وحضرت يوم الخميس الأخماس وفي الوجوه صفرة وابلاس

يعني اكتئاباً وكسوفاً. وقال : إنما لم يجر استثقالا ، من حيث كان اسماً لا نظير له من أسماء العرب فشبه بأسماء العجم التي لا تنصرف . وزعم ان اسحاق لا ينصرف وهو من أسحقه الله إسحاقاً ، وأن أيوب من آبَ يئوب على زنة فعول كقيوم من قام يقوم . قال الرماني : غلط في جميع ذلك ، لأنها الفاظ أعربت من العجميه ووافقت الفاظ العربية . وكان ابن السراج يمثل ذلك -- على جهة التبعيد — بمن زعم ان الطير ولد الحوت وغلط أيضاً في قوله انه لا نظير له في اسماء العرب ، لأنهم يقولون: إزميل للشفرة ، قال الشاعر :

هم منعوا الشيخ المناجي بعد ما رأى حمة الازميل فوق البراجم

والاعريض : الطلع ، واحريض : صبغ أحمر ، وقالوا : هو العصفر ، وسيف اصليت : ماض كثير الماء ، وثوب اضريج : مشبع الصبغ ، وقالوا : هو من الصفرة خاصة . وسبيل ابليس سبيل (انجيل) في انه معرب غير مشتق .

وحد الاستكبار الرفع للنفس الى منزلة لا تستحق . قوله : « وكان من الكافرين » قال قوم : يدل على أنه كان قبله قوم كفار من الجن . وقال آخرون لا يدل ، ويجري ذلك مجرى قول القائل : كان آدم من الانس ، ولم يكن قبله انسي وكان إبليس من الجن ولم يكن قبله جني ، ومعناه : صار من الكافرين . ومن قال ان ابليس كان من جملة الملائكة ، قال : كان من جملة المأمورين بالسجود لآدم بدلالة قوله : « ما منعك الا تسجد إذ امرتك ؟ » ولأنه استثناه من جملتهم ولم يكن منهم ، علمنا انه كان من جملة المأمورين كقول القائل : أمر أهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا إلا رجلا من أهل الكوفة ، فانه يعلم بهذا ان غير اهل البصرة كان مأموراً بدخول الجامع غير ان أهل البصرة كانوا اكثر فلذلك خصوا بالذكر ، وكذلك القول في الآية . ومن استدل بهذه الآية على أن أفعال الجوارح من من الايمان من حيث لو لم يكن كذلك ، لوجب ان يكون ابليس مؤمناً بما معه من المعرفة بالله وان فسق بابائه ، فقد أبعد ، لأن المخالف يقول : اذا علمت كفره

بالاجماع علمت انه لم يكن معه إيمان اصلا ، كما اذا رأيت انه يصلي للشمس علمت ان معه كفراً ، وان كانت، صلاته للشمس ليست كفراً . فان قيل : اذا كانت «إذ» لما مضى ، فما معنى قوله : « واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي إلهين من دون الله » ؟ وكيف قال : « واذ يتحاجون في النار » ؟ قيل : معنى ذلك كله على تقدير الاستقبال لأن ما تحقق بمنزلة ما قد كان ، كما قال : « ونادى اصحاب النار أصحاب الجنة ».

قوله تعالى :

وَقُلنا ياآدمُ اسْكنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ منْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتما وَلاَ تقْرَبا هَذه الشَّجرَةَ فَتكونا مِن الظّالمين . آية بلا خلاف .

السكون والثبوت والهدوء نظائر ، ومثله الاستقرار والاطمئنان والثبات . والمسكن والمأوى والمثوى بمعنى [واحد] ، تقول: سكن يسكن سكونا إذ لبث في المكان وسكن إذا سكت . سكن الريح ، وسكن المطر ، وسكن الغضب . والسكن هم العيال وهم أهل البيت . قال سلامة بن الجندل :

ليس بأسفى ولا أقنى ولا سغل يسقي دواء قفي السكن مربوب

والمسكن المنزل ، والسكن السكان ، والسكن ان يسكن إنسان منزلا بلا كراء والسكينة : الموادعة والوقار . والسكن : الرحمة والبركة ، كقوله : (إن صلاتك سكن لهم) والمسكين : الذي لا شيء له ـ عند أبي عبيدة ـ ، والفقير : الذي له شيء وان كان قليلا قال الشاعر :

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد

وقوله تعالى : (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قال ابوحاتم : — أحسنه — أنهم كانوا شركاء في سفينة لا يملكون سواها . فهذا يخالف أبا عبيدة وسكان السفينة معروف عربي اشتقاقه من انها تسكن به عن الحركة والاضطراب .

ومعنى (اسكن أنت وزوجك الجنة) : اجعله مأوى تأوي فيه وتسكن اليه، وقد اعظم الله النعمة على آدم بما اختصه من علمه ، وأسجد له ملائكته ، واسكنه جنته ، وتلك نعمة على ولده ، فألزمهم الشكر عليها ، والقيام بحقها .

والجنة التي اسكن فيها آدم ، قال قوم : هي بستان من بساتين الدنيا ، لأن جنة الخلد لا يصل اليها إبليس ووسوسته ، واستدل البلخي على انها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن ابليس لما اغوى آدم ، قال له : (هل أدلك على شجرة الخلد ؟) فلو كانت جنة الخلد لكان عالماً بها ، فلم يحتج الى دلالة . وقال الحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء واكثر المعتزلة كأبي علي والرماني وابي بكر بن الاخشيد وعليه اكثر المفسرين : انها كانت جنة الخلد ، لأن الألف واللام للتعريف وصار كالعلم عليها قالوا : ويجوز ان يكون وسوسة ابليس من خارج الجنة ، فيسمعان خطابه ويفهمان كلامه ، قالوا : وقول من يقول : ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها لا يصح ، لأن معنى ذلك إذا استقر اهل الجنة في الجنة للثواب ، وأهل النار فيها للعقاب لا يخرجون منها ، واما قبل ذلك فانها تفنى لقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) .

(وزوجك الجنة) الزوج : بطرح الهاء قال الأصمعي : هو أكثر كلام العرب ، وقال الكسائي : اكثر كلام العرب بالهاء ، وطرح الهاء لغة لأزد شنوءة ، ولفظ القرآن لم يجيء إلا بطرح الهاء . وقال المبرد : الوجه طرح الهاء من الزوجة وأنشد :

وأراكم لدى المحاماة عندي مثل صوت الرجال للازواج

جمع زوج ، ولا يجوز ان يكون جمع زوجة . وقال الرماني : قول الاصمعي أجود ، لأن لفظ القرآن عليه ، والعلة في ذلك انه لما كانت الاضافة تلزم الاسم في اكثر الكلام كانت مشبهة له ، وكانت بطرح الهاء افصح وأخف مع الاستغناء بدلالة الاضافة عن دلالة هاء التأنيث .

وقوله تعالى : (وكلا) فالأكل والمضغ واللقم متقاربة ، وضد الأكل

الازم . وسأل عمر بن الخطاب الحارث بن كلدة طبيب العرب ، فقال له : ياحار ما الدواء ؟ فقال : الازم ، أي ترك الأكل . والأكلة مرة ، والأكلة اسم كاللقمة والأكولة الشاة ، والغنم التي ترعى للأكل لا للنسل ، والأكال : أن يتأكل عود أو شيء وأكيل الرجل: مآكله وأكيل الذئب:الشاة وغيرها إذا أردت المأكولة وإذا أردت به إسماً قلت : أكيلة ذئب . والمأكلة : ما جعل للانسان لا يحاسب عليه . ورجل وامرأة أكول: كثير الأكل . والمأكل كالمطعم والمشرب .والمأكل: المطعم . وأصل الباب الأكل وهو المضغ لذي الطعم . ويقال الذي يشترك فيه الحيوان كله فيه سوى الملائكة . المأكل والمنكح والمشرب.

و « الرغد » النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء . وقال صاحب العين : عيش رغد ورغيد : رفيه وقوم رغد ونساء رغد قال امرؤ القيس بن حجر :

بينما المرء تراه ناعماً يأمن الأحداث في عيش رغد

والرغيدة : الزبدة في بعض اللغات . وأرغد الرجل ماشيته : إذا تركها وسومها والمشيئة والارادة بمعنى واحد وكذلك المحبة والاختيار وان كان لها شروط ذكرناها في الاصول .

« ولا تقربا » القرب والدنو والمجاورة متقاربة المعنى وضد البعد يقال : قرب يقرب قرباً واقترب اقتراباً . قال صاحب العين : القرب طلب الماء يقال : قرب الماء يقرب وقد قربه قرباً إذا طلبه ليلا ولا يقال لطالب الماء نهاراً قارب والقراب للسيف والسكين والفعل منه : قربت قراباً وقيل قربت اقرابا .والقربان : ما تقربت به الى الله تعالى وقربان الملك وقرابينه : وزراؤه . والقربى : حق ذي القرابة . وقرب فلان اهله : اذا غشيها قربانا . وما قربت هذا الأمر ولا فلانا قربانا وقربى .

والشجرة : كل ما قام على ساق من النبات . وهو اسم يعم النخلة والكرمة وغيرها . وما لم يقم على ساق لا يسمى شجراً كالبقل والحشيش . واما اليقطين كالقرع والبطيخ فقد سمي شجراً . قال الله تعالى : « وانبتنا عليه شجرة من يقطين » قال صاحب العين : الشجرة واحدة تجمع على الشجر والشجرات والأشجار واختلفوا

في الشجرة التي نهى الله آدم عنها . فقال ابن عباس : هي السنبلة . وقال ابن مسعود والسدي وجعفر بن زهير : هي الكرمة . وقال ابن جريج : هي التينة وروي عن علي (عليه السلام) انه قال : شجرة الكافور . وقال الكلبي : شجرة العلم على الخير والشر . وقال ابن جذعان : هي شجرة الخلد التي كان يأكل منها الملائكة . والاقاويل الثلاثة الأولة اقرب .

« فتكونا من الظالمين » الظلم والجور والعدوان متقاربة . وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل . واصل الظلم انتقاص الحق لقوله تعالى : « كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا » أي لم تنقص . وقيل : أصله وضع الشيء في غير موضعه من قولهم : من يشبه أباه فما ظلم أي فما وضع الشبه في غير موضعه . وكلاهما مطرد وعلى الوجهين فالظلم اسم ذم . ولا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن لقوله : « ألا لعنة الله على الظالمين » ولا يجوز اطلاقه على انبياء الله تعالى ولا الأئمة المعصومين وظالم ومسيء وجائر : اسماء ذم وهو فاعل لما يستحق به الذم من الضرر وضدها عادل ومنصف ومحسن وهي من صفات المدح . ويقول المعتزلة لصاحب الصغيرة : ظالم لنفسه . ومن نفى الصغيرة عن الانبياء من الامامية قال : يجوز أن يقال : ظالم لنفسه اذا بخسها الثواب . كقوله « ظلمت نفسي » وقوله « إني كنت من الظالمين » حكاية عن يونس من حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه . والظلم هو الضرر المحض الذي لا نفع فيه أو عليه آجلا ، ولا فيه دفع ضرر اعظم منه ولا هو واقع على وجه المدافعة ، ولا هو مستحق . فما هذه صفته يستحق به الذم اذا وقع من مختار عالم أو متمكن من العلم به . وروي ان الله تعالى ألقى على آدم النوم ، وأخذ منه ضلعاً فخلق منه حواء . وليس يمتنع أن يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد أن لا يكون جزء ، أوىما لا يتم كون الحي حياً إلا معه ، لأن ما هذه صفته لا يجوز أن ينقل الى غيره ، أو يخلق منه حي آخر من حيث يؤدي الى أن لا يصل الثواب الى مستحقه ، لأن المستحق لتلك الجملة باجمعها وهذا قول الرماني وغيره من المفسرين ، ولذلك قيل للمرأة : ضلع اعوج . وقيل سميت امرأة

لأنها خلقت من المرء فأما تسميتها حواء : لما أدخل آدم الجنة واخرج منها إبليس ولعن وطرد فاستوحش . فخلقت ليسكن اليها . فقالت له الملائكة تجربة لعلمه : ما اسمها ؟ قال حواء . قالوا لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حي .

وقال ابن اسحاق : خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنه ، ثم دخلا جميعاً الجنة لقوله تعالى : « يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة » التي كان فيها آدم في السماء ، لأنه اهبطها منها . وقال ابو مسلم محمد بن بحر : هي في الأرض ، لأنه امتحنها فيها بالنهي عن الشجرة التي نهاها عنها دون غيرها من الثمار .

و « حيث » مبنية على الضم كما تبنى الغاية : نحو من قبل ومن بعد ، لأنه منع من الاضافة [الى المفرد] كما منعت الغاية من الاضافة الى مفرد .

وقوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » صيغته صيغة النهي . والمراد به الندب عندنا لأنه دل الدليل على أن النهي لا يكون نهياً الى بكراهته للمنهي عنه . والله تعالى لا يكره إلا القبيح . والانبياء لا يجوز عليهم القبائح : صغيرها ولا كبيرها . وقالت المعتزلة : إن تلك كانت صغيرة من آدم — على اختلافهم في انه كان منه عمداً أو سهواً أو تأويلا — وانما قلنا لا يجوز عليهم القبائح ، لأنها لو جازت عليهم لوجب أن يستحقوا بها ذماً ، وعقابا وبراءة ولعنة ، لأن المعاصي كلها كبائر عندنا والاحباط باطل ولو جاز ذلك لنفر عن قبول قولهم . وذلك لا يجوز عليهم كما لا يجوز كل منفر عنهم من الكبائر والخلق المشوهة والاخلاق المنفرة . ولا خلاف أن النهي يتناول الأكل دون القرب كأنه قال : لا تقربا بالاكل لأنه لا خلاف أن المخالفة وقعت بالأكل لا بالدنو منها ولذلك قال : « فأكلا منها فبدت لهما سوأتهما »

وقوله : « فتكونا » يحتمل أن يكون جواباً للنهي فيكون موضعه نصباً . وهو الأقوى ويحتمل أن يكون عطفاً على النهي فيكون موضعه جزماً وكلاهما جيد محتمل ومتى كان جواباً كان تقديره : إن قربتما كنتما من الظالمين، لأنه يتضمن معنى الجواب واذا كان عطفاً على النهي فكأنه قال : لا تكونا من الظالمين . واجاز البصريون من اهل العدل أن يبتدىء الله الخلق في الجنة فينعمهم فيها تفضلا منه

لا على وجه الثواب ، لأن ذلك نعمة منه تعالى كما أن خلقهم وتكليفهم وتعريضهم للثواب نعمة منه ، وله أن يفعل ما يشاء من ذلك وقال ابو القاسم البلخي : لايجوز خلقهم في الجنة ابتداء ، لأنه لو جاز ذلك ، لما خلقهم في دار المحنة ، ولما ابتلى من يعلم أنه يكفر ويصير الى عذابه وانما لم يجز أن يخلقهم ابتداء في الجنة ، لأنه لو خلقهم فيها ، لم يخل : إما أن يكونوا متعبدين بالمعرفة لله والشكر ، أولا يكونوا كذلك فلو كانوا غير متعبدين ، كانوا مهملين ولذلك لا يجوز ولو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب ووعد ، ووعيد ولو كانوا كذلك كانوا على ما هم عليه في دار الدنيا وكان لابد من دار أخرى يجازون فيها ويخلدون واجاب عن ذلك الاولون بان قالوا : لو ابتدأ خلقهم في الجنة لاضطرهم الى معرفته ، والجأهم الى فعل الحسن وترك القبيح ومتى راموا القبيح ، منعوا منه فلا يؤدي ذلك الى ما قاله : كالحور العين والاطفال والبهائم اذا حشرهم يوم القيامة .

فأزلَّهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوٌ ولكم في الأرضِ مستقرٌ ومتاعٌ إلى حينٍ . آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ حمزة وحده « وأزالهما » بألف وتخفيف اللام . الباقون بتشديد اللام وحذف الألف .

اللغة :

الزلة والمعصية والخطيئة والسيئة بمعنى واحد وضد الخطيئة الاصابة . ويقال : زل زلة ،وأزله إزلالا ، واستزله استزلالا وقال صاحب العين : زل السهم عن النزع زليلا وزل فلان عن الصخر زليلا فاذا زلت قدمه ، قلت : زل زلا فاذا زل في مقالة أو خطبة ، قلت : زل زلة . قال الشاعر :

هلا على غيري جعلت الزلة

وأزله الشيطان عن الحق : إذ أزاله . والمزلة : المكان الدحض (١) . والمزلة : الزلل في الدحض . والزلل : مثل الزلة في الخطأ . والازلال : الانعام . وفي الحديث : (من أزلت إليه نعمة فليشكرها .) بمعنى أسديت . قال كثير :

وإني ـ وإن صدت ـ لمثن وصادق عليها بما كانت إلينا أزلت (٢)

ويقال : أزللت الى فلان نعمة ، فأنا أزلها إزلالا . فالأصل في ذلك الزوال . والزلة : زوال عن الحق .

ومعنى « أزالهما »(٣) : نحاهما . من قولك : زلت عن المكان : اذا تنحيت منه . والوجه ما عليه القراء (٤) لأن هذا يؤدي إلى التكرار ، لأنه قال بعد ذلك « فأخرجهما » فيصير تقدير الكلام : فأخرجها الشيطان عنها فأخرجها . وذلك لا يجوز . ويحسن أن يقول : استزلها فأخرجها . ومن قرأ : « أزالهما » ، أراد المقابلة بين قوله : « أزلهما » وبين قوله : « اسكن » ، لأن معناه : اسكن واثبت انت وزوجك . وتقديره : اثبتا ، فأراد أن يقابل ذلك فقال : « فأزالهما » فقابل الزوال بالثبات . وإنما نسب الازلال والاخراج إلى الشيطان لما وقع ذلك بدعائه ووسوسته وإغوائه . ولم يكن إخراجها (٥) من الجنة على وجه العقوبة ، لأنا قد بينا أن الأنبياء لا يجوز عليهم القبائح على حال ومن أجاز عليهم العقاب ، فقد أعظم الفرية وقبح (٦) الذكر على الأنبياء . وإنما أخرجهم من الجنة ، لأنه تغيرت المصلحة لما تناول من الشجرة ، واقتضى التدبير والحكمة تكليفه في الأرض وسلبه ما ألبسه الله (تعالى) من لباس الجنة . وقال قوم : إن إلباس الله له ثياب الجنة كان تفضلا . وللمتفضل أن يمنع ذلك تشديداً للمحنة . كما يفقر بعد الغنى ، ويميت بعد الاحياء ، ويسقم بعد الصحة .

فان قيل : كيف وصل إبليس إلى آدم حتى أغواه ووسوس اليه . وآدم كان

---

(١) الدحض بفتح الحاء وسكونها ، من الأمكنة : الزلق . ج : دحاض

(٢) في المطبوعة والمخطوطة (عليا) بدل (عليها) . الديوان

(٣) على قراءة حمزة (٤) أي بتشديد اللام (٥) في المخطوطة (باخراجهما)

(٦) وفتح . خ . ل

في الجنة ، وابليس قد أخرج منها حين تأبي من السجود ؟ قيل : عن ذلك أجوبة : أحدها ـ ان آدم كان يخرج الى باب الجنة ، وابليس لم يكن ممنوعاً من الدنو منه ، وكان يكلمه ويغويه .

[الثاني] ـ وقال آخرون : انه كلمها من الأرض بكلام فهماه (١) منه وعرفاه.

[والثالث] ـ قال قوم : إنه دخل في فقم الحية ، وخاطبها من فقمها . والفقم : جانب الشدق .

[والرابع] ـ قال قوم : راسلهما بالخطاب . وظاهر الكلام يدل على أنه شافهها بالخطاب .

[والخامس] ـ وقال قوم : يجوز أن يكون قرب من السماء فكلمها .

فأما ما روي عن سعيد بن المسيب : ـ أنه كان يحلف ولا يستثني ، أن آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر ، قادته اليها فأكل ـ فانه خبر ضعيف . وعند اصحابنا ، أن الخمرة كانت محرمة في سائر الشرائع ومن لم يقل ذلك ، يقول : لو كان كذلك ، لما توجه العتب على آدم ، ولا كان عاصياً بذلك . والأمر بخلاف ذلك . وانما قلنا ذلك : لأن النائم غير مكلف في حال نومه ، لزوال عقله ، وكذلك المغمى عليه ، وكذلك السكران . وانما يؤاخذ السكران بما يفعله في شرعنا ، لما ثبت تحريم ما يتناوله اسم المسكر . والا فحكمه حكم النائم عقلا . وقد قلنا : إن أكلها من الشجرة كان على وجه الندب ، دون أن يكون ذلك محظوراً عليها ، لكن لما خالفا في ترك المندوب اليه تغيرت المصلحة ، واقتضت إخراجها من الجنة . وقد دللنا على ذلك في ما مضى .

[والسادس] ـ وقال قوم : تعمد ذلك .

[والسابع] ـ وقال قوم آخرون : نُهي عن جنس الشجرة ، واخطأ .

[والثامن] ـ وقال قوم : إنه تأول (٢) النهي الحقيقي ، فحمله على الندب

---

(١) في المخطوطة (وتكلما منه وعرفاه)

(٢) في المخطوطة والمطبوعة (تاول)

وأخطأ . وقد قدمنا ماعندنا فيه . فان قيل : كيف يكون ذلك ترك الندب مع قوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » ؟ قلنا التوبة : ـ قيل ـ الرجوع ويجوز ان يرجع تارك الندب عن ذلك ، . . . . . (١) يكون تائباً . ومن قال : وقعت معصيته محبطة . . . . . (٢) بها يخرج عن الاصرار . كما لحد (٣)... (٤) الأولى اسقطت العقاب .... (٥) وابليس يقول لهما : « مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما : اني لكما لمن الناصحين . » قيل : ما قبلا ذلك من إبليس ، ولو قبلاه لكانت المعصية أعظم . فلما لم يعاتبهما الله على ترك ذلك ، دل على أنهما لم يقبلا . وهذا جواب من يقول : انه كان صغيراً ، (٦) أو كان ناسياً . وعلى ما قلناه ـ إن ذلك كان ندباً ـ لا يحتاج الى ذلك ، بل دليل العقل أمننا من وقوع قبيح من آدم ، والانبياء . فلو كان صريحاً ، لتركنا ظاهره لقيام الدليل على خلافه . على أنه لا يمنع أن يقاسمهما : إنه لمن الناصحين في ترك الندب . وإنما ظاهر النهي تركه يوجب أن يصيرا من الخالدين .

وقوله : « مما كانا فيه » يحتمل أن يكون أراد : من لباسهما حتى بدت لهما سوآتهما ويحتمل أن يكون من الجنة ، حتى أهبطا . ويحتمل أن يكون أراد : من الطاعة إلى المعصية .

اللغة :

وقوله : « اهبطوا » فالهبوط والنزول والوقوع نظائر . ونقيض الهبوط والنزول الصعود . يقال : هبط يهبط : اذا انحدر في هبوط من صعود . والهبوط اسم كالحدور ، وهو الموضع الذي يهبط من اعلى الى اسفل . والهبوط : المصدر . قال ابن دريد : هبطته واهبطته .

والعداوة ، والبراءة ، والمباعدة ، نظائر . وضد العدو ، الوليّ . والعدو :

(١) في الاصل بياض

(٢) بياض (٣) (لحد) هكذا في الأصل (٤) بياض (٥) بياض.

(٦) في المخطوطة (صغيراً وكان) وفي المطبوعة (صغيراً ولو كان).

الحُضر (١) ـ خفيف ـ والعدو : ـ ثقيل ـ يقال في التعدي . وقرىء : « فيسبّوا الله عدواً ـ وعُدُوّاً ـ بغير علم » « ٢ » والعدوان : الظلم . والعدوى : طلبك الى وال ليعديك على من ظلمك ـ أي ينتقم لك ـ والعدو اسم جامع للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث . فاذا جعلته نعتاً ، قلت : الرجلان عدوّاك ، والرجال اعداؤك ، والمرأتان عدوتاك ، والنسوة عدوّاتك وأصل الباب : المجاوزة . يقال : لا يعدونّك هذا الأمر ـ أي لا يتجاوزنّك .

المعنى :

وقوله : « اهبطوا » انما قال بالجمع ، لأنه يحتمل اشياء :

احدها ـ أنه خاطب آدم وحواء وابليس ، فيصلح ذلك ، وان كان ابليس أهبط من قبلها . يقال : أخرج جمع من الجيش ـ وان خرجوا متفرقين ـ. اختار هذا الزجاج .

والثاني ـ أنه أراد آدم وحواء والحية .

والثالث ـ آدم وحواء وذريتهما .

والرابع ـ قال الحسن : إنه أراد آدم وحواء والوسوسة . وظاهر القول وان كان أمراً فالمراد به التهديد . كما قال : « اعملوا ما شئتم . »

وقوله : « مستقر » قرار ، لقوله : « وجعل لكم الأرض قراراً » . وقيل : مستقر في القبور . والأول أقوى وأحسن .

اللغة :

والقرار : الثبات ، والبقاء مثله . وضد القرار الانزعاج . وضد الثبات الزوال وضد البقاء الفناء . ويقال : قرّ قراراً . والاستقرار : السكون من وقت واحد على حال . « والمستقرّ » يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار ، ويحتمل أن يكون بمعنى المكان الذي يستقرّ فيه .

---

(١) الحضر ، بضم الحاء وتسكين الضاد : الاسم من أحضر الفرس أي عدا .

(٢) سورة الانعام آية : ١٠٨ .

وقوله : « ومتاع إلى حين » والمتاع والتمتع والتلذذ والمتعة متقاربة المعنى . وضدها التألم . يقال : أمتعه به إمتاعاً ، وتمتع تمتعاً ، واستمتع استمتاعاً ، ومتعه تمتيعاً ، ومتع النهار متوعاً — وذلك قبل الزوال — والمتاع من أمتعة البيت : ما يتمتع به الانسان من حوائجه . وكل شيء تمتعت به فهو متاع . ومنه متعة النكاح ، ومتعة المطلقة ، ومتعة الحج .

وقوله : « إلى حين » . فالحين ، والمدة والزمان ، متقاربة . والحين الهلاك حان يحين . وكل شيء لم يوفق للرشاد ، فقد حان حينا والحين : الوقت من الزمان وجمعه أحيان . وجمع الجمع ، أحايين . ويقال : حان يحين حينونةً . وحينت الشيء: جعلت له حيناً . وحينئذ : يبعدقولك : الآن . فاذا باعدوا بين الوقتين ، باعدوا بـ (إذ) فقالوا : حينئذ . والحين : يوم القيامة . وأصل الباب ، الوقت . والحين : وقت الهلاك . ثم كثر ، فسمي الهلاك به . والحين : الوقت الطويل .

المعنى :

وقيل : الـ « حين » في الآية يعني الموت . وقيل إلى يوم القيامة . وقيل : إلى أجل . وقال ابن سراج : إذا قيل : « ولكم في الأرض مستقر ومتاع » لظن أنه غير منقطع . فقال : « إلى حين » انقطاعه . والفرق بين قول القائل : هذا لك حيناً ، وبين قوله : إلى حين . أن إلى تدل على الانتهاء ، ولا بد أن يكون له ابتداء وليس كذلك الوجه الآخر .

معنى قوله : « بعضكم لبعض عدوٌّ » . قال الحسن : يعني بني آدم ، وبني إبليس وليس ذلك بأمر على الحقيقة ، بل هو تحذير ، لأن الله لا يأمر بالعداوة . وفي الآية دلالة على أن الله تعالى لا يريد المعصية . ولا يصدّ أحداً عن طاعته ، ولا يخرجه عنها . ولا تنسب المعصية إليه ، لأنه نسب ذلك إلى الشيطان ، وهو يتعالى عما عاب به الأبالسة والشياطين .

فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ — آية (٣٧).

قرأ إبن كثير (آدم) بنصب الميم . (كلمات) برفع التاء .

اللغة :

يقال : لقي زيد خيراً فيتعدى الفعل الى مفعولٍ واحد . ومنه قوله : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » (١) . وقوله : « إذا لقيتم فئةً فاثبتوا » (٢) و « لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً » (٣) فاذا ضعفت العين تعدى إلى مفعولين . تقول : لقّيت زيداً خيراً . قال الله تعالى : « ولقاهم نضرة وسروراً » (٤) . وتقول : لقيت بعض متاعك على بعض ، فتعديه إلى مفعولٍ واحد لأنه بناء مفرد لا لأنه منقول ليتعدى إلى مفعولين . وتقول : لقيته لقيــة واحدة في التلاقي واللقيان (٥) . ولقيته لقاء ولقياناً ولقاة . وقوله : « تحيتهم يوم يلقونه سلام »(٦) معناه يلقون ثوابه بخلاف قوله : « يلقون غيا » (٧) .

المعنى :

ومعنى « تلقى آدم من ربه كلمات » . تعلمها . يقال : تلقيت هذا من فلان أي قبله فهمي من لفظه . قال أبو عبيدة : قال أبو مهدية : ـ وتلا عليه آيات (٨) من القرآن قال : تلقيتها من عمي تلقاها من أبي هريرة ، تلقاها من رسول الله (ص) وأصل الملاقاة الملاصقة ، لكنه كثر حتى قيل : لاقى فلان فلاناً : إذا قاربه ، وإن لم يلاصقه . وكذلك تلاقى الجيشان ، وتلاقى الفرسان . ويقال : تلاقى الخطان أي تماسا . وتقول : تلقيت الرجل بمعنى استقبلته . وتلقاني : استقبلني . فعلى هذا يجوز في العربية رفع ادم ، ونصبه ، مع رفع الكلمات . والاختيار قراءة الاكثر ، لأن معنى التلقي ههنا القبول . فكأنه قال : قبل (٩) آدم من ربه كلمات . وانما

(١) سورة محمد : آية ٤ (٢) سورة الانفال . آية ٤٦ (٣) سورة الكهف : آية ٦٣
(٤) سورة الدهر : آية ١١ (٥) في المخطوطة (والقتال) (٦) سورة الأحزاب : ٤٤
(٧) سورة مريم : ٥٩ (٨) في المخطوطة (الآية) (٩) في المخطوطة (لقي)

جاز نصب آدم ، لأن الأفعال المتعدية الى المفعول به على ثلاثة اقسام : احـدها يجوز ان يكون الفاعل له مفعولا به والمفعول به فاعلا . نحو اكرم بشرٌ بشراً وشتم زيد عمراً

[ثانيها] ومنها لا يكون المفعول به فاعلا ، نحو : أكلت الخبز ، وسرقت درهماً ، وأعطيت ديناراً ، وأمكنني الفرض .

(وثالثها) ما يكون اسناده الى الفاعل في المعنى كاسناده الى المفعول ، نحو : أصبت ونلت ، وتلقيت . تقول : نالني خيرٌ ، ونلت خيراً، وأصابني خيرٌ ، وأصبت خيراً . ولقيني زيدٌ ، ولقيت زيداً . وتلقاني ، وتلقيته . وقال تعالى : « وقد بلغني الكبر » «١» . وقال: « وقد بلغت من الكبر عتيا » «٢» فعلى هذا الرفع والنصب في المعنى واحد في الآية . وإنما اجيز رفع آدم ، لأن عليه الأكثر وشواهـده اكثر . كقوله « تلقونه بالسنتكم » «٣». واسند الفعل الى المخاطبين والمفعول به كلام متلق . كما أن الذي تلقى آدم كلام متلق وكما اسند الفعل الى المخاطبين . فجعل التلقي لهم كذلك يلزم ان يسند الفعل إلى آدم ، فيجعل التلقي له دون الكلمات . واما على ما قال ابو عبيدة معناه قبل الكلمات ، فالكلمات مقبولة ، فلا يجوز غير الرفع في آدم . ومثل هـذا في جواز اضافتـه تارة الى الفاعل ، واخرى الى المفعول . كقوله : « لا ينال عهدي الظالمين» «٤» . وفي قراءة ابن مسعود : « لا ينال عهدي الظالمون » والكلمات جمع كلمة . والكلمة : اسم جنس لوقوعه على الكثير والقليل . يقولون : قال امرؤ القيس في كلمته يعني في قصيدته . وقال قس «٥» في كلمتـه يعنون في خطبته . فوقوعها على الكثير نحو ما قلناه . ووقوعها «٦» على القليل قال سيبويه: قال قد اوقعها على الاسم المفرد ، والفعـل المفرد ، والحرف المفرد . فأما الكلام فان سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلفاً من هذه الكلم فقال : لو قلت : إن تضرب ناساً لم يكن كلاماً . وقال ايضاً : انما ، فقلت ، ونحوه ، ما كان كلاماً [بل] «٧» قولا

«١» سورة آل عمران : آية ٤ . «٢» سورة مريم : آية ٧ . «٣» سورة النور : آية ١٥ «٤» سورة البقرة : آية ١٢٤ . «٥» في المخطوطة (قيس) «٦» في المطبوعة (وقوعها) «٧» في المخطوطة والمطبوعة بدون (بل) ولا يستقيم السياق بدونها .

واوقع الكلام على المتألف . والذي حرره المتكلمون ، ان حد الكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المنقولة ، إذا وقع ممن يصح منه اومن قبله الافادة . ثم ينقسم قسمين : مفيد ، ومهمل . فالذي أراد سيبويه أنه لا يكون كلاماً ، أنه لا يكون مفيداً وذلك صحيح . فأما تسميته بأنه كلام ، صحيح . وكيف لا يكون صحيحاً ، وقد قسموه الى قسمين : مهمل ، ومفيد ، فأدخلوا المهمل الذي لا يفيد في جملة الكلام .

والكلمة والعبارة ، والابانة ، نظائر . وبينها فروق . والفرق بين الكلمة والعبارة ، أن الأظهر في الكلمه هي الواحدة من جملة الكلام ـ وان قالوا في القصيدة أنها الكلمة ـ والعبارة تصلح للقليل والكثير . وأما الابانة فقد تكون بالكلام ، والحال ، وغيرها من الأدلة : كالاشارة والعلامة ، وغير ذلك . وأما النطق فيدل على إدارة اللسان بالصوت: وليس كذلك الكلام ولهذا يقولون : ضربته فما تكلم ، ولا يقولون : فما نطق ، اذا كان صاح . وكذلك لا يجوز أن يقال في الله : إنه ناطق . وأما اللفظ فهو من قولك : لفظت الشيء : إذا أخرجته من فمك . وليس في الكلام مثل ذلك. ويقال : كلمته تكليماً وكلاماً «١» . وتكلم تكلما . ولذلك لايجوز أن يقال فيه تعالى لَفَظَ ، ولا أنه لافظ . والكلْم : الجرح . والجمع : الكلوم . يقال : كلمته أكلمه كلماً ، فأنا كالم ، وهو مكلوم . وكليمك : الذي يكلمك . ويقال : كَلِمَة وكِلْمة «٢» لغة تميمية ، وقيل إنها حجازية . وتميم حكي عنها كِلْمة بكسر الكاف وتسكين اللام ، وحكي تسكين اللام مع فتح الكاف . وأصل الباب أنه أثرٌ دالٌّ والكلْم أثر دال على الجارح . والكلام أثر دال على المعنى الذي تحته . والمتكلّم : من رفع ما سميناه كلاماً بحسب دواعيه وأحواله . وربما «٣» عُبّر عنه بأنه الفاعل للكلام . وليس المتكلم من حله «٤» الكلام ، لأن الكلام يحلُّ اللسان والصدر ولا يوصفان بذلك . وقد بينا فساد الكلام النفسي «٥» في كتاب العدة ، في أصول

«١» في المخطوطة (تكلماً وتكاماً) . «٢» في المخطوطة « وكام » .
«٣» في المخطوطة « تدبماً » . «٤» في المخطوطة « من جلة » . «٥» في المخطوطة « النفسي » ساقطة .

الفقه . وقلنا : إن اختصر ذلك ، هل هو إلا الخبر ، أو ما معناه معنى الخبر ، وإن كان لكل قسم معنى يخصه ؟ .

المعنى :

والكلمات التي تلقاها آدم قال الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » «١» فان في ذلك اعترافاً بالخطيئة ، ولذلك وقعت موقع الندم . وحقيقته الانابة . وحكي عن مجاهد أنه قال: هي قول آدم : اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين . اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فارحمني ، إنك أنت خير «٢» الراحمين اللهم «٣» لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي ، فتب علي إنك أنت التواب الرحيم . وروى مثل ذلك عن أبي جعفر عليه السلام . وحكي عن ابن عباس : أن آدم قال لربه إذ عصاه : أرأيت أن تبت وأصلحت ؟ . فقال له تعالى: إني راجعك إلى الجنة وكانت هذه الكلمات . وروي في أخبارنا : أن الكلمات هي توسله بالنبي عليه السلام وأهل بيته . وكل ذلك جائز .

قوله : « فتاب عليه »

اللغة :

فالتوبة ، والانابة ، والاقلاع ، نظائر في اللغة . وضد التوبة : الاصرار . يقال : تاب يتوب توبةً ، وتواباً واستتابة . والله تعالى يوصف بالتواب . ومعناه أنه يقبل التوبة عن عباده . وأصل التوبة : الرجوع عما سلف ، والندم على ما فرط . والله تعالى تائب على العبد بقبول توبته . والعبد تائب الى الله بمعنى نادم على معصيته والتائب : صفة مدح لقوله «٤» : « التائبون العابدون » «٥» . والتوبة شرطها

«١» سورة الأعراف : آية ٢٣ و ١٤٨ . «٢» في المخطوطة « أرحم » . «٣» في المخطوطة « اللهم » ساقطة .

«٤» في المخطوطة « كقوله » . «٥» سورة التوبة : آية ١١٣ .

الندم على ما مضى من القبيح ، والعزم على أن لا يعود الى مثله من القبيح ، لأن هذه التوبة هي المجمع على سقوط العقاب عندها ، وما عداها فمختلف فيه . وقد يقول القائل : قد تبت من هذا الأمر أي «١» عزمت على ألا أفعله ، وصرت بمنزلة التائب ، وذلك مجاز . وكل معصية لله تعالى فانه يجب التوبة منها ، والتوبة يجب قبولها ، لأنها طاعة . فأما إسقاط العقاب عنده فتفضل منه تعالى . وقالت المعتزلة ومن وافقها : وذلك واجب . وقد بينا الصحيح من ذلك في شرح الجمل . والتوبة اذا كانت من ترك ندب عندنا تصح . وتكون على وجه الرجوع الى فعله . وعلى هذا تحمل توبة الانبياء كلهم في جميع ما نطق به القرآن ، لأنه قد بينا أنه لا يجوز عليهم فعل القبيح . والمطبوع على قلبه له توبة . وبه قال أهل العدل . وقالت البكرية لا توبة له . وهو خطأ ، من قبل انه لا يصح تكليفه إلا وهو متمكن من أن يتخلص من ضرر عقابه . وذلك لا يتم إلا بأن يكون له طريق الى إسقاط عقابه . وقد وعد الله بذلك — وإن كان تفضلا — إذا حصلت التوبة واختلفوا في التوبة من الغصب ، هل تصح مع الاقامة على منع المغصوب ؟ . فقال قوم : لا تصح : وقال آخرون : تصح — وهو الأقوى — إلا أن يكون فاسقاً بالمنع ، فيعاقب «٢» عقاب المانع ، وإن سقط عنه عقاب الغصب. والصحيح أن القاتل عمداً تصح توبته. وقال قوم : لا تصح . والتوبة من القتل الذي يوجب القود ، قال قوم : لا تصح إلا بالاستسلام لولي المقتول ، وحصول الندم ، والعزم على أن لا يعود . وقال قوم آخرون : تصح التوبة من نفس القتل ، ويكون فاسقاً بترك الاستسلام . وهذا هو الأقوى ، واختاره الرماني . فأما التوبة من قبيح بفعل آخر ، فلا تصح على أصلنا كالتائب من الالحاد بعبادة المسيح . وقال قوم : تصح . وأجراه مجرى معصيتين يترك باحداها الأخرى ، فانه لا يؤاخذ بالمتروكة وقال قوم : التوبة من اعتقاد جهالة إذا كان صاحبها لا يعلم انها معصية بأنه يعتقد انه لا محجوج إلا عارف ، فانه يتخلص من ضرر تلك المعصية إذا رجع عنها الى المعرفة ، وإن لم يوقع معها توبة . وقال

«١» في المخطوطة « يعني » بدل أي «٢» في المطبوعة والمخطوطة « يعاقب » بدون الفاء

آخرون : لا يتخلص إلا بالتوبة ، لأنه محجوج فيه ، مأخوذ بالنزوع عن الاقامة عليه ، وهو الأقوى . فأما ما نسي من الذنوب ، فانه يجري مجرى التوبة منه على وجه الجملة . وقال قوم : لا يجري . وهو خطأ ، لأنه ليس عليه في تلك الحال اكثر مما عمل فأما ما نسي من الذنوب مما لو ذكر ، لم يكن عنده معصية . وهل يدخل في الجملة إذا اوقع التوبة من كل خطيئة ؟ قال قوم : يدخل فيها . وقال آخرون لا يدخل فيها ، لكنه يتخلص من ضرر (١) المعصية ، لأنه ليس عليه اكثر مما علم في تلك الساعة . والأول اقوى ، لأن العبد إذا لم يذكر صرف توبته الى كل معصية هي في معلوم الله معصية . فأما المشرك إذا كان يعرف قبل توبته بفسق — إذا تاب من الشرك — هل يدخل فيه التوبة من الفسق في الحكم ، وإن لم يظهر التوبة منه ؟ . قال قوم : لا يزول عنه حكم الفسق ، وهو قول اكثر المعتزلة . وقال قوم: يزول عنه حكم الفسق . وقال الأخشيذ : القول في هذا باجتهاد . والذي يقوى في نفسي انه يزول ، لأن الاسلام الأصل فيه العدالة الى ان يتجدد منه بعد الاسلام ما يوجب تفسيقه . فأما التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح آخر ، يعلم ويعتقد قبحه ، فعند اكثر من تقدم صحيحة وقال ابو هاشم ، واصحابه : لا تصح وقد قلنا ما عندنا في ذلك ، في شرح الجمل واعتمد الأولون على ان قالوا : كما يجوز ان يمتنع من قبيح اقبحه ، ويفعل قبيحاً آخراً ، وإن علم قبحه كذلك جاز ان يندم من القبيح ، مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه . وهذا إلزام صحيح معتمد واختلفوا في التوبة عند ظهور اشراط الساعة ، هل تصح ام لا ؟ فقال الحسن: يحجب عنها عند الآيات الست . ورواه عن النبي (ص) انه قال : بادروا الأعمال قبل ست : طلوع الشمس من مغربها ، والدَّجال ، والدُّخان ودابة الأرض ، وخويصة أحدكم يعني الموت ، وأمر العامة يعني القيامة . وقال قوم : لا شك أن بعض الآيات يحجب ، وباقيها محجوز . وهو الأقوى .

وقوله : « فتاب عليه » . يعني قبل توبته ، لأنه لما عرضه للتوبة ، بما ألقاه

---

(١) في المخطوطة « ضرب »

من الكلمات فعل التوبة ، وقبلها الله تعالى منه [وقيـل تاب عليه أي وفق للتوبة وهـداه اليها] «١» فقال اللهم تب عليّ أي وفقني للتوبة . [فلقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته] .«٢»

وقوله : « إنه هو التواب الرحيم » . إنما ذكر الرحيم ، ليـدل بذلك على أنه متفضل بقبول التوبة ، ومنعم به ، وأن ذلك ليس هو على وجـه الوجوب ، على ما يقوله المخالف . ومن خالف في ذلك يقول : لما ذكر التواب بمعنى الغفار باسقاط العقوبة ، وصل ذلك بذكر النعمة ، ليدل على أنه مع إسقاط العقوبة ، لا يخلي العبد من النعمة الحاصلة ترغيباً له ، وفي الانابة والرجوع اليه بالتوبة . « وتواب » بمعنى أنه قابل التوبة لا يطلق إلا عليه تعالى ، ولا يطلق في الواحـد منا . وإنما قال : « فتاب عليـه » . ولم يقل فتاب عليها ، لأنه اختصر ، كما قال : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » «٣» . ومعناه أن يرضوها . كذلك معنى الآية : فتاب عليها ومثل ذلك قوله : « وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا اليها » (٤) وقال الشاعر :

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئاً ، ومن جول الطّوِي رماني «٥»

وقال آخر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف «٦»

وحكي عن الحسن ، انه قال : لم يخلق الله آدم إلا للأرض ، ولو لم يعص لخرج على غير تلك الحال . وقال غيره : يجوز ان يكون خلقـه للأرض إن عصى ولغيرها ان لم يعص وهو الأقوى لأن ما قاله لا دليل عليه وروي عن قتادة : ان اليوم الذي قبل الله توبة آدم فيه يوم عاشوراء ورواه ايضاً اصحابنا

«١و٢» ز نا ما بين القوسين وهو موجود في مجمع البيان ص ٨٩ م ١ تفسير نفس الآية والسياق هنا يقتضي ذلك (٣) سورة التوبة : آية ٦٤ (٤) سورة الجمعة آية ١١ «٥» قال ابن بري : البيت لابن أحمر قال : وقيل هو للازرق بن طرفة بن العمرد « بفتح العين وفتح الميم وتشديدها » الفراصي الجول : جانب البئر . الطوي : البئر ، لانها تطوى بالحجارة . ومعنى البيت : رماني بأمر عاد عليه قبحه ، لأن الذي يرمي من جول البئر يعود ما رمى به عليه ويروى : ومن اجل الطوي قال وهو الصحيح ـ لسان العرب ـ «٦» البيت لقيس بن الخطم ، شاعر جاهلي ، قتل أبوه وهو صغير ــ

قوله تعالى :

(قُلنا اهْبِطُوا منها جميعاً فامَّا يأتِيَنَّكم مِنّي هُدىً فمن تَبِعَ هُداي فلا خوفٌ عليهم ولاهُمْ يحزنون) . (٣٨)

آية بلا خلاف .

المعنى :

قد بينا معنى الهبوط فيما مضى «١» بما فيه كفاية . وقال الجبائي : الهبوط الأول : هو الهبوط من الجنة الى السماء ، وهـذا الهبوط من السماء الى الأرض . وقد يستعمل في غير النزول من مكان عالٍ الى أسفل . يقال هبط فلانٌ الى أرض كذا ، اذا أتاها ، وإن لم يرد به النزول الذى فيه . إلا أن فيه إيماءً الى هبوط المنزل قال لبيد :

كلُّ بني حرةٍ مصيرهم　　قلٌ وإن أكثروا من العدد
إن يغبطوا يهبطوا وإن　　أمروا يوماً فهم للفناء والفند

الفَنَد : الهرب . والاتيان ، والمجيء ، والاقبال ، نظائر ونقيضه : الذهاب والانصراف ويقال : أتى ، اتياناً ، وأتى أتياً ، ونأى ، تأتياً وأتى تأتية وآتيت فلاناً على أمره مؤاتاةً ولا يقال أتية الا في لغة قبيحة لتيم

ودخلت (ما) في قوله مع « ان » التي للجزاء ، ليصح دخول النون التي للتوكيد في الفعل ولو أسقطت (ما) لم يجز دخول النون ، لأنها لا تدخل في الخبر الواجب الا في القسم ، أو ما أشبه القسم كقولك : زيدٌ ليأتينك ولو قلت بغير اللام ، لم يجز وكذلك تقول : بعينٍ ما أرينك ولو قلت : بعينٍ أرينك ، بغير ما لم يجز فدخول (ما) ههنا كدخول اللام في أنها تؤكد أول الكلام وتؤكد النون

ـــ ولما بلغ قتل قاتل أبيه ونشأت بسبب ذلك حروب بين قومه وبين الخزرج وله ولد اسمه ثابت وهو من الصحابة ، شهد مع علي ـ ع ـ صفين والجمل والنهروان . «١» في آية «٣٦» البقرة

آخره . والأمر ، والنهي ، والاستفهام ، تدخل النون فيه وان لم يكن معه (ما) اذا كان الأمر والنهي ، مما تشتد الحاجة الى التوكيد فيه والاستفهام مشبه به اذا كان معناه اخبرني والنون انما تلحق للتوكيد ، فلذلك كان من مواضعها .

قال الله تعالى : « ولا تقولنَّ لشيء اني فاعلٌ ذلك غداً » (١) فان قيل : اين جواب اما ؟ واين جواب من ؟ قيل : الجزاء وجوابه بمنزلة المبتدا والخبر ، لأن الشرط لا يتم الا بجوابه ، كما لا يتم المبتدأ الا بخبره ألا ترى ، انك لو قلت : إن تقم ، وسكتت ، لم يجز . كما لو قلت : زيد ، لم يكن كلاما ، حتى تأتي بالخبر . ولك أن تجعل خبر المبتدأ جملة ، وهي أيضاً مبتدأ وخبر ، كقولك : زيد أبوه منطلق . وكذلك (إن) التي للجزاء ، إذا كان الجواب بالفاء ، ووقع بعد الفاء الكلام مستأنفاً ، صلح أن يكون جزاءً ، وغير جزاء . تقول : إن تأتني فأنت محمود ولك أن تقول : إن تأتني . فمن يكرمك أكرمه . وإن تأتني فمن يبغضك فلا وضيعة عليه .

وقوله : « إما يأتينكم » شرط ، وجوابه الفاء . وما بعد قوله : « فمن » شرط آخر ، وجوابه الذي بعده من قوله : « فلا خوف عليهم » . وهو نظير المبتدأ والخبر الذي يكون خبره مبتدأ وخبراً . وهذا في مقدمات القياسات ، يسمى الشرطية المركبة . وذلك أن المقدم فيها إذا وجب ، وجب التالي المرتب عليه .

و « الهدى » المذكور في الآية يحتمل أمرين : أحدهما — البيان والدلالة . والآخر — الانبياء والرُّسل . وعلى القول الأخير يكون قوله : « قلنا اهبطوا » لآدم وحواء وذريتهما . كما قال : « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » (٢) أي أتينا بما فينا من الخلق طائعين .

وقوله : « فمن تبع هداي » .

---

(١) سورة الكهف آية ٢٤ . (٢) حم السجدة آية ١٢ .

اللغة :

فالاتباع ، والاقتداء ، والاحتذاء ، نظائر . ونقيض الاتباع : الابتداع تقول : تبعه تباعاً وأتبعه إتباعاً . وتابعه متابعة . وتتبع تتبعاً . واستتبع استتباعاً . والتابع : التالي . ومنه التتبُّع . والتبيع : ما تبع أثر شيء فهو يتبعه . والتتبُّع . فعلك شيئاً بعد شيء . تقول : تتبعت عليه آثاره . وفي الحديث : القادة والأتباع . والقادة : السادة . والأتباع . القوم الذين يتبعونهم . والقوائم ، يقال لها تبع . والتبيع من ولد البقر : العجل ، لأنه تبع أمه يعدو . وثلاثة أتبعة ـ الجمع ـ وبقرة متبع : خلفها تبيع . وخادم متبع : معها ولدها يتبعها حيثما أقبلت وأدبرت . وأتبع فلان فلاناً . وأتبعه الشيطان : إذا تتبعه يريد به شراً . كما تبع فرعون موسى . قال الله تعالى : « فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » (١) . وفلان يتبع فلاناً : إذا تتبع مساوئه في مهلة . والتتابع من الأشياء : إذا فعل هذا في أثر هذا بلا مهلة . ومنه تتابعت الأمطار ، وتتابعت الأشياء . والتبع الظل . وأصل الباب كله . الاتباع وهو أن يتلو شيء شيئاً .

قوله : « فلا خوف عليهم » .

اللغة :

فالخوف والجزع ، والفزع . نظائر . ونقيض الخوف : الأمن . تقول : خافه ، يخافه ، خوفاً وأخافه إخافة . وتخوف تخوفاً . وخوفه تخويفاً . وطريق مخوف : يخافه الناس . وطريق مخيف : تخيف الناس . والتخوف : التنقص . يقال : تخوفناهم : تنقصناهم . ومنه قوله : « أو يأخذهم على تخوف » ، أي على تنقص . وأصل الباب : الخوف الذي هو الفزع . والخوف كله من الضرر . يقال : فلان يخاف الأسد ، أي يخاف ضرره . ويخاف الله ، أي يخاف عقابه . والحزن ، والهم ، والغم نظائر . ونقيضه السرور . يقال : حزن حزناً وحزنه حزناً وتحزن تحزناً وحزن

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٤ .

تحزيناً . والُحزن ، والحَزن ، لغتان . وحزنني ، وأحزنني ، لغتان . وأنا محزون ومحزن . وإذا أفردوا الصوت أو الأمر ، قالوا : محزن لا غير . والحزن من الأرض والدواب : ما فيه خشونة . والأنثى : حزنة . والفعل : حزن ، حُزونة . وقولهم : كيف حشمك وحزانتك ؟ أي كيف من تتحزن بأمره . وأصل الباب : غلظ الهم .

وقوله : « فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

المعنى :

عمومه يقضي أنه لا يلحقهم خوف أهوال القيامة . وهو قول الجبائي . وقال ابن أخشيذ : لا يدل على ذلك ، لأن الله تعالى وصف القيامة بعظم الخوف . قال الله تعالى : « إن زلزلة الساعة شيء عظيم » ... إلى قوله « شديد »(١) . ولأنه روي أنه يلجم الناس العرق ، وغير ذلك من الشدائد . وهذا ليس بمعتمد ، لأنه لا يمتنع أن يكون هؤلاء خارجين من ذلك الغم . وأما الحزن ، فلا خلاف أنه لا يلحقهم . ومن أجاز الخوف ، فرق بينه وبين الحزن ، لأن الحزن إنما يقع على ما يغلظ ويعظم من الغم والهم ، فلذلك لم يوصفوا بذلك . ولذلك قال تعالى « لا يحزنهم الفزع الأكبر » (٢) لأن ما يلحقهم لا يثبت ، ويزول وشيكا . قالوا : ويدلك على أن الحزن ما ذكرنا ، أنه مأخوذ من الحزن ، وهو ما غلظ من الأرض . فكان ماغلظ من الهم . فأما لحوق الحزن والخوف في دار الدنيا ، فلا خلاف أنه يجوز أن يلحقهم ، لأن من المعلوم ، أن المؤمنين لا ينفكون منه .

و « هداي » بتحريك الياء . وروي عن الأعرج « هداي » بسكون الياء . وهي غلط ، إلا أن ينوي الوقف .

وإنما كرر « اهبطوا » لأن احدهما كان من الجنة إلى السماء . والثاني من السماء . الى الأرض عند أبي علي . وقيل : المعنى واحد ، وكرر تأكيداً . وقيل: هو على تقدير اختلاف حال المعنى ، لا اختلاف الأحوال . كما يقول : اذهب

---

(١) سورة الحج آية ١ . (٢) سورة الانبياء آية ١٠٣ .

مصاحباً ، إذهب سالماً معافى . وكأنه على تقدير ذهاب بجامع ذهاباً ـ وإن كانت حقيقته واحدة .

وإنما كرر « اما » في قوله : « إما شاكراً وإما كفوراً » (١) ولم يكرر ههنا ، لأنهـــا هناك للعطف ، وههنا الجزاء . وإنما هي (إن) ضم اليها (ما) كقوله : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبـذ إليهم على سواء » (٢) وهداي : مثل هواي . وهي لغة قريش ، وعامة العرب . وبعض بني سليم يقولون : هويّ . مثل : عليّ ، ولديّ . قال أبو ذؤيب : (٣)

سبقوا هويّ واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع(٤)

وروي هديّ (٥) في الآية عن الجحدى ، وابن أبي إسحاق ، وعيسى . والصواب ما عليه القراء . والفرق بين هوي ولدي وعلي ، وهو أن إلي وعلي ولدي مما يلزمها الاضافة ، وليست بمتمكنة . ففصلوا بينها وبين الأسماء المتمكنة ، كما فصلوا بين ضمير الفاعل وضمير المفعول ، حين قالوا : ضربت فسكنوا لأجل التـــاء ، ولم يسكنوا في ضربك ، إذ الفاعل يلزم الفعل .

قوله تعالى :

« والذينَ كَفَرُوا وكَذَّبوا بآياتنا أولئك أصحابُ النارِ هُم فيهـا خالدُونَ » . ٣٩ . — آية

قد بينـا فيما مضى معنى الـكفر والتـكذيب ، فلا وجـــه لاعادتـــه . والاســـتدلال بهذه الآية — على أن من مات مصراً على الـكـــفر ، غير تائب منه ، فـكذب بآيات ربه : فهو مخلد في نار جهنم — صحيح ، لأن الظاهر يفيد ذلك ، والاستدلال بها ، على أن عمل الجوارح من الـكفر ، من حيث قال : « وكذبوا

---

(١) سورة الدهر : آية ٣ (٢) سورة الانفال آية ٥٩ .

(٣) الهذلي اسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم ينتهي نسبه لنزار ، وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والاسلام .

(٤) لسان العرب . العنق : ضرب من السير السريع . تخرموا استأصلوا . والبيت من قصيدة يرثي بها ابناءه الخمسة الذين هلكوا في عام واحد .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة (هوي) .

بآياتنا » فبعيد ، لأن التكذيب نفسه — وإن لم يكن كفراً ، وهو لا يقع الا من كافر — فهو دلالة عليه كالسجود للشمس وغيره .

وقوله : « أصحاب » . فالاصطحاب ، والاجتماع ، والاقتران ، نظائر وكذلك الصاحب والقرين . ونقيضه : الافتراق . يقال صحبه صحبةً . وأصحبه إصحاباً . واصطحبوا اصطحاباً وتصاحبوا تصاحباً . واستصحبوا استصحاباً . وصاحبه مصاحبة والصحب : جماعة. والصحب ، والأصحاب جماعة الصاحب (١) . ويقال أيضاً : الصحبان والصحبة ، والصحاب . والصحابة : مصدر قولك : صحبك الله يعني بالسلامة وأحسن صحابتك ويقال للرجل عند التوديع : معاناً ، مصاحباً ومصحوب ، ومصاحب . ومن قال : مصاحب معان ، فانما معناه : أنت المصاحب المعان . والصحبة : مصدر صحب يصحب . وقد أصحب الرجل : إذا صار صاحباً . ويقال : قد أصحب الرجل ، وقد أشطأ : إذ بلغ ابنه مبلغ الرجال ، الذى صار ابنه مثله . وأشطأ الزرع : إذا لحقته فراخه . ويقال له : الشطأ . قال أبو عبيدة ، وابن دريد : قوله : « ولاهم منا يصحبون » (٢) أى لا يحفظون وأديم مصحب : إذا دبغته وتركت عليه بعض الصوف والشعر. وأصل الصحبة : المقارنة . والصاحب(٣) هو الحاصل مع آخر مدة ، لأنه إذا اجتمع معه وقتاً واحداً ، لا يقال : صاحب ، ولكن يقال : صحبه وقتاً من الزمان ثم فارقه . والفرق بين المصاحبة ، والمقارنة ، أن في المصاحبة دلالة على المبالاة ، وليس ذلك حاصلا في المقارنة . واتباع الرئيس : اصحابه .

و « آيات الله » . دلائله ، وكتبه التي أنزلها على أنبيائه . والآية : الحجة . والدلالة ، والبيان ، والبرهان واحد في أكثر المواضع ، — وإن كان بينهما فرق في الأصل — لأنك تقول دلالة هذا الكلام كذا . ولا تقول : آيته ، ولا علامته . وكذلك تقول : دلالة هذاالاسم ، ولا تقول : برهانه .

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة (الصحب) (٢) سورة الانبياء آية ٤٣ .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة (الاصحاب)

و « أصحاب النار » . هم الملازمون لها . كما تقول : أصحاب الصحراء يعني القاطنين فيها ، الملازمين لها .

والخلود معرب من العرف ، يدل على الدوام لأنهم يقولون : ليست الدنيا دار خلود ، وأهل الجنة مخلدون . يريدون الدوام فأما في أصل الوضع ، فانه موضوع لطول الحبس . فان قيل : لم دخلت الفاء في قوله : « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين » في سورة الحج ولم يقل ههنا في قوله : « أولئك أصحاب النار » ؟ قيل : لأن مادخلت فيه الفاء من خبر (الذي وأخواته) مشبه بالجزاء . ومالم يكن فيه فاء ، فهو على أصل الخبر . وإذا قلت : مالي ، فهو لك ، جاز على وجه ، ولم يجز على وجه . فان أردت أن معنى (ما) الذي ، فهو جائز . وإن أردت أن مالي تريد به المال ، ثم تضيفه إليك ، كقولك : غلامي لك ، لم يجز ، كما لم يجز ، غلامي ، فهو لك .

الاعراب :

وموضع(١) أولئك : يحتمل ثلاثة أشياء :

أحدها ـ أن يكون بدلا من الذين ، أو يكون عطف بيان ، وأصحاب النار : بيان عن أولئك ، مجراه (٢) مجرى الوصف . والخبر ، هم فيها خالدون .

والثاني ـ أن يكون ابتداءً وخبراً في موضع الخبر الأول .

والثالث ـ أن يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد ، كقولهم : حلو (٣) ، حامض .

قوله تعالى :

« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

(١) في المخطوطة (ووضع) (٢) في المخطوطة (فأجراه) .

(٣) في المخطوطة (كقولهم : حلو وحامض) . وفي المطبوعة (كقوله حلو وحامض) .

أوفِ بعهدِكُمْ وإيايَ فارهبون » ـــ آية بلا خلاف .

« يا » حرف نداء . « بني » : جمع ابن . والابن ، والولد ، والنسل ،والذرية متقاربة المعاني . إلا أن الابن يقع على (١) الذكر ، والولد يقع على الذكروالانثى والنسل والذرية تقع على جميع ذلك . وأصله ، من البنـاء . وهو وضع الشيء على الشيء . والابن مبني على الأب تشبيهاً للبناء على الأصل ، لأن الأب أصل والابن فرع . ويقال : تبنى تبنياً ، وبنى بناءً ، وابتنى ابتناءً ، وباناه مبانـاة . والبنوة : مصدر الابن ـ وإن كان من البناء (٢) كما قالوا : الفتوة : مصدر الفتى . وثنوا الفتى: فتيان . ويقال : فلان ابن فلان ، على التبني . ولا يطلق ذلك الا على ما كان من جنسه وشكله تشبيهاً بالابن الحقيقي . ولهذا لا يقولون : تبنى زيد حماراً ، لما لم يكن من جنسه ولا تبنى شاب شيخاً لما لم يكن ذلك فيه . والفرق بين اتخاذ الابن وبين (٣) اتخاذ الخليل ، أن اتخاذ الخليل ، يكون به خليلاً على الحقيقة ، لأن بالمحبة والاطلاع على الأسرار المهمة يكون خليلا على الحقيقة . وليس كذلك الابن . لأن البنوة في الحقيقة ، إنما هي الولادة للابن .

و « بني » في موضع نصب ، لأنه منادى مضاف .

و « إسرائيل » في موضع جر ، لأنه مضاف إليـه . وفتح ، لأنه أعجمي لا ينصرف ، لأن (إسرا) معناه : عبد و (ئيل) هو الله بالعبرانية فصار مثـــل عبد الله . وكذلك جبرائيل ، وميكائيل . ومن حذف الألف من جبرائيل ، حذفه للتعريب (٤) كما يلحق (٥) الاسمـاء التغيير إذا أعربت ، فيلخصون حروفها على العربية .

وفي « اسرائيل » خمس لغات : حكى الأخفش : إسرال ، بكسر الهمزة من غير ياء . وحكي : أسرال ، بفتح الهمزة . ويقول بعضهم : إسريل ، فيميلون . وحكى

---

(١) في المخطوطة (يقع على) ساقطة (٢) في المطبوعة (من البناء) .
(٣) في المطبوعة (وبين) ساقطة (٤) في المخطوطة (للتعريف)
(٥) في المخطوطة (كالا يلحق)

قطرب : سرال ، من غير همز ولا ياء ، واسراين ، بالنون . والخامس ـ إسرايل ، قراءة إلياس . وحمزة وحده مد بغير ألف .

المعنى :

وقال أكثر المفسرين : إن المعنى ، يا بني إسرائيل ، أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله « ص » . وهو المحكي عن ابن عباس . وقال الجبائي : المعني به بنو إسرائيل من اليهود والنصارى . ونسبهم إلى الأب الأعلى ، كما قال : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » (١) .

اللغة :

قوله : « اذكروا » . فالذكر ، والتنبيه ، والتيقظ ، نظائر . ونقيضه : التغافل يقال : ذكره يذكره ذكراً . وأذكره إذكاراً . واستذكره استذكاراً . وتذكره تذكراً . وذكّره تذكاراً . واذّكر اذكاراً . وقال صاحب العين : الذكر : الحفظ للشيء تذكره . تقول : هو مني على ذكر . والذكر : جري الشيء على لسانك . تقول : جرى منه ذكر . والذكر : الشرف ، والصيت لقوله : « وإنه لذكر لك ولقومك » (٢) والذكر : الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل كتاب من كتب الأنبياء ذكر . والذكر : الصلاة ، والدعاء . وقيل : كانت الأنبياء إذا حزنهم أمر فزعوا إلى الذكر أي الصلاة ، يقومون فيصلون . وذكر الحق : هو الصك . والذكرى : هو اسم للتذكير . والذكر : ذكر الرجل معروف . والجمع : الذكرة ولهذا سمي ما ينسب اليه ، المذاكير . ولا يفرد . وإن أفرد فمذكر ، مثل مقدم ومقاديم . والذكر : خلاف الانثى . وجمعه : ذكور ، وذكران . ومن الدواب ، ذكورة لا غير . والذكر من الحديد : أيبسه وأشده . ولذلك يسمى السيف ، مذكر . وامرأة مذكرة ، وناقة مذكرة : إذا كانت خلقتها تشبه خلقة الذكر ، وأشبهته في شمائلها . وامرأة مذكار : إذا أكثرت ولادة الذكور . وعكسه : مئناث . ويقال

(١) سورة الاعراف آية ٣ (٢) الزخرف آية ٤٤ .

للحبلى : أيسرت ، وأكثرت أي يسـر عليها ، وولدت ذكوراً . والذكر : ضد النسيان . ورجـل ذكر : شهم من الرجال ، ماهر في أموره . واصل البـاب : الذكر الذي هو التنبيه على الشيء . والذكر : الوصف بالمدح والثنـاء أو بالمدح والهجاء .

وقوله : « نعمتي » . المراد بها الجماعة . كما قال تعالى : « وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها » (١) والنعمـة وإن كانت على أسلافهم جاز أن تضاف اليهم . كما يقول القائل إذا فاخره غيره : هزمناكم يوم ذي قار ، وقتلناكم يوم الفجار ، وبددنا جمعكم يوم النار . والمراد بذلك ، جميع النعم الواصلة اليهم ، مما اختصوا به ، دون آبائهم ، أو اشتركوا فيه معهم ، وكان نعمة على الجميع . فمن ذلك تبقية آبائهم حتى تناسلوا ، فصاروا من أولادهم . ومن ذلك ، خلقه اياهم على وجه يمكنهم الاستدلال على توحيده ، والوصول الى معرفته ، فيشكروا نعمه ، ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما لا يخلون منه في كل وقت من منفعـة ودفع مضرة . فالقول الأول هو التذكير بالنعمة عليهم في أسلافهم . والقول الثاني : تذكير جميع النعم عليهم والنعم التي على أسلافهم ، ما ذكر في قوله تعالى : « واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمـة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وأتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » (٢)

وقوله : « أوف بعهدكم » . في موضع جزم ، لأنه جواب الأمر .

اللغة :

قال صاحب العين : تقول وفيت بعهدك وفاءً . ولغـة أهل تهامة : أوفيت بعهدك . وهي القرآن . قال الشاعر في الجمع بين اللغتين :

أما ابن عوفٍ فقد أوفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديها

يعني به الدبران . وهو التالي وتقول : وفى ، يفي وفاءً وأوفى ، يوفي ايفاءً واستوفى ، استيفاءً وتوفى ، توفيا . ووفى ، توفيـة . وتوافى ، توافيـاً ووافاه موافاةً . وكل شيء بلغ تمام الـكلام فقد وفى وتم . وكذلك درهمٌ وافٍ ، لأنه

(١) سورة ابراهيم آية ٣٤ . وسورة النحل : آية ١٨ . (٢) سورة المائدة : آية ٢٢ .

درهم وفى مثقالاً . وكيل واف ورجل وفا : ذو وفاء وأوفى فلان على شرف من الأرض اذا أشرف فوقها . وتقول : أوفيته حقه . ووفيته اجره . والوفاة : المنية توفى فلان ، وتوفاه الله : اذا قبض نفسه . واصل الباب : الوفاء وهذا هو الاتمام . ومن اكرم اخلاق النفس الوفاء . ومن ادونها ، وارذلها الغدر .

المعنى :

ومعنى قوله : « اوفوا بعهدي اوف بعهدكم » قال ابن عباس : اوفوا بما امرتكم من طاعتي ، ونهيتكم عن معصيتي في النبي صلى الله عليه وآله وغيره : « اوف بعهدكم » اي ارضى عنكم ، وادخلكم الجنة وسمي ذلك عهداً ، لأنه تقدم بذلك اليهم في الكتب السابقة كما قال : « يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (١) . والعهد : هو العقد عليهم في الكتاب السابق بما امروا به ، ونهوا عنه . قال بعضهم : انما جعله عهداً ، لتأكيده بمنزلة العهد الذي هو اليمين قال الله تعالى : « واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » (٢) وقال الحسن : العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال : « خذوا ما آتيناكم بقوة » اي بجد « واذكروا ما فيه » اي ما في الكتاب في قوله : « ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي . . . الى آخر الآية » (٣) وقال الجبائي : جعل تعريفه إياهم نعمه عهداً عليهم وميثاقاً لأنه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعمة ، كما يلزمهم الوفاء بالعهد ، والميثاق الذي يأخذ عليهم. والقول الأول أقوى ، لأن عليه أكثر المفسرين ، وبه يشهد القرآن .

قوله : « وإياي » .

الاعراب :

« وإياي » ضمير منصوب . ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله : « فارهبون » ، لأنه مشغول . كما لا يجوز فى قولك : زيداً فاضربه . أن يكون

---

(١) سورة البقرة : آية ١٤٦ (٢) سورة آل عمران : آية ١٨٧ .(٣) سورة المائدة١٣.

منصوباً بقوله : فاضربه . لكنه يكون منصوباً بفعل دل عليه ما هو مذكور في اللفظ . تقديره : وإياي ارهبوا . ولا يظهر ذلك ، للاستغناء عنه بما يفسره ، وإن صح تقديره . ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر « فارهبون » إلا على تقدير محذوف . كما أنشد سيبويه :

وقائلةٍ : خولانُ فانكح فتاتَهم   وأكرومة الحيين خِلوٌ كماهيا

تقديره : وقائلةٍ : هذه خولان . وعلى هذا ، حمل قوله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » (١) وقوله : « والزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما » (٢) تقديره مما يتلى عليكم ، السارق والسارقة . وفيما فرض عليكم ، الزانية والزاني .

وقوله : « فارهبون »

اللغة :

فالرهبة ، والخشية ، والمخافة ، نظائر . وضدها : الرغبة . تقول : رهب رهبة : وأرهبه ، إرهاباً ، ورهبه ، ترهيباً . واسترهب ، استرهاباً . ويقال : رهب فلانٌ يرهب . رَهبا ، ورهاباً ، ورهبة : اذا خاف من شيء . ومنه اشتقاق الراهب . والاسم : الرهبة . ومن أمثالهم : رَهبوتٌ خير من رحموت . أي ترهب خير من أن ترحم . والترهب : التعبد في صومعة . الجمع : الرهبان . والرهبانية : خطباء . والفرق بين الخوف والرهبة : أن الخوف هو شك في أن الضرر يقع أم لا . والرهبة : معها العلم بأن الضرر واقع عند شرط ، فان لم يحصل ذلك الشرط ، لم يقع .

واختير تحريك الياء في قوله : « نعمتي التي أنعمت » لأنه لقيها ألف ولام فلم يكن بدٌ من اسقاطها أو تحريكها ، وكان التحريك أولى ، لأنه أدل على الأصل وأشكل بما يلزم اللام في الاستئناف ، من فتح ألف الوصل ، واسكان الياء في قوله : « ياعبادي الذين اسرفوا » أجود ، لأن من حق الاضافة ، ألاّ تثبت في النداء . واذا لم تثبت فلا سبيل الى تحريكها . وقوله : « فبشر عبادي الذين يستمعون » الاختيار حذف الياء ، لانه رأس آية . ورؤوس الآي لا يثبت فيها

(١) سورة المائدة : آية ٤١ (٢) سورة النور : آية ٢ .

الياء ، لانها فيهاصل ينوى فيها الوقف كما يفعل ذلك في القوافي . ومثل قوله : « نعمتي التي » قوله : « أخي اشدد » في ان الاختيار تحريك الياء ، وان كان مع الالف واللام اقوى ، لما تقدم ذكره مع المشاكلة والرد الى الاصل . وفي « اخي اشدد » : سبب واحد ، وهو انه ادل على الاصل . واجمعوا على اسقاط الياء من قوله « فارهبون » . الا ابن كثير ، فانه اثبتها في الوصل دون الوقف والوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء . وفي كسر النون دلالة على ذهاب الياء .

قوله تعالى :

« وَآمِنوا بِما أَنزلتُ مصدِّقاً لِما مَعكم وَلا تَكونوا أَوَّلَ كافرٍ بِهِ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإيّايَ فاتَّقون » (٤١) آية واحدة بلا خلاف

المعنى :

« آمنوا » معناه صدّقوا ، لأنا قد بينا ان الايمان هو التصديق .

« بما انزلت » يعني بما انزلت على محمد « ص » من القرآن .

وقوله : « مصدقاً » يعني ان القرآن مصدق لما مع اليهود من بني اسرائيل من التوراة . وامرهم بالتصديق بالقرآن ، واخبرهم ان فيه تصديقهم بالتوراة ، لأن الذي في القرآن من الامر بالاقرار بنبوة محمد « ص » ، وتصديقه نظير الذي في التوراة والانجيل . وموافق لما تقدم من الاخبار به ، فهو مصداق ذلك الخبر . وقال قوم : معناه انه مصدق بالتوراة والانجيل الذي فيه الدلالة على انه حق . والاول الوجه ، لأن على ذلك الوجه حجة عليهم ، دون هذا الوجه .

الاعراب :

ونصب « مصدقاً » على الحال من الهاء المحذوفة ، كأنه قال : انزلته مصدقاً ويصلح ان ينصب بـ « آمنوا » كأنه قيل : آمنوا بالقرآن مصدقاً .

والمعنيُّ بقوله : « آمنوا » اهل الكتاب من بني اسرائيل ، لأنه في ذكرهم. وفيه احتجاج عليهم ، اذ جاء بالصفة التي تقدمت بها بشارة موسى وعيسى عليهما

السلام . وهو امرٌ بالاقرار بالنبوة ، وما جاءت به من الشريعة .

اللغة :

وانما وحد « كافراً » في قوله : « ولا تكونوا أول كافر » ، وقبله جَمَع ، لما ذكره الفراء والأخفش : وهو أنه ذهب مذهب الفعل ، كأنه قال : أول من كفر به . ولو أراد الاسم لما جاز إلا الجمع ومثل ذلك قول القائل للجماعة : لا تكونوا أول رجل يفعل ذلك . قال المبرد : هذا الذي ذكره الفرّاء خارجٌ عن المعنى المفهوم ، لأن الفعل ههنا والاسم سواء . إذا قال القائل : زيد أول رجل جاء فمعناه أول الرجال الذين جاؤوا رجلاً رجلاً ، ولذلك قال : أول كافر ، وأول مؤمن ومعناه : أول الكافرين وأول المؤمنين لا فصل بينها في لغة ولا قياس . ألا ترى أنك تقول : رأيت مؤمناً ، ورأيت كافراً كما تقول : رأيت رجلاً لا يكون إلا ذلك ، لأنك انما رأيت واحداً ، كما تقول : رأيت زيداً أفضل مؤمن ، وزيدٌ أفضل حرّ ، وزيدٌ افضل رجل ، وانبل غلام ، وليس بين ذلك اختلاف . ولكن جاز ولا تكونوا اول قبيل كافر به ، واول حزب كافر به ، وهو مما يسوغ فيه النعت ، ويبين به الاسم ، لأنك تقول : جاءني قبيلٌ صالح ، وجاءني حيٌّ كريم ، فينعت به الجمع ، اذا كان الجمع اسماً واحداً لجميعه كقولك : نفر ، وقبيل ، وحزبٌ ، وجمع ولا تقول : جاءني رجل كريم ، وانت تريد برجل نفراً كما تقول : نفر كريم ، لأن النعت جارٍ على المنعوت والاسم منفرد بنفسه ونظير قوله : « اول كافر » ، قول الشاعر :

فاذا همُ طَعِموا فألأم طاعم　　واذا همُ جاعوا فشرُّ جياع (١)

المعنى :

ومعنى قوله : « ولا تكونوا أول كافر به » قال قوم : يعني بالقرآن من أهل الكتاب : لأن قريشاً كفرت به قبلهم بمكة . وقيل : معناه : لا تكونوا أول كافر به أي لا تكونوا أول السابقين بالكفر فيه فيتبعكم الناس أي لا تكونوا أئمة في الكفر به . وقيل : لا تكونوا اول كافر به اي اول جاحدٍ به إن صفته في كتابكم .

(١) لرجل جاهلي . معاني القرآن للفراء . طعموا : شبعوا .

اللغة :

والأول والسابق والمتقدم نظائر . ويقال اول وآخر واول وثان . والأول : هو الموجود قبل الآخر . والأول قبل كل شيء يناقض الوصف بانه محدث ويعلم ذلك ضرورة .

والهاء في قوله : « به » قيل فيه ثلاثة اقوال : احدها — انه يعود الى « ما » في قوله : « بما انزلت » وهو الأجود .

والثاني — لا تكونوا اول كافر به اي بمحمد «ص».

والثالث — اول كافر بما معكم ، من كتابكم ، لانهم إذا جحدوا ما فيه من صفة النبي (ص) فقد كفروا به والاول قول ابن جريج . وانما كان هو الأجود لانه اشكل بما تقدم . والثاني قول ابي العالية . والثالث حكاه الزجاج وقواه بأنهم كفروا بالقرآن . وانما قيل : ولا تكونوا اول كافر بكتابكم اي صفة محمد (ص) فيه . وقال الرماني : وإنما عظم اول الكفر لانهم إذا كانوا أئمة فيه وقدوة في الضلالة كان كفرهم اعظم . كما روي عن النبي (ص) : من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة . ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة . وليس في نهيه عن ان يكونوا اول كافر دلالة على انه يجوز ان يكونوا آخر كافر ، لأن المقصود من الكلام النهي عن الكفر على كل حال وخص الاول بالذكر لما قدمنا من عظم موقعه كما قال الشاعر :

من اناس ليس في اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

وليس يريد ان فيهم فحشاً آجلا .

وقوله : « ثمناً قليلا » . فالثمن والعوض والبدل نظائر . وبينها فرق فالثمن : هو البدل في البيع من العين او الورق . واذا استعمل في غيرها كان مشبهاً بها ومجازاً . والعوض : هو البدل الذي ينتفع به كائناً ما كان . واما البدل : فهو الجعل للشيء مكان غيره . ويقال : ثمنه تثميناً . وثامنه مثامنة . ويجمع الثمن اثماناً وأثمناً . وروى بيت زهير :

وعزّت أثمن البدن

جمع ثمن . ومن روى أثمن البدن : أراد الثمينة منها أي أكثرها ثمنا . والثمن جزء من الثمانية اجزاء ، من اي مالٍ كان . وثوب ثمين : اذا كان كثير الثمن والفرق بين الثمن والقيمة ، أن الثمن قد يكون وفقا ، وقد يكون بخسا ، وقد يكون زائداً . والقيمة لا تكون الا مساوية المقدار للمثمن من غير نقصان ولا زيادة . وكل ماله ثمن فهو مال . وليس كل ملك له ثمن .

والقليل ، والحقير ، واليسير ، نظائر . وضده : الكثير . تقول : قل ، يقل ، قلةً . واقل منه ، اقلالا . واستقل استقلالا . وتقلل ، تقللا . وقلله ، تقليلا . وقليل ، وقلال ، بمعنى [واحد] . ورجل قليل أي قصير . وقل الشيء : اقله . والقلة ، والقل لغتان . والقلة : راس كل شيء . والرجل يقل شيئا : يحمله . وكذلك يستقله . واستقل الطائر : اذا ارتفع . وقلة الجبل : اعلاه . وهي قطعة تستدير في اعلاه . وهي القلة . والقلة التي جاءت في الحديث مثل : قلال هجر . قيل إنها جرارٌ عظام . والقلة : النقصان من العدد . وقيل في الصغر .

وقوله : « ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلاً » فأدخل (الباء) في الآيات دون الثمن . وفي سورة يوسف ، في الثمن . في قوله : « وشروه بثمن بخس » (١) قال الفراء : إنما كان كذلك ، لأن العوض كلها ، أنت مخير فيها في إدخال الباء . إن شئت قلت : اشتريت الثوب بكساءٍ . وإن شئت قلت : اشتريت بالثوب كساءً . أيها جعلته ثمناً لصاحبه ، جاز فاذا جئت الى الدراهم والدنانير ، وضعت الباء في الثمن كقوله : « بثمن بخس » ، لأن الدراهم ثمن أبداً .

وروي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا » قال عليه السلام : كان ليحيى بن أخطب وكعب بن اشرف ، وآخرين منهم مأكلة على يهود في كل سنة . وكرهوا بطلانها بأمر النبي « ص » فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره ، فذلك الثمن القليل الذي أريد به في الآية .

(١) سورة يوسف : آية ٢٠ .

وتقييده بـ « لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا » لا يدل على أنه إذا كان كثيراً يجوز مشترىً به ، لأن المقصود من الكلام ، أن أي شيء باعوا به آيات الله كان قليلا ، وانه لا يجوز أن يكون له ثمنٌ يساويه . كقوله : « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به » (١) انما أراد بذلك نفي البرهان عنه على كل حال ، وأنه لا يجوز أن يكون عليه برهان . ومثله قوله : « ويقتلون النبيين بغير حق » (٢) وانما اراد ان قتلهم لا يكون إلا بغير الحق نظائر ذلك كثيرة . ومثله قول الشاعر :

على لاحبٍ لا يهتدى بمناره

وانما اراد : لا منار هناك فيهتدى به . ولذلك نظائر نذكرها إذا انتهينا اليه إن شاء الله .

قوله تعالى :

« ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون » . (٤٢)

آية واحدة بلا خلاف .

اللغة :

اللبس ، والستر ، والتغطية ، والتعمية ، نظائر . والفرق بين التعمية ، والتغطية ان التعمية قد تكون بالنقصان والزيادة ، والتغطية تكون بالزيادة . وضد الستر : الكشف . وضد اللبس : الايضاح . يقال : لبس ، لبساً . وألبسه ، إلباساً . والتبس ، التباساً . وتلبّس ، تلبساً . ولبّسه ، تلبيساً ولابسه ، ملابسةً . واللباس ما واريت به جسدك . ولباس التقوى : الحياء والفعل : لبس ، يلبس . واللبس : خلط الأمور بعضها ببعض . إذا التبست . واللبوس : الدروع . وكل شيء تحصنت به ، فهو لبوس . قال الله تعالى : « وعلمناه صنعة لبوسٍ لكم » (٣) . قال الشاعر :

إلبس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها

وثوبٌ لبيس . وجمعه : ألبس . واللبسة : ضربٌ من اللباس . والفعل : لبس

---

(١) سورة المؤمنون : آية ١٠٨ . (٢) سورة آل عمران : آية ٢١ (٣) سورة الانبياء آية ٨٠ .

يلبس ، لبساً ، ولبسة واحدة . ويقال : لبست الأمر ألبسه : إذا عميته . ومنه قوله : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » (١) . ولا بست الرجل ملابسة : إذا عرفت دخلته . وفي فلان ملبس : إذا كان فيه مستمع . وفي أمره لبسة : أي ليس بواضح وأصل اللبس :الستر : قال الأخطل :

وقد لبست لهذا الدهر أعصره   حتى تجلل راسي الشيب فاشتملا (٢)

والفرق بين اللبس ، والاخفاء ، والريب ، والاشكال . أن الاخفاء يمكن أن يدرك معه المعنى . ولا يمكن إدراك المعنى مع اللبس . والريب معه تهمة المشكوك فيه . والاشكال قد يدرك معه المعنى ، إلا أنه بصعوبة ، لأجل التعقيد . وأسباب الالباس كثيرة : منها — الاشتراك . ومنها — الاختلاف . ومنها — الاختزال . وهو : حذف مقدمه وشرطه ، أو ركنه . ومنها — الاختلاط ، والبسط . وهو : المنع من إدراك الشيء ، تشبيهاً بما يمنع من إدراكه بالستر والتغطية . ومنه قول النبي « ص » للحارث بن خوط : يا حار ، إنه ملبوس عليك . إن الحق لا يعرف بالرجال . إعرف الحق تعرف أهله .

والبطلان ، والفساد ، والكذب ، والزور ، والبهتان ، نظائر . وضد الحق: الباطل . يقال : بطل ، بطولا ، وبطلا ، وبطلاناً : إذا تلف . وأبطلته ، إبطالا : إذا أتلفته . والبطل ، والباطل ، واحد . وبطل الرجل ، بطولة إذا صار بطلا . ويقال: رجل بطل . ولا يقال : إمرأة بطلة . وبطل ، بطالة : إذا هزل ، وكان بطالا . والأباطل : جمع إبطالة وأبطولة . والباطل : ضد الحق . وأبطلته : جعلته باطلا . وأبطل فلان : إذا جاء بباطل . والبطل: الشجاع الذي يبطل جراحاته ، لا يكترث لها، ولا تكفه عن نجدته . وأصل الباطل ، الخبر الكذب . ثم كثر حتى قيل لكل فاسد. ويقال : فعل باطل أي قبيح . وبناء باطل أي منتقض . وزرع باطل أي محترق تالف .

---

(١) سورة الانعام ، آية ٩.

(٢) ديوانه . واعصر جمع عصر . ولبس له اعصره : عاش وقاسى خيره وشره وتجلل الشيب الرأس علاه . وفي المطبوعة والمخطوطة (تخالل) .

المعنى :

ومعنى لبسهم الحق بالباطل : أنهم آمنوا ببعض الكتاب ، وكفروا ببعض ، فخلطوا الحق بالباطل ، لأنهم جحدوا صفة محمد « ص » فذلك الباطل ، وأقروا بغيره مما في الكتاب على ما هو به ، وذلك حق . وقال ابن عباس : لا تخلطوا الصدق بالكذب . وقال الحسن : كتموا صفة محمد «ص» ودينه ، وهو الحق ، وأظهروا دين اليهودية والنصرانية . وقال ابن زيد : الحق : التوراة التي أنزلها الله على موسى . والباطل : ما لبسوه بأيديهم . واللبس في الآية : قيل معناه : التعمية . وقيل : خلط الحق بالباطل ، عن ابن عباس . ومنه قوله : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » أي لخلطنا عليهم ما يخلطون . قال العجاج :

لما لبسن الحق بالتجني عيين واستبدلن زيداً مني (١)

وقال بعضهم : الحق : إقرارهم بأن محمداً « ص » مبعوث إلى غيرهم . والباطل إنكارهم أن يكون بعث إليهم . وهذا ضعيف ، لأنه إن جاز ذلك على نفر يسير ، لم يجز على الخلق الكثير ، مع إظهار النبي « ص » وتكذيبهم فيه ، وإقامة الحجة عليهم .

الاعراب :

وقوله : « وتكتموا الحق » يحتمل أمرين من الاعراب . أحدهما — الجزم على النفي ، كأنه قال : لا تلبسوا الحق ، ولا تكتموه . والآخر — النصب على الظرف ، كأنه قال : لا تجمعوا اللبس والكتمان . كما قال الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم (٢)

ومثله : لا يسعني شيء ، ويعجز عنك . وعند الخليل وسيبويه ، والاخفش ، ينصب مثل ذلك ، باضمار أن . ويكون تقدير الكلام : لا يكن منكم لبس الحق

«١» ديوانه

«٢» هذا البيت روي في عدة قصائد لعدة شعراء . نسب للأخطل . ونسب للمتوكل الليثي ونسب لسابق البربري ونسب للطرماح ونسب لأبي الأسود الدؤلي

وكتمانه . ودل « تلبسوا » على اللبس و « تكتموا » على الكتمان . كما تقول : من كذب كان شراً له . فكذب دليل على الكذب . فكأنه قال : من كذب كان الكذب شراً له .

قوله : « وأنتم تعلمون »

المعنى :

قال قوم : هو متوجه إلى رؤساء أهل الكتاب ، ولذلك وصفهم بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على أتباعهم ـ قالوا ـ وهذا تقبيح لما يفعلونه . وكذلك قوله : « وتكتمون الحق » أي تتركون الاعتراف به ، وأنتم تعرفونه أي تجحدون ما تعلمون . وجحد المعاند أعظم من جحد الجاهل . ومن قال هـذا ، لا يلزمه ما يتعلق به أهل التعارف ، من هذه الآية ، من قولهم : إن الله أخبر أنهم يكتمون الحق وهم يعلمون ، لأنه إذا خص الخطاب بالرؤساء ـ وهم نفر قليل ـ فقد جوز على مثلهم العناد والاجتماع على الكتمان . وإنما يمنع مع ذلك في الجماعة الكثيرة ، لما يرجع الى العادات ، واختلاف الدواعي . كما قيل في الفرق بين التواطي والاتفاق في العدد الكثير . وقال بعضهم : وأنتم تعلمون البعث والجزاء . فان قيل : كيف يصح ذلك على أصلكم الذي تقولون : إن من عرف الله لا يجوز أن يكفر ؟ . وهؤلاء إذا كانوا كفاراً ، وماتوا على كفرهم . كيف يجوز أن يكونوا عارفين بصفة محمد ، وأنه حق ، بما معهم من التوراة . وذلك مبني على معرفة الله ، وعندكم ما عرفوا الله ؟ قيل : إن الله الذي يمنع أن يكفر من عرف الله ، إذا كان معرفته على وجه يستحق بها الثواب ، فلا يجوز أن يكفر ، لأنه يؤدي إلى اجتماع الثواب الدائم على إيمانه ، والعقاب الدائم على كفره . والاحباط باطل . وذلك خلاف الاجماع . ولا يمتنع أن يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحقون به الثواب لأن الثواب إنما يستحق ، بأن يكونوا نظروا من الوجه الذي وجب عليهم . فأما إذا نظروا بغير ذلك ، فلا يستحقون الثواب ، فيكونوا على هذا عارفين بالله وبالكتاب الذي أنزله على موسى ، وعارفين بصفات النبي « ص » . لكن لا يؤمنون مستحقين الثواب .

وعلى هذا يجوز أن يكفروا . وفي الناس من قال : استحقاقهم الثواب على إيمانهم، مشروط بالموافاة . فاذا لم يوافوا به ، لم يستحقوا الثواب . فعلى هذا أيضاً ، يجوز أن يكونوا عارفين ، وإن لم يكونوا مستحقين لثواب يبطل بالكفر . والمعتمد الأول . وقال قوم : الآية متوجهة إلى المنافقين منهم . وكان خلطهم الحق بالباطل ما أظهروا بلسانهم من الاقرار بالنبي « ص » بما يستبطنونه من الكفر . وهذا يمكننا الاعتماد عليه ، ويكون قوله : « وأنتم تعلمون » معناه أنكم تعلمون أنكم تظهرون خلاف ما تبطنونه . وهذا أسلم من كل وجه على أصلنا . ويمكن أن يقال : معنى قوله : « وأنتم تعلمون » أي عند أنفسكم ، لأنهم إذا كانوا يعتقدون أنهم عالمون بالتوراة ، وبأنه من عند الله ، وفيها ذكر النبي ، فهم عالمون عند انفسهم بنبوته ، لكن يكابرون .

قوله تعالى :

« وأقيموا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاةَ واركعوا مَعَ الرَّاكعين »

(٤٣) ـ آية بلاخلاف .

اللغة :

الصلاة في أصل اللغة : الدعاء . قال الأعشى :

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوماً فان لجنب المرء مضطجعا

أي دعوت . وقال آخر :

وقابلها الريح في دنّها وصلى على دنّها وارتسم (١)

أي ودعا . وقيل : أصلها : اللزوم . من قول الشاعر :

لم أكن من جناتها علم الله واني لحرها اليوم صال

أي ملازم لحرها . وكان معنى الصلاة ، ملازمة العبادة على الحد الذى أمر

(١) مر الكلام في هذا البيت ١ : ٥٦ .

الله عزوجل . وقيل : أصلها : الصلا وهو عظم العجز لرفعه في الركوع والسجود من قول الشاعر :

فآب مصلوه بغير جليــــة وغودر بالجولان حزم ونائل (١)

اي الذين جاؤوا في صلا السابق . والقول الأول أقرب إلى معنى الصلاة في الشرع . وقد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى ، فلا وجه لاعادته .

وقوله : « وآتوا الزكاة » . فالزكاة . والنماء ، والزيادة ، نظائر في اللغة . ونقيض الزيادة : النقصان . ويقال : زكا ، يزكو زكاء . وتزكى ، تزكية . قال صاحب العين : الزكاة ، زكاة المال ، وهو تطهيره . ومنه زكى يزكي ، تزكية . والزكاة : زكاة الصلاح . تقول : رجل تقي زكي . ورجال أتقياء أزكياء . والزرع زكا زكاء ـ ممدود ـ . وكل شيء يزداد وينمو، فهو يزكو زكاء . وتقول: هذا لا يزكو بفلان أي لا يليق به . قال الشاعر :

المال يزكو بك مستكثراً يختال قد أشرق للناظر

ومصدر الزكاة : ممدود . ويقال : إن فلاناً لزكا النقد أي حاضره وعتيده . والزكا : الشفع قال الشاعر :

كانوا خساً أو زكاً من دون أربعة لم يخلقوا وجدود الناس تعتلج (٢)

والخسا : الوتر . وأصل الباب : النمو ، والزكاة تنمي المال بالبركة التي يجعل الله فيه . وسمي بالزكاة في الشريعة ، ما يجب إخراجه من المال ، لأنه نماء ما ينقى ويثمر . وقيل : بل مدح لما ينقى ، لأنه زكي أي مطهر . كما قال : « أقتلت نفساً زكية بغير نفس » (٣) أي طاهرة —

وقوله : « واركعوا » . فالركوع ، والانحناء ، والانخفاض نظائر في اللغة . يقال : ركع ، ورفع . قال الشاعر :

---

(١) في التفسير الكبير (وآب مضلوه) . من اضل القوم ميتهم : اذا واروه في قبره ، وفيه بدل (بغير جلية) بعين جلية : والشعر للنابغة .

(٢) اللسان مادة (خسا) . وقد نقله الفراء عن الدبيرية . زكا : تقوله العرب للزوج وخسا للفرد : تعتلج تضطرع (٣) سورة الكهف آية : ٧٤ .

لا تهين الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه(١)

قال أبو زيد : الراكع : الذي يكبو على وجهه . ومنه الركوع في الصلاة . قال الشاعر :

وأفلت حاجب فوق العوالي على شقاء تركع في الظراب (٢)

والركعة : الهوة في الارض . ـ لغة يمانية ـ قال صاحب العين : كل شيء ينكب لوجهه ، فتمس ركبته الأرض أولا تمس ، بعد أن يطأطىء رأسه ، فهو راكع . قال الشاعر :

ولكني أنص العيس تدمى أياطلها وتركع بالحزون(٣)

وقال لبيد :

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأني كلما قمت راكع

وقيل : إنه مأخوذ من الخضوع . ذهب اليه المفضل بن سلمة والأصمعي . قال الشاعر :

لا تهين الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

والأول أقوى ، لأن هذا مجاز مشبه به .

وقوله : « واركعوا مع الراكعين » إنما خص الركوع بالذكر من أفعال الصلاة ، لما قال بعض المفسرين : إن المأمورين هم أهل الكتاب ، ولا ركوع في صلاتهم . وكان الأحسن ذكر المختص دون المشترك ، لأنه أبعد عن اللبس . وقيل : لأنه يعبر بالركوع عن الصلاة . يقول القائل : فرغت من ركوعي أي من صلاتي . وانما فعل ذلك ، لأنه أول ما يشاهد مما يدل على أن الانسان في الصلاة ، لأنا بينا أن أصل الركوع الانحناء . فان قيل : كيف أمروا بالصلاة والزكاة وهم لا يعرفون حقيقة ما في الشريعة ؟ قيل : إنما أمروا بذلك ، لأنهم أحيلوا فيه على بيان الرسول

---

(١) قائل هذا البيت الأضبط بن قريع الأسدي .

(٢) شقاء : مؤنث الأشق . وفرس اشق : يشتق في عدوه يميناً وشمالا . الظراب ج ظرب ـ بفتح الظاء وكسر الراء وهي الرابية .

(٣) انص العيس : استحثها . اباطل : ج . ايطل وهي الخاصرة . ارض حزون : غليظه .

اذ قال : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) . ولذلك جاز أن يأمرهم بالصلاة على طريق الجملة ، ويحيلهم في التفصيل الى بيان الرسول « ص » . وقد بينا تفصيل ما ورد الشرع به ، من الصلاة والزكاة ، وفرائضها وسننها في كتاب النهاية والمبسوط وغيرهما من كتبنا في الفقه ، فلا نطول بذكره في هذا الكتاب . وقد ورد في القرآن على طريق الجملة آي كثير : نحو قوله : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » . وقوله « وأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » (٢) . وقوله : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » (٣) وقوله : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » (٤). ويمكن الاستدلال بهذه الآيات على وجوب الصلوات ، وعلى صلاة الجنائز ، وصلاة العيدين ، وعلى وجوب الصلاة على النبي وآله في التشهد ، لأنه عام في جميع ذلك . فان قيل : قوله : « وأقيموا الصلاة » قد ثبت أن هذا خطاب لأهل الكتاب ، وليس في صلاتهم ركوع ، فكأنه أمرهم بالصلاة على ما يرونهم ، وأمرهم بضم الركوع إليها . وعلى معنى قوله : « اركعوا » ـ أي صلوا نقول : إن ذلك تأكيد . ويمكن أن يقال : فيه فائدة . وهو أن يقال : إن قوله : « أقيموا الصلاة » إنما يفيد وجوب إقامتها . ويحتمل أن يكون إشارة إلى صلاتهم التي يعرفونها . ويمكن أن يكون إشارة إلى الصلاة الشرعية ، فلما قال : « واركعوا مع الراكعين » يعني مع هؤلاء المسلمين الراكعين ، تخصصت بالصلاة في الشرع ، ولا يكون تكراراً ، بل يكون بياناً . وقيل : قوله : « واركعوا مع الراكعين » حث على صلاة الجماعة ، لتقدم ذكر الصلاة المنفردة في أول الآية .

---

(١) سورة الحشر : آية ٧ .

(٢) سورة النساء : آية ١٠٢ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٣٨ .

(٤) سورة المؤمنون : آية ١ .

قوله تعالى :

« أتأمرونَ النّاسَ بالبِرِّ وتنسَونَ أنفُسكم وأنتم تتلُون الكتابَ أفلا تعقلون . » (٤٤) — آية

المعنى :

كل طاعة لله تعالى ، فلا خلاف أنها تسمى براً . واختلفوا في المراد بهذه الآية . فقال ابن عباس : المراد به التمسك بكتابهم ، فكانوا يأمرون أتباعهم ، ويتركون هم التمسك به ، لأن جحدهم النبي « ص » هو تركهم التمسك به . وقال قتادة : كانوا يأمرون الناس بطاعة النبي « ص » ويخالفون ذلك . وقال قوم : إن معناه : أنهم كانوا يأمرون ببذل الصدقة ، ويضنون بها . وقال بعضهم : البر : الصدق من قولهم : صدق ، وبر . ومعناه : أنهم يأمرون بالصدق ولا يصدقون .

اللغة :

والبر ـ في أصول اللغة ـ والصلة ، والاحسان ، نظائر . يقال : هو بار وصول محسن . وضد البر : العقوق . وقال ابن دريد : البر ضد العقوق . ورجل بار وبر بمعنى واحد . وبرت يمينه : إذا لم يحنث . وبر حجه وبر ـ لغتان ـ . والبر : خلاف البحر . والبر : ـ معروف ـ أفصح من الحنطة والقمح . واحدة برة . قال الهذلي :

لادر دري إن أطعمت نازلهم   قرف الحني وعندي البر مكنوز

الحني : ردي المقل خاصة . ومن أمثالهم : لا يعرف الهر من البر . واختلفوا في هذا المثل فقال الرماني : الهر : السنور . والبر : الفارة في بعض اللغات ، أو دويبة تشبهها . وقال الاخفش : معناه : لا يعرف من يبره ممن يهر عليه . وقوم بررة أبرار والمصدر البر . ويقال : صدق وبر . وبرت يمينه أي صدقت . وكانت العرب تقول : فلان يبرر به أي يطيعه . قال الراجز :

لا هم إن بكراً دونكا يبرك الناس ويفجرونكا

والابرار : الغلبة . يقال أبر عليهم فلان . قال طرفة :

ويبرون على الآي البر .

والبربرة : كثرة الكلام ، والجلبة باللسان . وأصل الباب كله : البر وهو : اتساع الخير . والفرق بين البر والخير ، أن البر يدل على القصد ، والخير قد يقع على وجه السهولة .

قوله : « وتنسون انفسكم » .

اللغة :

فالنسيان ، والغفلة ، والسهو ، نظائر . وضد النسيان : الذكر . تقول : نسي نسياناً . وأنساه ، إنساء ، وتناساه ، تناسياً . وفلان نسي ، كثير النسيان . والنسي ، والمنسي . الذي ذكره الله تعالى: « وكنت نسياً منسيا »(١) وسمي الانسان إنساناً ، إشتقاقاً من النسيان . وهو في الاصل : إنسيان . وكذلك إنسان العين . والجمع : أناسي . والنسا : عرق سيق بين الفخذين ، فيستمر في الرجل . وهما نسيان . والجمع : أنساء . وهو في الفخذ . ويسمى في الساق : الطفل . وفي البطن : الحالبين (٢) وفي الظهر : الأبهر . وفي الحلق : الوريد . وفي القلب : الوتين . وفي اليد : الأكحل . وفي العين : الناظر . يقال : هو بهر الجسد ، لأنه عند جميع العروق . وأصل الباب : النسيان ضد الذكر . وقوله : « نسوا الله فنسيهم »(٣) أي تركوا طاعته ، فترك ثوابهم . ويقال : آفة العلم النسيان . والمذاكرة تحيي العلم . وحد النسيان : غروب الشيء عن النفس بعد حضوره لها . والفرق بين النسيان والسهو ، أن السهو يكون ابتداءً وبعد الذكر . والنسيان لا يكون إلا بعد الذكر . والنسيان ، والذكر معاً ، من فعل الله تعالى ، لأن الانسان يجتهد أن يذكر شيئاً فلا يذكره .

(١) سورة مريم آية : ٣٢ . (٢) عرقان يكتنفان بالسرة (٣) سورة التوبة : آية ٦٨ .

المعنى :

ومعنى قوله : « وتنسون أنفسكم » أي تتركونها . وليس المراد بذلك ما يضاد الذكر ، لأن ذلك من فعل الله لا ينهاهم عنه . فان قيل : إذا كان الواجب عليهم مع ترك الطاعة والاقامة على المعصية ، الأمر بالطاعة ، والنهي عن المعصية ، فكيف قيل لهم هذا القول ؟ قلنا : في أمرهم بالطاعة ، ونهيهم عن المعصية تعظيم لما يرتكبونه من معصية الله تعالى ، لأن الزواجر كلها ، كلما كانت أكثر ، كانت المعصية أعظم ففي نهيهم لغيرهم ، زواجر . فهو توبيخ على عظيم ما ارتكبوا من ذلك .

وقوله : « وانتم تتلون الكتاب » .

اللغة :

فالتلاوة ، والقراءة ، والدراسة ، نظائر . يقال : فلانٌ يتلو تلاوة ، فهو تالٍ أي تابع . والمتالي : الأمهات إذا تلاهن الاولاد . والواحد : متل . وناقة متلية : وهي التي تنتج في آخر النتاج . وأصل الباب : الاتباع . فتسمى التلاوة بذلك ، لاتباع بعض الحروف فيها بعضاً . والفرق بين التلاوة والقراءة ، أن أصل القراءة جمع الحروف ، وأصل التلاوة ، اتباع الحروف . وكل قراءةٍ تلاوة ، وكل تلاوةٍ قراءة وحد الرماني : التلاوة : ما به صوت يتبع فيه بعض الحروف بعضاً .

المعنى :

والكتاب الذي كانوا يتلونه التوراة ـ على قول ابن عباس وغيره . وقال أبو مسلم كانوا يأمرون العرب باتباع الكتاب الذي في أيديهم ، فلما جاءهم كتاب مثله ، لم يتبعوه .

وقوله : « أفلا تعقلون »

اللغة :

فالعقل ، والفهم ، واللب ، والمعرفة ، نظائر يقال فلانٌ عاقلٌ فهيم أديب ذو معرفة ، وضد العقل : الحمق . يقال : عقل الشيء عقلا ، وأعقله غيره إعقالا .

ويقال : اعتقله ، اعتقالا وانعقل ، انعقالا . وقيل لابن عباس : أنى لك هذا العلم ؟ قال : قلبٌ عقول ، ولسانٌ سؤول . ويقـال : عقلت بعـد الصبا أي عرفت الخطأ الذي كنت فيه .وقال صاحب العين :العقل: ضد الجهل يقال: عقل الجاهل : إذا علم . وعقل المريض بعـد ما هجر وعقل المعتوه ونحوه والعقال : الرباط ويقـال : عقلت البعير أعقله ، عقلاً : إذا شددت يده بالعقال وإذا أخذ صدقة الابل تامةً لسنةٍ يقال : أخذ عقالاً وعقالين لسنتين ، وعقلا لجماعة وقال الشاعر :

سعى عقالاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

لاصبح الناس أوباداً وماوجدوا يوم التحمل في الهيجا جمالين(١)

قال المبرد : يقال للمصدق إذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنه : أخذ عقالاً . وإذا أخذ قيمته : قيل : أخذ نقداً . والعقيلة من النساء : التي قـد عُقلت في بيتها أي حبست في بيتها وخدرت . والجمع : عقائل . والدرة عقيلةالبحر . وعقيلة كل شيء : أكرمه . وعُقل القتيل : إذا أوديت ديته من القرابة ، لا من القبائل . والعقل في الرجل : اصطكاك الركبتين والعقل : ثوب أحمر تتخـذه نساء العرب . والمعقول : هذا العقل عند قوم . قال الراعي :

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولا

والعقل ، والمعقل : وهو الحصن وجمعـه : عقول والماقول من النهر والوادي ومن الامور أيضاً : الملتبس ، وما اعوج منه . وعقـل الدواء بطنه أي حبسه وقولهم لا يعقل حاضر لبادٍ قال ابن دريد : معناه أن القتيل إذا كان بالبـادية ، فان أهلها يتعاقلون بينهم الديّة ، ولا يلزمون أهل الحضر من بني اعمامهم شيئا . وفي الحديث انا لا نتعاقل المضيع يعني ما سهل من الشجاج (٢) ، بل يلزم الجاني . وعاقلة الرجل : بنو عمه الأدنون ، لأنهم كالمعقل له . وأصل الباب العقل الذي هو العقد . والعقل مجموع علوم لأجلها يمتنع من كثير من القبائح يعقل كثيراً من الواجبات . وقال الرماني : العقل هو العلم الأول الذي يزجر عن قبيح الفعل . وكل من كان زاجره

(١) الشعر لعمرو بن العداء الكلبي . لسان العرب وروايته « الحي » بدل « الناس » السبد : بقايا النبت . اوباد: ج وبد وهو الفقر والبؤس . وجما ابن بريد قطرين(٢) الشجاج واحدها —

أقوى ، كان عقله أقوى . وقيل : العقل : معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة . وقيل : العقل : قوة يمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغائب . وهذه العبارات قريبة المعاني مما ذكرناه . والفرق بين العقل والعلم ، أن العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم ، كفقد من كمل عقله العلم بأن هذه الرمانة حلوة أو حامضة . ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله . فان قيل : اذا كان العقل مختلفا فيه ، فكيف يجوز أن يستشهد به ؟ . قيل الاختلاف في ماهية العقل ، لا يوجب الاختلاف في قضاياه . ألا ترى أن الاختلاف في ماهية العقل — حتى قال بعضهم معرفة ، وقال بعضهم قوة — لا يوجب الاختلاف في أن الألف أكثر من الواحد ، وأن الموجود غير المعدوم ، وغير ذلك من قضايا العقل .

قوله تعالى :

«واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين» (٤٥)

آية واحدة .

قال الجبائي : هذا خطاب للمؤمنين دون أهل الكتاب . وقال الطبري ، والرماني : هو خطاب لأهل الكتاب ، ويتناول المؤمنين على وجه التأديب . والأقوى أن يكون خطاباً لجميع من هو بشرائط التكليف ، لفقد الدلالة على التخصيص ، واقتضاء العموم ذلك . فمن قال : إنه خطاب لأهل الكتاب ، قال : لأنه قال : واستعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه : من طاعتي ، واتباع أمري واتباع رسولي ، وترك ما نهيتكم عنه ، والتسليم لأمري ولمحمد «ص» بالصبر والصلاة .

اللغة :

وأصل الصبر : هو منع النفس محابها ، وكفها عن هواها . ومنه الصبر على المصيبة ، لكفه نفسه عن الجزع . وقيل لشهر رمضان : الصبر ، لصبر صائمه عن الطعام والشراب نهاراً وصبرت إياهم صبرة : حبسه لهم ، وكفه إياهم عنه ، كما يصبر الرجل القتيل ، فيحبسه عليه ، حتى يقتله صبراً يعني حبسه عليه ، حتى قتله .

— الشجة وهي الجرح في الرأس والوجه .

والمقتول : مصبور . والقاتل : صابر . والصبر . واللبث ، والحبس ، نظائر . والصبر : ضد الجزع . وأنشد أبو العباس :

فان تصبرا ، فالصبر ، خيرُ معيشة وإن تجزعا ، فالأمر ما تريان

ويقال : صبر صبراً . وتصبر تصبراً . واصطبر ، اصطباراً . وتصابر تصابراً . وصابره مصابرة . قال صاحب العين : الصبر : نصب الانسان للقتل . فهو مصبور . يقال : صبروه أي نصبوه للقتل . ويقال : صبرته أي حلّفته بالله جهد نفسه . وكل من حبسته لقتل أو يمين ، فهو قتل صبر ويمين صبر . والصبر : عصارة شجر معروف . والصبار : تمر الهند . وصبر الاناء ونحوه : نواحيه . وأصبار القبر : نواحيه . والصبرة من الحجارة : ما اشتد وغلظ . والجمع : الصبّار . وأم صبار : هي الداهية الشديدة . وصبر كل شيء : أعلاه . وصبير القوم : الذي يصبر معهم في أمرهم وصبر الخوان : رقاقة غليظة تبسط تحت ما يؤكل من الطعام . وتقول : اشتريت الشيء بلا صبر أي بلا كيل والصبير : الكفيل واصل الباب : الصبر الذي هو الحبس .

المعنى :

والصبر خلق محمود ، أمر الله تعالى به ودل عليه ، فقال : « واصبر وماصبرك إلا بالله » (١) وقال : « اصبروا وصابروا » (٢) وقال : « وبشر الصابرين » (٣) وقال : « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور » (٤) وفي الحديث : اقتلوا القاتل ، واصبروا الصابر وذلك فيمن أمسكه حتى قتله آخر فأمر بقتل القاتل ، وحبس الممسك . والصبر المأمور به في الآية ، قيل : فيه قولان : أحدهما — الصبر على طاعته واجتناب معصيته . والثاني — أنه الصوم . وفي الصلاة ههنا قولان : أحدهما — الدعاء . والثاني — أنها الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود . وكان النبي (ص) إذا أحزنه أمر ، استعان بالصلاة والصوم . ووجه الاستعانة بالصلاة ، لمكان ما

(١) سورة النحل : آية ١٢٧ . (٢) سورة آل عمران : آية ٢٠٠ .
(٣) سورة البقرة : آية ١٥٥ . (٤) سورة لقمان آية ١٧ .

فيها من تلاوة القرآن والدعاء والخضوع لله تعالى ، والاخبات . فان في ذلك معونة على ما تنازع اليه النفس من حب الرياسة والانفة من الانقياد الى الطاعة .

والضمير في قوله : « وإنها لكبيرة » عائد على الصلاة عند أكثر المفسرين .

وقال قوم :عائد الى الاجابة للنبي (عليه السلام) وهذا ضعيف ، لأنه لم يجر للاجابة ذكر ولا هي معلومة ، إلا بدليل غامض . وليس ذلك كقوله « إنا أنزلناه » لأن ذلك معلوم ورد الضمير على واحد ، وقد تقدم ذكر شيئين فيه قولان : أحدهما: - انها راجعة الى الصلاة دون غيرها على ظاهر الكلام ، اقربها منه ولأنها الأهم والأفضل ولتأكيد حالها وتفخيم شأنها وعموم فرضها . والآخر ـ ان يكون المراد الاثنين وان كان اللفظ واحداً كقوله: « والله ورسوله احق ان يرضوه » (١)

قال الشاعر :

اما الوسامة اوحسن النساء فقد او تيت منه أوان العقل محتنك (٢)

وقال البرجمي :

فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب (٣)

وقال ابن احمد :

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريا ومن طول الطوي رماني (٤)

وقال آخر :

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف (٥)

وقوله « واذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا اليها » . قال قوم : اللفظ واحد والمراد به اثنان . وقال الفرّاء : راجع الى التجارة لأن تجارةً جاءت فضربوا بالطبل فانصرف الناس اليها .

والاستعانة في الآية المامور بها على ما تنازع اليه نفوسهم من حب الرياسة وغاية الشهوة للذة العاجلة والاستعانة بالصبر على المشقة بطاعة الله . ومعنى (الكبيرة) ههنا أي ثقيلة ـ عند الحسن والضحاك . وأصل ذلك ما يكبر ويثقل على الانسان

---

(١) سورة التوبة : آية ٦٣ . (٢) احتنك الشيء : استولى عليه .

(٣) وروى (وقياراً) . (٤) مرا قولو هذا البيت .(٥) في هذين البيتين ١ : ١٧٢

حمله ، كالأحمال الجافية التي يشق حملها ، فقيل لما يصعب على النفس ، وان لم يكن من جهة الحمل - يكبر عليها . تشبيهاً بذلك .

وقوله : « الا على الخاشعين »

اللغة :

فالخشوع ، والخضوع ، والتذلل ، والاخبات ، نظائر . وضد الخضوع : الاستكبار . يقال : خشع خشوعاً . وتخشع تخشعاً . قال صاحب العين : خشع الرجل يخشع خشوعاً : إذا رمى ببصره الأرض . واختشع : إذا طأطأ رأسه كالمتواضع . والخشوع قريب المعنى من الخضوع ، إلا أن الخضوع في البدن ، والاقرار بالاستخدام (١) . والخشوع في الصوت والبصر . قال الله تعالى : « خاشعة أبصارهم » و « خشعت الأصوات للرحمن » (٢) . أي سكنت . وأصل الباب : من اللين والسهولة من قولهم : نقاً خاشعاً : للأرض التي غلبت عليها السهولة . والخاشع : الأرض التي لا يهتدى إليها بسهولة ، لمحو الرياح آثارها . والخاشع ، والمتواضع ، والمتذلل ، والمسكين ، بمعنى واحد قال الشاعر :

لما أتى خبر الزبير تواضعت   سور المدينة والجبال الخشع (٣)

وخاشع : صفة مدح ، لقوله : « والخاشعين والخاشعات » وإنما خص الخاشع بأنها لا تكبر عليه ، لأن الخاشع قد تواطأ ذلك له ، بالاعتياد له ، والمعرفة بماله فيه ، فقد صار بذلك بمنزلة مالا يشق عليه فعله ، ولا يثقل تناوله وقال الربيع بن أنس : « الخاشعين » في الآية : الخائفون .

---

(١) وفي نسخة : « الاستحياء » . (٢) سورة طه آية : ١٠٨ .

(٣) البيت لجرير ، الديوان ص : ٣٤٥ . استشهد به سيبويه على ان تاء التأنيث جاءت للفعل لما أضاف « سور » الى المدينة وهي مؤنث ، وهو بعض منها .

قوله تعالى :

« الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » .

(٤٦) ــ آية بلا خلاف .

ان قيل كيف اخبر الله عمن وصفه بالخشوع بالطاعة ، ومدحهم بذلك بانهم يظنون بانهم ملاقوا ربهم . وذلك مناف لصفة المدح ؟ قلنا : الظن المذكور في الآية المراد به العلم واليقين . قال دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

وقال عمير بن طارق :

بان تغتزوا قومي واقعد فيكم واجعل مني الظن غيباً مرجماً (١)

وقال ابو داود (٢) :

رب هم فرجته بعزيم وغيوب كشفتها بظنون

وقال المبرد : ليس من كلام العرب : أظن عند زيد مالاً ، يريد : أعلم لأن العلم المشاهد لا يناسب باب الظن . وقد أفصح في ذلك أوس بن حجر في قوله :

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وقال آخر :

فالا يأتكم خبر يقين فان الظن ينقص او يزيد

وقال بعض الشيوخ : اصل الظن ما يجول في النفس من الخاطر الذي يغلب على القلب ، كأنه حديث النفس بالشيء ، وتأول جميع ما في القرآن من معنى العلم على هذا . وقال الحسن وابو العالية ومجاهد وابن جريج : يظنون ، أي يوقنون . ومثله : « ظننت اني ملاقٍ حسابيه » (٣) أي علمت ومثله : « وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا إليه » (٤) ، ومعناه استيقنوا . وقوله « ورأى المجرمون النار

---

(١) في الايرانية بدل : « بأن تغتزوا » « فان تغتزوا » وبدل « غيباً » : « عيناً » ، البيت في نقائض جرير والفرزدق وروايته : « واجلس فيكم » و « وأجعل علمي ظن غيب مرجماً » .

(٢) في الايرانية : « الذواد » .

(٣) سورة الحاقة : آية ٢٠ (٤) سورة التوبة آية : ١١٩ .

فظنوا انهم مواقعوها » (١) ، يعني : علموا . وقد جاء في القرآن الظن بمعنى الشك كقوله : « ان هم إلا يظنون » (٢) وقوله : « ان الظن لا يغني من الحق شيئا »(٣) وقال قوم : يحتمل قوله « يظنون » وجهاً آخراً ، وهو انهم يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الاقامة على معصية الله ، وهذا وجه مليح ، وقد استبعده الرماني وقال : لأن فيه حذوفا كثيرة ، وليس بمنكر اذا كان الكلام محتملاً له . وقيل أيضاً : الذين يظنون إنقضاء اجلهم وسرعة موتهم فيكونون ابداً على حذر ووجل ، كما يقال لمن مات : لقي الله . والظن والشك والتجويز نظائر ، إلا ان الظن فيه قوة على أحد الأمرين دون الآخر ، وحده ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون خلافه . فبالتجويز ينفصل من العلم ، وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك . وضد الظن اليقين ويقال ظن ظنا وتظنن تظننا . وقال : « وظنوا انهم الينا لا يرجعون » (٤) . وقوله : « وظننتم ظن السوء » (٥) والظنين المتهم ، ومصدره الظنة والظنون الرجل السيء الظن بكل احد ، والظنون القليل الخير ، والتظني والتظنن بمعنى واحد . والظنون البئر التي يظن ان بها ماء ولا يكون فيها شيء ، ومظنة الرجل ومظانه حيث يألفه فيكون فيه .

ومعنى قوله « انهم ملاقوا ربهم » اي ملاقوا جزاء ربهم ، فجعل ملاقاة الجزاء ملاقاة له تفخيما وتعظيماً لشأن الجزاء . وأصل الملاقاة الملاصقة ، من قولك التقى الحدان اي تلاصقا ، ثم كثر حتى قالوا التقى الفارسان اذا تحاذيا ولم يتلاصقا . ومثل ما قلنا في قوله « ملاقوا ربهم » قوله تعالى : « فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه » (٦) معناه يوم يلقون جزاءه ، لأن المنافقين لا يرون الله عند احد من اهل الصلاة ، وكذلك قوله « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق

---

(١) سورة الكهف : آية ٥٤ (٢) سورة الجاثية آية : ٢٣ .
(٣) سورة يونس آية : ٣٦ (٤) سورة القصص آية ٣٩ .
(٥) سورة الفتح آية : ١٢ . (٦) سورة التوبة آية : ٧٨ .

قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » (١) معناه إذ وقفوا على جزاء ربهم ، لأن الكفار لا يرون الله عند احد من الأمة .

فان قيل : ما معنى الرجوع ههنا وهم ما كانوا قط في الآخرة فيعودوا إليها؟ قيل : راجعون بالاعادة في الآخرة — في قول ابي العالية — وقيل : يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدمة ، لانهم كانوا امواتاً ، ثم احيوا ، ثم يموتون ، فيرجعون امواتاً كما كانوا : والأول اظهر واقوى ، وقيل : ان معناه : انهم راجعون الى ان لا يملك احدهم ضرا ولا نفعاً غيره تعالى كما كانوا في بدء الخلق ، لانهم في ايام حياتهم قد يملك الحكم عليهم غيرهم ، والتدبير لنفعهم وضرهم بين ذلك قوله : « مالك يوم الدين » ومعنى ذلك انهم يقرون بالنشأة الاخرة فجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعا اليه .

اللغة :

وأصل الرجوع العود الى الحال الاول . يقال رجع الرجل ورجعته وهو احد ما جاء على فعل وفعلة ويحتمل ان يكون المراد أنهم اليه صائرون . كما يقول القائل : رجع الأمر الى فلان وان كان قط لم يكن له . ومعناه صار اليه : وحذفت النون من «ملاقوا ربهم» عند البصريين تخفيفاً والمعنى على اثباتها ، ومثله قوله : « انا مرسلوا الناقة » (٢) « وكل نفس ذائقة الموت » (٣) قال الشاعر :

هـل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق(٤)

ولو اردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالاضافة ، لم يجز فيه اظهار النون البتة . واذا كان الفعل غير واقع كان اثبات النون هو الوجه دون الاضافة . فلو قيل

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٦ وسورة الانعام آية : ٣٠ والأعراف : آية ٤٨ . والأنفال آية : ٣٥ والأحقاف آية ٣٤ .

(٢) سورة القمر آية ٣٧ (٣) سورة آل عمران آية : ١٨٥ . وسورة الأنبياء آية : ٣٥ وسورة العنكبوت آية ٥٧ .

«٤» سيبويه . قال صاحب الخزانة : البيت من ابيات سيبويه التي لم يعرف قائلها . وقيل هو لجرير بن رألان السنبسي . وقيل هو لجرير . وقيل لتأبط شرا . دينار وعبد رب : رجلان .

ملاقون كان صواباً . قال الاخفش : وجرى حذف النون ههنا للاستثقال كما قال الشاعر في قوله :

فان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد (١)

فاسقط النون من الذين استثقالا وقال الأخطل :

ابني كليب ان عمّي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا

فاسقط النون . وقال الكوفيون : اذا حذف النون فاللفظ الاسم وإذا اثبت وظهر النصب فالمعنى الفعل . قال الزجاج : ويجوز كسر الهمزة من قولهم : انهم اليه راجعون ، لكن لم يقرأ به أحد على معنى الابتداء ولا يجوز كسر الأولى لأن الظن وقع عليها .

قوله تعالى :

« يا بَني إسرائيلَ اذكُروا نِعمَتيَ التي أنعَمتُ عَليكُمُ وأني فضَّلتُكُمُ عَلى العالمِين » (٤٧) — آية .

المعنى :

قد مضى تفسير مثل هذا في ما تقدم فلا وجه لاعادته . وأما قوله : « وإني فضلتكم على العالمين » ذكرهم الله تعالى من الآية ونعمه عندهم بقوله : « وإني فضلتكم على العالمين » فضلت اسلافكم ، فنسب النعمة الى آبائهم واسلافهم ، لأنها نعمة عليهم منه ، لأن مآثر الآباء مآثر الابناء ، والنعم عند الاباء نعم عند الأبناء لكون الابناء من الآباء . وقوله « فضلتكم » .

اللغة :

فالتفضيل ، والترجيح ، والتزييد ، نظائر . والتفضيل نقيضه : التسوية . يقال: فضله وتنقصه على وجهة النقص ونقيض التزييد : التنقيص . يقال : فضل فضلا

(١) البيت للأشهب بن رميلة • سيبويه ١ : ٩٦ والبيان ٤ : ٥٥ وفلج واد بين البصرة وحمى ضرية . ومر هذا البيت ايضاً في ١ : ٨٦ .

وافضل افضالا . وتفضل تفضلا واستفضل استفضالا . وتفاضلوا تفاضلا وفاضله مفاضلة . وفضله تفضيلا . والمفضال : اسم المفاضلة . والفضيلة : الدرجة الرفيعة في الفضل . والتفضل : التوشح . ورجل فضل : متفضل . وامرأة متفضلة ، وعليها ثوب فضل : اذا خالفت بين طرفيه على عاتقها فتتوشح به قال الشاعر :

« اذا تعرد فيه الفسه الفضل » . وافضل فلان على فلان : اذا أناله من خيره وفضله ، واحسن اليه . وافضل فلان من الطعام والأرض والخبز : اذا ترك منه شيئاً . لغة أهل الحجاز : فضل يفضل ورجل مفضال : كثير المعروف والخير . والفضائل : واحدها فضيلة . وهي المحاسن . والفواضل : الأيادي الجميلة . وثوب المفضل : ثوب تخفف به المرأة في بيتها والجمع مفاضل . وامرأة مفضل : اذا كان عليها مفضل . واصل الباب : الزيادة . والافضال ، والاحسان ، والانعام نظائر . ويقال فضله : اذا اعطاه الزيادة وفضله اذا حكم له بالزيادة .

فان قيل لم كرر قوله : « يا بني اسرائيل » ؟ قلنا : لأنه لما كانت نعم الله هي الأصل فيما يجب فيه شكره وعبادته ، احتيج الى تأكيدها . كما يقول القائل : اذهب اذهب : اعجل اعجل وغير ذلك في الأمر المهم ، وايضاً فان التذكير الأول ورد مجملا ، وجاء الثاني مفصلا ، كأنه قال اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فيما انتم عليه من المنافع التي تتصرفون فيها وتتمتعون بها ، وإني فضلتكم على العالمين . ودل هذا على قوله : « وإني فضلتكم على العالمين » لأنها احدى الخصال التي ذكروا بها وجاءت عاطفة فدلت على خصلة قبلها : اما مذكورة او مقدرة . وإنما فضلوا بما ارسل الله فيهم من كثرة الرسل وانزل عليهم من الكتب : وقيل : تكثرة من جعل فيهم من الانبياء ، وما انزل الله عليهم من المن والسلوى الى غير ذلك من النعمة العظيمة من تغريق فرعون عدوهم ، ونجاتهم من عذابه ، وتكثير الآيات التي يخف معها الاستدلال ، ويسهل بها كثرة المشاق . وهو قول اكثر أهل العلم كابي الغالية ، وغيره . ونظير هذه الآية قوله « واذ نجيناكم من آل فرعون » « وإذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون » .

وقوله « على العالمين »

المعنى :

قال أكثر المفسرين: انه أراد الخصوص ومعناه عالمي زمانهم. ذهب اليه قتادة والحسن وابو العالية ومجاهد وغيرهم . وقال بعضهم: اذا قلت فضل زيد على عمرو في الشجاعة لم يدل على انه أفضل منه على الاطلاق ، ولا في جميع الخصال فعلى هـذا يكون التخصيص في التفضيل لا في العالمين. وامة نبينا محمد «ص» أفضل من أولئك بقوله: « كنتم خير امة اخرجت للناس » (١) وعليه اجماع الامة ، لأنهم اجمعوا على ان امة محمد « ص » أفضل من سائر الامم كما ان محمداً « ص » أفضل الأنبياء من ولد آدم « ع » .

قوله تعالى :

« واتَّقُوا يَوماً لا تَجْزِي نَفسٌ عن نفسٍ شَيْئاً وَلا يُقبَلُ منها شَفَاعَةٌ ولا يُؤخَذُ منها عَدلٌ وَلا هم يُنصَرُونَ »(٤٨) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وأهل البصرة « لا يقبل منها بالياء » الباقون بالتاء .

الاعراب :

موضع « لا تجزى » نصب لأنه صفة يوم . والعائد عنـد الكسائي لا يكون إلا هاء محذوفـة من تجزيه وقال بعضهم : لا يجوز إلا فيـه؛ وقال سيبويه والاخفش والزجاج : يجوز الأمران .

المعنى :

قال ابو علي المعنى في قوله « لا يقبل منها شفاعة » فمن ذهب الى ان (فيه) محذوفة من قوله « واتقوا يوماً لا تجزي » ، جعل(فيه) بعد قوله « ولا يقبل» ومن

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

ذهب الى انه حذف الجار ، وأوصل الفعل الى المفعول، ثم حذف الراجع من الصفة كما يحذف من الصلة، كان مذهبه في قوله: لا يقبل ايضاً مثله وحذف الهاء من الصفة يحسن كما يحسن حذفها من الصلة ألا ترى ان الفعل لا يتسلط بحذف المفعول منه على الموصوف كما لا يتسلط بذلك على الموصول؟ ومما حذف منه الراجع الى الصفة قوله :

وما شيء حميت بمستباح

ومن الحذف قوله :

تروّحي اجدران تقيلي غدا بجنبي بارد ظليل

المعنى : تأتي مكانا اجدران تقيلي فيه فحذف الجار ووصل الفعل ثم حذف الضمير : ونظير الآية قول الراجز :

قد صبحت صبيحها السلام بكبدٍ خالطها السنام

في ساعة يحبها الطعام (١)

أي تحب الطعام فيها .

اللغة :

والمجازاة والمكافأة والمقابلة نظائر . يقال: جزى يجزي جزاء، وجازاه مجازاة، وتجازوا تجازيا :قال صاحب العين : المجازاة:المكافأة بالاحسان احسانا وبالاساءة اساءة وفلان :ذو جزاء وذو غناء وتقول هذا الشيء يجزيء عن هذا بهمز وتليين وفي لغة يجزي أي يكفي واصل الباب مقابلة الشيء بالشيء .

المعنى :

ومعنى قوله « لا تجزي نفس عن نفس شيئاً »(٢)أي لا تقابل مكروهها بشيء يدرأه عنها .قال الله تعالى : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » (٣) وقال :« اليوم تجزى كل نفس ما كسبت » (٤)والفرق بين المقابلة والمجازاة ان المقابلة قد تكون للمساواة فقط كمقابلة الكتاب بالكتاب والمجازاة تكون في الشر بالشر والخير بالخير. ومعنى

---

(١) صبح القوم سقام الصبوح وهو ما يشرب صباحاً من خمر أو لبن . (٢) سورة البقرة آية ٤٨ ـ و ١٢٣ (٣) سورة النمل آية ٩٠ (٤) سورة المؤمن آية ١٧ .

قوله « لا تجزي» أي لا تغني وهو قول السدي كما تقول: البقرة تجزي عن سبعة وهي لغة أهل الحجاز. وبنو تميم تجزىء بالهمزة من اجزاه: والأول من جزت وقال الاخفش لا تجزي منها أي لا يكون مكانها بدلا منها وأنكر عليهم ذلك لقوله: « شيئاً » .

وجعل الأخفش لا تجزي منها « شيئاً » في موضع المصدر كأنه يقول لا تجزي جزاء ولا تغني غناء قال الرماني والاقرب ان تكون « شيئاً » في موضع حقاً كأنه قيل لا يؤدي عنها حقا وجب عليها . وقال بعضهم « لا تجزي » بمعنى لا تقضي .

وقبول الشيء تلقيه والاخذ به وضده الاعراض عنه ومن ثم قيل لتجاه القبلة قبالة . وقالوا : أقبلت المكواة الداء أي جعلتها قبالته ويجوز ان يكون المخاطبون بذلك اليهود، لأنهم زعموا ان اباءهم الانبياء، وتشفع لهم واويسوا بقوله، قل فلم يعذبكم بذنوبكم» وبقوله : « لا يقبل منها شفاعة» والقبول والانقياد والطاعة والاجابة نظائر ونقيضها الامتناع يقال قبل قبولا ، وأقبل اقبالا ، وقابله مقابلة وتقابلوا تقابلا ، واستقبله استقبالا ، وتقبل تقبالا ، وقبله تقبيلا وقبل نقيض بعد والقبل خلاف الدبر والقبل اقبالك على الشيء كأنك لا تريد غيره والقبل الطاقة تقول لا قبل لي أي لا طاقة لي . ومنه قوله : « فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها (١) » والقبل التلقاء تقول لقيته قبلا أي مواجهة واصبت هذا من قبله أي من تلقائه أي من لدنه ومن عنده وقوله : « وحشرنا عليهم كل شيء قبلا (٢) » أي قبلا وفسر بعضهم عيانا ، وكل جيل من الناس والجن والقبيلة من قبائل العرب معروفة والكرة يقال لها قبائل . وكل قطعة من الجلد قبيلة . وقبيلة الرأس كل فلقة قد قوبلت بالاخرى وكذلك قبائل العرب والقبال : زمام البغل . يقال : بغل مقبولة ومقبلة . والقبل رأس كل شيء مثل الجبل والاكمة وكثب الرمل . وقبالة كل شيء . ما كان مستقبله ومن الجيران مقابل ومدابر . وشاة مقابلة : اذا قطعت من اذنها قطعة وتركت معلقة من مقدم ، وان كانت من خلف فهي مدابرة واذا ضممت شيئاً الى شيء قلت قابلته والقابلة هي الليلة: المقبلة . وكذلك العام القابل والمقبل. والقابلة: التي تقبل الولد

---

(١) سورة النمل آية ٣٧ .

(٢) سورة الانعام آية ١١١ .

والقبول من الريح : الصبا لأنها تستقبل الدبور ، وهي تستقبل القبلة من المشرق والقبول: ان تقبل العفو وغير ذلك . وهو اسم المصدر واميت الفعل منه والقبول الاسم . تقول: أفعل هذا من ذي قبل أي من ذي استقبال . والقبلة معروفة والفعل منه التقبيل . والقبلة قبلة الصلاة والتقبل تقبل الشيء تقول : تقبل الله منك وعنك عملك . وتقول : تقبلت فلانا من فلان بقبول حسن ورجل مقابل في كرم وفي شرف من قبل اعمامه واخواله. ورجل مقبل الشاب لم ير فيه اثر من الكبر. والقبيل والدبير: في الحبل فالقبيل الفتل الاول الذي عليه العامة ،والدبير الفتل الاخر وبعضهم يقول القبيل في قوى الحبل كل قوة على وجهها الداخل قبيل والوجه الخارج : دبير وقد قرىء قبلا و قبلا فمن قرأ قبلاً أراد جمع قبيل ومن قرأ قَبلا أراد مقابلة والقبيل والكفيل واحد وقبيل القوم عريفهم . والباب المقابلة خلاف المدابرة .

وأما الشفاعة فهي مأخوذة من الشفع الذي هو خلاف الوتر فكأنه سؤال من الشفيع.شفع: سؤال المشفوع له والشفاعة ،والوسيلة والقربة والوصلة نظائر . ويقال شفع شفاعة وتشفع تشفعاً ، واستشفع استشفاعاً ، وشفعه تشفيعاً والشفع من العدد : ما كان ازواجا تقول كان وتراً فشفعته باخر حتى صار شفعاً ومنه قوله : « والشفع والوتر(١) » قال الشفع: يوم النحر. والوتر: يوم عرفه. وقال بعض المفسرين: الشفع :الخفاء يعني كثرة الخلق والوتر الله والشافع : الطالب لغيره والاسم الشفاعة والطالب: الشفيع والشافع والشفعة في الدار معروفة . وتقول فلان يشفع اليّ بالعداوة أي يعين عليّ ويعاديني وتقول شفعت الرجل : اذا صرت ثانيه وشفعت له: اذا كنت له شافعا . وانما سميت شفعة الدار ، لأن صاحبها يشفع ما له بها ، ويضمها الى ملكه واصل الباب : الزوج من العدد : وقوله « ولا يقبل منها شفاعة » مخصوص عندنا بالكفار ، لأن حقيقة الشفاعة عندنا ان يكون في اسقاط المضار دون زيادة المنافع. والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي (ص) فيشفعه الله تعالى ، ويسقط بها العقاب عن المستحقين من أهل الصلوة لما روي من قوله « ع » : ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر

---

(١) سورة الفجر آية ٣ .

من امتي : وانما قلنا لاتكون في زيادة المنافع ، لأنها لو استعملت في ذلك ، لكان احدنا شافعاً في النبي «ص» اذا سأل الله ان يزيده في كراماته وذلك خلاف الاجماع فعلم بذلك ان الشفاعة مختصة بما قلناه وعلم بثبوت الشفاعة ان النفي في الآية يختص بالكفار دون أهل القبلة . والآيات الباقيات(١) نتكلم عليها اذا انتهينا اليها ان شاء الله.

والشفاعة ثبت عندنا للنبي«ص» وكثير من اصحابه ولجميع الأئمة المعصومين وكثير من المؤمنين الصالحين. وقيل ان نفي الشفاعة في هذه الآية يختص باليهود من بني اسرائيل ، لأنهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه واولاد انبيائه، وان اباءهم يشفعون اليه فأيسهم الله من ذلك ، فاخرج الكلام مخرج العموم . والمراد به الخصوص . ولابد من تخصيص الآية لكل احد ، لأن المعتزلة والقائلين بالوعيد يثبتون شفاعة مقبولة — وان قالوا انها في زيادة المنافع — واصل الشفاعة ان يشفع الواحد للواحد فيصير شفعا . ومنه الشفيع لأنه يصل جناح الطالب ويصير ثانياً له . والذي يدل على ان الشفاعة في اسقاط الضرر قول شاعر غطفان انشده المبرد :

وقالوا اتعلم ان مالك ان تصب يفدك وان يحبس بديل ويشفع (٢)

واستعملت في زيادة المنافع ايضاً ـ وان كان مجازاً لما مضى ـ قال الحطيئة في طلب الخير :

وذاك امرؤ ان تاته في صنيمة الى ما له لم تأته بشفيع

وقد استعملت الشفاعة بمعنى المعاونة انشد بعضهم للنابغة :

اتاك امرؤ مستعلن لي بغصة له من عدو مثل مالك شافع

أي معين وقال الاحوص :

كأن من لامني لاصرمها كانوا لليلى بلومهم شفعوا

أي تعاونوا .

قوله : «لا يؤخذ منها عدل»

---

(١) في المخطوطة «الباقية ».

(٢) يحبل : يزول .

اللغة :

والعدل ،والحق،والانصاف نظائر.والعدل: نقيض الجور يقال: عدلاعدل واعتدل اعتدالا . وتعادل تعادلا وتعدلا . وعادله معادلة . وعدله تعديلا والعـدل المرضي من الناس . يقع على الواحد والجماعة والذكر والانثى: فاذا قلت هم عدل قلت هما عـدلان والعدل : الحكم بالحق يقال هو حكم عدل ذو معدلة في حكمه وعـدل الشيء نظيره ومثله تقول عدلت بفلان فلانا اعدله . والعادل المشرك الذي يعدل بربه والعـدل ان يعدل الشيء عن وجهه فيميله تقول : عدلته عن كذا وعدلت انا عن الطريق والعديل الذي يعادلك في المحمل أو نحوه ماكان . وسمعت العرب تقول : اللهم لا عدل لك أي لا مثل لك. وفي الكفارة (عدل ذلك) أي مثله في العدل ، لا بالنظير بعينه والعدل الفداء ،لقوله :« لا يقبل منها عدل » وقيل ايضاً : ان العدل : الفريضة والصرف : النافلة وقوله « بربهم يعدلون (١) » أي يشركون . وقيـل لما يؤكل : معتدل اذا لم يكن فيه ضرر من حر أو برد . وتقول عدلته أي اقمتـه حتى اعتدل واستقام وعدلت فلانا عن طريقه والدابة عن طريقها :إذاعطفتها فانعدلت وانعدل(٢) الطريق . ويقولون الطريق يعدل الى مكان كذا وكذا . فاذا أراد الاعوجاج نفسه قال : ينعدل في مكان كذا وكذا أي ينعوج ، والاعتدال : الاستواء . فلان عدل حسن العدالة ، واصل الباب العدل الذي هو الاستقامة . والعدل المذكور في الآية الفدية . روي ذلك عن النبي (ص) وهو قول ابن عباس وابي العاليـة . وقال قوم هو بدل والفرق بين العِدل والعَدل ان العدل بالكسر المثل تقول عندي عدل جاريتك أي جارية مثلها . فاذا قلت عندي عَدل جاريتك يجوز ان يكون قيمتها من الثمن . ومن قرأ بالتاء فلأن الشفاعة مؤنثة ومن ذكر قال : لأن التأنيث ليس بحقيقي ولأن الفعل تقدم على المؤنث فاشبه علامة التثنية والجمع اذا تقدم الفعل سقط كذلك هنا . ومثله قوله : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وكقول الشاعر :

(١) سورة الانعام : آية ١ . وسورة الانعام آية ١٥٠

(٢) في المطبوعة « العدل »

فلا مزنة ودقت ودقها   ولا ارض ابقل ابقالها (١)

والتاء اجود ، لأنه أصل . والياء حسن .

قوله « ولاهم ينصرون » .

اللغة :

والنصر والمعونة والتقوية نظائر . وضد النصر الخذلان . يقال : نصرته نصرا وانتصر انتصاراً . واستنصر استنصاراً . وتناصر تناصراً . قال صاحب العين : النصر عون المظلوم . وفي الحديث : انصر اخاك ظالماً ومظلوماً معناه ان كان مظلوماً فامنع منه الظلم . وان كان ظالماً فامنعه من الظلم وانهه . والانصار : كالنصار وانصار النبي « ص » اعوانه وانتصر فلان : اذا انتقم من ظالمه . والنصير الناصر . والتنصر الدخول في النصرانية . والنصارى . منسوبون الى ناصرة ، وهي موضع . ونصرت السماء اذا امطرت . قال الشاعر :

اذا خرج الشهر الحرام فودعي   بلاد تميم وانصري ارض عامر

ونصرت الرجل : اذا اعطيته وانشد :

ابوك الذي اجدى عليّ بنصرة   فاسكت عني بعده كل قائل

وأصل الباب المعونة والنصرة قد تكون بالحجة وقد تكون بالغلبة فالله (عز وجل) ينصر جميع المؤمنين بالحجة التي تؤيدهم . واما النصر بالغلبة فبحسب المصلحة ولا يدل وقع الغلبة لبعض المؤمنين على انه مسخوط عليه كما انه ليس في تخلية الله بين الكفار وبين الانبياء دلالة على حال منكرة . وقد قتل الكفار كثيراً من الانبياء ونالوا منهم بضروب من الأذى قال الله تعالى « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق » (٢) وقوله : ثم بغي عليه لينصره الله معناه بالغلبة واما ما يأخذ له بالحق من الباغي عليه ، لينصر به من الله للمبغي عليه واقعة لا محالة والخذلان لا يكون الا للظالمين ، لأن الله تعالى لا يخذل اولياءه واهل طاعته .

(١) مر هذا البيت : ١ : ١٢٦

(٢) سورة الحج : آية ٦٠

وقوله : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » (١) أي بالمعونة التي توجب الغلبة ، لأن الله تعالى يقدر على اعطائهم ما يغلبون به كل من نازعهم ، ويستعلون على كل من ناوأهم . وحد النصرة: المعونة على كل من ظهرت منه عداوة ، وقد تكون المعونة بالطاعة فلا تكون نصرة . والفرق بين النصرة والتقوية ان التقوية قد تكون على صناعة والنصرة لا تكون الا مع منازعة . فاما قولهم : لا قبل الله منهم صرفا ولا عدلا فقال الحسن البصري : الصرف : العمل . والعدل : الفدية . وقال الكلبي : الصرف : الفدية والعدل : الفريضة وقال ابو عبيدة : الصرف : الحيلة . والعدل : الفدية . وقال ابو مسلم : الصرف : التوبة والعدل : الفداء قوله تعالى :

«وَاذ نجيناكم مِن آل فِرعَون يَسومُونكم سوءَ العَذاب يُذبّحون ابناءَكم وَيستَحيونَ نِساءكم وَفي ذلِكُم بلاءٌ مِن رَبكم عَظيمٌ». آية بلا خلاف (٤٩) .

هذه الآية عطف على ما تقدم من قوله « اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم » و « اذا » ههنا متعلقة بذلك كأنه قال اذكروا نعمتي عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون ونظيره « والى ثمود اخاهم صالحاً » (٢) لما تقدم ما يدل على « ارسلنا » وهو قوله : « لقد ارسلنا نوحاً الى قومه » (٣) فكأنه قال : وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحاً والخطاب وان كان متوجهاً الى الحاضرين في الحال ، فالمراد به من سلف لهم من الآباء . كما يقول القائل : هزمناكم يوم ذي قار ، وقتلناكم يوم الفجار (٤) وانما يعني الاسلاف . قال الاخطل يهجو جريراً :

ولقد سما لكم الهذيل فنالكم باراب حيث يقسّم الانفالا (٥)

وجرير لم يلحق هذيلا

«١» آل عمران : آية ١٦٠ «٢» سورة الاعراف : آية ٧٢ «٣» سورة الاعراف آية ٥٨ «٤» في المطبوعة والمخطوطة « الجفار » «٥» ديوانه ، ونقائض جرير والاخطل ، والهذيل هذا هو ابن هبيرة التغلبي غزا بني يربوع باراب « وهو ماء لبني رياح بن يربوع » وبني تميم تنزع اولادها باسمه . والانفال : الغنائم . وفي المطبوعة والمخطوطة « نقسّم » بدل يقسم .

ولا ادرك اراب. وقد بينا ان النعمة على الآباء نعمة على الاولاد ، فلا وجه لأعادته .

اللغة :

ومعنى « نجيناكم » فالنجاة ، والسلامة ، والاسعاد ، والتخلص نظائر . وضد النجاة الهلاك تقول : نجا ينجو نجاة . وانجاه الله : إنجاء ونجاه تنجية . وانتجوا انتجاء واستنجى استنجاء ، وتناجوا تناجياً . قال صاحب العين : نجا ينجو نجاة فى السرعة فهو ناج : اي . سريع وناقـــة ناجية اي سريعة وتقول نجوت فلاناً اي استنكهته قال الشاعر :

نجوت مجالدا فوجدت منــه كريح الكلب مات حديث عهد

ونجا بنو فلان اذا احدثوا ذنبــاً او غيره ، والاستنجاء : التنظيف بمدرأ وماء . والنجاة هي النجوة من الارض وهي التي لا يعلوها السيل . قال الشاعر :

فمن بنجوته كمن بمقوتـــه والمستكن كمن يمشي بقرواح

والنجو : السحاب اول ما ينشا وجمعه نجاء . والنجوة : مــا خرج من البطن من ريح وغيرها . والنجو : استطلاق البطن يقـال : نجا فلان نجوا والنجو : كلام بين اثنين كالسر والسار . تقول ناجيتهم فتناجوا بينهم ، وكذلك انتجوا وهم جميعاً نجوى وكلامهم نجوى ، وفلان نجّي فلان اي يناجيه دون غيره ، قال الشاعر :

إني اذا ما القوم كانوا انجيــه واضطرب القوم اضطراب الارشيه

والنجا : ما القيتـــــه عن نفسك من ثياب او سلخته عن الشـــاة . تقول : نجوت الجلد انجوه نجا اذا كشطته ونجوت العود اي اقتضبته وقال بعض المفسرين في قوله : « فاليوم ننجيك ببدنك » (١) أي نلقيك على نجوة . وأصل الباب : النجوة وهي الارتفــاع . والفرق بين النجاة وبين التخلص ان التخلص قد يـكون من تعقيد ليس باذى وليس كذلك النجاة ، لانها لا تـكون الا من مكروه وكل نجاة : نعمة ولا يقال : لمن لاخوف عليـــه نجا ، لأنه لا يـكون ناجياً الا مما يخاف مثله .

---

(١) سورة يونس آية : ٩٢ .

قوله « من آل فرعون » فالآل ، والأهل ، والقرابة ، نظائر ، وقيل اصل الآل الأهل ، لأنه يصغر اهيل : وحكى الكسائي : اويل فزعموا انها ابدلت . كما قالوا : ايهات وهيهات . وكما قالوا ماء واصلها ماه بدليل قولهم مويه في التصغير . وفي الجمع : امواه ومياه . وقيل : لا بل أصل على حياله: والفرق بين الآل والأهل ان الأهل اعم منه يقال أهل الكوفة ولا يقال آل الكوفة . ويقال أهل البلد ولا يقال آل البلد. وآل فرعون : قومه واتباعه وقال صاحب العين : الآل كل شيء يؤول الى شيء : اذا رجع اليه تقول : طبخت العصير حتى آل الى كذا . واولى كلمة وعيد على وزن فعلى والآل : السراب وآل الرجل : قرابته واهل بيتـه . وآل البعير : الواحه ، وما اقترب من او طار جسمه . وآل الخيمة عمدها . والآلة : شدة من شدائد الدهر قالت الخنساء :

سأحمل نفسي على آلة اما عليها واما لهـا

وآل الجبل : اطرافه . ونواحيه ، وقال ابن دريد آل كل شيء : شخصه . وآل الرجل : اهله . وقراباته . قال الشاعر :

ولا تبك ميتا بعد ميت اجنه علي وعباس وآل ابي بـكر

والآلة : الحربة . وأصل الباب : الأول . وهو الرجوع . قال ابو عبيدة : سمعت أعرابياً فصيحاً يقول أهل مكة آل الله : فقلنا : ماتعني بذلك ؟ قال : اليسوا مسلمين ، والمسلمون آل الله ؟ قال وقال : ليس يجوز ان ينصب رجلا من المسلمين . فيقول آل فلان . وانما يجوز ذلك للرئيس المتبع . وفي شبه مكة لأنها ام القرى . ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له فان جاوزت هذا فان آل الرجل اهل بيته خاصة فقلنا له : افيقول لقبيلته (١) آل فلان . قال : لا إلا أهل بيته خاصة .

وفرعون اسم لملوك العمالقة كما قيل : قيصر لملك الروم . وكسرى : لملك الفرس . وخاقان : لملك الترك . والاخشاذ : لملك الفراعنة وتبع : لملك التبابعة فهو على هذا بمعنى الصفة ،لأنه يفيد فيه انه ملك العمالقة بنفس الصفة الجارية عليه وعلى غيره

(١) في المطبوعة والمخطوطة : (فقلت له فتقول للقبيلة) .

وقيل : ان اسم فرعون مصعب بن الريان ، وقال محمد ابن اسحاق : هو الوليد بن مصعب .

ومعنى قوله : « يسومونكم سوء العذاب » اي يولونكم سوء العذاب .

اللغة :

يقال سامه خطة خسفاً : اذا اولاه ذلك . قال الشاعر :

ان سيم خسفاً وجهه تربدا (١) .

وقيل يجشمونكم سوء العذاب . والسوم ، والتجشم ، والتحمل ، نظائر . يقال : سامه الشقة وجشمه اياها وحمله اياها بمعنى [واحد] . يقال : سام ، يسوم ، سوما . وساومه ، واستامه ، استياما . وتساوموا تساوماً . وسوم تسويماً . والسوم سومك سلعة ومنه المساومة والاستيام . والسوم من سير الابل . وهبوب الرياح اذا كان مستمراً في سكون . يقال : سامت الرياح . وسامت الابل وهي تسوم سوما والسوام هي الغنم السائمة . واكثر ما يقال ذلك في الابل خاصة ، والسائمة تسوم الكلأ سوما : اذا داومت رعيه . والراعي يسيمها والمسيم الراعي . والسويم : العلامة على الجبل يقال : سوم فلان فرسه : إذا اعلم عليه بحريرة او شيء يعرف به والسما : في الأصل ياء وهاء وواو وهي العلامة التي يعرف بها الخير والشر في الانسان ومنه قوله : « سيماهم في وجوههم » (٢) « وتعرفهم بسيماهم » (٣) وقوله : « يعرف المجرمون بسيماهم » (٤) ويقال سيماء الخير وسمت فلانا سوء العذاب من المشقة . وقال ابن دريد سام الرجل ما شيته يسومها سوماً اذا رعاها فالماشية سائمة . والرجل مسيم ولم يقولوا سام خرج من القياس . وأصل الباب : السوم(٥) الذي هو ارسال الابل في المرعى وقوله : سوء العذاب » « واليم العذاب » « وشديد العذاب نظائر . يقال : ساءه يسوءه سوء واساء اساءة . قال صاحب العين : السوء اسم العذاب الجامع للآفات

(١) الخسف : الظلم والهوان . تربد وجهه : تلون من الغضب كانما تسود منه مواضع .
(٢) سورة الفتح آية : ٢٩ . (٣) سورة البقرة آية : ٢٧٣ .
(٤) سورة الرحمن آية : ٤١ . (٥) السوم ساقطة من المخطوطة . المطبوعة . هامش

والداء تقول سؤت فلانا اسوءه مساءة ومسائية : وتقول اردت مساءتك ومسائتيك واسأت اليه في الصنع واستاء فلان من السوء . كقوله : اهتم من الهم وسؤت فلانا وسوءت له وجهه . وتقول اساء ما صنع والسيء والسيئة اسم الخطيئة والسوأى فعلى اسم للفعلة السيئة بمنزلة الحسنى وامرأة سوء قبيحة والسوءة السوأى للفعلة القبيحة يقال للرجل السوء. والسوأة الفرج لقوله: «فبدت لهما سوأتهما» (١) والسوأة كل عمل يشين ، تقول سوأة لفلان ، تعيبه لأنه ليس بخير والسوأة السؤى : المرأة المخالفة ، وتقول في النكرة رجل سوء فاذا عرفته قلت : الرجل السوء لا تضيفه . وتقول عمل سوء وعمل السوء . ورجل صدق ولا تقول الرجل الصدق لأن الرجل ليس من الصدق . وكلما ذكر بسيء فهو السوء . ويكنى عن البرص بالسوء . كقوله : « بيضاء من غير سوء » (٢) . أي من غير برص . وتقول : الأخير في قول السَّوء ولا في قول السُّوء . فاذا فتحت السين فعلى ما وصفناه . واذا ضممته فمعناه لا تقل سوء . وأصل الباب : السوء من قولك : ساء يسوء سوءً ، ثم كثر حتى صار علماً على الضر القبيح ، فقالوا اساء يسيء اساءة . نقيض احسن يحسن احسانا .

وقوله : « يذبحون ابناءكم » .

اللغة :

فالذبح ، والنحر ، والشنق : نظائر والذبح : فري الاوداج : يقال ذبح ذبحا واستذبح استذباحا ، وتذابحوا تذابحا . وذبح تذبيحاً وأصل الذبح الشق وذبحت المسك اذا فتقت عنه ، فهو ذبيح ومذبوح والذبح : الشيء المذبوح لقوله : « وفديناه بذبح عظيم » (٣) والذباح والذبحة بفتح الباء وتسكينها ، داء يصيب الانسان في حلقه. وتقول العرب : حي الله هذه الذبحة · اي هذه الطلعة . والذباح : الشقوق في الرجل اصله : ذباح في رجله . والذبح نور أحمر . وسعد الذابح : كوكب معروف من

---

(١) سورة الاعراف آية : ٢١ ، وسورة طه آية : ١٢١ .

(٢) سورة طه آية : ٢٢ ، وسورة النمل آية : ١٢ ، وسورة القصص آية : ٣٢ .

(٣) سورة الصافات آية : ١٠٧ .

منازل القمر . قال صاحب العين : الذبح : قطع الحلقوم من باطن . وموضعه المذبح والمذبح السكين الذي يذبح به الذباح والذباح. نبات من الشجر قال الاعشى : « انما قولك صاب وذبح » . وقال آخر : « كان عيني فيها الصاب مذبوح » (١) وأصل الباب الشق .

قوله : « يستحيون نساءكم » إنما قال نساءكم وهم كانوا لا يستبقون الأطفال من البنات تغليباً ، لأنهم كانوا يستبقون الصغار والكبار كما يقال : أقبل الرجال وإن كان معهم صبيان ، وقيل إن اسم النساء يقع على الكبار والصغار ، وقيل : انهم سموا بذلك على تقدير انهن يبقين حتى يصرن نساء . والمرأة والنساء والزوجات ، نظائر . ولا واحد للنساء من لفظه . ويقال : الرجال والنساء على وجه النقيض . قال صاحب العين : النسوة ، والنسوان ، والنسين ، كل ذلك مثل النساء .

قوله : « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » البلاء ، والاحسان ، والنعمة ، نظائر في اللغة . وبلي ، يبلى بلى فهو بال والبلاء لغة . قال الشاعر :

والمرء يبليه بلاء السربال　　　تناكر الليالي واختلاف الأحوال

والبلية الدابة التي كانت تشد في الجاهلية عند قبرصا حبها راسها فى الركبة حتى تموت . ومنها ما يعقر عند القبر حتى يموت وناقة بلو مثل نضو قد أبلاها السفر . والفعل من البلية . ابتليت وتقول : بلي الانسان وابتلي . والبلاء على وجهين في الخير والشر . والله تعالى يبلي العبد بلاء حسناً . وبلاء سيئاً . وابليت فلاناً عذراً أي بليت فيما بينه وبيني بما لا لوم علي بعده . والبلوى : هي البلية ، والبلوى التجربة . تقول بلوته بلوى . وأصل الباب التجربة . والبلاء : الامتحان الذي فيه انعام . والبلاء : الامتحان الذي فيه انتقام ، فاذا اردت الانعام ، قلت : ابليته بلاء حسناً . وفي الاختبار : تقول بلوته بلاء . قال الله تعالى : « ونبلوكم بالخير والشر فتنة » (٢)

---

(١) قاله ابو ذؤيب الهذلي . وصدر البيت « انى ارقت فبت الليل مشتجراً » وفي الحكم (مرتفقا) بدل « مشتجراً » ولعلهما روايتان . والمشتجر : الذي يضع يده تحت حنكه مذكر الشدة همه . ـ لسان العرب ـ .

(٢) سورة الانبياء آية ٣٥ .

وقال في الانعام : « وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً » قال زهير :

جزى الله بالاحسان مافعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو(١)

فجمع المعنين لأنه اراد : وانعم عليهما خير النعم التي يختبر بهـــا عباده ، وقال الأحنف : البلاء ثم الثناء ، يعني الانعام ، ثم الشكر ،

المعنى :

وإنما كان في استحياء النســـاء محنة عليهم . وبلوى لهم ، لأنهم كثيراً يستعبدون ، وينكحن على الاسترقاق . فهو على رجالهن اعظم من قتلهن . وقيـل : إنهن كن يستبقين الاذلال ، والاستبقاء ، محنة ، كما ان من أحيي : للتعذيب فحياته نقمة . ومن احيي للتلذيذ فحياته نعمة .

والأبناء جمع ابن . والمحذوف من الابن عند الاخفش الواو ، لانهـا اثقل وهي بالحذف اولى . وقال الزجاج : يجوز أن يـكون المحذوف ياء وواواوهما سيان ولا حجة في البنوة كما لاحجة في الفتوة . لقولهم فتيان قال : وقد جاء حذف الياء. كما في يد . كقولهم يديت اليه يدا . وفي دم قال الشاعر :

فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين

والقتل الذي هو فري الاوداج ، او نقض بنية الحياة يقدر الواحد منا عليه وأما الموت بتسكين الحركة الحيوانية ، او فعل ضد الحيوة عند من قال : لها ضد ، فلا يقدر عليه غير الله .

الاعراب :

وموضع « يسومونـكم سوء العذاب » يحتمل أمرين من الاعراب : —

احدها الاستئناف : فيـكون موضعه رفعاً ، كأنه قال : يسومونـكم من قبل ذلك سوء العذاب .

---

(١) سورة الانفال آية ١٧ .

(٢) ديوانه . وروايته « رأى الله ... فأبلاهما » .

والثاني : — أن يكون موضعه نصباً على الحال من آل فرعون . والعامل فيه نجيناكم .

« ويسومونكم سوء العذاب » كان بذبح الابناء واستحياء النساء . وقيل : باستعمالهم في الاعمال الشاقة . واستحياء النساء كان بان يستبقين . وقيل انه كان يفتش احياء النساء عما يلدن ، وقيل : انهم كانوا يستحيون ان يلجوا على النساء في بيوتهن اذا انفردن عن الرجال صيانة لهم فعلى هذا يكون انعاما عليهن . وهذا بعيد من من اقوال المفسرين . والسبب فى أن فرعون كان يذبح الابناء ويستحيي النساء ماذكره السدي وغيره ، أن فرعون رأى في منامه نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر . فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل ، واخربت مصر فدعى السحرة والكهنة والقافة . فسألهم عن رؤياه فقالوا : يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه ـ يعنون بيت المقدس ـ رجل يكون على يده هلاك مصر . فامر بني إسرائيل الا يولد لهم غلام إلا ذبحوه . ولا جاريه الا تركت . وليس في الآية دلالة على سقوط القود عمن قتل غيره مكرها ولا القود على المكره ولاان كان مختاراً غير مكره . فالقود عليه لأنه لم يجر لذلك ذكر : فان قيل اذا كانوا نجوهم والله انجاهم . ما المنكر أن يكون العاصي هو الذي عصى الله والله خلق معصيته؟ قيل :لا يجب ذلك . الا ترى انه يقال قد ينجيني زيد فانجو . وان لم يكن فعل بلا خلاف . وكذلك اذا استنقذنا النبي « ص » من الضلالة تخلصنا لا يجب ان يكون من فعل فعلنا . واخبار الله اليهود بهذه القصة على لسان رسوله من دلائل نبوته ، لأن منشأه معروف وبعده عن مخالطة الكتابيين معلوم .

قوله تعالى :

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠) — آية .

موضع اذا نصب كما تقدم وهو عطف على ما مضى . فكأنه قال : واذكروا اذ فرقنا بكم البحر : وذلك من جملة نعم الله تعالى التي عددها عليهم مما فعله

مع اسلافهم ·

ومعنى فرقنا بكم البحر أي فرقنا بين الماءين حتى مررتم فيه وكنتم فرقا بينهما ·

اللغة :

والفرق والفصل والقطع نظائر : والفرق يقتضي الجمع يقال فرق فرقا . وافرق المريض افراقا وافترق الشيء افتراقا · واستفرق استفراقا · وفرقه تفريقا ·وتفارقوا تفارقا وتفرق تفرقا وفارقه مفارقة وانفرق انفراقا والفرق موضع المفرق من الرأس والفرق تفريق ما بين الشيئين والفرق فرجك ما بين شيئين تفرق بينهما فرقا، حتى يتفرقا ويفترقا ، وتقول تفارق هؤلاء الصبحة أي فارق بعضهم بعضاً ، وافترقوا وتقول : مشطت الماشطة كذا وكذا فرقا · أي كذا وكذا ضربا · والفرق طائفة من الناس · قال أعرابي لصبيان رآهم هؤلاء فرق سوء والفرق : الطائفة من كل شيء ، ومن الماء ، اذا انفرق بعضه عن بعض · وكل طائفة من ذلك فرق · وقوله : « فكان كل فرق كالطود العظيم » (١) يعني الفرق من الماء ، والفريق الطائفة من الناس · والفرقة : مصدر الافتراق · وهو احد ما خالف فيه مصادر افعل · والفرقان : اسم للقرآن · وكل كتاب انزل الله وفرق به بين الحق والباطل فهو فرقان · وسمى الله تعالى التوراة فرقانا · وقوله : « يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (٢) كان يوم بدر ويوم احد فرق الله بين الحق والباطل · والفرق هو الفلق . والمفرق هو مكيال لأهل العراق والفرق : الخوف . تقول : رجل فروقة وامرأة فروقة والفعل فرق يفرق من كذا فرقا . وقوله: «وقرآناً فرقناه» (٣) ـ مخفف ـ معناه احكمناه كقوله: « فيها يفرق كل أمر حكيم » (٤) وتقول : مفرق ما بين الطرفين . وافرق فلان من مرضه افراقا اذا برىء ولا يكون الافراق إلا من مرض لا يصيب الانسان إلا دفعة واحدة : نحو الجدري ، والحصبة ، وديك افرق : اذا انفرق عرفه . وتيس افرق : اذا تباعد طرفا قرنيه . ورجل فروقة وكذلك المرأة : مثل ، نسابة وعلامة ·وجاء مصدر فرقته

---

(١) سورة الشعراء : آية ٦٤ . (٢) سورة الانفال : آية ٤١ . (٣) سورة الاسراء آية ١٠٦ . (٤) سورة الدخان : آية ٤ . وسورة الرحمن آية ١٩

تفرقة . والفرق الذي جاء في الحديث : ما اسكر الفرق . فالجرعة منه حرام ، مكيال يمرلب بالمدينة . وفرقة من الناس وجمعه فرق . واصل الفرق الفصل بين الشيئين . والفريقة حلبة تطبخ بتمر للنفساء . وغيرها .

والبحر يسمى بحراً وهو انبساطه وسعته ويقال استبحر فلان في العلم وتبحر لاستبحاره اذا اتسع فيه وتمكن منه (١) . ويقال تبحر الراعي في رعي كثير . قال امية الصغير :

انفق نصابك في نفل تبحره   من الاباطح واحبسها بجلدان

وتبحر فلان في الماء . ومن ذلك بحيرة طبرية وهي عشرة اميال في ستة اميال وقيل : هي علامة خروج الدجال اذا يبست ، فلا يبقى منها قطرة ماء . وبحرت اذن الناقة بحراً اذا شققتها . وهي البحيرة وكانت العرب تفعل ذلك اذا انتجت عشرة ابطن فلا تركب ولا ينتفع بظهرها . فنهى الله عن ذلك . والسائبة التي تسيب فلا ينتفع منها بظهر ولا لبن . والوصيلة في الغنم كانت اذا وضعت انثى تركت وان وضعت ذكراً أكله الرجال ، دون النساء . وان ماتت الانثى الموضوعة اشتركوا في أكلها ، وان ولد مع الميتة ذكر حي اتصلت به ،كانت للرجال دون النساء . ويسمونها وصيلة . وقد قيل غير ذلك سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى . والباحر الاحمق الذي لبس في حديثه اذا كلم بقي كالمبهوت . وبحراني منسوب الى البحرين ودم بحراني وباحر : اذا كان خالص الحمرة من دم الجوف . والعرب تسمي المالح والعذب بحراً اذا كثرومنه قوله : « مرج البحرين يلتقيان » (٢) يعني المالح والعذب وأصل الباب الاتساع . والبحر : هو المجرى الواسع الكثير الماء . واما المالح : فهو الذي لا يرى حافتيه من في وسطه ، لعظمه وكثرة مائه . فدجلة بحر بالاضافة الى الساقية . وليست بحراً بالاضافة الى جدة ، وما جرى مجراها .

المعنى :

ومعنى قوله « فرقنا بكم البحر » أي جعلناكم بين فرقيه تمرون في طريق يبس

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة « فيه » (٢) سورة طه : آية ٧٧ .

كما قال تعالى: «فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا»(١) وقال: «واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فكان كل فرق كالطود العظيم»(٢) وقال بعضهم في معنى فرقنا يعني بين الماء وبينكم أي فصلنا بينكم وبينه حجزنا حيث مررتم فيه وهذا خلاف الظاهر، وخلاف ما بينه في الآيات الاخر التي وردت مفسرة لذلك، ومبينة لما ليس فيه اختلاف.

وقوله:

«واغرقنا آل فرعون»

اللغة:

قال صاحب العين: الغرق: الرسوب في الماء ويشبه به الدين والبلوى والتغريق والتغويص والتغييب نظائر. والنجاة ضد الغرق كما انها ضد الهلاك. يقال غرق غرقا واغرق في الامر اغراقا. وغرقه تغريقا وتغرق تغرقا. ورجل غرق وغريق. وغرقت السيل واغرقته اذا بلغت به غاية المد في النفوس. والفرس اذا خالط، ثم سبقها: يقال اغترقها. والغرق من اللبن القليل. قال ابن دريد: غرق يغرق غرقا في الماء. وغرق في الطيب، والمال. واصله في الماء. وكثر فاستعمل في غيره. وكذلك غرق في الذنوب. واغرق في الامر يغرق إغراقا: اذا جاوز الحد فيه. واصله من نزع السهم حتى يخرجه من كبد القوس. واغرورقت عيناه: شرقت بدمعها. وجمع غريق: غرقى واصل الباب الغرق: الرسوب في الماء.

وقوله:

«وانتم تنظرون» قال المفسرون: وانتم ترون ذلك وتعاينونه.

اللغة:

والنظر والبصر والرؤية نظائر في اللغة. يقال نظر ينظر نظراً. وانظر ينظر انظاراً. وانتظر انتظاراً. واستنظر استنظاراً. وتناظر تناظراً. وناظره مناظرة.

---

(١) سورة الشعراء: آية ٦٤.

قال صاحب العين : نظر ينظر نظراً ـ بتخفيف ـ المصدر . وتقول : نظرت الى كذا — من غير ذكر العين — ونظرت في الكتاب ونظرت في الأمر . وقول القائل انظر الى الله تعالى ، ثم اليك معناه اني اتوقع فضل الله ثم فضلك . ويقال : نظرت بعلمي ويقال انظر الدهر اليهم أي اهلكهم قال الشاعر :

نظر الدهر اليهم فابتهل

والنظر: الاسم من نظر . وقوله : (لا ينظر اليهم) أي لا يرحمهم . والمنظور من الناس هو المرجو فضله . ينعت به السيد . والنظور : الذي لا يغفل عن النظر الى ما اهمه . والمناظرة ان تناظر اخاك في امر تنظر انت في ذلك وينظر هو فيه كيف تأتيانه . والمنظرة موضع في رأس جبل يكون فيه رقيب ينظر فيه الى العدو ويحرس اصحابه . والمنظرة منظرة الرجل اذا نظرت اليه اعجبك أواساءك . تقول: انه لذو منظرة بلا مخبرة والمنظر مصدر كالنظر . والمنظر: الشيء الذي يعجب بالنظر اليه ويسر به . تقول : ان فلانا لفي منظر ومسمع وفي ري ومشبع أي فيما أحب النظر اليه. ونظار بمعنى انتظر في الامر . وناظر العين : النقطة السوداء الخالصة الصافية التي في جوف سوداء العين مما يرى انسان العين والنظير : نظيرك الذي هو مثلك . والانثى نظيرة . وجمعه نظائر في الكلام والانشاء . ونظرته وانتظرته بمعنى واحد ويقول انظرني يافلان أي استمع الي لقوله : « لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا » (١) وتقول : بعت فلانا فانظرته . أي انسأته والاسم النظرة . ومنه قوله : « فنظرة الى ميسرة » (٢) أى فانتظار . واستنظر فلان — من النظرة — : اذا هو سأل . والنظر توقع أمر تنتظره . وبفلان نظرة أى سوء هيئة وقوله : « انظرونا نقتبس من نوركم (٣) » أي انتظرونا . واصل الباب كله الاقبال نحو الشيء بوجه من الوجوه . وقال قوم : إن النظر اذا كان معه الى، لا يحتمل الا الرؤية . وحملوا قوله « الى ربها ناظرة » (٤) على ذلك وقالوا لا يحتمل التأمل . وذلك غلط ، لأنهم

---

(١) سورة البقرة : آية ١٠٤ . (٢) سورة البقرة آية ٢٨٠ .

(٣) سورة الحديد : آية ١٣ . (٤) سورة القيامة : آية ٢٣ .

يقولون : انما انظر الى الله ثم اليك بمتى اتوقع فضل الله ثم فضلك . وقال الطريح ابن اسماعيل :

واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك جرتني نعماء (١)

وقال جميل بن معمر :

اني اليك لما وعدت لناظر نظر الفقير الى الغني الموسر (٢)

وقال آخر :

وجوه يوم بدر ناظرات الى الرحمان تأتي بالفلاح

واتوا بـ (الى) على معنى نظر الانتظار والصحيح ان النظر لا يفيد الرؤية وانما حقيقته تحديق الجارحة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته ولو افاد الرؤية ، لما جعل غاية لنفسه ، الا تراهم يقولون : ما زلت انظر اليه ولا يقولون ما زلت أراه حتى رأيته ، ولأنهم يثبتون النظر وينفون الرؤية يقولون : نظرت اليه فلم أره ولا يقولون رأيته فلم أره .

المعنى :

فاذا ثبت هذا ، فالأولى ان نقول : إن تأويل الآية « واغرقنا آل فرعون » وانتم مقبلون عليهم متوقعون له وقال الفراء قد كانوا في شغل من ان ينظروا مستورين بما اكتنفهم من البحر من ان يروا فرعون وغرقه ولكنه كقولك : قد ضربت واهلك ينظرون . فما اتوك ، ولا اعانوك . ومعناه وهم قريب بمرأى ومسمع ومثله قوله : « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » (٣) وليس ههنا رؤية ، وانما هو علم ، لأن الرؤية تستعمل في مثل ذلك يقول القائل رأيت فرعون اعتى الخلق واخبثه وهذا الذي ذكره الفراء محتمل مليح ، غير انه مخالف لقول المفسرين كلهم فانهم لا يختلفون أن اصحاب موسى رأوا انفراق البحر والتطام امواجه بآل فرعون ، حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر مع احتماله ولأنهم اذا عاينوا ذلك ، كانوا

---

(١) طريح بن اسماعيل الثقفي شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليله والبيت لم نعثر عليه وهو كما ترى (٢) لم نجده في ديوانه ولا في بعض مراجعنا الاخرى (٣) سورة الفرقان : آية ٤٥.

أشد في قيام الحجة ، واعظم في ظهور الآية وذكر الزجاج وجهاً آخراً قال : معناه وانتم بازائهم . كما يقول القائل : دور آل فلان الى دور آل فلان أي هي بازائها ، لأنها لا تبصر .

قصة موسى (ع) :

وقصة فرعون مع بني اسرائيل في البحر . ولا نعلم جملة ما قال ابن عباس : ان الله اوحى الى موسى « ان اسر بعبادي إنكم متبعون » (١) فسرى موسى ببني اسرائيل ليلا « فأتبعه فرعون » (٢) في الف الف حصان سوى الاناث . وكان موسى في ستمائة الف . فلما عاينهم قال : « ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون » (٣) فسرى موسى ببني اسرائيل حتى هجموا على البحر « فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون » فقالوا ياموسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا » (٤) هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه « قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون » (٥) قال فاوحى الله الى موسى « ان اضرب بعصاك البحر » واوحى الى البحر ان اسمع لموسى واطع اذا ضربك . قال فبات البحر له أفكل أي له رعدة لا يدري من أي جوانبه يضربه . قال فقال يوشع لموسى (ع) بماذا امرت قال : امرت ان اضرب البحر . قال فاضربه . فضرب موسى البحر بعصاه ، فانفلق ، فكان اثنا عشر طريقاً كالطود العظيم فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فلما اخذوا في الطريق ، قال بعضهم لبعض : ما لنا لا نرى اصحابنا قالوا لموسى : اصحابنا لا نراهم . فقال لهم : سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم . فقالوا لا نرضى حتى نراهم . فيقال ان موسى قال لله تعالى : اللهم اعني على اخلاقهم السيئة . فاوحى الله اليه انقل (٦) بعصاك هكذا يميناً وشمالا . فصار فيها كوى ينظر بعضهم الى بعض . قال ابن عباس : فساروا حتى خرجوا من البحر . فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون هو واصحابه وكان فرعون على فرس أدهم ذنوب (٧) حصان . فلما هجم على البحر هاب

(١ و ٢) سورة الشعراء : آية ٥٣ (٣) الشعراء آية ٥٥ و ٥٦ . (٤ و ٥) سورة الاعراف آية ١٢٨ . (٦) و المطبوعة « أن قل » (٧) طويل الذنب . في المطبوعة والمخطوطة « ديوب »

الحصان ان يتقحم على البحر ، فتمثل له جبرائيل على فرس انثى وديق (١) فلما رآها الحصان تقحم خلفها : وقيل لموسى ترك البحر رهواً أي طرقا على حاله . ودخل فرعون وقومه البحر فلما دخل آخر قوم آل فرعون وجاز آخر قوم موسى ، انطبق البحر على فرعون وقومه فأغرقوا . ويقال نادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى ، وعرف ذله وخذلة نفسه : لا إله إلا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين فان قيل : كيف لم يسو الله بين الخلق في هذه الآيات الباهرات التي اعطاها بني اسرائيل لتكون الحجة أظهر والشبهة أبعد ؟ قيل الآيات يظهرها الله على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك ، وعلى حد لا ينتهي الى الالجاء والاضطرار وخولف بين الآيات لهم على قدر حدة اذهان غيره ، وكلالة اذهانهم يدل على ذلك ان بعد مشاهدة هذه الآيات قالوا ياموسى أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . ولما كانت العرب من أحدّ الناس اذهاناً وأجودهم أوهاماً جاءت الآيات مشاكلة لطباعهم ومجانسة لدقة اذهانهم . وفي الجميع الحجة الباهرة ، والآية القاهرة وليس يمكن ان يقال انه لو ظهر لهم مثل تلك الآيات ، لامنوا لا محالة . على وجه لا يكونون ملجئين اليه لأن ذلك لو كان معلوما ، لأظهره الله تعالى . فلما لم يظهرها الله علمنا انه لم يكن ذلك معلوما وموسى « ع » لم يكن مجتلباً الى المعارف ، لمشاهدته هذه الآيات ، لأنه كان يقدم له الايمان بالله ومعرفته .

وقوله :

« واغرقنا آل فرعون » وان لم يكن في ظاهره انه أغرق فرعون فهو دال عليه . وكأنه قال : وأغرقنا آل فرعون معهم ، وانتم تنظرون فاختصر لدلالة الكلام عليه ، لأن الغرض مبني على اهلاك فرعون وقومه و نظيره قول القائل : دخل جيش الامير البادية . فان الظاهر من ذلك أن الامير معهم .

قوله تعالى :

---

(١) وديق : تشتهي الفحل

« وَاذْ واعَدنا موسى اربَعين لَيلةً ثمَّ اتخذتمُ العجل مِن بعدِه وانتم ظالِمُونَ » (٥١)

القراءة :

قرأ « واعدنا » بغير الف أهل البصرة ، وابو جعفر هنا وفي الاعراف ، وطه وقرأ الباقون بالف قبل العين ، وقرأ ابن كثير وحفص والبرجمي ورويس (اتخذتم) (واخذتم) وما جاء منه باظهار الذال . ووافقهم الأعشى فيما كان على وزن افتعلت وافتعلتم . الباقون بالادغام . حجة من قرأ باثبات الالف دلالة الله على وعده وقبول موسى لأنه اذا حسن في مثل قوله : « اخلفوا الله ما وعدوه »(١) الاخبار كان هنا في الاختيار واعدنا . ومن قرأ بالالف ، قال: هو اشد مطابقة للمعنى اذا القبول ليس بوعد في الحقيقة انما هو اخبار الموعود بما يفعل به من خير . وعلى هذا قوله : « اخلفوا الله لما وعدوه » مجاز حقيقة بما اخبروه انهم فاعلوه وقال جماعة من أهل العلم : ان المواعدة في الحقيقة لا تكون إلا من البشر والله تعالى هو المتفرد بالوعد والوعيد . كما قال تعالى « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين » «٢» وقال : « وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات » «٣» والقراء تان جميعاً صحيحتان قويتان

اللغة :

« واذ » معطوفة على الآيات المتقدمة : كأنه قال : واذكروا اذ وعدنا وبينا وجه الحسن فيه فالوعد ، والعدة ، والموعد والميعاد ، نظائر . والوعد في الخير والوعيد في الشر يقال وحده : وعدا . واوعده : ايعاداً . وواعده : مواعدة . تواعدوا : تواعداً . واتعدوا : اتعاداً . وتوعدوا ـ في الشرخاصة ـ قال صاحب العين : الوعد والعدة مصدران ويكونان اسمين . فاما العدة فيجمع على العدات والوعد لا يجمع . والموعد : موضع التواعد . وهو الميعاد . ويكون الوعد مصدر وعدته . ويكون الموعد وقتاً للحين . والموعدة اسم العدة . والميعاد : لا يكون

«١» سورة التوبة آية ٧٨ «٢» الانفال آية ٩ «٣» سورة المائدة آية ١٠ والفتح ٣٩ والنور ٥٥

إلا وقتاً أو موضوعا . والوعيد من التهدد : أوعدته المكاره ويقال ايضاً : وعدته من الشر كقوله : « النار وعدها الله الذين كفروا » (١) ووعد الفحل : اذا هم ان يصول . واصل الباب: الوعد الذي هو الخبر بانه سيفعل بالمخبر به خيراً أو شراً وقال احمد ابن يحيى : تقول أوعدته ، وتسكت أو تجيء بالباء تقول: أوعدته بالشر ولا تقول اوعدته الشر .

وموسى اسم مركب من اسمين بالقبطية (مو) هو الماء و (سى) شجر . وسمي به ، لأن التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء ، والشجر وجدته جواري آسية امرأة فرعون وقد خرجن ليغتسلن ، فسمي بالمكان الذي وجد فيه وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب اسرائيل الله .

المعنى :

وقال : « اربعين ليلة » ولم يقل يوماً على عادة العرب في التاريخ بالليالي ، لأن الأهلة تطلع فيها . واعتمادهم على الأهلة . وقال الأخفش : وعد باتمام اربعين ليلة ، أو انقضاء اربعين ليلة كقولك : اليوم أربعون يوما مذ خرج فلان . واليوم يومان: أي تمام يومين . وقال غيره : الاربعون كلها داخلة في الميعاد . قال ابو العالية : واعدنا موسى اربعين ليلة يعني ذا القعدة وعشراً من ذي الحجة وقال غيره : ذا الحجة وعشراً من المحرم . وذلك حين خلف موسى اصحابه واستخلف عليهم هارون فمكث على الطور أربعين ليلة وانزلت عليه التوراة في الالواح . وعن الربيع نحوه . وقال الطبري : لا يجوز ما قاله الاخفش ، لأنه خلاف ظاهر التلاوة وما جاءت به الرواية قال الرماني : في هذا غلط ظاهر . ان الوعد لا يتصل وقوعه في الاربعين كلها اذا كان الوعد هو الاخبار الموعود بما فيه النفع ، فلم يكن ذلك الخبر في طول تلك المدة فلابد على ذلك ان يكون التقدير على ما قاله الاخفش أو على وعدناه اقامة اربعين ليلة للمناجاة أو غيبته اربعين ليلة عن قومه للمناجاة ، وما اشبه ذلك من التقدير . قال ابو علي : لا يخلو ان تكون « اربعين » ظرفا أو مفعولا ثانياً . ولا يجوز ان

(١) سورة الحج : آية ٧٢.

تكون ظرفا ، لأن الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم . ولا في بعضها فيكون جوابا لمتى ٠ فاذا لم تكن ظرفا كانت منتصبة بوقوعها موقع المفعول الثاني . فيكون تقديره : وعدنا موسى انقضاء اربعين ليلة أوتتمة أربعين ليلة فحذف المضاف كما يقول اليوم خمسة عشر من الشهر أي تمامه .

اللغة :

والاربعة عدد يزيد على الثلاثة ، وينقص عن الخمسة يقال : ربع يربع ربعا ٠ وربع تربيعا وتربع تربعا ٠ وارتبع ارتباعا تقول ربعت القوم فانا رابعهم ٠ والرابع من الورد وهو ان تحبس الابل عن الماء اربعة ايام ثم ترد يوم الخامس ٠وربعت الحجر بيدي ربعا اذا رفعته عن الارض بيدك ٠ وارتبعت الحجر كذلك ٠وربعت الوتر اذا جعلته اربع طاقات ، وتقول : أربع على ضلعك ، واربع على نفسك ، واربع عليك كل ذلك واحد بمعنى انتظر. والربع المنزل والموطن. والربع الفصيل الذى نتج في الربيع وما ينتج بالصيف يقال له : هبع .وفي المثل ما له هبع ولا ربع . ورجل ربعة ومربوع : ليس بطويل ولا قصير ٠ والربعة : الجونة ٠ والمرباع كانت العرب اذا غزت اخذ رئيس القوم ربع الغنيمة ، والباقي بينهم ٠ واول الاسنان الثنايا ، ثم الرباعيات وهي اربعة ثنيتان من تحت وثنيتان من فوق والواحد رباعية واربع الفرس اذا القى رباعية من السنة الاخرى ٠ والجمع الربع .والربيعة : هي البيضة من السلاح ٠ يقال : ربعت الارض فهي مربوعة من الربيع .وارتبع القوم : اذا اصابوا ربيعا وحمر ربع ما لي يوم الرابع والمربعة خشبة تشال بها الاحمال ، وتوضع على الابل والربع : الباهر ٠ ورجل مربوع ومربع : اذا اخذته حمى الربع والربيع حظ من الماء للارض ربع يوم اوربع ليلة يقال لفلان في الماء ربيع وربع المال جزء من اربعة ويقال له : ربيع ولم يتجاوز العرب في هذا المعنى الثمين وقال بعضهم : التسيع والعشير والاول اظهر واصل الباب الاربعة من العدد والاربعة تجري تارة على نفس العدد ، واخرى على المعدود فاذا اجريته على العدد ، قلت اربعة اثواب واذا اجريته على المعدود قلت ٠ اثواب اربعة ٠

وليلة وعشية ومساء نظائر ويقال يوم وليلة . على طريق النقيض . قال صاحب العين : الليل ضد النهار . والليل ظلام الليل . والنهار الضياء . فاذا افردت احدها من الآخر قلت : ليلة ويوم تصغيرها لييلة اخرجوا الياء الاخيرة من مخرجها في الليالي يقول بعضهم : انما كان بناؤها ليلاء فقصر يقولون : هذه ليلة ليلاء : اذا اشتدت ظلمتها . قال الكميت :

وليلهم الاليل

هذا لضرورة الشعر . في الكلام ليلاء . والليلة : الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني . واليوم من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس .

قال ابو زيد اتخذنا ما لا فنحن نتخذه اتخاذاً وتخذت تخذا . قال ابو علي اتخذ افتعل ومنه تخذت . قال الله تعالى : « لو شئت لاتخذت عليه اجرا » (١) وتخذت : لا يتعدى ، إلا الى مفعول واحد . واتخذت تارة يتعدى الى مفعول واحد وتارة الى مفعولين فتعديه الى مفعول واحد . مثل قوله : « ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا » (٢) ومثل قوله : « واتخذوا من دون الله آلهة » (٣) وتعديه الى مفعولين مثل قوله تعالى « اتخذوا ايمانهم جنة » (٤) وقوله : لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء » (٥) وقوله : « واتخذتموهم سخريا » (٦) ومن ادغم فلقرب مخرج الذال من مخرج التاء . ومن لم يدغم فلان مخرجها متغاير .

والعجل والثور والبقرة نظائر . الا أن العجل هو البقرة الصغيرة ويقال عجل وعجول . واشتقاقه من عجل يعجل عجلة واعجله اعجالا . واستعجل استعجالا . وتعجل تعجلا . وعجل تعجيلا . وعاجلته معاجلة . وتعاجلوا تعاجلا . ورجل عَجِل وعَجُل لغتان . وتقول : استعجلت فلانا أي حثثته واعجلت فلانا اعجله اعجالا وتعجلت خراجه أي كلفته ان يعجله ورجل عجلان وامرأة عجلى وقوم عجال ونسوة عجال . والعجال الابل . والعجل عجل الثيران والواحدة عجلة ويجمع على الاعجال والعجالة ما

(١) سورة الكهف : آية ٧٨ (٢) سورة الفرقان : آية ٢٧ . (٣) سورة مريم : آية ٨٢ .
(٤) سورة المجادلة : آية ١٦ . (٥) سورة الممتحنة : آية ١ (٦) المؤمن آية ١١١ .

تعجلت من شيء . والعجالة طعام الراكب الذي لا يحسن طبخه ويقال : هو تمر ولبن والعجلة الأدواة الصغيرة وهي المطهرة . والجمع العجال . والعاجلة : نقيض الآجلة يعني الدنيا والآخرة . والعاجل : نقيض الآجل عام في كل شيء تقول عاجل وآجل . والعجل : ولد البقرة . وجمعه عجاجيل ويقال عجول . والانثى : عجولة وقوله : « خلق الانسان من عجل » (١) يقال إن آدم « ع » حين بلغ الروح منه الى الركبتين همّ بالنهوض قبل ان تبلغ القدمين فقال الله تعالى : « خلق الانسان من عجل » واورثنا آدم العجلة . والعجل الظنين : من غير الخليل والعجل خشب يؤلف شبه المحفة تجعل عليه الاثقال . وجمعه الاعجال . وصاحب عجال واصل الباب العجل الذي هو الاسراع . والعجلة والسرعة والخفة نظاير ونقيض العجلة التأني ونقيض السرعة : الابطاء

وبعد نقيض قبل تقول : كان هذا بعد هذا . وتقول : بعد بعدا . او ابعده الله إبعاداً وتباعد تباعدا وباعده مباعدة . واستبعده استبعاداً . وبعده تبعيداً . وتبعد تبعدا . قال صاحب العين بعد لما يكون على اثر الشيء اذا كان قد مضى فاذا افردوا قالوا : هو من بعد : كقوله تعالى : « لله الأمر من قبل ومن بعد » (٢) وتقول : بعداً وسحقا . ويقرأ : « باعد بين اسفارنا » «٣» وبعد بمعنى واحد . والابعد نقيض الاقرب . والجمع : اباعد واقارب ويقرأ « بعدت ثمود » و « بعُدت ثمود » « ٤ » ومعناها واحد إلا انهم يقولون : بعد الرجل وابعده الله والبعد من اللعن يقول : ابعده الله أي لا يرثي له مما نزل به وقال ابن دريد : البعد : ضد القرب وبعد ضد قبل . وسمع ابو زيد العرب تقول : فلان غير بعيد وغير بعد واصل الباب البعد نقيض القرب .

المعنى :

ومعنى قوله : « ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون » أي اتخذتموه إلهاً لأن بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين ، لأن فعل ذلك ليس بمحظور

---

(١) سورة الانبياء : آية ٣٧ . (٢) سورة الروم آية ٤ (٣) سورة سبأ آية ١٩ .
(٤) سورة هود آية ٩٦ .

وانما هو مكروه وما روي عن النبي « ص » انه لعن المصورين معناه : من شبه الله بخلقه او اعتقد فيه انه صورة فلذلك قدر الحذف في الآية . كانه قال : اتخذتموه الهاً وذلك انهم عبدوا العجل بعد موسى لما قال لهم السامري : هذا الهكم واله موسى . فنسي اي ترك آلهم ومضى ناسيا . وقيل : بل معنى فنسي اي فترك ما يجب عليه من عبادة الله .

قصة السامري :

وكان سبب عبادتهم العجل ما ذكره ابن عباس . ان السامري كان رجلا من اهل (باكرم) (١) . وكان من قوم يعبدون البقر . وكان حب عبادة البقر في نفسه. وكان قد اظهر الاسلام في بني اسرائيل ، فلما قصد موسى الى ربه خلف هرون في بني اسرائيل : قال لهم هرون : انكم تحملتم اوزارا من زينة آل فرعون ، وامتعة وحلي ، فتطهروا منها ، فانها نجس ، واوقد لهم ناراً . وقال لهم : اقذفوا ما كان معكم فيها . فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الامتعة وذلك الحلي ، فيقذفون به فيها . حتى اذا انكسر الحلي ورأى السامري اثر فرس جبرئيل ، فأخذ ترابا من اثر حافره ، ثم اقبل الى النار . فقال لهرون يانبي الله القي ما في يدي؟ قال نعم ولم يظن هرون الا انه كبعض ماجاء به غيره من الحلي والامتعة . فقذف فيها وقال كن عجلا جسداً له خوار وكان البلاء والفتنه وقال : هذا الهكم واله موسى ، فعكفوا عليه واحبوه حبا لم ير مثله قطاً .

اللغة :

وسمي العجل عجلا مأخوذ من التعجيل لأن قصر المدة كالعجل في الشيء . وقال ابو العالية : انما سمي العجل عجلا ، لانهم عجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى . وقال الحسن صار العجل لحماً ودماً . وقال غيره لا يجوز لأن ذلك من معجزات الانبياء . ومن وافق الحسن قال : ان القبضة من اثر الملك كان الله قد اجرى العادة بانها اذا طرحت على اي صورة كانت حيــة ، فليس ذلك بمعجزة اذ سبيل السامري

(١) هكذا في المطبوعة والمخطوطة وفي مجمع البيان « باجرمي » .

فيه وسبيل غيره سواء . ومن لم يجز انقلابه حيا ، فأوّل الخوار على ان السامري جعل فيه خروقا ، فدخلها الريح فحدث فيه صوت كالخوار .

وانما قال : « وانتم ظالمون » يعني ظالمي انفسهم اذا دخلوا عليها الضرر بما يستحقون على عبادته من العقوبة والظلم . وقد يكون للنفس وقد يكون للغير . وانما وصفوا بانهم اتخذوا العجل الها وهي صفة ذم لهم بما لم يفعلوا لرضاهم بما كان عليه اسلافهم ، وسلوكهم طرائقهم في المخالفة لأمر الله ، والذم على الحقيقة على افعالهم فان كان اللفظ على افعال اسلافهم فاخرج اللفظ مخرج من كانهم فعلوا ذلك لسلوكهم تلك الطرق وعدولهم الى المخالفة . فالذم متعلق بما كان منهم في الحقيقة ، فان قيل : هل هذا الميقات في قوله : واعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر . قيل : قال ابو علي وابو بكر بن اخشاذ واسمه احمد بن علي ان هذا ذاك وفي الناس من قال : هو غيره والاول اظهر ، وانما ذكر الثلاثين واتمها بعشر والاربعين قد تكمل بعشرين وعشرين ، لأن الثلاثين اراد بها ذا القعدة وذا الحجة فذكر هذا العدد لمكان الشهر ثم ذكر ما يتم به العدد اربعين ليلة .

وانما قال « اربعين ليلة » ولم يقل اربعين يوماً ، لتضمن الليالي الايام على قول المبرد ، ومعنى ذلك : انه اذا ذكرت الليالي دخلت فيها الايام وليس اذا ذكرت الايام دخلت الليالي فيها . هكذا هو الاستعمال ، والصحيح ان العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والأيام والأهلة . فاول الشهر الليالي ولذلك ارخت بالليالي وغلبتها على الايام ولذلك صارت الايام تابعة لليالي . واكتفى بذكر الليالي من الايام ، فقيل لعشر خلون . ولم يقولوا لعشرة لأنه جرى على ما جرى على الليالي .

« واتخذ » قال الرماني : وزنه افتعل واصله يتخذ فقلبت الياء تاء وادغمت في التاء التي بعدها وقال ابو علي يتخذت وليس من اخذت ، لان الهمزة لا تبدل من الياء ولا تبدل الياء منها، واتخذت لا تكون افتعلت من اخذت وتكون ابدلت الهمزة ياء ثم ادغمت في التاء كما قالوا يسر الجزور وهو من اليسر لانه لا يجوز على قول اصحابنا لاختلاف الحرفين وفائدة الآية التعجب من قولهم اذ كانوا في مقدار هذه المدة

اليسيرة لغيبة موسى عنهم اتخذوا العجل الها وادغام الذال عند التاء جائز وتركه أيضاً كذلك جائز .

قوله تعالى :

« ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم من بَعْدِ ذَلكَ لَعلَّكُمْ تَشكُرُون » (٥٢) — آية بلا خلاف.

قيل في معنى ما وقع العفو عنهم بقوله : (ثم عفونا عنكم) قولان :
احدها — انا تركنا معاجلتكم بالعقوبة من بعد اتخاذكم العجل الها .
والآخر — عفونا عنكم بقبول التوبة من عبادة العجل .

اللغة :

والعفو ، والصفح ، والمغفرة ، والتجاوز ، نظائر . فالمغفرة نقيض العقوبة . ويقال عفا عفواً واعفاه اعفاء واستعفى استعفاء ، وعفى تعفية وعافاه معافاة وتعفى تعفيا . وتعافى تعافيا ، واعتفاه اعتفاء . والعفو احل المـــال واطيبه . والعفو : المعروف . والعفاة : طلاب المعروف . وهم المعتفون . تقول : اعتفيت فلانا اذا طلبت معروفه وفضله . والعافية من الطير والدواب طلاب الرزق . اسم جامع لها . ومنه قوله (ع) من غرس شجرة مثمرة فما اكلت العافية منها كتب له صدقة . والعافية دفاع الله عن العبد يقول عافاه الله من مكروه وهو يعافيه معافاة . والاستعفاء : ان تطلب الى من كلفك امرا ان يعفيك منه ، وعفى الشيء : اذا كثروا عفيته : اذا اكثرته ، قال تعالى « حتى عفوا » . ومنه اعفاء اللحية : اكثارها . وعفى : درس يقال اخذ من فلان ما عفا ، وصفا . والعفا : التراب تقول : يعفيه العفا . وعليه العفا . والعفا الدروس قال زهير :

على اثار ما ذهب العفاء

ومنه عفت الديار . والريح تعفو الديار عفاء ، وعفوا . وتعفت الدار والاثر تعفياً والعَفوة والعِفوة والعُفوة . والجمع العفو : وهي الحمر الأفتأ والفتيات . والعفاء . ما كثر من

الوبر والريش وناقــة ذات عفاء كثيرة الوبر طويلة والعفو : ولد الاتان الوحشية .
وأصل الباب : الترك . ومنه قوله : « فمن عفي له من أخيه شيء » من ترك له . وعفو الشيء صفوه ومعنى « لعلكم » في الآية لكي تشكروا وقيل : معناه التعريض كانه قال : عرضنا كم للشكر .

وقوله : « من بعد ذلك » ـ وان كان اشارة الى الواحد ـ فمعناه الجمع . وانما كان ذلك كذلك ، لان ذا اســم مبهم فمرة يأتي على الاصل ، ومرة يأتي على مشاكلة اللفظ . اذا كان لفظ المبهم على الواحـــد وان كان معناه الجمع على انه قد يخاطب بلفظ الواحد ويراد به الجمع كقوله : « يا ايها النبي » ثم قال : « اذا طلقتم النساء » .

وقوله : « من بعد ذلك » إشارة الى اتخاذهم العجل الهاً .

وقوله : « لعلكم تشكرون » .

اللغة :

فالشكر : هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم . وقال الرماني : الشكر هو الاظهار للنعمة . والصحيح هو الاول لأنه قد يظهر النعمة من لا يكون شاكرا لها . والفرق بين الشكر والمكافاة ان المكافأة من التكافؤ وهو التساوي ، وليس كذلك الشكر ففي مكافأة النعمة دلالة على انه قد استوفى حقها . وقد يكون الشكر مقصرا عنها وان كان ليس على المنعم عليه اكثر منه الا انه كلما ازداد من الشكر ، حسن له الازدياد وان لم يكن واجبا لأن الواجب لا يكون إلا متناهيــاً وذلك كالشكر لنعمة الله لو استكثرته غاية الاستكثار لم يكن لينتهي الى حد لا يجوز له الازدياد لعظم نعم الله عزوجل وصغر شكر العبد . ويقال : شكر شكرا ، وشكورا ، وتشكر تشكرا . والشكور : من الدواب ما يكفيه قليل العلف لسمنه . والشكر من الحيوانات : التي تصيب حظا من بقل او مرعى فتغزر ليتها بعد قلة . يقال اشكر القوم : اذا انزلوا منزلا فاصابت نعمهم شيئاً من بقل ، فدرت عليه ، وانهم ليحلبون شكرة بجزم الكاف وقد شكرت الحلوبة شكرا : والشكير شعر ضعيف ينبت خلال

الشيب . وكذلك ما ينبت من ساق الشجر قضبان تخرج غفه بين قضبان عاسية يقال له الشكر واشكر ضرع الناقة اذا امتلا لبنا والشكر بضع المرأة . وأصل الباب : الظهور ولا يستحق الكافر الشكر على وجه الاجلال والانعام ، والكافر لا يستحق كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج اليه من غير تعظيم له ويسمى ذلك شكرا والشكر لا يستحق الا على نعمة ومعنى قولنا في الله انه غفور شكور انه يجازي العبد على طاعاته من غير ان ينقصه شيئاً مين حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكرا في مجاز اللغة ولا يستحق الانسان الشكر على نفسه لأنه لا يكون منعماً على نفسه كما لا يكون مقرضاً لنفسه والنعمة تقتضي منعماً غير المنعم عليه . كما أن القرض يقتضي مقترضا ، غير المقرض . وقد يصح ان يحسن الى نفسه كما يصح أن يسيء إليها ، لأن الاحسان من المحسن . فاذا فعل بها فعلا حسنا ينتفع به، كان محسناً اليها بذلك الفعل ، واذا فعل بها فعلا قبيحاً كان مسيئاً اليها .

والشكر متعلق في الآية بعفو الله عنهم ، ونعمه عليهم : كأنه قال : لتشكروا الله على عفوه عنكم وسائر نعمه عليكم .

قوله تعالى :

« وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » . آية (٥٣) .

اللغة :

قوله : « وإذ » عطف على ما مضى من التذكير بنعمه فكأنه قال : واذكروا اذ آتينا موسى الكتاب ، لان (اذ) اسم للوقت الماضي و (اذا) للوقت المستقبل . وكذلك تستعمل في الجزاء ، لأن الجزاء لا يكون إلا بالمستقبل . كقولهم : ان تاتني آتك ولو تشبه الجزاء من حيث انه لابد لها من الجواب . كما لابد لحرف الجزاء من الجواب .

المعنى :

وقوله : « واتينا موسى الكتاب » معناه اعطيناه . والكتاب يريد به التوراة . وأما الفرقان فقال الفراء وقطرب وتغلب : يحتمل أن يكون اتى موسى كتاب التوراة ومحمد الفرقان : كما قال الشاعر :

متقلدا سيفا ورمحا (١)

وضعف قوم هذا الوجه ، لأن فيه حمل القران على المجاز من غير ضرورة مع انه تعالى اخبر انه اتى موسى الفرقان في قوله : « ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء » (٢) وقال الفراء : هو كلام مثنى يراد به : التوراة . وكرر لاختلاف اللفظين : كقولهم : بعداً وسحقاً ، وهما بمعنى واحد . قال الرماني : هذا المثال لا يشبه الآية لانه جمع الصفتين لموصوف واحد على معنيين متفقين . والاولى ان يمثل بقولهم : هو العالم الكريم فجمعت الصفتان لموصوف واحد على معنيين مختلفين وقال عدي ابن زيد :

وقدّدت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا ومينا(٣)

وقال قوم : الكتاب : التوراة والفرقان : انفراق البحر لبني اسرائيل . والفرج الذي اتاهم كما قال . « يجعل لكم فرقانا » اي مخرجا . وقال بعضهم : الفرقان : الحلال والحرام الذي ذكره في التوراة . وروي عن ابن عباس وابي العالية ومجاهد : ان الفرقان الذي ذكره هو الكتاب الذي اتاه يفرق فيه بين الحق والباطل . وقال ابن زيد : الفرقان : النصر الذي فرق الله به بين موسى وفرعون : كما فرق بين محمد «ص» وبين المشركين . كما قال : « يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (٤) . وقال أبو مسلم : هو ما اوتي موسى من الآيات والحجج التي فيها التفرقة بين الحق والباطل .

---

(١) مر في ١ : ٦٥ وهو عجز بيت شطره : ورأيت زوجك في الوغى .
(٢) سورة الانبياء : آية ٤٨ . (٣) في المخطوطة والمطبوعة (وقدمت) .
(٤) سورة الانفال : آية ٤١ .

وقوله : « لعلكم تهتدون » .

المعنى :

اي لكي تهتدوا . وقد بيناه فيما مضى وفيه دلالة على انه (تعالى) اراد ان يهتدوا لان هذه اللام لام الغرض وذلك يفسد قول المجبرة إنه اراد منهم الكفر . فأن قيل : كيف يهتدون بما اوتي موسى من البيان ، وما اوتي في التوراة من البرهان مع انقطاع النقل الذي تقوم به الحجة . قيل : الجواب عنه من وجهين :

احدهما — ان الخطاب لأسلافهم : كما قال : « واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون » .

والثاني — ان اخبار الرسول لهم ما تقوم به الحجة عليهم ، فيمكنهم ان يستدلوا بذلك على ما انعم الله به على اسلافهم ، ولانهم مقرون بان موسى (ع) اوتي التوراة بما فيها من الهدى والبينات ، فتقوم الحجة عليهم باقرارهم .

قوله تعالى :

« وَاذ قالَ موسى لِقَومِهِ يا قَومِ انَّكُمْ ظَلَمتُمْ انفُسَكُم باتِّخاذِكُم العِجلَ فَتوبوا الى بارِئِكُم فاقتُلوا انفُسَكُم ذلِكُم خَيرٌ لَكُم عِندَ بارِئِكُم فَتابَ عَليكُم انَّهُ هو التَّوابُ الرَّحيم » — (٥٤) آية بلا خلاف .

القراءة :

« بارئكم » اسكن الهمزة فيها ابو عمرو . إلا المعدل وسحارة من طريق الجرمي ، وابن مجاهد فكلهم خففوا الهمزة فيها . الا ابا طاهر عن ابن مجاهد عن اسماعيل فانه قلبها ياء .

التقدير واذكروا ايضاً اذ قال موسى لقومه : « ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل » . وظلمهم اياها كان فعلهم بها مالم يكن لهم ان يفعلوه بما يستحق

به العقاب . وكذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه . وقد بينا معنى التوبة فيما مضى .(١)

واما قوله : « الى بارئكم » .

اللغة :

فالباريء هو الخالق الصانع . يقال : برأه . واستبرأ استبراء ، وتبرأ تبريا ، وباراه مباراة ، وبرأه براءة ، وتبرئة . قال صاحب العين : البرأ مهموز وهو الخلق تقول برأ الله الخلق وهو يبرؤهم وهو الباريء وقال امية :

الخالق البـاريء المصور في　　الأرحام ماء حتى يصير دمـا

والبرء السلامة من السقم . تقول برأ برؤه وبرئت وبرأت وبرؤت براءة . وتبرأ تبريا لغة في هـذا والبراءة من العيب والمكروه لا يقال منه : الا بريء براء وفاعله بريء وفلان بريء وبراء كقوله : إني براء . وامرأة براء . ونسوة براء وبراء على وزن فعلاء . ومنـه قوله : « انا برآء منكم » جمع بريء . ومن ترك الهمزة . قال : براء على وزن فعـال . . وتقول بارأت الرجل اي برئت اليه . وبريء الى مثل ذلك . وبارات المراة اي صالحتها على المفارقة وابرات الرجل من الضمان والدين وبرأه تبرئة . ويقال : ابرأ الله فلانا من المرض إبراء حسناً ، والاستبراء : استبراء الجارية والمرأة بان لايطأها حتى تحيض . والاستبراء نقاء الفرج من القذر . وأصل الباب تبري الشيء من الشيء : وهو انفصاله منـه . وبرأ الله الخلق اي فطرهم ، فانهم انفصلوا من العدم الى الوجود . والبرية الخلق ، فعيلة بمعنى مفعول، لا يهمز كما لا يهمز ملك وان كان اصله من الالوكة . وقيل البرية مشتقة من البراوة ، وهو التراب ، فلذلك لم تهمز . وقيـل إنه مأخوذ من بريت العود ، فلذلك لم يهمز . والبراءة من الشيء : المفارقة والمباعدة عنه : وبريء الله من الكافر : باعده عن رحمته وانواع الفعل كثيرة : منها الخلق ، والانشاء ، والاختراع . والبرء : الفطر . فأما

---

(١) انظر ص ٦١٩ — ١٧٠

الاحداث ، والايجادوالتكوين فكالفعل والجعل : اعم من الفعل ، لأنه لما وجد بعد ان لم يكن كقولك : جعلت الطين خزفا . فلم يحدث الخزف في الحقيقة ، وانما احدث ما صار خزفاً .

وقوله : « فاقتلوا »

اللغة :

فالقتل والذبح والموت نظائر . وبينها فرق : فالقتل نقض بنية الحياة . والذبح فري الاوداج . والموت عند من اثبته معنى عرض يضاد الحياة . يقال : قتل يقتل قتلا . واقتتلوا اقتتالا . وتقاتلوا تقاتلا . واستقتل استقتالا . وقتل تقتيلا . وقاتله مقاتلة . وقوله تعالى : « قاتلهم الله » (١) معناه لعنهم الله . وقوم اقتال : اي هم اهل الوتر ، والترة : اي هم اعداء وتراة . وتقول : تقتلت الجارية للفتى يصف به العشق . وقال الشاعر :

تقتلت لي حتى اذا ما قتلتني تنسكت ما هذا بفعل النواسك (٢)

واقتل فلان فلانا : اذا عرضه للقتل . والمقتل من الدواب الذي قد ذل ومرن على العمل . وقلب مقتل : اي قتل عشقاً . ومنه قول امرىء القيس :

في اعشار قلب مقتل (٣)

قال ابن دريد : قتلت الخمر بالماء إذا مزجتها . قال الشاعر :

ان التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

وتقتل الرجل لحاجة اي يأتي لها . ويقتل الرجل للمرأة : اذا خضع لها في كلامه وقتل الرجل : عدوه . والجمع اقتال . وفلان قتل فلان : أي نظيره ، وابن عمه

(١) سورة التوبة : آية ٣١ وسورة المنافقون آية ٤ .

(٢) تقتلت المرأة : تأنت في مشيتها .

(٣) معلقته . والبيت : وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل والسهمان : الرقيب والمعلى من سهام الميسر . ومعناه استوليت على القلب كله .

وقتله قتلة سوء واقتتلوا بمعنى تقاتلوا ومثله قتلوا قال ابو النجم :

نداقع الشيب ولم يقتل

وناقة ذات قتال وذات كيال ، اذا كانت غليظة وثيقة الخلق . في المثل : قتلت ارض جاهلها ، وقتل ارضا عالمها . ومقاتل الانسان : هي التي اذا اصيبت قتلت. وأصل الباب : القتل وهو نقض البنية التي تصح معها الحياة . وقال المبرد : واصله اماتة الحركة . وقوله : « قاتلهم الله انى يؤفكون » اي قد حلوا محل من يقال له هذا القول . اي انزل الله بهم القتل . ويقول قتله علما اذا ايقنه وتحققه .

وقوله : « فاقتلوا انفسكم » .

المعنى :

قيل في معناه قولان :

احدها — يقتل بعضكم بعضا . ذهب اليه ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وغيرهم من اهل العلم ، كما يقول القائل : قتل آل فلان اذا قتل بعضهم بعضا .

والثاني — ذكره ابن عباس واسحاق واختاره ابو علي . وهو ان يستسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لانفسهم على وجه التوسع . وقيل : ان السبعين الذين اختارهم موسى للميقات امروا بالقتل لمن سأل الرؤية من بني اسرائيل وقيل : إنهم قتلوا انفسهم كما امروا . عمدوا الى الخناجر وجعل بعضهم يطعن بعضا. قال ابن عباس وغيره من اهل العلم : ويقال غشيتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضا ، ثم انجلت الظلمة ، فاجلوا عن سبعين الف قتيل . والسبب الذي لاجله امروا بقتل انفسهم ذكره ابن جريج : ان الله علم ان ناساً منهم علموا أن العجل باطلا فلم يمنعهم ان ينكروا الا خوف القتل ، فلذلك بلاهم الله ان يقتل بعضهم بعضا . وقال الرماني : ولابد ان يكون في الامر بالقتل لطف لهم ولغيرهم ، كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره . فان قيل كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم ، وبعد القتل لا تكليف عليهم . واللطف لا يكون لطفاً فيما مضى ولا فيما يقاربه

قلنـــا : اذا كان القوم كانوا ان يقتل بعضهم بعضا وكل واحـد منهم يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقى بعده فيـكون القتل لطفاً له فيما بعد ، ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجبا واحدا : ويمتنع فيه من قبيح . وذلك كما نقول في عبادتنا في قتال المشركين . فان الله تعالى تعبدنا ان نقاتل حتى نقتل ونقتل ومدح على ذلك ، فلذلك روى اهل السير ان الذين عبدوا العجل تعبدوا ان يقاتلوا من لم يعبد ويصبروا على ذلك حتى يقتل بعضهم بعضـا · وكان القتل شهادة لمن قتل ، وتوبة لمن بقي . وانما كانت تـكون شبهة ، لو امروا بان يقتلوا نفوسهم بايديهم · ولو صح ذلك لكان لا يمتنع بان يـكونوا امروا بان يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضي الى الموت ـ وان لم يزل معها العقل فينا في التكليف ـ .

وأما على القول الآخر وهو انهم امروا بالاستسلام والقتل والصبر عليـــه فلامسألة لانهم امروا بقتل نفوسهم . وعلى هذا يـكون قتلهم حسناً ، لانه لو كان قبيحاً لما جاز ان يؤمروا بالاستسلام · وكذلك نقول : لا يجوز ان يتعبد نبي او امام بان يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه ، فلا يدفعه لان في ذلك استسلاما القبيح مع القدرة على الدفع منه ، وذلك لا يجوز وانما يقع قتل الانبياء والائمة على وجه الظلم ، وارتفاع الممكن من الدفع مع الحرص على الدفع · غير انه لا يمتنع ان يتعبد بالصبر على الدفاع . وتحمل المشقة في ذلك ـ وان قتله غيره ظالما والقتل ـ وان كان قبيحا بحكم العقل ـ ، فهو ما يجوز تغيره بان يصير حسنا ، لانه جار مجرى سائر الالام · وليس يجري ذلك مجرى الجهل والـكذب الذي ليس يصير قط حسناً ووجه الحسن في القتل انه لطف على ما قلناه ، وكما يجوز من الله ان يميت الحي ، كذلك يجوز ان يامرنا باماتته ويعوضه على ما يدخل عليه من الالام ويـكون فيه لطف على ما قدمناه ·

وقوله : « ذلـكم » اشارة الى التوبة مع القتل لانفسهم على ما امرهم الله تعالى به بدلالة قوله . « فتوبوا الى بارئـكم فاقتلوا انفسكم » فقوله : « توبوا » دال على التوبة ، فكانها مذكورة ·

وقوله : « خير »

اللغة :

فالخير ، والنفع ، والفضل ، والحظ نظائر وضد الخير : الشر . وضـد النفع : الضرر . تقول : خار الله لهالخير خيرة . واختار اختياراً واستخار فلان استخارة وتخير تخيراً وتخايراً . وخيره تخييراً . وخايره مخايرة . ورجل خير وامرأة خيرة : أي فاضلة . وقوم اخيار ، وخيار . وامرأة خيرة . حقيقة في جمالهـا ، وميسمها . ومنه قوله : « فيهن خيرات حسان » (١) . وناقه خيار . ورجل خيار . وتقول : والجمع خيار . وتقول : هذه وهـذا وهؤلاء خيرتي . وما تختاره . وتقول : انت بالخيار وانت بالخيار سواء . والرجل يستخير الضبع واليربوع : اذا جعـل حبسه في موضع النافقاء ، فخرج من القاصعاء (٢) . والخيرة مصدر خار خـيرة ساكنة الياء مثل راب ريبة . واصل الباب الخير نقيض الشر . والخير : الهيأه المختارة . وحذفت الياء من قوله : « ياقوم » واثبتت في قوله : « ياليت قومي » لأن ياء الاضافة تحذف في النداء ، لأنه موضع حذف ، يحذف فيه التنوين ، ويحذف الاسم للترخيم ، فلمـا كانت بالاضافة تحذف في غير النداء ، لزم حذفها في النـداء . وأما قوله : « ياليت قومي يعلمون » (٣) ، فانها تثبت لانها ياء الاضافة . لا يلحقها ما يوجب حذفها ، كما لحق الياء في النداء . ويجوز في « ياقوم » كسر الميم وحذف الياء هو اجماع القراء ويجوز بياء ساكنة ، ويجوز بفتح الياء وما قرىء بها . فاما إسكان الهمزة . فالذي رواه سيبويه عن ابي عمر واختلاس الحركة . وهو اضبط من غيره والاسكان في مثل هذا يجوز في ضرورة الشعر كقول الشاعر :

اذا اعوججن قلت صاحبْ قوم

وكان ينبغي ان يقال صاحبَ لأنه منادى . وقال امرؤ القيس :

فاليوم فاشرب غيرمستحقب   اثما من الله ولا واغل

---

(١) سورة الرحمان : آية ٧٠ (٢) النافقاء : جحر اليربوع . القاصعاء : مثل النافقاء

(٣) سورة يس : آية ٢٦

وقد روى بعضهم صاح قوم وروي فاليوم فاشرب وروى بعضهم : فاليوم فاسقي ولا يقال في الله تعالى تائب مطلقاً . وإنما يقال : تائب على العبد .

قوله : « فتاب عليكم » فالفاء متعلق بمحذوف كأنه قال ففعلتم اوقتلتم انفسكم فتاب عليكم . وكان فيما بقي دلالة عليه .

قوله تعالى :

« وَإذ قُلتُمْ يامُوسى لَن نُؤمِنَ لكَ حَتَّى نرى اللهَ جَهرَةً فأخَذَتكم الصاعِقَةُ وانتُم تَنظُرُون » (٥٥) آية بلا خلاف .

وهذه الآية ايضاً عطف على ما تقدم كأنه قال واذكروا اذ قلتم ياموسى لن نصدق حتى نرى لله جهرة .

اللغة :

فالرؤيا والنظر والابصار نظائر في اللغة يقال : رأى رؤية ورأى من الرأي رأيا . وأراه لله اراءة وتراءى القوم ترائيا . وارتأى ارتياء وراءاه مراءاة قال صاحب العين : الرأي رأي القلب والجمع الاراء . وتقول : ما اضل آراءهم على التعجب ورأيهم ايضاً ورأيت رؤية وتقول رأيته رأي العين . أي حيث يقع البصر عليه . وتقول من رأي القلب : ارتأيت . وتقول : رأيت رؤيا حسنة . وتقول : رأيت فلانا ذا مسحة في اللون ، وزية حسنة في اللباس ، والمتاع . والذي يتعرض بزيه كهانة او طبا . وفي بعض اللغات ريت بمعنى رأيته . وعلى ذلك قراءة من قرأ اريت قال الشاعر :

قد ريت منه عجبا من الكبر

وتراءى القوم : إذا رأى بعضهم بعضا وتراءى لي فلان : اذا تصدى لي فاراه والرواء : المنظر في البهاء والجمال . تقول : امرأة لها رواء وبهاء وسناء أي حسنة . والمرآة مثل المنظرة والمنظر والمرآة التي ينظر فيها وجمعها مراءى . ومن حوّل الهمزة قال : مرايا . تقول مرأت المرأة : اذا نظرت وجهها . وفي الحديث لا يتراءى احدكم في الماء أي لا ينظر فيه .

ويحذفون الهمزة في كل كلمة تشتق من رأيت اذا كانت الراء ساكنة تقول أريت فلانا فانا مري وهو مري . أي يحذف الهمزة واثبتوها في موضعين في قولهم رأيته فهو مرئي أرأت الناقة والشاة اذا يرى ضرعها انها قد اقربت وانزلت . وهي مرئي . والحذف فيه ايضا صواب وتقول : من الظن رأيت ان فلانا اخوك . ومنهم من يحذف الهمزة يقول ريت انه ومن قلب الهمزة من رأى قال راي مثل ما تقولون : آرتيت واسترتيت بالمرآة والمرئية : مكسورة الراء مهموزة ممدودة ما ترى المرأة من الحيض صفرة أو بياضاً قبلا او بعدا وأما البصير بالعين فهو الرؤية . إلا أن تقول نظرت اليه رأي العين فيه وتقول : ما رأيته إلا رؤية واحدة وتقول للذي يريك الشيء مري والمرآة مرية بلا همزة وتقول رأيت فلانا برؤية والمرآة التي تنظر فيها والرآي ما رأيت القوم في حسن البشارة والهيئة قال جرير :

وكل قوم لهم رأي ومختبر ... وليس في تغلب رأي ولا خبر

واصل الباب : الرؤية بالعين وشبه الرؤية بالقلب به بمعنى العلم . والرأي يرى حال صلاح ويظن خلافها . والمرية لأنها بمنزلة الالة للقلب يرى بها .

والجهرة ، والعلانية ، والمعاينة نظائر تقول : جهر جهرا أو جاهر مجاهرة ، وجهاراً . وتجاهروا تجاهراً . ورجل جهير الصوت . قال صاحب العين : جهر فلان بكلامه ، وهو يجهر بقراءته جهارا ، واجهر بقراءته اجهاراً . وجاهرتم بالامر جهارا أي عالنتم به اعلانا واجتهر القوم فلانا جهاراً : اذا نظروا اليه وكل شيء يبدو فقد جهر ورجل جهير : اذا كان في المنظر والجسم في الناس مجهراً . وكلام جهير ، وصوت جهير أي عال . والفعل منه جهر جهارة . والجهير هو الجريء المتقدم والجهوري : هو الصوت العالي . والجوهر : كل حجارة يستخرج منها شيء ينتفع به وجوهر كل شيء ما خلقت عليه حلية . والشاة الجهر التي لا تبصر في الشمس والكبش اجهر وقال بعضهم : جهرت البئر : اذا اخرجت ما فيها من الحمأة ، والماء . وبئر مجهورة . والجهر : ضد السر وجهرني الرجل إذا راعك جماله وهيئته . ورجل جهير ذو رواء واصل الباب الظهور .

والجهر يقتضي ظاهراً بعد ان يكون خافياً ، ليدرك ما لم يكن قبل مدركا ويستدل بالجهر على أنهم أرادوا الرؤية بالعين دون رؤية القلب • وحقيقة الجهر ظهور الشيء معاينة والفرق بين الجهر والمعاينة أن المعاينــة ترجع الى حال المدرك والجهرة ترجع الى حال المدرَك .

المعنى :

ومعنى قوله : « حتى نرى الله جهرة » قال ابن عباس : علانية . وقال قتادة عيانا . وقد تكون الرؤية غير جهره كالرؤية في النوم والرؤية بالقلب فاذا قال جهرة لم يكن إلا رؤية العين على التحقيق ، دون التخيــل وسؤالهم الرؤ ية . قال قوم : هو كفر لأن اجازة الرؤية كفر . وقال آخرون : ليس بكـفر وانما اجازة الرؤية التي تقتضي التشبيه كفر . فاما هذا القول منهم فكـفر اجماعا ، لأنه رد على الرسول وكل من يلقى قول الرسول بالرد من المكلفين ، كان كافراً •

واما الصاعقة فانها تكون على ثلاثة اوجه :

أولها — الموت : كقوله : « فصعق من في السموات ومن في الارض » (١) « فاخذتكم الصاعقة » (٢)

الثاني — العذاب. كقوله : « فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » (٣)

والثالث — نار تسقط من السماء كقوله : « ويرسل الصواعق » (٤) واكثرهم على ان موسى لم يمت بالصاعقة كما مات من سأل الرؤية وقال شاذ منهم : انه مات بالصاعقة

وقوله : « وخر موسى صعقا » أي مغشياً عليه عنـد اكثر المفسرين بدلالة قوله : « فلما افاق » والافاقة لا تكون إلا من الغشية دون الموت ؛ وإلا لكان قد قال فلما حيي •

وقوله : « جهرة » مشتق من جهرت الركية اجهرها جهرا وجهرة : اذا كان

(١) سورة الزمر: آية ٦٨ (٢) سورة البقرة : آية ٥٥
(٣) سورة حم ـ السجدة : آية ١٣ (٤) سورة الرعد آية ١٤

ماؤها قد غطاه الطين ، فنقيت حتى ظهر الماء وقيل : اخذ من قولهم : فلان تجاهر بالمعاصي : اذا كان لا يسرها وانما فزعوا بسؤال اسلافهم الرؤية من حيث انهم سلكوا طريقهم في المخالفة للنبي الذي لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما اتى به فجروا على عادة اسلافهم في ذلك الذين كانوا يسألون تارة ان يجعل لهم إلهاً غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله ومرة يقولون : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ومرة يقولون : « اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » وقال الزجاج في هذه الآية دلالة على مشركي العرب الذين كانوا ينكرون البعث ، لأهل الكتاب مع مخالفتهم الرسول يقرون باذن الله أمات قوماً في الدنيا ، ثم احياهم وعندنا ان نقل اهل الكتاب لمثل هذا ليس بحجة وانما الحجة في اخبار الله على لسان نبيه وحده اذ كان كلما يخبر به فهو حق وصدق . واستدل البلخي بهذه الآية على ان الرؤية لا تجوز على الله تعالى . قال لانها انكارهم امرين ردهم على نبيهم ، وتجويزهم الرؤية على ربهم وبين ذلك قوله تعالى : فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فدل ذلك على ان المراد إنكار الامرين وهذه الآية تدل على قوله : « رب ارني انظر اليك » كان سؤالا لقومه ، لأنه لا خلاف بين اهل التوراة ان موسى ما سأل الرؤية الا دفعة واحدة . وهي التي سألها لقومه وقوله :

« لن نؤمن لك » تعلق بما يخبرهم به من صفات الله عز وجل ؛ لأنهم قالوا لن نؤمن لك بما تخبرنا به من صفاته وما يجوز عليه حتى نراه . وقيل : انه لما جاءهم بالالواح وفيها التوراة قالوا لن نؤمن بان هذا من عند الله حتى نراه جهرة ونرى على وزن نفعل واصله : نرأى قال الشاعر :

أرى عيني ما لم ترأياه   كلانا عالم بالترهات

فجاء به على الاصل

وقال آخر :

ألم تر ما لاقيت والدهر اعصر   ومن يتمل العيش يرأى ويسمع

وانما دعاهم الى ان قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله شكهم ، وحيرتهم فيما دعاهم

اليه موسى (ع) من توحيد الله عز وجل ، ولو كانوا عارفين ، لكان دعاهم اليه المناد لموسى ومعلوم انهم لم يكونوا معاندين له (ع) . وفي الناس من قال : إن قولهم : جهرة من صفه السؤال على التقديم والتأخير كانه قال : واذا قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله . وقال الاكثر إنها من صفه الرؤية . وهو الاقوى ، لان ما قالوه ترك الظاهر ، وتقدير التقديم والتأخير ليس هنا إلى ذلك حاجة .

وقوله : « وانتم تنظرون » يعني ما نزل بكم من الصاعقة والموت .

قوله تعالى :

« ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » — (٥٦)

آية بلا خلاف .

قوله : « بعثناكم » احييناكم . عندا كثر المفسرين : كالحسن ، وقتادة ، وغيرهما . وقال السدي : بعثناكم أنبياء . والأول أصح لانه ظاهر الكلام . فلا يجوز العدول عنه وأصل البعث : إثارة الشيء من محله ، ومنه قيل : بعث فلان راحلته : اذا اثارها من مبركها للسير . ومنه قولهم بعثت فلانا لحاجتي : اذا اقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجه فيها . ومن ذلك قيل : ليوم القيامة يوم البعث لأنه يوم تثار فيه الناس من قبورهم لموقف الحساب .

اللغة :

والبعث والارسال وكل الاطلاق نظائر . يقال : بعثت بعثا . وانبعثت انبعاثا . وتبعثت تبعثة . وبعثته من نومه فانبعث . اي نبهته فانتبه . وتقول : ضرب البعث على الجند . اذا بعثوا إلى العدو . وكل قوم يبعثون الى وجه او في امر فهم بعث . وأصل الباب : البعث وهو الارسال . وكل باعث فاعل . واما المبعوث فقد يكون فاعلا ، وقد لا يكون . يقال : بعث الله عليهم ريحا فاقتلعتهم والريح مبعوثة . ويقال : الشهوة للشيء تبعث على الطلب له . فان قيل : هل يجوز ان يرد الله احداً الى التكليف بعد ان مات ، وعاين ما يضطره الى معرفته بالله ؟ قيل : في ذلك خلاف قال ابو علي : لا يجوز ذلك إلا على من لم يضطره الله الى معرفته وقال بعضهم : يجوز التكليف في

الحكمة . وان اضطر الى المعرفة . وقول ابي علي أقوى . واعل الرماني قول ابي علي ، فان قيل : لما كانت المعرفة لاجل الطاعات التي كلها العبد كانت هي الغرض الذي يتبعه سائر الطاعات فلو ارتفع الغرض ، ارتفع التابع له . كما ان الغرض في الشرائع الاستصلاح في الاصول التي تجب بالعقل فلو ارتفع ذلك الغرض ، ارتفع وجوب العمل بالشرع . وكما انه لا يجوز تكليف الطاعة مع رفع التمكن مع المعرفة من غير ضرورة اليها قال : ووجه القول الثاني أنه لما كان الشكر على النعمة يجب في المشاهد مع الضرورة الى معرفة النعم ، كان الشكر للنعمة التي هي اجل من نعمة كل منعم في الشاهد اولى ان تجب مع الاضطرار الى المعرفة . ولابي علي ان يقول لا تمتنع من الوجوب ، لكن لا يجوز التكليف ، لان الغرض المعرفة . اي هي اصل ما وقع التكليف به للعباد . والذي اقوله: إن الذي يحيي بعد الاماتة ، ان كان لم يخلق له المعرفة الضرورية لم يضطر إليها ، فانه يمتنع تكليفه ، لأن العلم بان الاحياء بعد الاماتة ، لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل وغوامض الاستدلال ، فليس احياؤه بعد الاماتة ما يوجب ان يكون مضطرا الى معرفته : فلذلك يصح تكليفه ، وليس الاحياء بعد الاماتة الا كالانتباه من النوم والافاقة بعد الغشية فان ذلك لا يوجب علم الاضطرار . وان فرضنا انه خلق فيه المعارضة ضرورة ، فلا يحسن تكليفه لان حسن التكليف موقوف على ازاحة علة المكلف من فعل اللطف ، والاقدار وغير ذلك . ومن جملة الالطاف تكليفه للمعرفة . والضرورية لا تقوم مقامها على ما بيناه في الاصول . واذاً لا يحسن تكليفه ، لانه يصير مكلفا ولم يفعل به ما هو لطف له ، وذلك لا يجوز .

وقوله : « لعلكم تشكرون » معناه لكي تشكروا . وهذه لام الغرض . وفيه دليل على فساد قول المجبرة إن الله تعالى ما اراد من الكفار الشكر ، لانه لو اراد كفرهم ، لقال : لتكفروا وذلك خلاف القرآن . ومن استدل بها على جوازها كان صحيحاً ، لان من منع منه واحاله ، فالقرآن يكذبه ، وان استدل به على وجوب الرجعة وحصولها فلا يصح لان احياء قوم في وقت ، ليس بدلالة على احياء اخرين في وقت اخر ، ذلك يحتاج إلى دلالة اخرى . وقول من قال : لا تجوز

الرجعة ، لان ذلك معجزة ودلالة على نبوة نبي . وذلك لا يجوز إلا في زمن نبي غير صحيح ، لان عندنا يجوز اظهار المعجزات على يد الائمة والصالحين . وقد بيناه في الاصول . ومن ادعى قيام الحجة بان الخلق لا يردون الى الدنيا : كما علمنا ان لا نبي بعد نبينا مقترح مبتدع ، لما لا دليل على صحته ، فانا لا نخالف في ذلك وقال البلخي : لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها ، لان فيها اغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في الكرة الثانية . قال الرماني : هذا ليس بصحيح من قبل انه لو كان فيها اغراء بالمعصية ، لكان في إعلام التبقية الى مدة إغراء بالمعصية . وقد أعلم الله تعالى نبيه وغيره ابليس : انه يبقيه الى يوم يبعثون ولم يكن في ذلك إغراء بالمعصية

وعندي ان الذي قاله البلخي ليس بصحيح ، لان من يقول بالرجعة ، لا يقطع على ان الناس كلهم يرجعون ، فيكون ، في ذلك اتكال على التوبة في الرجعة ، فيصير اغراء . فلا احد من المكلفين الا ويجوز ان لا يرجع · وان قطع على الرجعة في الجملة ويجوز ان لا يرجع ، فكفى في باب الزجر . وأما قول الرماني : إن الله تعالى اعلم اقواما مدة مقامهم ، فان ذلك لا يجوز الا فيمن هو معصوم يؤمن من جهة الخطأ كالانبياء ومن يجري مجراهم في كونهم معصومين . فاما من ليس بمعصوم ، فلا يجوز ذلك ، لانه يصير مغرى بالقبح واما تبقية ابليس مع اعلامه ان يستبقيه الى يوم القيامة ففيه جوابان .

احدهما — انه انما وعده قطعاً بالتبقية بشرط الا يفعل القبيح ومن فعل القبيح حق اخترته عقبه · ولا يكون مغرى :

والثاني — ان الله قد علم انه لا يريد بهذا الاعلام فعلا قبيحا ، وإلا لما كان يفعله ، وفي ذلك اخراجه من باب الاغراء . وقد قيل : إن ابليس قد زال عنه التكليف · وانما امكنه الله من وسوسة الخلق تغليظا للتكليف ، وزيادة في مشاقهم ويجري ذلك مجرى زيادة الشهوات انه يحسن فعلها إذا كان في خلقها تعريض للثواب الكثير الزائد .

قوله تعالى :

« وَظَلَّلْنا عَلَيكم الغَمامَ وانزَلنا عَلَيكم المَنّ والسَّلوَى ، كلوا مِن طَيباتِ ما رَزَقناكم وَما ظَلمونَا ولَكِنْ كانوا انفسهم يَظلمون » (٥٧) آية بلا خلاف — .

قوله : « وظللنا » عطف على قوله « ثم بعثناكم من بعد موتكم » وكأن التقدير ثم بعثناكم من بعد موتكم وظللنا عليكم الغمام .

والظلمة والغمامة والسترة نظائر في اللغة . تقول : ظل يظل ظلولا . واظل اظلالا . واستظل استظلالا . وتظلل تظللا . وظلله تظليلا . قال صاحب العين : تقول ظل نهاره فلان صائماً . ولا تقول العرب : ظل إلا لكل عمل بالنهار . كما لا تقول : بات إلا بالليل . وربما جاءت ظل في اشعارهم نادرا . ومن العرب من يحذف لام ظللت ، ونحوها فاما اهل الحجاز فيكسرون الظاء على كسر اللام التي القيت فيقولون : ظللنا وظللتم . كما قال تعالى « فظلتم تفكهون » (١) والمصدر : الظلول . فالامر فيه اظلل والظل ضد القبح ونقيضه . ويقال لسواد الليل ' فيسمى ظلا . وجمعه ظلال . قال الله تعالى : « الم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً » (٢) يعني الليل . والظل في كلام العرب هو الليل . وتقول اظلتني هذه الشجرة اظلالا . والمكان الظليل : الدائم الظل . وقد دامت ظلاله . والظلة كهيئة الصفة ، وقوله : « عذاب يوم الظلة » (٣) يقال هو عذاب يوم الصفة . والظلة البرطلة . والاظلال : الدنوّ يقول قد اظلك فلان اي كأنه القى عليك ظله من قربه . وتقول لا تجاوز ظل ظلك وملاعب ظله : طائر يسمى بذلك . والاظل : باطن منسم البعير وجمعه اظلال قال الشاعر :

يشكو الوجى من اظلل واظلل

---

(١) سورة الواقعة آية : ٦٥ .　(٢) سورة الفرقان آية : ٤٥ .

(٣) سورة الشعراء آية : ١٨٩ .

يعني من اظل واظل . فاظهر التضعيف بضرورة الشعر قال لبيد :

بنكيب معر دامي الاظل (١)

اراد بخف نكيب : منكوب نكبته الحجارة . معر : ساقط الشعر اماس . والظل كون النهار تغلب عليه الشمس . قال رؤبة : كل موضع تكون فيزول عنه ظل وفيء يقالان جميعا . وما سوى ذلك يقال له ظل ولا يقال : فيه الفيء . والظل الظليل : الجنة قال الله تعالى : « وندخلهم ظلا ظليلا » (٢) والظل : الخيال الذي يرى من الجن وغيره . والمظلة ايضا تتخذ من خشب وغيره يستظل بها والظل : المنعة والعز . كذا ذكر ابن دريد يقال : فلان في ظل فلان اي في عزه وأصل الباب : التظليل . وهو الستر والاظلال الدنو : كدنو الساتر . وحد التظليل الستر من علة .

والغمام : السحاب والقطعة منها غمامة تقول : يوم غم ، وليلة غمة وامر غام . ورجل مغموم ، ومغتم ، ذو غم . وفلان في غمة من امره : اذا لم يهتد له . والغماء : الشديدة من شدائد الدهر ، ورجل اغم ، وجبهة غماء : كثيرة الشعر تقول منه : غم يغم . وكذلك في القفا . قال الشاعر :

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا اغم القفا والوجه ليس بانزعا

والغميم : الغمس وهو ان يسحق حتى يغلظ . والغم : ضد الفرح . والغمة : الغطاء على القلب من الغم . والغمة : الضيقة تقول : اللهم احسر عنا هذه الغمة أي الضيقة . وغم الهلال اذا غطاه الغيم . وكل شيء غطيته فقد غميته ولذلك سمي الرطب الغموم وهو الذي يوضع في جرة وهو بسر ثم يغطى حتى يرطب . والغمام اشتق من هذا ، لانه يغطى السماء ، ورجل أغم . وامرأة غماء اذا دنا قصاص الشعر من حاجبه حتى يغطى جبهته ، وكذلك هو في القفا . وأصل الباب الغطاء .

المعنى :

يوم الغمام الذي ظلل على بني اسرائيل . قال ابن عباس ومجاهد : لم يكن بالسحاب ، ولكنه الذي عنى في قوله : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من

(١) اللسان (معر) وصدره : وتصك المرو لما هجرت (٢) سورة النساء آية : ٥٦ .

الغمام » . (١) وهو الغمام الذي اتت فيه الملائكة يوم بدر ، ولم يكن لغيرهم . قال ابن عباس كان معهم في التيه وقيل هو ما ابيض من السحاب .

واما المن قال ابن عباس : هو المن الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر وقال قتادة : كان المن ينزل عليهم مثل الثلج . وقيل هو عسل وقيل خبز مرقق وقيل هو الزنجبيل . وقيل هو شيء كالصمغ كان يقع على الاشجار وطعمه كالشهد والعسل عن مجاهد وقال الزجاج : جملة المن ما من الله تعالى على عباده مما لا تعب فيه ولا نصب . وروي عن النبي (ص) انه قال : الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين . قال بعض اهل العلم يعني بمائها الوسمي الذي يكون منها الكمأ وهو اول مطر يجيء في الخريف . وقيل هو الذي يسقط على الثمام .

والمنّ حلوٌ كالعسل . وإياه عنى الاعشى في قوله :

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم ما ابصر الناس طعما فيهم نجعا (٢)

وجعله امية بن ابي الصلت في شعره عسلا فقال :

ورأى الله انهم بضيع لا بذي مزرع ولا معمورا (٣)

فنساها عليهم غاديات ومرى مزنهم خلايا وخورا (٤)

عسلا ناطفا وماء فراتا وحليباً ذا بهجة مثمورا (٥)

الناطف : القاطر والصافي من اللبن والمن قطع الخير قال الله تعالى لهم « اجر غير ممنون » أي غير مقطوع . والمن : هو الاحسان الى من لا يستثنيه والاسم هو المنة والله تعالى

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٠ (٢) ديوانه . ومن قصيدة طويلة يمدح بها ذا التاج هوذة ابن علي الحنفي صاحب اليمامة . الطعم : ما كل من الطعام . ونجم الطعام في الانسان : استمرأه آكله وصلح عليه . (٣) ديوانه يقال : هو بدار مضيعة : كانه فيها ضائع . مزرع مصدر ميمي من زرع يعني ليس بذي زرع . معمور آهل ونصب معموراً عطفاً على بذي مزرع في المطبوعة والمخطوطة « ورأى » بدل « فرأى » « منمورا » بدل « معمورا »

(٤) فنساها من نسأها . ونسأ الدابة زجرها وساقها . غاديات جمع غادية وهي السحابة التي تنشأ غدوة . ومري الناقة مريا مسح ضرعها لتدر . والمزن جمع مزنة وهي السحابة ذات الماء . وخلايا جمع خلية وهي الناقة التي خليت للحلب لغزارة لبنها . الخور : ابل حمر تميل الى الغبرة . في المخطوطة والمطبوعة بدل « فنساها » « فسناها » وبدل « مري » « قرى » . وبدل « مزنهم » « منهم » وبدل « وخورا » « وعورا » . (٥) ناطف قطر والفرات : اشد الماء عذوبة .

المنان علينا الرحيم والمنّة : قوة القلب . يقال ضعيف المنّة . ويقال ليست لقلبه منة والمنون : الموت . وهو اسم مؤنث . قال ابن دريد : منّ يمنّ منا : اذا اعتقد منه ومن عليه بيد أسداها اليه اذا قرعه بها . واصل الباب : الاحسان . فالمن الذي كان يسقط على بني اسرائيل مما من الله عليهم أي أحسن به اليهم .

واما السلوى فقال ابن عباس : هو السماني وقيل : هو طائر كالسماني وواحده سلوى قال الاخفش : لم اسمع له بواحد . قال : و يجوز ان يكون واحده سلوى، مثل جماعته كما قالوا دفلى للواحد والجماعة . وقال الخليل : واحده سلواة قال الشاعر :

كما انتفض السلواة بلله القطر

ويقال سلا فلان يسلو عن فلان : اذا تسلى عنه . وفلان في سلوة من العيش اذا كان في رغد يسليه الهم . والسلوان : ماء من شربه ذهب غمه على ما يقال ويقال هذا مثل يضرب لمن سلا عن شيء يقال سقي سلوة وسلوانا . وقال ابن دريد : سلا يسلو سلوا ، وسلوا وسلوة والسلوانة : خرزة زعموا انهم اذا صبوا عليها الماء ، فسقي منها الرجل ، سلا واصل الباب السلو ، وهو زوال الهم .

سبب نزول المن والسلوى :

وكان سبب انزال المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاهم الله تعالى بالتيه ، حين قالوا لموسى : « اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » (١) فامرهم بالمسير الى بيت المقدس، فلما ساروا تاهوا في قدر خمس فراسخ أو الستة. فلما اصبحوا ساروا عادين فامسوا ، فاذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه فلم يزالوا كذلك ، حتى تمت اربعين سنة ، تفضل عليهم في تلك الحال ، واحسن اليهم ، وانزل عليهم المن والسلوى . وكانت ريح الجنوب تحشره عليهم قال ابن جريج : كان الرجل إذا اخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد ، فسد إلا يوم الجمعة فانهم اذا اخذوا طعام يومين لم يفسد .

---

(١) سورة المائدة آية : ٢٧ .

الاعراب :

وموضع « كلوا » نصب على وقلنا كلوا كذا قال الرماني :

وقيل في معنى « الطيبات » قولان :

احدها ـ انه المشتهى اللذيذ

والثاني ـ انه المباح الحلال الذي يستلذ اكله .

وقوله : « وما ظلمونا »

المعنى :

انما يتصل بما قبله بتقدير محذوف فكأنه قال فخالفوا ما امر الله به أو كفروا هذه النعمة . « وما ظلمونا » قال ابن عباس وما نقصونا ، ولكن كانوا انفسهم ينقصون . وقال غيره : معناه وما ضرونا ، ولكن كانوا انفسهم يضرون . قال ابو علي الظلم الذي لا يستحقه المضرور ممن قصده وليس للمضرور فيه نفع . وقال الرماني حقيقة الضرر القبيح . والصحيح في حقيقة الظلم ما ذكرناه فيما مضى هو الضرر الذي لا نفع فيه يوفي عليه ، ولا دفع ضرر اعظم منه عاجلا وآجلا ولا يكون واقعاً على وجه المدافعة فاما ما قاله الرماني فهو حد الشيء نفسه ، لأن السؤال باق ولقائل ان يقول : وما الضرر إلا القبيح ، لأن كونه قبيحا حكم من احكامه فلابد من بيان ذلك حينئذ . وما ذكره ابو علي ينتقض بالالم الواقع على وجه المدافعة وبالالم الذي فيه وجه ضرر اعظم منه عن الضرورة ، وبالضرر الذي فيه نفع يوازيه

وروي عن عن الصادق (ع) انه قال : المن كان ينزل على بني اسرائيل من بعد طلوع الفجر الثاني الى طلوع الشمس فمن نام في ذلك الوقت ، لم ينزل عليه نصيبه فلذلك يكره النوم في هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس .

قوله تعالى :

« وَاِذْ قلنا ادْخلوا هـذه القَريَةَ وكلوا منها حَيثُ شئتم رَغداً

وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين » (٥٨) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ نافع واهل المدينة يغفر بضم الياء وفتح الفاء . الباقون بفتح النون ، وكسر الفاء وادغم الراء في اللام وما جاء منه . والآية معطوفة على ما تقدم . فكأنه قال واذكروا اذ قلنا . ادخلوا والدخول والولوج والاقتحام نظائر والفرق بين الدخول والاقتحام ان الاقتحام دخول على صعوبة .

اللغة :

ونقيض الدخول : الخروج تقول : دخل يدخل دخولا . وادخله ادخالا . وتداخل تداخلا ، واستدخل استدخالا ، وداخله مداخلة . ويقال : في امره دخل أي فساد . دخل امره يدخل دخلا : أي فسد . ودخلت الدار وغيرها دخولا واوردت ابلي دخالا إذا اوردتها فادخلت بين كل بعيرين بعيراً ضعيفاً بعدما ابتعرأو تشرب دون ريها . وفلان دخيل بني فلان : اذا كان من غيرهم . واطلعت فلانا على دخلة امري : اذا بثثته مكتومك . والدخل طائر صغير . وفلان حسن المدخل ، أو قبيح المدخل : أي المذهب في الامور . وكل لحمة على عصب فهي دخلة . قال صاحب العين : فلان مدخول اذا كان في عقله دخل ، أو في حسبه . والمدخول : المهزول الداخل في جوفه الهزال . والدخلة : بطانة الامير . يقال : فلان خبث الدخلة . والداخل في عار ويدخل فيه ونحو ذلك يصف شدة الدخول . ودخيل الرجل : الذي يداخله في اموره كلها فهو له دخيل . دخال والدخال : مداخلة المفاصل بعضها في بعض . والدخولة معروفة والدخل : صغار الطير امثال العصافير مأواها الغيران ، وبطون الاودية تحت الشجر الملتف وجمعه دخاخيل . والانثى دخلة . واصل الباب : الدخول قال الرماني في حد الدخول : الانتقال الى محيط . وقد يقال : دخل في الامر : كما يقال دخل في الدار تشبيهاً ومجازاً .

وقوله : « هذه القرية » إشارة الى بيت المقدس - على قول قتادة ، والربيع ابن أنس - وقال السدي : هي قرية بيت المقدس : وقال ابن زيد : إنها أريحا قريب من بيت المقدس .

اللغة :

والقرية والبلدة والمدينه نظائر . قال ابو العباس : اصله الجمع : ومنه المقراة: الحوض الذي تسقى فيه الابل . سمي مقراة ، لجمع الماء فيه . والمقراة : الجفنة التي يعد فيها الطعام للاضياف قال الشاعر :

عظام المقاري جارهم لا يفزع

ومنه قريت الضيف . ومنه قريت الماء في الحوض . ومنه قريت الشاة تقري وشاة قارية : إذا كانت تجمع الجرة في شدقها . وهو عيب عندهم شديد وكل ما قري فهو مقري : مثل المرقد كل ما رقدت فيه . والقري : المسيل الذي يحمل الماء الى الروضة . وجمعه : قريان : كقضيب وقضبان قال الشاعر :

ماء قريّ حده قري

قال ابن دريد : قريت الضيف أقريه قرى . وقريت الماء في الحوض أقريه قريا . وقرى البعير : جرته في شدقه قريا . والقرية : اشتقاقها من قرى البعير جرته : أي جمعها . والجمع قرى - على غير قياس - . وقال قوم من اهل اليمن : قرية : وقال صاحب العين : القرية والقيرية - لغتان - تقول : ما زلت استقري هذه الأرض قرية قرية . والكسر لغة عانية . ومن هناك اجتمعوا على جمعها على القرى ، حيث اختلفوا فحملوها على لغة من قال : كِسوة وكُسوة . والنسبة اليها قروي . وام القرى : مكة وقوله : « وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا » (١) يعني بها :الكور والأمصار والمدائن والقرى : الظهر من كل شيء ، حتى الآكام وغيرها . والجمع الاقراء . والقرى : الاحسان الى الضيف . تقول : اقرى يقري الضيف قرىً : اذا اضافه ضيافة ، وانزله نزالة . والقرى جيء الماء في الحوض . والمدة تقرى في الجرح : أي تجتمع .

---

(١) سورة الكهف : آية ٦٠

وقوله : « وادخلو الباب »

المعنى :

أي الباب الذي امروا بدخولها . وقال مجاهد والسدي : هو باب حطة من بيت المقدس . وهو الباب الثامن . وقيل : باب القبة التي كان يصلي إليها موسى . وقال قوم : باب القرية التي أمروا بدخولها . قال أبو علي : قول من قال : إنه باب القرية، لأنه لم يدخلوا القرية في حياة موسى . لأنه قال : « فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم » . والعطف بالفاء يدل على أن هذا التبديل منهم كان في أثر الأمر فدل ذلك على أنه كان في حياة موسى .

ومعنى قوله : « سجداً »

قال ابن عباس : ركعاً . وهو شدة الانحناء . ومنه السجد من النساء : الفاترات الأعين . وقال الأعشى :

ولهوي إلى حور المدامع سجد

وقال الآخر :

ترى الأكم منه سجداً للحوافر (١)

وقال غيره : ادخلوا خاضعين متواضعين . قال اعشى قيس :

تراوح من صلوات المليك طوراً سجوداً وطوراً جؤارا

وقوله : « حطة »

المعنى :

قال الحسن ، وقتادة وا كثر أهل العلم : معناه حُط عنا خطايانا . وروي عن ابن عباس أنه قال : أمروا أن يستغفروا . وروي عنه ايضاً أنه قال : امروا أن يقولوا : هذا الأمر حق : كما قيل لكم . وقال عكرمة : امروا أن يقولوا لا إله إلا الله . وكل هذه الأقوال محط الذنوب فيترحم لحطة عنها .

(١) الكامل ١ : ٢٥٨ في المطبوعة فيها . وهو غلط . والأكم : ج ١٠ كام ج ١٠ أكمة وهي التل .
(٢) ديوانه . راوح . عمل عملين في عمل . والجؤار . رفع الصوت بالدعاء .

اللغة :

وحطة مصدر مثل ردّة وجدّة من رددت وجددت . قال صاحب العين : الحط : وضع الأحمال عن الدواب تقول : حططت عنها أحط حطا . وانحط انحطاطا. والحط والوضع والخفض نظائر . والحط : الحدر من العلو : كقول امرىء القيس :

كجلمود صخرٍ حطه السيل من علِ (١)

ويقال للنجيبة السريعة : حطت في سيرها وانحطت . وتقول حط الله وزرك الذي انقض ظهرك . وقال الشاعر :

واحطط إلهي - بفضل منك - أوزاري

والحطاطة : بثرة تخرج في الوجه تقبح اللون ولا تقرح . وجارية محطوطة المتنين : ممدودة حسنة والحط : حط الاديم بالمحط . وهي خشبة يصقل بها الأديم او ينقش . وأصل الباب : الحط : وهو الحدر من علو . وارتفعت « حطة » في الآية - على قول الزجاج - على تقدير مساءلتنا حطة ، وقال غيره : دخولنا الباب سجداً : حطة لذنوبنا كقوله : « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً قالوا : معذرة » يعني موعظتنا بعذرة إلى ربكم . ويجوز النصب في العربية على معنى حط عنا ذنوبنا حطة ، كقولك : سمعا وطاعة يعني اسمع سمعاً واطيع طاعة ، كقولك : معاذ الله . يعني نعوذ بالله وهو أقوى لأنه دعاء .

وقوله : « نغفر لكم »

اللغة :

والغفران والعفو . والصفح نظائر . يقال : غفر الله غفرانا . واستغفر استغفارا واغتفر اغتفاراً . قال ابو العباس : غفر الله لزيد بمعنى : ستر غطى له على ذنوبه . والغفران انما هو التغطية . يقال للسحابة فوق السحاب : الغفارة . وثوب ذو غفر :

---

(١) معلقته , وصدر البيت : مكر مفر مقبل مدبر معاً - يصف فرسه -

اذا كان له زئير يستر قبحه . ويقال : المغفر ، لتغطية العنق . ويقال غفرت الشيء : إذ واريته . والمغفرة والغفيرة بمعنى [واحد] . والمغفرة : منزل (١) من منازل القمر . يسمى [بذلك] لخفائه . وقال الزجاج : الغفر : التغطية . وكل ما تفرع من هذا الباب فهذا معناه . وقولهم : اللهم اغفر لنا . تأويله اللهم غط علينا ذنوبنا والله الغفور والغفار والمغفر ما يغطى به الرأس من الحديد وغيره . وكذلك الغفارة وهي خرقة تلف على سية القوس : أي طرفها . وغفارة : اسم رأس جبل . والمغفورة والمغفارة . صمغ العرفط وقد اغفر الشجر : إذا ظهر ذلك فيه . وفي الحديث : أن النبي « ص » دخل على عائشة . فقالت : يا رسول الله . أكلت مغافير ؟ تعني هذا الصمغ . ومنهم من يقول : مغاثير : كما قيل جدث ، وجدف . والغفر : شعر صغار دون الكبار . وريش دون الريش الكبار ، لأنه هو الذي يغطي الجلد . والغفر : النكس من المريض . يقال : صلح فلان من مرضه ثم غفر أي نكس . ومنه قول ضرار . ـ وقيل إنه لجميل ـ :

خليلي إن الدار غفر لذي الهوى كما يغفر المحموم او صاحب الكلم

ومعناه : أن المحب إذا سلا عن حبيبه ، ثم رأى داره جدد عليه حبه . فكأنه مريض نكس . وانما قيل النكس ، لأنه يغطي على العافية . والغفر : شعر يكون في اللحيين . وقد غفر فلان ، وقد غفرت المرأة : إذ انبت لها ذلك الشعر . ومتاع البيت يقال له : الغفر ، لأنه يغطي على الخلل . والغفر : الحوالق . ويقال جاء والجماء الغفير . وجاءوا جماً غفيرا . وجاءوا جماء الغفير : اي مجتمعين جماً يغطي الأرض . والغفر : ولد الأروى : وهي انثى الوعل ، لأنها تأوي الجبال ، فتستتر عن الناس . يقال لأنثى الوعل ، إذا كان معها ولدها : مغفر . كما يقال : لكل ذات طفل : مطفل . ويقال : غفرت الأمر تغفرة : إذا أصلحته بما ينبغي ان يصلح به . والمعنى : أصلحته بما غطى على جميع فساده . والغفر : زئير الثوب . وثوب ذو غفر . وغفرت المتاع اذا جعلته في وعاء . وكل شيء غطيته ، فقد سترته . ويقال إصبغ ثوبك فانه أغفر

---

(١) ثلاثة انجم صغار .

للوسخ : أي استر له . وأصل الباب : التغطية وحد المغفرة : ستر الخطيئة برفع العقوبة

والخطيئة ، والزلة ، والمعصية نظائر . يقال : خطأ خطأ . واخطأ إخطاء .

واستخطأه استخطاء . وخطأه تخطئة . وتخاطى تخاطياً . قال ابن دريد : الخطأ مقصور

مهموز . يقال خطأ الشيء خطأ : اذا لم يرده واصابه . واخطأ يخطىء اخطاء : اذا

اراده فلم يصبه . والأول خاطىء والثاني مخطىء به . والخطيئه تهمز . قال صاحب

العين : الخطأ : ما لم يتعمد ، ولكن يخطىء اخطاء وخطاءة وتخطئة. واصل الباب : الخطأ

ومثله الزلل . والخاطىء الذي قد زل عن الشيء في قصده - وان اتفق له ان يصيبه

من غير أن يقصده ، ولذلك لا يكون الخاطىء في الدين إلا عاصياً ، لأنه لم يقصد الحق

وأما المخطىء فانما زل عن قصده . ولذلك يكون المخطىء من طريق الاجتهاد مصيباً

لأنه قصد الحق واجتهد في اصابته فصار الى غيره . وحد الخطيئة : العدول عن

الغرض المجرد . وخطايا وزنها : فعائل . وتقديره خطائي ، فقلبت الهمزة الأخيرة ياء

على حركة ما قبلها ، فصارت خطايي ، ثم فعل بها ما فعل بمداري ، حتى قيل مدارى

فصارت : خطاءى . فاستثقل همز بين ألفين ، لأنه بمنزلة ثلاث ألفات ، فقلبت الهمزة

ياء . وانما أعلت هذا الاعلال ، لأن الهمزة التي بعد الألف عرضت في جميع

فعل القياس . تقول : في جمع مرآة مراءى ، فلا تعل . والخليل يقول : وزنه فعالى

على قلب الهمزة .

القراءة :

من اختار النون من القراء ، قال : لأنه مطابق لما تقدم من قوله : « وظللنا »

و « قلنا » . وانما اتفق القراء على خطاياكم هاهنا ، واختلفوا في الأعراف وسورة

نوح ، لأن اللتين في الأعراف ونوح كتبتا في المصحف بالياء بعد ألف ، والتي في

البقرة بألف .

وقوله : « وسنزيد المحسنين » .

فالزيادة التي وعدها الله المحسنين ، هي تفضل يعطيه الله المحسنين ، يستحقونها

بوعده اياهم . وهي زيادة على الثواب الذي يستحقونه بطاعته (تعالى) .

اللغة :

والفرق بين احسن اليه واحسن في فعله : ان أحسن اليه لا يكون إلا بالنفع له. واحسن في فعله ليس كذلك. ألا ترى انه لا يقال: أحسن الله اليه إلى أهل النار بتعذيبهم . ويقال : أحسن فى تعذيبهم بالنار : يعني أحسن في فعله وفي تدبيره .

والاحسان ، والانعام ، والافضال نظائر . وضد الاحسان : الاساءة : يقال حسن حسنا : واحسن إحسانا . واستحسن استحسانا . وتحاسنوا تحاسنا . وحسنه تحسينا . وحاسنه محاسنة . والمحسن والجمع محاسن : ـ المواضع الحسنة في البدن . ويقال : رجل كثير المحاسن . وامرأة كثيرة المحاسن وامرأة حسناء . ولا تقول : رجل أحسن ، وتقول : رجل حسان وامرأة حسانة . وهو المحسن جيدا . والمحاسن في الاعمال : ضد المساوىء . تقول : أحسن فانك الحسان . والحسنى : الجنة ، لقوله: « للذين احسنوا الحسنى وزيادة » . والحسنى : ضد السوء . والحسن : ضد القبيح والحسان : جمع حسن الحقوها بضدها ، فقالوا : قباح وحسان . كما قالوا : عجاف وسمان . واصل الباب : الحسن . وهو على ضربين : حسن في النظر ، وحسن في الفعل وكذلك القبح . وحد الحسن من طريق الحكمة : هو الفعل الذي يدعو اليه العقل . وحد القبيح : الذي يزجر عنه العقل . وحد الاحسان : هو النفع الحسن . وحد الاساءة : هو الضرر القبيح هذا لا يصح الا على قول من يقول: إن الانسان يكون محسنا الى نفسه ومسيئا اليها . ومن لا يقول فذلك يريد فيه الواصل الى الغير مع قصده الى ذلك والاقوى في حد الحسن أن تقول : هو الفعل الذي اذا فعله العالم به على وجه ، لم يستحق الذم فانه لا ينتقض بشيء .

وقوله : « وكلوا منها حيث شئتم رغدا » يعني من هذه القرية ، حيث شئتم رغداً أي واسعاً بغير حساب . وقد بينا معناه فيما مضى واختلاف الناس فيه .

قوله تعالى :

« فَبَدَّلَ الذينَ ظَلَمُوا قَولاً غيرَ الذي قِيلَ لَهُمْ فأنزلنا على

الذِينَ ظَلَمُوا رِجزاً مِن السَّماءِ بما كانوا يَفسُقون » . (٥٩) آية بلا خلاف .

معنى قوله: فبدل الذين ظلموا: غيروا .

وقوله : « الذين ظلموا » معناه : الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله .

وقوله : « غير الذي قيل لهم » يعني بذلك بدلوا قولا غير الذي امروا ان يقولوه . فقالوا بخلافه . فذلك هو التبديل والتغيير . وكان تبديلهم بالقول : انهم امروا ان يقولوا : حطة ، وان يدخلوا الباب سجداً . وطؤطيء لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه يزحفون على استاهم فقالوا : حطة في شعيره مشتهرين .

وقوله : « فانزلنا على الذين ظلموا » يعني : الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله في تبديلهم بالقول والفعل

« رجزاً » :

اللغة :

والرجز في لغة اهل الحجاز: العذاب . وفي لغة غيرهم :الرجس ، لأن الرجس الشر. ومنه قوله (ع) في الطاعون: إنه رجس عذّب به بعض الامم وهو قول ابن عباس ،وقتادة .وقال ابوعبيدة : الرجز .والرجس لغتان مثل الردع ، والسدع والبزاق والبساق . وقال ابو العالية : هوالغضب .وقال ابو زيد: هو الطاعون ، فقيل انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفاً من كبرائهم وشيوخهم و بقي الابناء وانتقل العلم والعبادة اليهم .

وقوله: « من السماء » قال قوم: يعني ما قضاه الله عليهم من السماء . وقال آخرون : أراد بذلك المبالغة في علوه بالقهر .

وقوله « يفسقون » مضمومة السين عليه جميع القراء وهو اشهر اللغات . وقد حكي في بعض اللغات بكسر السين

قوله تعالى :

« وَاذِ استَسقى مُوسى لِقومهِ فقلنا اضرب بعصاك الحجرَ فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كلُّ اناسٍ مشربهم كلوا واشربوا من رزق اللهِ ولا تعثوا في الارض مفسدين » (٦٠) آية واحدة بلا خلاف.

قوله: « واذا » متعلق بكلام محذوف. ويجوز ان يكون ذلك ما تقدم ذكره في الآيات المتقدمة من ضروب نعم الله على بني اسرائيل فكأنه قال : واذكروا إذ استسقى موسى لقومه: أي ساله إن يسقي قومه ماء

تقول : سقيته من سقي السقة ، واسقيته :دللته على الماء فنزل منزلة سؤال ذلك .

والمعنى الذي سال موسى اذا كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى مما نزل . وكذلك قوله . « فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا» من ماء فاستغنى بدلالة الظاهر على المنزول منه ، لأن معنى الكلام : قلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت منه . فترك ذكر الخبر غير ضرب موسى الحجر اذا كان فيما ذكره دلالة على المراد وكذلك قوله : « قد علم كل اناس مشربهم » فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه .

والانفجار ، والانشقاق . والانبجاس أضيق منه فيكون أولا انبجاسا ، ثم يصير انفجاراً و العين من الاسماء المشتركة . العين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان بخروج الماء منها ، كخروج الدمع من عين الحيوان وقد بينا ان اناسا لا واحد له من لفظه فيما مضى وإن الانسان لو جمع على لفظه لقيل اناسين واناسيه وقوم موسى هم بنو اسرائيل الذين قص الله عز وجل قصصهم في هذه الآيات . وانما استسقى لهم ربهم الماء في الحال التي تاهوا فيها في التيه شكراً اليه الظما فامروا بحجر طوراني من الطور. فضربه موسى بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين معلومة ماؤها لهم . وروي عن ابن عباس انه قال :ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع وروي

انه كان مثل شكل الرأس . وامر موسى فضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية منه ثلاثة عيون ، ولا يرتحلون مرحلة إلا وجدوا ذلك الحجر بينهم في ذلك المكان الذي كان بينهم في المنزل الاول . وقيل إنهم كانوا ينقلونه معهم في الجوالق اذا احتاجوا الى الماء . ضربه موسى بالعصى فيه ففجر منه الماء وقال قوم : بانه امر بان يضرب أي حجر شاء لا حجراً بعينه . والاول أظهر لأن فيه لام التعريف .

والشين ساكنة في اثنتا عشرة عند جميع القراء . وكان يجوز كسرها في اللغة ولم يقرأ به احد . والكسر لغة ربيعة ، وتميم والاسكان : لغة اهل الحجاز واسد فاذا صغرت اثنتا عشرة قلت ثني عشرة واذا صغرت ثنى قلت ثنتي عشرة . وروى فتحها محمد عن الأعمش .وهو غلط إلا إذا قيل عشرة مفرد فانه بفتح الشين . فاما ما زاد على ذلك فالشين ساكنة ، أو مكسورة إلا قولهم أحد عشر إذا بنيا معاً . ونصب عيناً على التمييز . وعند الكوفيين على التفسير ولا ينبغي الوقف على احدالاسمين المجمولين اسماً واحداً ، دون الآخر : كقولك احد عشر ، واثنا عشر ، وما اشبه ذلك ولذلك يكره الوقف على العدد الأخير قبل ان يميزه ، ويفسره وكذلك قوله : « خيرثواباً وخير مرداً » (١) « وملءالارض ذهباً » (٢) « وعدل ذلكصياماً » (٣) « وخير حافظاً » (٤) « واحسن ثواباً » واشباه ذلك ومن آيات الله العجيبة انفجار العيون من الحجر الصلد بعدد قبائل اسرائيل على وجه يعرف كل فرقة منهم شرب نفسه ، فلا ينازعه فيه غيره . وذلك من الأمور الظاهرة . على أن فاعل ذلك هوالله تعالى وان ذلك لا يتم فيه حيلةمحتال ولا كيد كائد. ومن استبعد ذلك من الملحدين فالوجه ان يتشاغل معه في الكلام في اثبات الصانع ، وحدوث الصنعة ، واثبات صفاته وما يجوز عليه ، ومالا يجوز فاذا ثبت ذلك سهل الكلام في ذلك. ومتى شك فيذلك ، أو في شيء منه ، كان الكلام معه في هذا الفرع ضربا

---

(١) سورة مريم : آية ٧٧ (٢) سورة آل عمران : آية : ٩١ .

(٣) سورة المائدة : آية ٩٨ (٤) سورة يوسف آية ٦٤

من الغناء لا وجه للتشاغل به. وقوله هاهنا : « فانفجرت » لا ينافي قوله في الاعراف : « فانبجست » لأن الانبجاس : هو الانفجار إلا أنه قليل وقيل : إنه لا يمتنع أن يكون أوله ما ينبجس ، كان قليلا ، ثم صار كثيراً ، حتى صار انفجاراً

وقوله : « كلوا واشربوا من رزق الله »

يعني من النعم التي عددها عليهم من المن والسلوى وغير ذلك

وقوله : « ولا تعثوا في الارض مفسدين »

أي لا تطغوا ولا تسعوا في الارض فسادا . واصل العثا : شدة الفساد . يقال منه : عثا فلان في الارض الى عاثية يعثأ . والجماعة يعثون . وفيه لغتان أخريتان :

احدهما — يعثو عثوا . ومن قرأ بهذه اللغة ينبغي أن يضم الثاء . ولم يقرأ به احد . واللغة الاولى : لغة اهل الحجاز . وقال بنو تميم : عاث يعيث عيثا وعيوثا وعيثانا . بمعنى واحد . قال رؤبة بن العجاج :

وعاث فينا مستحل عائث مصدقٌ أو تاجر مقاعث (١)

يعني بقوله : عاث فينا : افسد فينا . وقيل : يعثو أصله العيث . فقدموا بعض الحروف ، واخروا بعضها . يقال : عثا يعثو . وعاث يعيث وهو الفساد . قال ابن اذينة الثقفي :

وانما قال : « لا تعثوا في الأرض مفسدين » وإن كان العيث لا يكون إلا فسادا ، لأنه يجوز أن يكون فعلا ظاهره الفساد ، وباطنه المصلحة : كخرق موسى السفينة ، فبين ذلك العيث الذي هو الفساد ظاهراً وباطناً .

قوله تعالى :

« وَإِذْ قُلْتُمْ : يامُوسى لَنْ نَصبرَ عَلى طَعامٍ وَاحِدٍ فادْعُ لَنا ربَّكَ يُخرِج لَنا ممّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقلِها وقِثّائِها وَفُومِها وَعَدَسِها وبَصَلِها

---

(١) ديوانه . مستحل : استباح الاموال . مصدق : هو العامل الذي يجبي الحقوق من المسلمين . تعمش الشيء : استأصله . في المخطوطة : « سحل » بدل مستحل « فاجر » بدل « تاجر » و « مباعث » بدل « مقاعث » .

قال : أَتَستبدِلونَ الذي هُوَ ادنى بالذي هوَ خيرٌ اهْبِطوا مِصراً فانّ لكمْ ما سألتُمْ . وَضُرِبَتْ عليهمُ الذلَّةُ و المسكَنةُ وَباءوا بغضبٍ مِنَ اللهِ ذلكَ بأنَّهم كانوا يكفرون بآياتِ اللهِ ، وَيقتلونَ النبيينَ بغيرِ الحقِّ . ذلك بما عَصوا وكانوا يَعتَدونَ » (٦١) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ اهل المدينـــة : النبيئين ـ بالهمز ـ الباقون بغير همزة · وترك الهمزة هو الاختيار .

اللغة :

واختلفوا في اشتقاقه . فقال بعضهم : من انبائك الامر : كأنه انبأ عن الله وأخبر عنه . فترك الهمز ذلك لكثرة ما يجزي · وقال الكسائي : النبي : الطريق يراد به أنه علم وطريق الى الحق · واصله من النبوة والنجوة : المكان المرتفع . ومن قال : هو مشتق من الانباء ، قال : جاء فعيل بمعنى مفعـل : كما قال : سميع بمعنى مسمع · كذلك قالوا : نبيء بمعنى منبأ ، وبصير بمعنى مبصر . وابدل مكان الهمزة من النبيء الياء ، فقالوا : نبيّ (١) هذا ويجمع النبي انبياء · وانما جمعوه كذلك ، لانهم ألحقوا النبي بابدال الهمزة منه ياء · فالنعوت التي تأتي على تقدير فعيل من ذوات الياء والواو وذلك كقولهم : ولي واولياء . ووصي واوصياء . ودعي وادعياء . ولو جمعوه على اصله ، والواحـد بني ليعتل اليها ، لأن فعيلا تجمع فعلاء : كقولهم : سفيه وسفهاء وفقيه وفقهاء . وشريك وشركاء . وقد سمع من العرب : النبآء . وذلك في لغـة من همز النبي . ومن قول العباس بن مرداس السلمي في وصف النبي (ص) ومدحه :

ياخاتم النبآء انك مرسل　　بالخير كل هدى السبيل هداكا(٢)

---

(١) في المطبوعة « ما » زائدة في هذا الموضع . (٢) سيرة ابن هشام ٤ : ١٠٣ فاعل « هداك » هو الله سبحانه وتعالى في المخطوطة «الانبياء» بدل « النبآء » وهو غلط وفي مجمـ—

فجمع على أن واحدهم نبيء ـ مهموز ـ وقد قال بعضهم : النبي والنبوة غير مهموزين ، لأنهما مأخوذان من النبوه . وهي مثل النجاة . وهما مأخوذان من المكان المرتفع . وكل يقول : إن اصل النبي : الطريق قال القطامي :

لما وردن نبيا واستتب بها مسحنفر كخطوط السيح منسحل (١)

قالوا : وسمي الطريق نبياً ، لأنه ظاهر مبين من النبوة قال ابوعلي الفارسي: قال ابو زيد : نبأت من ارض الى أرض ، وانا انبأ نباء ونبوء : إذا خرجت منها الى أخرى . وليس اشتقاق النبي من هذا — وان كان من لفظه — ولكنه من النبأ الذي هو الخبر . كأنه المخبر عن الله . فان قلت : لم لا يكون من النباوة ومما انشده ابو عثمان . قال : انشدني ابن كيسان :

محض الضريبة في البيت الذي وضعت فيه النباوة حلواً غير ممذوق

او يجوز فيه الأمرين ؟ فتقول : إنه يجوز أن يكون من النباوة ومن النبأ كما أجيز في عضة أن يكون من الواو : كقوله وعضوات . ومن الهاء كقوله :

لها بعضاه الأرض تهزيز

قال : وليس ذلك كالعضة ، لأن سيبويه زعم أنهم يقولون في تحقير النبوة : كان مسيلمة بنبؤته نبيئة سوء . وكلهم يقولون : تنبأ مسيلمة . ولو كان يحتمل الامرين جميعاً ، لما اجتمعوا على انبياء ولا على النبيئه . فان قيل : فلم لا يستدل بقولهم : انبياء؟ قيل : ما ذكرته لا يدل على تجويز الأمرين ، لأن (انبياء) انما جاز ، لأن البدل لما الزم في نبيء ، صار في لزوم البدل له : كقولهم: عيد واعياد . فكما أن عيد لا يدل على أنه من الياء لكونه من عود الشيء . كذلك لا يدل انبياء على انه من النباوة ، ولكن لما لزم البدل ، جعل بمنزلة تقي واتقياء ،

— البيان « النباء» بتشديد الياء . وعجزه في المخطوطة والمطبوعة هكذا : بالحق خير هدى الاله هداكا . ومثله في تتمة البيان. (١) الديوان : ٤ والضمير في «وردن» للابل . وروايته « واستتب بنا » ونبي : كثيب رمل في ديار بني تغلب . واستتب الامر : استوى . مسحنفر : صفة للطريق وهو الواسع . السيح : لباس مخطط . وسحلت الريح الارض : كشطت ما عليها . والبيت في المخطوطة والمطبوعة هكذا :

لما وردت نبأ واسد لما مستحقر كخطوط النسج منسجل

وصفي واصفياء . فلما لزم ، صار كالبرية ، والخلية ، ونحو ذلك ، مما لزم الهمزة فيه حرف اللين بدلا من الهمزة ، لما دل على أنه من الهمزة ، وأنه لا يعترض عليه شيء وصار قول من حقق الهمزة في الشيء ، كرد الشيء إلى الأصل المرفوع استعماله : نحو وذر وودع . فمن ثم كان التخفيف فيه الأكثر .

فاما ماروي في الحديث : من أن بعضهم قال : يا نبيء الله ، فقال : لست بنبيء الله ولكني نبي الله فقال : ابو علي : اظن أن من اهل النقل من ضعف اسناده . ومما يقوي تضعيفه أن من مدح النبي « ص » فقال : يا خاتم النبآء لم يؤثر فيه انكار عليه . ولو كان في واحدة نكير ، لكان في الجميع مثله ، ثم بينا فيما مضى : أن الصبر كف النفس ، وحبسها عن الشيء (١) .

المعنى :

فاذا ثبت ذلك . فكأنه قال : واذكروا إذ قلتم : يا معشر بني اسرائيل ، لن نطيق حبس انفسنا على طعام واحد . وذلك الطعام هو ما اخبر الله عزوجل إذ أطعمهم في تيههم وهو السلوى في قول اهل التفسير وفي قول ابن منبه : الخبز النقي مع اللحم . قيل: ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت ألارض: من البقل. والقثأ ، وما سماه الله مع ذلك وذكر انه سألوه لموسى وكان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتادة . قال : كان القوم في البرية . وقد ظلل عليهم الغمام ، وانزل عليهم المن والسلوى . فملوا ذلك وذكروا عيشا كانت لهم بمصر فسألوا ذلك موسى . فقال الله تعالى : اهبطوا مصرا فان لكم ما سئلتم .

وانما قال مما تنبت الارض ، لان (من) تدخل للتبعيض . ولولم تدخل هاهنا لكانت المسألة تدخل على جميع ما تنبته الارض . فأتوا ب (من) التي نابت مناب البعض حيث قامت مقامه ، وفي الناس من قال : إن من هاهنا زائدة وانها تجري مجرى قولهم : ما جاءني من احد والصحيح : الاول ، لان من لا تزاد في الايجاب . وانما تزاد في النفي ، ولان من المعلوم انهم ما ارادوا جميع ما تنبته الارض وجرى ذلك

(١) في تفسير سورة البقرة : آية ٤٥ انظر ١ . ٢٠١ ، ٢٠٢ .

مجرى قول القائل : أصبت اليوم من الطعام عند فلان . يريد أصبت شيئاً منه .
وقوله « يخرج » جزم جواب الأمر .

اللغة :

والبقل ، والقثاء معروفان . وفي القثاء لغتان : ضم القاف ، وكسرها . والكسر اجود . وهي لغة القرآن . وانما ذكر الله تعالى هذه الالفاظ وان لم تكن لائقة بفصاحة القرآن على وجه الحكاية عنهم . واما الفوم فقال ابن عباس وابو جعفر الباقر (ع) وقتادة والسدي : انه الحنطة . وانشد ابن عباس : قول احيحه ابن الحلاج :

قد كنت اغنى الناس شخصاً واقدا ورد المدينة عن زراعة فوم (١)

وقال الفراء : والجبائي والازهري : هو الحنطة والخبز : تقول العرب : فوّموا بالتشديد اي اخبزوا لنا . وقال قوم : في الحبوب التي تخبز وهو ماثور . وقال ابن مجاهد وعطا وابن زيد : انه الخبز في قراءة ابن مسعود . وهو قول الربيع بن انس والكسائي انه الثوم . وابدل الثاء فاء كما قالوا : جدث وجدف واثافي واثاثي . قال : الفراء : وهذا اشبه بما بعده من ذكر البصل . قال امية بن ابي الصلت :

فوق شرى مثل الجوابي عليها قطع كالوذيل في نقي فوم

وقال ايضاً :

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل (٢)

قال الزجاج . وهذا بعيد ، لانه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم ، لان القوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم ولا يطلبون الخبز الذي هو الاصل . وايضا .

---

(١) هكذا في المطبوعة والمخطوطة ومجمع البيان . وفي لسان العرب : لأبي محجن الثقفي وروايته :

قد كنت أحسبني كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة فوم

(٢) اللسان : (فوم) وروايته :

كانت لهم جنة اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل

فراديس ج . فردوس .

فلا خلاف أن الفوم : هو الطعام ، وان كان كل حب يخبز منه يقال : له فوم .

وقوله : « أتستبدلون الذي هوادنى بالذي هو خير »

المعنى :

قيل فيه قولان :

احدهما — الذي هو ادنى الطعامين بدلا من اجودهما .

والثاني — الذي تتبدلون في زراعته وصناعته بما اعطاكم الله عفوا من المن والسلوى .

وقرا بعضهم : ادنى مهموزا . وقال بعض المفسرين : لولا الرواية لكان هو الوجه ، لانه من قولك : رجل دنيء من الدناءة . وما كنت دنيئاً ولكنك دنئت اي خسست واذا قرىء بلا همز فمعناه : القرب . وليس هذا موضعه ، ولكنه موضع الخساسة . ولوكان ما سألوه أقرب اليهم ، لما سألوه ، ولا التمسوه . ويجوز أن يجعل ادنى واقرب بمعنى : ادون : كما تقول هذا شيء مقارب اى دون . وحكى الأزهري عن ابي زيد (الداني) بلا همز : الخسيس . والدنيء بالهمز : — الماجن (١) .

وقوله : « اهبطوا مصراً » تقديره : فدعى موسى فاستجبنا له ، فقلنا لهم : اهبطوا مصرا . وقد تم الكلام ، لأن الله اجابهم بقوله : « فان لكم ما سألتم . وضربت ... » ثم استأنف حكم الذين اعتدوا في السبت ، ومن قتل الانبياء فقال : « ضربت عليهم الذلة والمسكنة . »

القراءة :

ونون جميع القراء (مصراً) . وقرأ بعضهم بغير تنوين . وهي قراءة ابن مسعود . بغير الف . وقال قتادة ، والسدي ، ومجاهد ، وابن زيد : لانه اراد مصراً من غير تعيين لان ما سألوه من البقل والقثاء لا يكون إلا فى الامصار ، وقال الحسن وابو العالية ، والربيع : إنه اراد مصر فرعون الذي خرجوا منه ، وقال ابو مسلم

(١) في المطبوعة (الماجر) . والماجن : خبيث البطن والفرج .

محمد بن بحر : اراد بيت المقدس لقوله « ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم » .

اللغة :

وروي ذلك عن ابن زيد . واما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعه بالعمارة . ومنهم من قال هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره . قال عدي ابن زيد :

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا (١)

ومن نون أراد مصراً من الامصار غير معين . ويجوز أيضاً أن يريد مصراً بعينه الذي خرجوا منه . وإنما نون إتباعاً للمصحف ، لأن في المصحف ألف : كما قرأ : « قواريراً قواريراً » (٢) منوناً اتباعاً لخط المصحف . ومن لم ينون اراد مصر بعينها لا غير . وكل ذلك محتمل .

وقوله : « ضربت عليهم الذلة والمسكنه » استئناف كلام . بما فعل الله بهم . يعني بالذين اعتدوا في السبت ، وقتلوا الانبياء .

ومعنى « ضربت » : أي فرضت ووضعت عليهم الذلة ، والزموها من قول القائل : ضرب الامام الجزية على اهل الذمة . وضرب فلان على عبده الخراج . وضرب الأمير على الجيش البعث . يريد بجميع ذلك ألزم ذلك . وبه قال الحسن ، وقتادة . وقيل : معنى « ضربت عليهم » : أي حلوا بمنزلة الذل والمسكنة . مأخوذ من (ضرب القباب) . قال الفرزدق في جرير :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

وأما « الذلة » : فقال الحسن وقتادة ، وغيره : [يعطون الجزية عن يدٍ وهم

---

(١) اللسان ـ مادة (مصر) . وروايته (جعل) بدل (جاعل) .

(٢) سورة الانسان . آية ١٥ و ١٦ .

صاغرون] (١) [والذلة] مشتق من قولهم : ذل فلان يذل ذلا وذلة .

واما المسكنة : فهي مصدر التسكين . يقال : ما فيهم أسكن من فلان . وما كان سكيناً ، ولكن تمسكن تمسكناً . ومنهم من يقول : تسكن تسكنا . والمسكنة هاهنا مسكنة الفاقة والحاجة : وهي خشوعها وذلها . تقول : ما في بني فلان اسكن من فلان : أي افقر منه . وهو قول ابي العالية والسدي . وقال ابن زيد : المعني يهود بني اسرائيل . أبدلهم الله (تعالى) بالعز ذلاً ، وبالنعمة بؤساً ، وبالرضا عنهم غضبا ، جزاء منه بما كفروا بآياته ، وقتلهم (٢) انبياءه ورسله اعتداء وظلماً .

وقوله : « وباءوا بغضب من الله » : أي انصرفوا ورجعوا . ولا يقال : باء إلا موصولا : إما بخير واما بشر . واكثر ما يستعمل في الشر . كذا . قال الكسائي . ويقال : باء بدينه يبوء به بوء . ومنه قوله تعالى : « أريد أن تبوء بإثمي وإثمك » يعني ترجع . بما قد صار عليك دوني . فمعنى الكلام : ارجعوا منصرفين متحملين غضب الله .

وروي أن رجلا جاء برجل الى النبي « ص » ، فقال : هذا قاتل أخي ، وهو بواء به : أي مقتوله به . ومنه قول ليلى الأخيلية :

فان تكن القتلى بواء فانكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

وقال الزجاج : أصل ذلك التسوية . ومعنى ذلك أنهم تساووا بغضب من الله ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت . قال : جعل الله تعالى الأنفال الى نبيه ، فقسمها بينهم على بواء أي : على سواء بينهم في القسم . ومنه قول الشاعر :

فيقتل خيراً بامرىء لم يكن به بواء ولكن لا تكايل بالدم

والأصل : الرجوع . على ما ذكرناه . وقال قوم : هو الاعتراف ، ومعناه :

---

(١) ما بين القوسين زدناه عن تفسير الطبري ، ومنه : الذلة . الصغار . انظر سورة التوبة . ٢٩ . في المطبوعة والمخطوطة حصل سقط في هذا المكان . وهذا ما فيها . (أن يجزه الصغار مشتق من . .)

(٢) في المطبوعة (وقتله) .

انهم اعترفوا بما يوجب عليهم غضب الله . ومنه قول الشاعر :

إني ابوء بعثري وخطيئتي   ربي وهل إلا إليك المهرب

وأما الغضب . قال قوم : ما حل بهم من البلاء والنقمة في دار الدنيا بدلا من الرخاء والنعمة . وقال آخرون : هو ما يبنا لهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم .

وقوله : « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » إشارة الى ما تقدم ذكره من ضرب الذلة والمسكنة ، وإحلال غضبه بهم ، لأنه يشتمل على جميع ذلك

ومعنى « بأنهم » أي لأجل أنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، فعلنا (١) بهم ما فعلنا من انواع العذاب .

وقوله : « يقتلون النبيين بغير الحق » لايدل على أنه قد يصح أن يقتلوهم بحق ، لأن هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم . وانه لا يكون إلا ظلماً بغير حق : كما قال : « ومن يدع مع الله إله آخر لا برهان له به » (٢) وكما قال : « رب احكم (٣) بالحق » . وكما قال الشاعر :

على لاحب لا يهتدي بمناره

ومعناه ليس هناك منار يهتدى به . ومثله كثير.

وقوله : « ذلك بما عصوا » إشارة الى ما انزل الله من الذلة والمسكنة بما عصوا من قتلهم الانبياء وعدوهم في السبت وغير ذلك . وقيل معناه : نقض العهد . وكانوا يعتقدون في قتل الانبياء . انه روي انهم كانوا اذا قتلوا النبي في أول النهار قامت سوق بقتلهم في آخره . وانما خلى الله بين الكافرين ، وقتل الانبياء ، لينالوا من رفيع المنازل مالم ينالوه بغيره وليس ذلك بخذلان لهم كما فعل بالمؤمن من أهل طاعته . وقال الحسن : ان الله تعالى ما امر نبياً بالحرب الا نصره . فلم يقتل : وانما خلى بينه وبين قتل من لم يؤمر (٤) بالقتال من الانبياء . والذي نقوله : إن النبي

---

(١) في المطبوعة (فعلناه) .

(٢) سورة المؤمنون آية ١١٨

(٣) سورة الانبياء آية ١١٢

(٤) في المخطوطة والمطبوعة « يؤمن »

ان كان لم يؤد الشرع ، لا يجوز أن يمكن الله من قتله ، لانه لو مكن (١) فقتل لادى الى ان تزاح علل المكلفين فيما لهم من الالطاف ، والمصالح فاذا أدوا الشرع ، جاز حينئذ أن يخلي بينهم ، وبين من قتلهم ، لانه لا يجب المنع منه وروى ابو هريرة عن النبي (ص) انه قال : اختلف بنو اسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة ، حتى كثر منهم أولاد السبايا واختلفوا بعد موسى بماني سنة

والاعتداء تجاوز الحدالذي حده الله لعباده الى غيره وكل متجاوز حد شيء الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه فمعنى الكلام فعلت بهم ما فعلت من ذلك بماعصوا امري وتجاوزوا حده الى ما نهيتهم عنه

قوله تعالى :

« انَّ الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوْم الآخر وَعملَ صَالحاً فاهم اجْرُهمُ عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون » (٦٢) آية واحدة .

القراءة :

قرأ نافع بترك الهمز من الصابئين ، وجميع القراء الباقون يهمزون

اما « الذين آمنوا » وهم المصدقون برسول الله (ص) بما اتاهم من الحق من عند الله . واما الذين هادوا فهم اليهود .

اللغة :

ومعنى هادوا : تابوا . يقال : هاد القوم يهودون هودا ، وهيادة وقال ابن جريج : إنما سميت اليهود يهودا ، لقولهم : انا هدنا اليك . قال أعرابي يؤخذ بقوله : على ما قال ابو عبيدة : فاني من مدحه هائد أي تائب . وقيل : انما سموا يهودا ، لانهم نسبوا الى يهوذا أكبر أولاد يعقوب فعرّبت الذال دالا . وقال زهير : في معنى الرجوع :

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة « مكنه » .

سوى مرجع لم يات فيه مخافة ولا رهقا من عابد متهود (١)

أي تائب فسميت اليهود يهودا ، لتوبتهم من عبادة العجل . واصل الهود :(٢) الطمانينة . ويخبر به عن لين السير . ومنه الهوادة : وهي السكون . قال الحسين بن علي المغربي انشدني ابو رعاية السلمي ، وهو من افصح بدوي أطاف بنا ، واغزرهم رواية :

صباغتها من مهنة الحي بالضحى جياد المداري حالك اللون اسودا

اذا نفضتـة مال طوراً بجيـدها وتمثاله طوراً باغيدا فودّدا

كما مال قنوا مطعم هجريّة اذا حركت ريح ذرى النخل هودا

المطعم : النخلة . شبه شعرها باقناء البسر . هوّد تحرك تحريكة لينة قال زهير :

ولا رهقا من عابد متهود

وليس اسم يهود مشتقا من هذا .

والنصارى جمع نصران كقولهم سكران وسكارى . ونشوان ونشاوى . هذا قول سيبويه : قال الشاعر :

تراه اذا كان العشي محنفا يضحي لديه وهو نصران شامس(٣)

وقد سمع في الانثى نصرانة قال الشاعر :

وكلتاهما خرت واسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف (٤)

وقد سمع في جمعهم انصار بمعنى النصارى قال الشاعر :

لما رأيت نبطاً انصارا شمرت عن ركبتي الازارا

كنت لهم من النصارى جارا

والمشهور أن واحد النصارى نصري : مثل بعير مهري ومهارى . وانما سموا نصارى ، لنصرة بعضهم بعضا . دليله الآيات التي ذكرناها . وقيل انما سموا بذلك

(١) اللسان: هود . وروايته: سوى ربع لم يأت فيها مخافة . . الخ وفي مجمع البيان «مربع» بدل مرجع (٢) في المطبوعة « اليهود » (٣) لم نعرف قائله . « محنفاً » صار الى الحنيفية . شامس: مستقبل الشمس . (٤) اللسان : نصر وروايته « فكلتاهما » و « اسجدت » وفي تفسير الطبري ـ دار المعارف ـ تعليقة الاستاذ محمود محمد شاكر ذكر البيت في مادة حنف من اللسان وهو غلط والصحيح ما ذكرنا . في المطبوعة والمخطوطة « جرت » بدل « خرت » وهو تحريف . البيت الاول اللسان : نصر والكل في امالي الشجري : ٧٩ و ٣٧١ .

لأنهم نزلوا ارضاً يقال لها : ناصرة . وكان ينزلها عيسى فذهب اليها ، فقيل عيسى الناصري ، ثم نسب اصحابه اليه فقيل النصارى ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وابن جريج . وقيل : إنهم سموا بذلك ، لقوله : « من انصاري الى الله » (١)

والصابئون جمع صابيء : وهو من انتقل من دينه الى دين آخر كالمرتد من اهل الاسلام . وكل خارج من دين كان عليه الى آخر يسمى صابئاً قال ابو زيد : صبا فلان في دينه يصبا صبوا اذ كان صابئا وصبأ ناب الصبي يصبوا صبوا : اذا كان طلع . وقال الزجاج : صبأت النجوم : اذا ظهرت . وقال ابو زيد : صبوت اليهم تصبأ صبأ وصبوه : إذا طلعت عليهم ، وكان معنى الصابيء التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره : كما قال : ان الصابيء على القوم تارك لأرضه ومنتقل الى سواها . فالدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة لنجوم ، أو تعظيمها . وقال نافع هو مأخوذ من قولهم: صبا يصبوا اذا مال الى الشيء ، واحبه ولذلك لم يهمز قال الشاعر :

صبوت ابا ذيب وانت كبير

قال ابو علي الفارسي : هذا ليس بجيد ، لأنه قد يصبو الانسان الى دين فلا يكون منه مدين به مع صبوه اليه فاذا كان هذا هكذا ، وكان الصابئون منتقلين من دينهم الذي اخذ عليهم الى سواه ، وجب ان يكون مأخوذاً من صبأت الذي هو الانتقال . ويكون الصابئون على قلب الهمزة ، وقلب الهمزة على هذا الحد ، لا يجيزه سيبويه إلا في الشعر ويجيزه غيره فهو على قول من اجاز ذلك . وممن اجاز ذلك ابو زيد . وحكي عنه انه قال لسيبويه : سمعت قريت واخطيت قال فكيف تقول في المضارع قلت : اقرأ فقال حسبك أو نحو هذا . قال ابو علي يريد سيبويه ان قريت مع اقرأ لا ينبغي ، لأن قريت اقرأ على الهمز وقريت على القلب ، فلا يجوز ان تغير بعض الأمثلة دون بعض . فدل على ان القائل لذلك غير فصيح ، وانه غلط في لغته . وقال قتادة والبلخي : الصابئون قوم معروفون لهم مذهب ينفردون به ،

---

(١) سورة الصف آية ١٤ .

من عبادة النجوم . وهم مقرّون بالصانع وبالمعاد وببعض الانبياء . وقال مجاهد والحسن وابن ابي نجيح : الصابئون بين اليهود والمجوس لادين لهم . وقال السدي : هم طائفة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور . وقال الخليل: هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب . خيال منصف النهار ، ويزعمون انهم على دين نوح . وقال ابن زيد : الصابئون هم اهل دين من الاديان كانو بالجزيرة : جزيرة الموصل ، يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله « ص » ، فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي « ص » واصحابه : هؤلاء الصابئون : يشبهونهم بهم . وقال آخرون : هم طائفة من اهل الكتاب . والفقهاء باجمعهم يجيزون اخذ الجزية منهم . وعندنا لا يجوز ذلك ، لانهم ليسو اهل الكتاب .

وقوله : « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم » .

المعنى :

تقول : من صدق بالله وأقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة وعمل صالحاً واطاع الله فلهم اجرهم عند ربهم : يعني ثواب عملهم الصالح فان قيل : فاين تمام قوله : ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين — قيل تمامه جملة قوله تعالى : من آمن بالله واليوم الآخر : لأن معناه : من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، وترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه .

ومعنى الكلام : ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من يؤمن منهم بالله واليوم الآخر فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم .

وقوله : « من آمن بالله واليوم الآخر » .

الاعراب :

في الناس من قال : هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين : لان الذين آمنوا كانوا مؤمنين فلا معنى حينئذ ان يقول من آمن وهو نفسهم .

ومنهم من قال : هو راجع الى الكل ويكون رجوعه على الذين آمنوا على

وجه الثبات على الايمان والاستدامة ، وترك التبديل والاستبدال به .

وفي الذين هادوا والنصارى، والصابئين : استئناف ايمان بالنبي « ص » وما جاء به .

وقوله : « من آمن بالله » فوحد الفعل ثم قال فلهم اجرهم : لان لفظة (من) وان كانت واحدة ، فمعناها يكون للواحد والجمع والانثى والذكر . فان ذهب الى اللفظ وحّد . وان ذهب الى المعنى جمع كما قال : « ومنهم من ينظر اليك افأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون » (١) فجمع مرة مع الفعل لمعناه ووحد اخرى على اللفظ . قال الشاعر :

ألمّا بسلمى عنكما إن عرضتما وقولا لها : عوجي على من تخلفوا(٢)

فجمع الفعل لانه جعل من بمنزلة الذين وربما كان لاثنين وهو ابعد وما جاء فيه قال الفرزدق :

تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان (٣)

قوله : « من آمن بالله واليوم الآخر »

النزول :

قال السدي : نزلت في سلمان الفارسي ، واصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على ايديهم قبل مبعث رسول الله «ص». وكانوا قد أخبروه بأنه سيبعث ، وانهم يؤمنون به إن أدركوه .

وروي عن ابن عباس : أنها منسوخة بقوله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً ، فلن يقبل منه » (٤) . وهذا بعيد ، لأن النسخ لا يجوز أن يدخل في الخبر الذي يتضمن الوعيد. وانما يجوز دخوله فيما طريقه الأحكام الشرعية التي يجوز تغييرها

---

(١) سورة يونس آية : ٤٣ . (٢) ديوان امرىء القيس . ومنهم من نسبه لرجل من كندة. في المخطوطة والمطبوعة (عضتما) بدل (عرضتما) .

(٣) ديوانه . الكامل ١ : ٢١٦ من قصيدة قالها عندما استضافه الذئب فأقراه . في المخطوطة والمطبوعة « تعيش » بدل « تعال » وفي بعض المصادر الاخرى « تعشى » .

(٤) سورة آل عمران آية : ٨٥

وقال قوم : إن حكمها ثابت . والمراد بهـا : ان الذين آمنو بأفواههم ، ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين هم واليهود ، والنصارى ، والصابئين إذا آمنوا بعد النفاق ، واسلموا عند العناد ، كان لهم أجرهم عند ربهم : كمن آمن في أول الاسـلام من غير نفاق ، ولا عناد ، لأن قوماً من المسلمين قالوا : إن من أسلم بعد نفاقه ، وعناده كان أجره اقل وثوابه انقص . وأخبر الله بهذه الآية أنهم سواء في الأجر والثواب. واولى الأقاويل ما قدمنا ذكره . وهو المحكي عن مجاهد والسدي : ان الذين آمنوا من هذه الأمة ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين من آمن من اليهود ، والنصارى ، والصابئين بالله واليوم الآخر ، فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، لأن هذا اشبه بعموم اللفظ . والتخصيص ليس عليه دليل .

وقد استدلت المرجئة بهذه الآية على أن العمل الصالح ، ليس من الايمان ، لأن الله تعالى أخبرهم عنهم بأنهم آمنوا ، ثم عطف على كونهم مؤمنين . أنهـم إذا عملوا الصالحات ما حكمها . قالوا : ومن حمل ذلك على التأكيد أو الفضل ، فقد ترك الظاهر . وكل شيء يذكرونه مما ذكر بعد دخوله في الأول ممـا ورد به القرآن : نحو قوله : « فيها فاكهة ونخل ورمان » (١) . ونحو قوله : « وإذ أخـذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح » (٢) . ونحو قوله : « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا » . وقوله : « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله » (٣) . قالوا: جميع ذلك مجاز . ولو خلينا والظاهر ، لقلنا : إنه ليس بداخل في الأول . فان قالوا: أليس الاقرار ، والتصديق من العمل الصالح ؟ فلابد لكم من مثل ما قلناه ، قلنا عنه جوابان :

احدها — ان العمل لا يطلق الا على افعال الجوارح ، لانهم لا يقولون : عملت بقلبي ، وانما يقولون : عملت بيدي اوبرجلي .

والثاني — ان ذلك مجاز ، وتحمل عليه الضرورة . وكلامنا مع الاطلاق .

---

(١) سورة الرحمان آية ٦٨ (٢) سورة الاحزاب آية ٧ .
(٣) سورة محمد آية ١

وقوله : « فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » : يعني لا خوف عليهم مما قدموا عليه من اهوال القيامة . ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا عند معاينتهم ما اعد لهم من الثواب، والنعيم المقيم عنده وقيل : انه لا يحزنون من الموت .

قوله تعالى :

« وَاِذْ اَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوقَكُمُ الطُّورَ خُذوا مَا آتيناكُم بِقُوَّةٍ واذكُروا ما فيه لعلكم تتقونَ » (٦٣) آية بلا خلاف .

تقديره : واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم .

اللغة :

الميثاق : المفعال من الوثيقة : اما بيمين ، واما بعهد وغير ذلك من الوثائق . والميثاق الذي اخذه الله هو الذي ذكره في قوله : « واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين احسانا » « ١ » في الآيات التي ذكر بعدها . ويحتمل ان يكون اراد الميثاق الذي اخذ الله على الرسل في قوله : « واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم » « ٢ » وقوله : « واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري » « ٣ » وقد بينا ان اخذ العهد هو ما نصب لهم من الحجج الواضحة ، والبراهين الصحيحة الدالة على توحيده ، وعدله ، وصدق انبيائه ورسله . وافسدنا ما يقوله اهل الحشو : من استخراج الذرية من ظهر آدم ، واخذ العهد عليهم بما لا يحتاج الى اعادته .

وقوله : « ورفعنا فوقكم الطور » . قال مجاهد : الطور هو الجبل . وكذلك هو في اللغة . وقال العجاج :

داني جناحيه من الطور فمر تقضي البازي اذا البازي كسر « ٤ »

« ١ » سورة البقرة آية ٨٣ . « ٢ » سورة الاحزاب : آية ٧ . « ٣ » سورة آل عمران : آية ١٨٧ « ٤ » ديوانه داني جناحيه : ضم جناحيه. تقضي : اصلها تقضض، وتقضض الطائر : هوى في طيرانه . والبازي : ضرب من الصقور : كسر الطائر جناحيه ضمهما قليلا يريد النزول .

وقيل: إنه اسم جبل بعينه . ناجى الله عليه موسى بن عمران . ذهب اليه ابن عباس وابن جريج . وقيل : انه من الجبال التي تنبت دون ما لا تنبت «١» . رواه الضحاك عن ابن عباس وقال قتادة « ورفعنا فوقكم الطور » قال : الطور الجبل اقتلعه فرفعه فوقهم . فقال : « خذوا ما اتيناكم بقوة » وقال مجاهد : الطور اسم جبل بالسريانية . وقال قتادة : بالعربية .

وقال قوم من النحويين : معنى خذوا تقديره ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما اتيناكم يعني التوراة بقوة . اي بجد ويقين ، لا شك فيه والا قذفناه «٢» عليكم كما تقول : اوجبت عليه قم «٣» اي اوجبت عليه فقلت «٤» قم . وقال الفراء : اخذ الميثاق : قول بلا حاجة بالكلام الى اضمار قول . فيكون من كلامين . غير انه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذي هو بمعنى القول ، أن تكون معه أن كما قال تعالى : « انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك » «٥» قال ويجوز حذف أن

ومعنى « ما اتيناكم » أي اعطيناكم لأن الايتاء هو الاعطاء . يعني ما امرناكم به في التوراة . « بقوة » : أي بجد ويقين على ما بيناه . وهو قول ابن عباس وقتادة ، والسدي . وقال ابو العالية والربيع بن انس : بطاعة الله وقال مجاهد : إنه العمل بما فيه وحكي عن ابن الجران معناه : القبول: وقال : ابو علي : « بقوة » معناه : بالقدرة التي جعلنا فيكم . وذلك دلالة على ان القدرة قبل الفعل . ومعنى اذكروا ما فيه . قال قوم : احفظوه ، لا تنسوه . وقال آخرون : اعملوا بما فيه ولا تتركوه . والمعنى في ذلك أن ما اتيناكم فيه من وعد ووعيد ، وترغيب وترهيب اعتبروا به ، واقبلوه وتدبروه ، كي اذا فعلتم ذلك تتقوني وتخافوا عذابي بالاصرار على ضلالتكم فتنتهوا الى طاعتي فتنزعوا عما انتم عليه من المعصية .

«١» وهذا معنى اصطلاحي منقول عن ابن عباس كما ترى لا كما توهمه الاستاذ محمود محمد شاكر في حاشيته على تفسير الطبري ٢ ، ١٥٧ . وهذا نص حاشيته « هذا قول لم أجده في كتب اللغة في مادته . » «٢» في المخطوطة والمطبوعة « قدمناه » وهو تصحيف « ٣ و ٤ » في المطبوعة « قر » «٥» سورة نوح آية ١ .

قوله تعالى :

« ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُه لَكُنْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ » (٦٤) آية.

قوله توليتم : اعرضتم ووزنه : تفعلتم من قولهم ولاني فلان دبره : اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره . ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة آمر ومعرض بوجهه . يقال : فلان تولى عن طاعة فلان ، ويتولى عن مواصلته وصداقته ، ومنه قوله : « فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون » «١» يعني خالفوا ما وعدالله من قوله : « لئن اتانا الله امن فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » «٢» ونبذوا ذلك وراء ظهورهم فصار معنى الآية انكم نبذتم العهد الذي اخذناه عليكم بعد اعطائكم المواثيق .وكنى بذلك عن جميع ما تقدم ذكره في الآية ، ثم قال: « فلولا فضل الله عليكم » يعني فلولا ان فضل الله عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه اذ رفع فوقكم الطور فاجتهدتم في طاعته ، واداء فرائضه ، وانعم عليكم بالاسلام ، وبرحمته التي رحمكم بها ، فتجاوز عن خطيئتكم بمراجعتكم «٣» طاعة ربكم لكنتم من الخاسرين . وهذا وان كان خطابا لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله « ص» فانما هو خبر عن اسلافهم . فاخرج الخبر مخرج الخبر عنهم . على نحو ما مضى ذكره . وقال قوم : الخطاب في هذه الآية انما اخرج باضافة الفعل الى المخاطبين والفعل لغيرهم لأن المخاطبين انما كانوا يتولون من كان فعل ذلك من اوائل بني اسرائيل ، فصيرهم الله منهم ، من اجل ولايتهم لهم . وقال بعضهم : انما قال لهم ذلك ، لأن سامعيه كانوا عالمين . وان الخطاب خرج مخرج الخطاب للاحياء من بني اسرائيل ، واهل الكتاب — وان كان المعنى في ذلك انما هو خبر عما مضى من اسلافهم — ومثل ذلك قول الشاعر :

«١» سورة التوبة: آية ٧٧ «٢» سورة التوبة آية ٧٦ . «٣» في المطبوعة « ثم احفتكم» والمخطوطة « احفتكم » وهو تحريف فاحش .

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا «١»

فقال : اذا ما انتسبنا. واذا تقتضي من الفعل مستقبلا . ثم قال: لم تلدني فاخبر عن ماض ، لأن الولادة قد مضت لأن السامع فهم معناه ـ والاول اقوى ـ وقال ابو العالية : فضل الله الاسلام ورحمته القرآن .

وقوله : « فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » .

لا يدل على ان الذين خسروا ، لم يكن عليهم فضل الله لأن فضل الله شامل لجميع الخلائق ، لأن ذلك دليل خطاب . وليس ذلك بصحيح عند الاكثر ، والذي يكشف عن ذلك ، ان الواحد منا قد يعطي اولاده وعبيده ويتفضل على جميعهم ثم يبذره بعضهم ويبقى فقيراً . ويحفظه آخر فيصير غنيا ، ويحسن ان يقول للغني منهم لولا فضلي عليك لكنت فقيراً. ولا يدل على انه لم يتفضل على الذي هو فقير .واذا كان كذلك كان تأويل الآية انه لولا اقداري لكم على الايمان وازاحة علتكم فيه حتى فعلتم ايمانكم ، لكنتم من الخاسرين . وانما جعل الايمان فضلا فيؤتيه الذين به ينجون ولم يكونوا خاسرين من حيث كان هو الداعي اليه والمقدر عليه ، والمرغب اليه .

ويحتمل ان يكون المعنى : ولولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من الخاسرين .

ويحتمل ان يكون اراد بهذا الفضل في وقت رفع الجبل فوقهم باللطف والتوفيق الذي تابوا عنده حتى زال عنهم العذاب وسقوط الجبل ، ولولا فضل الله : لسقط الجبل

قوله تعالى :

« وَلَقَدْ عَلِمتُمْ الذينَ اعتدَوا مِنكم في السَّبتِ فقلنا لَهم كونوا قردةً خاسئين ، (٦٥) آية.

المعنى :

علمتم أي عرفتم هاهنا . فقوله : علمت اخاك ولم اكن اعلمه ؛ أي عرفته ولم

«١» معاني الفراء . قائله زائدة بن صعصعة الفقعسي .

اكن اعرفه كقوله تعالى : « واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (١) .

يعني لا تعرفونهم الله يعرفهم . والذين نصب ؛ لانه مفعول به . اعتدوا : أي ظلموا وجاوزوا ماحدلهم ، وكانوا امروا ألا يعدوا في السبت، وكانت الحيتان تجتمع، لامنها فى السبت فحبسوها في السبت واخذوها في الاحد . واعتدوا في السبت ،لان صيدها هو حبسها. وقال قوم : بل اعتدوا فصادوا يوم السبت وسمي السبت سبتاً لان السبت هو القطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم ، هذا قول الزجاج وقال ابوعبيدة : سمي بذلك : لانه سبت خلق فيه كل شيء : اي قطع ووقوع . وقال قوم . سمي بذلك ، لأن اليهود يسبتون فيه : اي يقطعون الاعمال . وقال آخرون : سمي بذلك ، لما لهم فيه من الراحة ، لان اصل السبت هو السكون والراحة . ومن ذلك قوله : « وجعلنا نومكم سباتاً » (٢) ، وقيل للنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده فسمي به اليوم ، لاستراحة اليهود فيه .

وقوله : « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » . اخبار عن سرعة فعله ومسخه اياهم . لا أن هناك امراً كما قال للسموات والارض « اتيا طوعاً او كرهاً قالتا اتينا طائعين » (٣) . ولم يكن هناك قول ، وانما اخبر عن تسهل الفعل عليه وتكوينه له بلا مشقة ، بلفظ الامر .

ومعنى الآية على ما قاله اكثر المفسرين : انه مسخهم قردة في صورة القردة سواء .

وحكي عن ابن عباس : انه قال : لم يمش مسخ قط اكثر من ثلاثة ايام . ولم يأكل ولم يشرب .

وقال مجاهد : إن ذلك مثل ضربه الله ، كما قال : « كمثل الحمار يحمل اسفاراً » (٤) . ولم يمسخهم قردة . وحكي عنه ايضاً : انه قال : مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظاً ولا تقي زجراً . وهذان القولان منافيان لظاهر

(١) سورة الانفال آية . ٦١ .   (٢) سورة عم آية . ٩ .
(٣) سورة حم ـ السجدة آية ١١ .
(٤) سورة الجمعة آية . ٥ .

التأويل : لما عليه اكثر المفسرين من غير ضرورة داعية اليه . وقوله : « خاسئين » : اي مبعدون ، لان الخاسیء هو المبعد المطرود كما يخسأ الكلب . تقول : منه خسأه اخسؤه خسء وخسياً هو يخسو خسواً . يقال : خسأته نخسأ وانخسأ . قال الراجز :

كالكلب ان قلت له اخسا انخسا (١)

اي إن طردته ، انطرد . وقال مجاهد معناه ، اذلاء صاغرين . والمعنى قريب . وفي هذه الآيات احتجاج من الله تعالى بنعمه المترادفة واخباراً للرسول عن عناد اسلافهم وكفرهم مرة بعد اخرى مع ظهور الأيات والعلامات ، تعزية له « ص » وتسلية له عندما رأى من جحودهم ، وكفرهم وليكون وقوفه على ماوقف عليه من اخبارهم حجة عليهم وتنبيهاً لهم وتحذيراً ان يحل بهم مما حل بمن تقدمهم من آبائهم واسلافهم .

قوله تعالى :

« فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ » . (٦٦) آية بلا خلاف

المعنى :

الضمير في قوله : « فجعلناها » يحتمل ان يكون راجعاً الى العقوبة او القردة فكأنه قال : جعلنا القردة ، اي ما حل بها من التشويه وتغيير الخلقة ، دلالة على ان من تقدمهم اوتأخر عنهم . فمن فعل مثل فعلهم يستحق من العقاب مثل الذي نزل بهم نكالاً لهم جميعاً وموعظة للمتقين : اي تحذيراً وتنبيهاً ، لكيلا يواقعوا من المعاصي ما واقع أولئك فيستحقوا ما استحقوا ـ نعوذ بالله من سخطه ـ ويحتمل ان تكون (الهاء) راجعة الى الحيتان . ويحتمل ان تكون راجعة الى القرية التي اعتدوا اهلها فيها . ويحتمل ان تكون (الهاء) راجعة الى الامة الذين اعتدوا وهم

---

(٢) لسان العرب . خسأ . وروايته . ان قيل له .

اهل ايلة : قرية على شاطىء البحر . وروي ذلك عن ابي جعفر « ع » .

وقوله : « نكالا » قال ابن عباس : عقوبة . وقال غيره : ينكل بها من يراها . وقيل : انها شهرة ، لان النكال : الاشتهار بالفضيحة ، ذكر ذلك الجبائي . وليس بمعروف .

والنكال الارهاب للغير واصله المنع ، لانه مأخوذ من النكل وهو القيد ، وهو ايضاً اللجام وكلاهما مانع .

وقوله : « لما بين يديها وما خلفها » . روي عن عكرمة عن ابن عباس : انه اراد ما بين يديها وما خلفها من القرى . وروي عن الضحاك عن ابن عباس انه : اراد ما بين يديها يعني : من بعدهم من الامم . وما خلفها الذين كانوا معهم باقين . وقال السدي (ما بين يديها) : من ذنوبها (وما خلفها) يعني : عبرة لمن يأتي بعدهم من الامم . وقال قتادة (لما بين يديها) ذنوبها (وما خلفها) : عبرة لمن يأتي خلفهم : بعدهم من الامم وقال قتادة لما بين يديها ذنوب القوم وما خلفها الحيتان التي اصابوها وقال مجاهد : ما بين يديها ما مضى من خطاياهم . وما خلفها من خطاياهم : التي اهلكوا بها وموعظة للمتقين). خص المتقين بها ـ وان كانت موعظة لغيرهم ـ لانتفاع المتقين بها دون الكافرين . كما قلناه في غيره . كقوله : « هدىً للمتقين » . واصل النكال العقوبة تقول : نكل فلان بفلان ينكل تنكلا ونكالا قال عدي بن زيد :

لا يسخط المليك ما يصنع العبـ ـد ولا في نكاله تنكير (١)

واقوى التأويلات ما رواه الضحاك عن ابن عباس : من انها كناية عن العقوبة والمسخة التي مسخها القوم ، لان في ذلك اشارة الى العقوبة التي حلت بالقوم ـ وان كانت باقي الاقوال ايضاً جائزة .

---

(١) يقول : لا يغضب الملك ما يسمع عبده من العفو والصفح ، وان عاقب فما في عقوبته ما يستنكر .

قوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ » . (٦٧) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر : هزواً مثقلا ، وكذلك كفوا مثقلة . وقرأ آخر مخففاً . وعاصم يثقلهن ويخففهن . وحمزة يخففهن ثلاثهن(١).

الاعراب واللغة :

قوله : « واذ » معطوفة على قوله واذكروا نعمتي التي انعمت عليكم : واذكروا اذ قال موسى لقومه . واهل الحجاز يثقلون هذه الكلمات . وبنو أسد وتميم وعامة قيس يخففونهن ومن لا يحصى ممن تجاوزهم يقولون عن مكان أن اذا كانت الهمزة مفتوحة : يجعلونها عيناً ويقولون اشهد عن رسول الله فاذا كسروها رجعوا الى لغة اهل الحجاز الى الهمزة .

المعنى :

وهذه الآية فيها توبيخ للمخاطبين من بني اسرائيل في نقض اوائلهم الميثاق والذي اخذه الله عليهم بالطاعة لانبيائه . فقال : واذكروا ايضاً من نكثهم ميثاقي اذ قال موسى لقومه : إن الله يأمركم ان تذبحو بقرة قالوا اتتخذنا هزواً .

والهزء والسخرية واللعب نظائر . قال الراجز :

قد هزئت مني ام طيلسة   قالت اراه معدماً لا شيء له ٢)

اي سخرت ولعبت ولا يجوز أن يقع من انبياء الله عزوجل فيما يؤدونه هزواً

---

(١) لا يوجد في المتن الا مثلان .   (٢) قائله : صخير بن عمير التميمي . ومنهم من نسب القصيده كلها للأصمعي . امالي القالي ٢ : ٢٨٤ . ورواية : تهزأ مني أخت آل طيسلة .

ولا لعب . وظنوا في أمره اياهم عن الله : بذبح البقرة عند تدرائهم في القتيل — انه هازئ لاعب ولم يكن لهم ذلك .

وحذفت الفاء من قوله : أتتخذنا هزواً — وهو جواب — للاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن السكوت على قوله إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فجاز لذلك اسقاط الفاء من قوله . فقالوا كما حسن اسقاطها في قوله : « فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا »(١) ولم يقل فقالوا . ولو قيل بالفاء لكان حسناً . ولو كان ذلك على كلمة واحدة لم تسقط منه الفاء ألا ترى انك اذا قلت : قمت ففعلت ، لم يجز اسقاط الفاء لانها عطف لا استفهام يوقف عليه .

فقال موسى حينئذ : اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين . يعني السفهاء الذين يردون على الله الكذب والباطل . وكان السبب في امر موسى لقومه بذبح البقرة ما ذكره المفسرون أن رجلا من بني اسرائيل كان غنياً ولم يكن له ولد وكان له قريب يرثه قيل انه اخوه وقيل انه ابن اخيه وقيل ابن عمه واستبطأ موته فقتله سراً والقاه في موضع بعض الاسباط وادّعى قتله على احدهم فاحتكموا الى موسى فسأل من عنده من ذلك علم فقال انت نبي الله وانت اعلم منا فقال ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فلما سمعوا ذلك منه وليس فى ظاهره جواب عما سألوا عنه قالوا اتتخذنا هزواً قال اعوذ بالله أن اكون من الجاهلين لان الخروج عن جواب السائل المسترشد الى الهزء جهل . وقال بعضهم وانما امروا بذبح البقرة دون غيرها لانها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عليهم ما كانوا يرونه من تعظيمهم وليعلم باجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته والبقرة اسم الانثى . والثور الذكر : مثل ناقة وجمل ، وامراة ورجل ، فيكون تأنيثه بغير لفظه .

والبقرة : مشتق من الشق : يقولون : بقر بطنه : إذا شقه ، لأنها تشق الارض في الحرث .

---

(١) سورة الذاريات آية ٣١ ، ٣٢ .

قوله تعالى :

قَالُوا : ادْعُ لنا رَبَّكَ يُبين لَنا مَا هيَ . قَالَ : إنَّه يَقول : إنها بَقرة لا فارضٌ ، ولا بكرٌ عوانٌ بَينَ ذَلكَ فَافعلوا مَا تؤمَرون » (٦٨) ـ آية .

الفارض : الكبيرة المسنة . وبه قال الجمهور . يقال منه : فرضت البقرة تفرض فروضاً . وفرضت تفرض فراضة : إذا أسنت . قال الشاعر :

لعمري لقد اعطيت جارك فارضا تساق إليه ما تقوم على رجل(١)

وقيل : إن الفارض : التي قد ولدت بطونا كثيرة . فيتسع لذلك جوفها ، لأن معنى الفارض ، في اللغة الواسع . وهو قول بعض المتأخرين. واستشهد بقول الراجز :

يارُبَّ ذي ضِغْنٍ عليَّ فارض له قروءٌ كقروء الحائض (١)

ومنه قول الراجز :

هدلاء كالوطب نحاه الماخض له زجاج ولهاة فارض (٢)

ويقال لحية فارض : إذا كانت عظيمة . قال الشاعر :

شيب اصداغي فرأسي ابيض محامل فيها رجال فرّض (٣)

أي ذو أسنان : وقال الجبائي : الفارض : التي لم تلد بطونا كثيرة ، فيتسع لذلك بطنها . قال الرماني وهذا غلط لا يعرف . والبكر : الصغيرة التي لم تحمل . والبكر من اناث البهائم وبني آدم : ما لم يفتحله الفحل . ـ مكسورة الباء ـ والبكر : ـ بفتح الباء ـ الفتي من الابل .

---

(١) قائله علقمة بن عوف . اللسان : (فرض) وروايته . (ضيفك) بدل (جارك) و (تجر) بدل (تساق) .

(٢) اللسان . « فرض » . وروايته . يارب مولى حاسد مباغض وبين البيتين اللذين اثبتهما الشيخ « ره » هذا البيت . على ذي ضغن وضب فارض

(٣) الثاني في اللسان . « زجج » . والزجاج . وهو الحديدة التي تركب في اسفل الرمح . اللهاة : لحمة حمراء .

« ٤ » لرجل من فقيم . اللسان . « فرض » . واحدهم فارض .

والعوان: النصف التي قد ولدت بطناً أو بطنين قال الفراء: يقال من العوان: عوّنت المرأة تعويناً ـ بالفتح والتشديد ـ وعونت: إذا بلغت ثلاثين سنة. وقال أبو عبيدة: إنما قال: «عوان بين ذلك» ولم يقل بينهما، لأنه أخرجه على لفظة واحدة، على معنى هذا الكلام الذي ذكرناه. قال رؤبة في صفة العير:

فيه خطوط من سواد وبلق　　كأنها في الجلد توليع البهق(١)

قال ابو عبيدة: إن أردت الخطوط، فقل: كأنها، وان اردت السواد والبلق، فقل: كانها. فقال: كان ذلك وذاك. قال الفراء: إنما يصح ان يكنى عن الاثنين بقولهم ذاك في الفعلين خاصة. ولا يجوز في الاسمين. ألا ترى، انهم يقولون: اقبالك وادبارك يشق علي، لأنها مشتقان من فعل. ولم يقولوا: أخوك وابوك يزورني حتى تقول: يزوراني. وقال الزجاج تقول: ظننت زيداً قائماً فيقول القائل ظننت ذلك وذاك. قال الشاعر في صفة العوان:

خرجن عليه بين بكر عويرة　　وبين عوان بالعمامة ناصف (٢)

بين ذلك يعني بين الكبيرة والصغيرة. هو اقوى ما يكون من البقر واحسنه قال الاخطل:

وما بمكة من شمطٍ محفّلة　　وما بيثرب من عون وابكار(٣)

ويقال بقرة عوان، وبقر عون. قال الاخفش: لا فارض، ولا بكر. ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب النفي لأن هذه صفة في معنى البقرة والنفي المنصوب، لا يكون صفة من صفتها. انما هو اسم مبتدأ وخبره مضمر. وهذا مثل قولك: عبدالله لا قائم ولا قاعد. أدخلت لا للنفي وتركت الاعراب على حاله، لو لم يكن فيه لا، ثم قال: «عوان» فوقع على الابتداء. كأنه قال: هي عوان. ويقال ايضاً: عوانة. قال الاعشى:

بكميت عرفاء مجمرة مخف　　عربها عوانة اوفاق

(١) اللسان: (بهق) وروايته «الجسم» بدل «الجلد».

(٢) لم نجده في مراجعنا.

(٣) ديوانه ١٩. وروايته وما بزمزم من شمط محلقة ... يقتد حالقين رؤوسهم وقد ــ

قوله تعالى :

« قَالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النّاظِرِينَ » (٦٩) آية بلا خلاف .

الاعراب :

لونها : رفع لأن ما ليست زائدة ، بل هي بمعنى أي : كأنهم قالوا : أي شيء لونها ؟ وقوله : « يبين » : جزم لأنه جواب الأمر بغير ياء .

ومعنى الآية : أن قوم موسى قالوا : ياموسى أدع لنا ربك يبين لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها .

واما قوله : « صفراء » قال الحسن المراد به : سوداء شديدة السواد . تقول العرب: ناقة صفراء أي سوداء . قال الشاعر :

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر ألوانها كالزبيب (١)

يعني ركابي هن سود . غير أن هـذا ـ وان وصفت به الابل ، فليس مما توصف به البقر . مع ان العرب لا تصف السواد بالفقوع . وانما تصفه بالحلكة وبالحلوكة ونحوها . تقول : اسود حالك وحائك وحنكوك وغربيب ودجوجي ، ولا تقول : فاقع . وقال أكثر المفسرين : إنها صفراء اللون من الصفرة المعروفة وهـذا الصحيح ، لأنه الظاهر ، ولأنه قال : « فاقع لونها » وهو الصافي ولا يوصف السواد بذلك ـ على ما بيناه ـ فاما ما ابيض فيؤكدونه بأنه ناصع ، واخضر ناضر واصفر فاقع . وقال سعيد بن جبير : المعنى في الآية : بقرة صفراء القرن والظلف . وقال مجاهد : صفراء اللون كله . وهو الظاهر لأنه قال : فاقع لونها . فوصف جميع اللون بذلك . وقال ابن عباس : أراد بذلك صفراء شديدة الصفرة . وقال غيره :

— تحالوا من احرامهم : أي قضوا حجهم ، الشمطـ ج الشمط : وهو الذي خالط سواد شعره بياض الشيب « وشمط محفله » يقال منه : رجل ذو حفيل ، وذو حفلة : ذو جد واجتهاد . فعلى ما انتجمه الشيخ قدس سره ، المعنى : انهم جادون في العبادة . (١) للاعشى الكبير . اللسان : « صفر » وروايته « اولادها » بدل « الوانها » . الركاب : الابل التي يسار عليها . والزبيب من العنب معروف .

خالص وقال ابو العالية وقتادة : الصافي . وقوله : « تسر الناظرين » فالسرور : ما يسر به القلب. والفرح ما فرحت به العين وقيل معناه : تعجب الناظرين . ومن القراء من اختار الوقف على قوله : « صفراء » والصحيح ان الوقف انما يجوز عند تمام النعت كله وقال قوم : التمام عند قوله : « فاقع » ويقال فقع لونها يفقع ـ بالتشديد وضم الياء ـ ويفقع ـ بالتخفيف وفتح الياء ـ فقوعا اذا خلصت صفرته .

قوله تعالى :

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ » . (٧٠) آية واحدة .

القراءة :

القراء كلهم على تخفيف الشين مفتوحة الهاء . وقرأ الحسن : بتشديد الشين ، وضم الهاء . وقرأ الاعمش إن البقر متشابه . وكذا هو في مصحف ابن مسعود والمعمول على ما عليه القراء وما هو في المصحف المعروف . تقدير الكلام : قال قوم موسى لما امروا بذبح البقرة لموسى . وترك ذكر موسى ، لدلالة الكلام عليه .

اللغة :

واهل الحجاز يؤنثون البقر . فيقولون : هذه بقر وكذلك النخل . وكل جمع كان واحده بالهاء ، وجمعه بطرح الهاء ، فانهم يؤنثون ذلك وربما ذكروا ذلك قال الله تعالى « كأنهم اعجاز نخل خاوية » (١) ـ بالتأنيث ـ وفي موضع آخر : « كأنهم اعجاز نخل منقعر » (٢) والاغلب عليهم التأنيث . واهل نجد يذكرون وربما انثوا . والتذكير الغالب . فمن ذكر نصب الهاء من « تشابه » يعني التبس واشتبه . ومن انث رفع الهاء لأنه يريد يتشابه علينا .

والبقر ، والباقر ، والجامل ، والجمال بمعنى واحد . وقرأ بعضهم إن الباقر تشابه علينا . وهو شاذ . قال الشاعر :

---

(١) سورة الحاقة آية ٧ (٢) سورة القمر آية ٢٠ .

وما ذنبه ان عافت الماء باقر   وما ان تعاف الماء الا لتضربا (١)

وقال آخر :

ما لي رأيتك بعد اهلك موحشا   خلقا كحوض الباقر المتهدم

وقال آخر :

لهم جامل لا يهدأ الليل سامره (٢)

يريد الجمال . والذي ذهب اليه ابن جريج ، وقتادة ورووه عن ابن عباس عن النبي (ص) انهم امروا بادنى بقرة ، لكنهم لما شددوا على انفسهم ، شدد الله عليهم : وايم الله ، لو انهم لم يستثنوا ما تبينت لهم الى آخر الدهر يعني انهم لو لم يقولوا وانا ان شاء الله لمهتدون بتعريف الله ايانا ، وبما شاء له الله من اللطف والزيادة في البيان . وكل من اختار تاخير بيان المجمل عن حال الخطاب استدل بهذه الآية على جواز ذلك . وسنبين ذلك فيما بعد ان شاء الله .

قوله تعالى :

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » (٧١) آية بلا خلاف .

المعنى ان البقرة التي امرتكم بذبحها ، لا ذلول أي لم يذلها العمل باثارة الارض باظلافها . ولا تسقي الحرث . معناه : ولا يستقى عليها الماء ، فيسقى الزرع . كما يقال للدابة التي قد ذللها الركوب والعمل . تقول دابة ذلول بين الذل ـ بكسر الذال ـ وفي مثله من بني آدم رجل ذليل بين الذل والمذلة . قال الزجاج : يحتمل أن يكون اراد ليست بذلول وهي تثير الارض . ويحتمل : انها ليست ذلولة ، ولا مثيرة الارض قيل : إنها كانت وحشية في قول الحسن مسلمة . معناه : من السلامة . يقال منها سلمت تسلم ، فهي مسلمة من الشية .

---

(١) ميمون بن قيس ـ الاعشى الكبير ـ اللسان : « ثور » . (٢) اللسان : (جمل) قائله الحطيئة . وصدر البيت : فان تك ذا مال كثير فانهم .

لاشية فيها لا بياض فيها ، ولا سواد وقال قتادة مسلمة من العيوب . وبه قال الربيع . وقال ابن جريج : لا عوان فيها . قال المؤرخ : لا شية فيها : أي لا وضح فيها بلغة اردشنوه والذي قال اهل اللغة « لاشية فيها » : اي لا لون يخالف لون جلدها واصله : وشى الثوب واصله تحسين عيوب الشيء ، يكون فيه بضروب مختلفة من الوان سداه ، ولحمته يقال منه : وشيت الثوب : اشيه شية ووشيا . ومنه قيل للساعي بالرجل الى السلطان ، أو غيره واش لكذبه عليه عنده . وتحسينه كذبه عنده بالاباطيل يقال : وشيت به ، وشاية . قال كعب بن زهير :

يسعى للوشاة بجنبيها وقولهم   انك يابن ابي سلمى لمقتول(١)

يعني : انهم يتقولون الاباطيل ، ويخبرونه انه إن لحق بالنبي (ص) قتله وقال بعض اهل اللغة ان الوشي : العلامة واصله : شية من وشيت ، لكن لما اسقطت منها الواو وابدلت مكانها الهاء في اخرها : كما قالوا : وزنته زنة ووعـدته عدة . وكذلك وشيته شية .

وقالوا : « الآن جئت بالحق » موصولة الهمزة واذا ابتدأت ، قطعت الالف الاولى ، لأن الف الوصل إذا ابتـدىء بها قطعت . قال الفراء : والأصل الاوان . فحذفت الواو . والالف واللام دخلتا في آن لانها ينوبان عن الاشارة . المعنى انت الى هذا الوقت تفعل هذا . فلم تعرب الآن كما لم تعرب هذا . ومن العرب من يقول « قالوا الآن جئت بالحق » ويذهب الوصل ويفتح اللام ، ويحذف الهمزة التي بعد اللام . ويثبت الواو في (قالوا) ساكنا ، لأنه انما كان يذهبه لسكون اللام . واللام قد تحركت ، لأنه حوّل عليها حركة الهمزة قال الشاعر :

وقد كنت تخفي حب سمراء حقبة   فبح لان منها بالذي انت بائح

المعنى :

ومعنى قوله : « الآن جئت بالحق » يحتمل امرين :

احدها — الان بينت الحق . وهو قول قتادة . وهذا يدل على انه كان فيهم

---

(١) ديوانه . الجناب : الناحية . في المطبوعة « بجـنبها » بدل « بجنبيها » .

من يشك في ان موسى (ع) ما بين الحق . وقال عبد الرحمان : يريد انه حين بينها لهم ، قالوا هذه بقرة فلان . الآن جئت بالحق وهو قول من جوزانه قبل ذلك لم يجيء بالحق على التفصيل – وإن أتى به على وجه الجملة ـ وقوله : (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يحتمل امرين :

احدها ـ كادوا لا يفعلون اصلا ، لغلاء ثمنها ، لأنه حكي عن ابن عباس ومحمد ابن كعب انهم اشتروها بملء جلدها ذهباً من مال المقتول . وقيل بوزنها عشر مرات .

والثاني ـ ما قال عكرمة ووهب كادوا ألا يفعلوا خوفاً من الفضيحة على انفسهم في معرفة القاتل منهم ، قال عكرمة ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير .

اللغة :

ومعنى كاد : هم ولم يفعل . ولا يقال كاد أن يفعل . وانما يقال كاد يفعل ، قال الله ما كادوا يفعلون قال الشاعر :

قد كاد من طول البلى ان يمصحا (١)

يقال مصح الشيء اذا فني وذهب . يمصح مصوحاً . وانشد الاصمعي :

كادت النفس ان تفيض عليه اذ ثوى حشو ريطة وبرود (٢)

ولا يجيء منه إلا فعل يفعل وتثنيتها . وقال بعضهم : قد جاءت بمعنى إيقاع الفعل لا بمعنى الهم والقرب من ايقاعه ، وانشد قول الاعشى :

قد كاد يسمو الى الجرباء وارتفعا

الجرباء : السماء : أي سما وارتفع وقال ذو الرمة :

لو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مي سافراً كاد يبرق (٣)

أي لو تعرضت لعينيه أي دهش وتحير . وروي عن ابي عبد الله السلمي انه قرأ لا ذلول بفتح اللام غير منون وذلك لا يجوز لأنه ليس المراد النفي وانما المراد

(١) اللسان : « مصح » . مصح الشيء مصوحاً : ذهب وانقطع .
(٢) اللسان : « نفس » . النفس : الروح . الريطة : الملاءة . برود ج برد وهو الثوب المخطط
(٣) اللسان : « برق » برق يبرق بروقا : تحير .

بها بقرة غير ذلول . وعندنا انه يجوز في البقرة غير الذبح . فان نحر مختاراً لم يجز اكله وفيه خلاف ، ذكرناه في خلاف الفقهاء .

قد استدل اصحابنا بهذه الآيات على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة . فان قالوا ان الله امرهم بذبح بقرة هذة الصفات كلها لها ، ولم يبين ذلك في اول الخطاب حتى سألوا عنه وراجعوا فيه، فبين حينئذ المراد لهم شيئاً بعد شيء . وهذا يدل على جواز تأخير البيان . فان قيل ولم زعمتم ان الصفات المذكورة في البقرة الاولى التي امروا بذبحها، وما الذي تنكرون انهم امروا بذبح البقرة أي بقرة كانت فلما راجعوا تغيرت المصلحة فأمروا بذبح بقرة اخرى هي لا فارض ولا بكر فلما راجعوا تغيرت المصلحة ، فأمروا بذبح بقرة صفراء فاقع لونها فلما راجعوا تغيرت المصلحة فأمروا بذبح بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها . وانما يصح لكم لو كانت الصفات المذكورة كلها مرادة في البقرة الاولى .

قلنا هذا باطل ، لأن الكناية في قوله : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي » لا يجوز ان تكون كناية إلا عن البقرة التي تقدم ذكرها وامروا بذبحها ، لأنه لم يجر في الكلام ما يجوز ان تكون هذه الكناية عنه إلا البقرة ، ويجري ذلك مجرى ان يقول واحد لغلامه: اعطني تفاحة فيقول الغلام ما هي؟ بينها فلا يصرف واحد من العقلاء هذه الكناية إلا الى التفاحة المأمور باعطائه اياها . ثم يقال بعد ذلك انها بقرة لا فارض ولا بكر وقد علمنا ان الهاء في قوله : انه يقول كناية عنه تعالى ، لانه لم يتقدم ما يجوزان يكون كناية عنه إلا اسمه تعالى . وكذا يجب ان يكون قوله انها كناية عن البقرة المتقدم ذكرها وإلا فما الفرق بين الامرين ؟ وكذلك الكلام في الكناية الثانية والثالثة سواء . ولا خلاف بين المفسرين ان الكناية في الآية من اولها الى آخرها : كناية عن البقرة المأمور بها في الأول .

وقالت المعتزلة : انها كناية عن البقرة التي تعلق التكليف المستقبل بها .

ولا خلاف بين المفسرين ان جميع الصفات المذكورات للبقرة اعوز اجتماعها القوم حتى توصلوا الى اجتماع بقرة لها هذه الصفات كلها بملء جلدها ذهباً . وروي اكثر

من ذلك . ولو كان الامر على ما قاله المخالف لوجب ان لا يعتبروا فيما يبتاعونه إلا الصفات الاخيرة دون ما تقدمها ، وتلغي الصفات المتقدمة اجماعهم على ان الصفات كلها معتبرة . دليل على ان الله تعالى أخر البيان . فان قيل لم عنفوا على تأخيرهم امتثال الامر الأول مع ان المراد بالامر الأول تأخر ؟ ولم قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ؟ قلنا ما عنفوا بتأخير امتثال الأمر الأول : وليس في الظاهر ما يدل عليه بل كان البيان يأتي شيئاً بعد شيء كما طلبوه من غير تعنيف فلا قول يدل على انهم بـذلك عصاة . فاما قوله : في اخر القصة : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » .

فانما يدل على انهم كادوا يفرطون في اخر القصة ، وعند تكامل البيان . ولا يدل على انهم فرطوا في اول القصة .

ويقوي ذلك قوله تعالى بعـد جمع الاوصاف : « الآن جئت بالحق » اي جئت به على جهة التفصيل . وان كان جاءهم بالحق مجملاً . وهذا واضح بحمدالله ، وقد استوفينا الكلام في هذه الآية وغيرها في العدة في اصول الفقه مالا مزيد عليه .

قوله تعالى :

« وإذ قَتلتم نفساً فادّارأتُم فيها واللهُ مُخرِجٌ مَا كُنتم تكتمونَ » (٧٢) . آية

تقدير الآية: واذكروا إذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها . وهو عطف على قوله: « واذكروا نعمتي التي انعمت عليكم » . وهو متقدم على قوله : « واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة » لانهم انما امروا بذبح البقرة بعـد تدارئهم في امر المقتول .

ومعنى ادارأتم : اختلفتم واصله تدارأتم . فادغمت التاء في الدال بعـد ان سكنت ، وجعلوا قبلها ألفا لتمكن النطق بها . قال ابوعبيدة : ادارأتم : بمعنى اختلفتم فيها . من التدارؤ ، ومن الدرء وقيل الدراء : العوج : اي اعوججتم عن الاستقامة ، ومنه قول الشاعر :

فنكب عنهم درء الاعادي　　وداووا بالجنون من الجنون

اي اعوجاج الاعادي . وقال قوم : الدرء المدافعة . ومعناه تدافعتم في القتل. ومنه قوله : « ويدرأ عنها العذاب » . وقال رؤبة ابن العجاج :

ادركتها قدام كل مدره　　بالدفع عني درء كل عنجه(١)

ويقال : فلان لايداري ولا يماري اي : لا يخالف . ومنه قوله : « والله مخرج ما كنتم تكتمون » اي : مظهر ما كنتم تسرون من القتل .

قوله تعالى :

« فَقُلنا اضربوهُ ببعضها كذلكَ يُحيي اللهُ الموتى ويُريكم آياتِه لعلَّكُم تعقلون » . (٧٣) آية بلا خلاف.

روي ابن سيرين عن ابي عبيدة السلماني قال : كان رجل من بنى اسرائيل عقيما ، وله مال كثير . فقتله وارثه وجره ، فقدمه على باب اناس آخرين . ثم اصبح يدعيه عليهم حتى تسلح هؤلاء وهؤلاء ، وارادوا ان يقتتلوا (٢) فقال ذووا النهى: أتقتتلون (٣) وفيكم نبي الله ؟ فامسكوا حتى اتوه ، فامرهم أن يذبحوا بقرة ، فيضربوه ببعضها . فقالوا : اتتخذنا هزواً . قال : اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين . قال : فوجدوها عند رجل . فقال : لا ابيعها إلا بملء جلدها (٤) ذهبا . وكان بارا بابيه . فعوضه الله عن ذلك وجازاه عن بره بابيه ، اذ باع البقرة بملء جلدها ذهبافضربوه ببعضها . فتكلم . فقال : قتلني فلان ، ثم عاد ميتاً فلم يورث قاتل بعده . واختلفوا [في البعض من البقرة المضروب به القتيل] (٥) . فقال الفراء : ضرب بذنبها . وقال البعض اقل من النصف . وقال ابن زيد : ضرب ببعض ارابها . وقال ابو العالية : ضرب بعظم من عظامها . وقال السدي : ضرب

---

(١) ديوانه . المدره : هو المدافع　العنجة : ذو الكبر والعظم . ومنه العنجهية .

(٢و٣) في المطبوعة (تقتلون)　(٤) في المطبوعة (الا بملء ذهبا) .

(٥) ما بين القوسين زدناه عن « مجمع البيان » ليتم المعنى . وهذه عبارة التبيان مخطوطته ومطبوعته « في أي موضع ضرب من القتيل . »

بالبضعة التي بين الكتفين . وقال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة : ضرب بفخذ البقرة . والهاء في قوله فاضربوه كناية عن القتيل والهاء في قوله : ببعضها كناية عن البقرة . وهذه الاقاويل كلها محتملة الظاهر . والمعلوم ان الله تعالى امر ان يضرب القتيل ببعض البقرة . ولا يضر الجهل بذلك البعض بعينه ، وانما امرهم بذلك لانهم اذا فعلوه احيي الميت . فيقول فلان قتلني : فيزول الخلف ، والتداري بين القوم . والقديم تعالى ، وان كان قادراً على الاخبار بذلك فان هذا اظهر . والاخبار به أعجب لانه معجز خارق للعادة .

والتقدير في الآية فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيي كما قال : « اضرب بعصاك الحجر فانفلق » تقديره فضرب ، فانفلق . وكذلك قوله : « يحيي الموتى » فيه اضمار كانه قال : فقلنا اضربوه ببعضها فحيي كذلك يحيي الله الموتى اي اعلموا ان ما عاينتموه ان الله قادر على ان يحيي الموتى للجزاء ، والحساب الذي اوعدكم به . ولما ضربوه ببعض البقرة ، احياه الله تعالى ، فقال : قتلني ابن اخي ثم قبض . وكان اسمه عاميل . فقال بنو اخيه والله ماقتلناه وكذبوا الحق بعد معاينته . وانما جعل سبب احيائه الضرب بموات لاحياة فيه ، لئلا يلتبس على ذي شبهة ان الحياة انتقلت اليه مما ضرب به لتزول الشبهة ، وتتأكد الحجة .

وقوله : « كذلك يحيي الله الموتى » يحتمل ان يكون حكاية عن قول موسى لقومه . ويحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى لمشركي قريش .

وقوله : « لعلكم تعقلون » اي لتعقلوا . وقد كانوا عقالا قبل ذلك ، لأن من لا عقل له ، لا تلزمه الحجة ، لكنه اراد تنبيههم ، وان يقبلوا ما يدعون اليه ، ويطيعوه ويعرفوه حق معرفته .

قوله تعالى :

«ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِن بَعدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجارَةِ اوَاشَدُّ قَسوةً وَانَّ مِنَ الحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنهُ الانهارُ وان مِنها لَما يَشقَّقُ فَيَخرُجُ مِنهُ الماءُ وانّ مِنها

لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » (٧٤) . آية واحدة بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وحده ها هنا عما يعملون بالياء الباقون بالتاء .

الخطاب بقوله : « قلوبكم » قيل فيمن يتوجه اليه قولان :

احدها — انه اريد بنو اخي المقتول حين انكروا قتله بعد ان سمعوه منه عند احياء الله تعالى له ، انه قتله فلان . هذا قول ابن عباس .

والثاني — قول غيره : أنه متوجه الى بني اسرائيل كلهم . قال : وقوله : « من بعد ذلك » اي من بعد آيات الله كلها التي اظهرها على يد موسى . وعلى الوجه الاول يكون ذلك اشارة الى الاحياء .

ومعنى « قست قلوبكم » اي : غلظت ويبست وعتت .

اللغة :

القسوة : ذهاب اللين ، والرحمة والخشوع ، والخضوع . ومنه يقال : قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة . وقوله من بعد ذلك اي من بعد احياء الميت لكم ببعض من اعضاء البقرة بعدان تدارأوا فيه واخبرهم بقاتله ، والسبب الذي من اجله قتله . وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهد هذا ان يخضع ويلين قلبه . ويحتمل ان يكون من بعد احياء الميت . والآيات الاخرى التي تقدمت كمسخ القردة والخنازير ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من الحجر وانفراق البحر وغير ذلك . وانما جاز ذلك وان كانوا جماعة . ولم يقل ذلكم ، لان الجماعة : في معنى الجمع والفريق . فالخطاب في لفظ الواحد ومعناه جماعة .

قوله : « فهي كالحجارة » يعني قلوبهم ، فشبهها بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدة : اي اشد صلابة ، لامتناعهم بالاقرار اللازم من حقه الواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات . ومعنى « أو » في الآية : يحتمل امور :

احدها ذكره الزجاج : فقال : هي بمعنى التخيير كقولك جالس الحسن او ابن

سيرين ايها جالست جائز ، فكانه قال : ان شبهت قلوبهم بالحجارة جاز ، وان شبهتها بما هو اصلب كان جائزاً .

والثاني ان تكون « او » بمعنى الواو . وتقديره : فهي كالحجارة واشد قسوة ، كما قال : « وارسلناه الى مأة الف او يزيدون » (١) ومثله قول جرير :

نال الخلافة اوكانت له قدرا   كما اتى ربه موسى على قدر (٢)

وقال توبة ابن الحر :

وقد زعمت ليلى باني فاجر   لنفسي تقاها او عليها فجورها

اي وعليها . ومثله قوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن او آباء بعولتهن » ... الآية (٣) .

والثالث ان يكون المراد الابهام على المخاطبين كما قال ابو الاسود الدؤلي :

احب محمداً حباً شديداً   وعباساً وحمزة والوصيا

فان يك حبهم رشداً اصبه   ولست بمخطىء إن كان غيا(٤)

وأبو الاسود لم يكن شاكا في حبهم ولكن ابهم على من خاطبه . وقيل لابي الاسود حين قال ذلك : شككت قال كلا ثم استشهد بقوله تعالى : « قل الله وإنا واياكم لعلى هدى او في ظلال مبين » (٥) افتراه كان شاكا حين اخبر بذلك .

والرابع ـ ان يكون اراد بل اشد قسوة ، ومثله « وارسلناه الى مأة الف او يزيدون » اي بل يزيدون ، ولا تكون بل للاضراب عن الاول بل مجرد العطف .

والخامس ـ انها كالحجارة ، أو اشد قسوة عندكم .

والسادس : ان يكون اراد مثل قول القائل اطعمتك حلواً وحامضاً وقد

---

(١) سورة الصافات آية : ١٤٧ .

(٢) ديوانه : والممدوح هو عمر ابن عبد العزيز . وروايته (اذ كانت). وقد مر في ١ : ٩٢ .   (٣) سورة النور آية : ٣١ .

(٤) ديوانه : والاغاني ٥ : ١١٣٠ ورواية الديوان « وفيهم اسوة ان كان غياً » .

(٥) سورة سبأ آية : ٢٥

اطعمه النوعين جميعاً . وهو انه لم يشك انه اطعمه الطعامين معاً فكأنه قـال : فهي كالحجارة او اشد قسوة . ومعناه ان قلوبهم لا تخرج من احد هذين المثلين . اما ان تكون مثلا للحجارة القسوة . واما ان تكون اشد منها . ويكون معناه على هذا بعضها كالحجارة قسوة وبعضها اشد قسوة من الحجارة . وكل هذه الاوجه محتملة واحسنها الابهام على المخاطبين. ولا يجوز ان يكون المعنى الشك ، لان الله تعالى عالم لنفسه لا يخفى عليه خافية . وكذلك فى امثال ذلك نحو قوله : « فكان قاب قوسين او ادنى » وغير ذلك وانشدوا في معنى او يراد به بل قول الشاعر :

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى　　فصورتها او انت في العين املح

الاعراب :

يريد بل انت . والرفع في قوله : « أو اشد قسوة » ، يحتمل امرين :

احدها — ان يكون عطفاً على معنى الكاف التي في قوله : كالحجارة ، لان معناها ، فهي مثل الحجارة .

والآخر : ان يكون عطفاً على تكرير هي ، فيكون التقدير فهي كالحجارة او هي اشد قسوة من الحجارة .

وقرىء بنصب الدال شاذاً فيكون نصبه على ان موضعه الجر بالكاف. وانما نصب على انه على وزن افعل لا ينصرف .

وقوله : « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار » .

المعنى :

معناه ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبهم القاسية ، يتفجر منها انهار، وان منها لما يهبط من خشية الله ، والتقدير ان من الحجارة حجارة يتفجر منها انهار الماء فاستغنى بذكر الانهار عن ذكر الماء . وكرر قوله منه للفظ ما .

اللغة :

والتفجر : التفعل من فجر الماء : وذلك اذا نزل خارجاً من منبعه وكل سائل

شخص خارجاً من موضعه، ومكانه فقد انفجر . ماء كان اودماء او حديد او غير ذلك. قال عمر بن لجاء :

ولما أن قربت الى جرير ابى ذو بطنه إلا انفجار (١)

يعني خروجاً وسيلانا .

وقوله : « وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء » تشقق الحجارة انصداعها واصله يتشقق ، لكن التاءادغمت في الشين فصارت شينا مشددة. وقوله : « فيخرج منه الماء » .

المعنى :

يعني فيخرج منه الماء فيكون عينا نابعة لا انها جارية حتى يكون مخالفا للاول . وقال الحسين بن علي المغربي : الحجارة الاولى حجارة الجبال تخرج منها الانهار . والثانية حجر موسى الذي ضربه فانفجر منه عيون ، فلا يكون تكراراً .

وقوله : « وان منها لما يهبط من خشية الله » . قال ابو علي والمغربي : معناه بخشية الله ، كما قال : يحفظونه من امر الله اي بامر الله . قال وهي حجارة الصواعق والبرد . والكناية في قوله منها قيل فيها قولان :

احدهما : انها ترجع الى الحجارة ، لانها اقرب مذكور . وقال قوم : انها ترجع الى القلوب لا الى الحجارة . فيكون معنى الكلام . وان من القلوب لما يخضع من خشية الله ، ذكره ابن بحر وهو احسن من الاول . ومن قال بالاول اختلفوا فيه . فمنهم من قال : إن المراد بالحجارة الهابطة البرد النازل من السحاب . وهذا شاذ، لم يذكره غير ابي علي الجبائي . وقال الاكثر إن المراد بذلك الحجارة الصلبة ، لانها اشد صلابة . وقالوا في هبوطها وجوهاً :

احدها — ان هبوط مايهبط من خشية الله تفيء ظلاله .

وثانيها — انه الجبل الذي صار دكا لما تجلى له ربه .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٣٠٩ . والاغاني ٨ : ٧٢ . وروايته الا « انحداراً » « وذو بطنه » كناية عما يشمأز من ذكره .

وثالثها — قاله مجاهد : إن كل حجر تردى من رأس جبل فهو من خشية الله

ورابعها — ان الله تعالى اعطى بعض الجبال المعرفة ، فعقل طاعة الله تعالى ، فاطاعه كالذي روي في حنين الجذع . وما روي عن النبي «ص» انه قال : إن حجراً كان يسلم عليّ في الجاهلية إني لا اعرفه الآن .

وهذا الوجه فيه ضعف ، لأن الجبل ان كان جاداً ، فمحال ان يكون فيه معرفة الله . وان كان عارفا بالله وبنيته بنية الحي فانه لا يكون جبلا . وأما الخبر عن النبي (ع) فهو خبر واحد . ولو صح ، لكان معناه ان الله تعالى احيا الحجر فسلم على النبي « ص » ويكون ذلك معجزاً له «ع» . واما حنين الجذع فان الله تعالى خلق فيه الحنين ، فكان بذلك خارقا للعادة ، لأنه اذا استند اليه النبي « ص » سكن واذا تنحى عنه ، حنّ وقال قوم : يجوز ان يكون الله تعالى بنى داخله بنية حي ، فصح منه الحنين . وقال قوم : معنى « يهبط من خشية الله » إنه يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه . كما قيل ناقة تاجرة . اذا كانت من نجابتها وفراهتها ، تدعو الناس الى الرغبة فيها : كما قال جرير بن عطية :

واعور من نبهان اما نهاره　　فاعمى ، واما ليله فبصير (١)

فجعل الصفة لليل والنهار . وهو يريد صاحبه النبهاني الذي يهجوه بذلك من اجل انه كان فيها على ما وصفه به . والذي يقوى في نفسي ان معنى الآية الابانة عن قساوة قلوب الكفار ، وان الحجارة ألين منها ، لو كانت تلين لشيء ، للانت وتفجرت منها الانهار ، وتشققت منها المياه ، وهبطت من خشية الله . وهذه القلوب لا تلين مع مشاهدتها الآيات التي شاهدتها بنو اسرائيل : وجرى ذلك مجرى ما يقوله تعالى : « لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله » ٢) ومعناه لو انزلنا هذا القرآن على جبل ، وكانت الجبال مما تخشع لشيء ما ، لرأيته خاشعاً متصدعاً وكقوله تعالى : « ولو ان قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الارض» (٣) الى آخرها سواء . وادخلت هذه اللامات فيها تأكيداً للخبر .

---

(١) ديوانه : ٢٠٦ (٢) سورة الحشر آية : ٢١ . (٣) سورة الرعد آية : ٣٣ .

ويجوز في قوله « فهي كالحجارة » اسكان الهاء وقد قرىء به ، لأن الفاء مع الهاء قد جعلت الكلمة بمنزلة تخذ فتحذف الكسرة استثقالا.

المعنى :

والمعنى في الآية : انه تعالى لما اخبر عن بني اسرائيل وما انعم عليهم به ، واراهم من الآيات ، وغير ذلك ، فقال مخبراً عن عصيانهم ، وطغيانهم « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة ، أو اشد قسوة » ثم اخبر تعالى انه لا امتناع عند الحجارة مما يحدث فيها من امره ، وان كانت قاسية ، بل هي متصرفة على مراده لا يعدم شيء مما قدر فيها . وبنو اسرائيل مع كثرة نعمه عليهم وكثرة ما أراهم من الآيات ، يمتنعون من طاعته ، ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقه ، بل تقسو وتمتنع من ذلك . وقوله : « وإن منها لما يهبط من خشية الله » أي عند ما يحدث فيها من الآية الهائلة : كالزلازل وغيرها ، واضاف الخشية الى الحجارة . وان كانت جماداً على مجاز اللغة والتشبيه . والمعنى في خشوع الحجارة انه يظهر فيها ما لو ظهر في حي مختار قادر ، لكان بذلك خاشعاً . وهو ما يرى من حالها . وانها منصرفة لامتناع عندها مما يراد بها . وهو كقوله : « جداراً يريد ان ينقض » (١) لأن ما ظهر فيه من الميلان ، لو ظهر من حي لدل على انه يريد أن ينقض ، ليس ان الجدار يريد شيئاً في الحقيقة . ومثله « وإن من شيء الا يسبح بحمده » (٢) وقوله : « ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس » (٣) وقوله : « والنجم والشجر يسجدان » (٤) وقال زيد الخيل :

بجمع تظل البلق في حجراته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر (٥)

فجعل ما ظهر في الاكم من آثار الحوافر ، وقلة امتناعها عليها ، ومدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلب الحديد الصلب سجوداً لها ، ولو أن الاكم كانت في صلابة

---

(١) سورة الكهف آية ٧٨ (٢) سورة الاسرى آية ٤٤ (٣) سورة الحج آية ١٨
(٤) سورة الرحمن آية ٦ (٥) زيد الخيل بن مهلهل الطائي الفارس المشهور . ـــ

الحديد حتى يمتنع من الحوافر ، ولا تؤثر فيها ، ولا تذهب يميناً ولا شمالا ، ولا تظاهر بكثرة تزداد الحوافر عليها ، ما جاز ان يقال : انها تسجد للحوافر . وقال ابن حمزة :

وعرفت من شرفات مسجدها   حجرين طال عليها القصر
ركب الخلاء فقلت اذ بكيا   ما بعد مثل بكاكما صبر

وقال جرير :

لما اتى خبر الزبير تواضعت   سور المدينة والجبال الخشع

فصيرها متواضعة . والعرب يفهم بعضها مراد بعض بهذه الاشياء . فمن تعلق بشيء من هذا ليطعن به ، فانما يطعن على لغة العرب بل على لغة نفسه من اهل أي لغة كان . فان هذا موجود متعارف في كل لغة ، وعند كل جيل .

وقوله : « وما الله بغافل عما تعملون » من قرأ بالتاء ، قال : الخطاب متوجه الى بني اسرائيل فكأنه قال : وما الله بغافل يامعشر المكذبين بآياته والجاحدين بنبوة محمد « ص » عما تعملون . ومن قرأ بالتاء فكان الخطاب لغيرهم والكناية عنهم . والغفلة عن الشيء تركه على وجه السهو والنسيان فأخبرهم الله تعالى انه غير غافل عن اعمالهم السيئة ولا ساه عنها .

قوله تعالى :

« أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (٧٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

الألف في قوله أفتطمعون ألف استفهام والمراد به الانكار ، كقوله :

— والباق جمع اباق وبلقاء : الفرس المحجلة . والحجرات جمع حجرة : الناحية والباء « بجمع » متعلقة ببيت سابق ، هو :

بني عامر هل تعرفون اذا غدا   ابو مكنف قد شد عقد الدوابر

« ألم يأتكم نذير قالوا بلى . » (١) فاذا كان في الاول نفياً ، كان الجواب بلى واذا لم يكن نفياً كان الجواب لا . وهذا خطاب لامة النبي «ص» فكأنه قال: أفتطمعون أيها المؤمنون أن يؤمنوا لكم من طريق النظر والاعتبار، ونفي التشبيه، والانقياد للحق وقد كان فريق منهم : أي ممن هو في مثل حالهم من اسلافهم يسمعون كلام الله ثم يعلمون انه الحق ، ويعاندون فيحرّفونه ويتأولونه ، على غير تأويله .

وقوله : « وقد كان فريق منهم » والفريق جمع كالطائفة لا واحد له من لفظه وهو فعيل من الفرق سمي به الجمع كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال اعشى بن ثعلبة:

اخذوا فلما خفت ان يتفرقوا   فريقين منهم مصعد ومصوب (٢)

وقوله: «منهم» يعني من بني اسرائيل، وانما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعد: من بني اسرائيل من اليهود الذين قال الله تعالى لأصحاب محمد « ص » افتطمعون أن يؤمنوا لكم ، لأنهم كانوا آباؤهم واسلافهم ، فجعلهم منهم اذ كانوا عشائرهم وفرقهم واسلافهم .

وقوله : « يسمعون كلام الله » قال قوم منهم مجاهد والسدي : إنهم علماء اليهود يحرفون التوراة ، فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالا ابتغاء لأهوائهم واعانة لمن يرشوهم . وقال ابن عباس والربيع وابن اسحاق والبلخي : انهم الذين اختارهم موسى من قومه، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا امره، وحرفوا القول في اخبارهم لقومهم حتى رجعوا اليهم وهم يعلمون انهم قد حرفوا . وهذا اقوى التأويلين ،لأنه تعالى اخبر عنهم بانهم يسمعون كلام الله والذين سمعوا كلام الله . بلا واسطة هم الذين كانوا مع موسى . فاما هؤلاء فانما سمعوا ما يضاف الى كلامه بضرب من العرف دون حقيقة الوضع . ومن قال بهذا . قال : هم الذين سمعوا كلام الله الذي اوحى الله الى موسى . وقال قوم هو التوراة التي علمها علماء اليهود .

وقوله : « من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » . قيل فيه وجهان :

احدها — وهم يعلمون انهم يحرفونه .

---

(١) سورة الملك : آية ٨ و٩ (٢) ديوانه . اجدالسير : انكمش فيه واسرع . مصعد : مبتدىء في الصعود الى نجد والحجاز . ومصوب : منحدر في رجوعه الى العراق .

والثاني — من بعد ما تحققوه وهم يعلمون ما في تحريفه من العقاب . والذي يليق بمذهبنا في الموافاة أن نقول : ان معناه وهم يعلمون انهم يحرّفونه . فان قيل فلماذا اخبر الله عن قوم بانهم حرفوا وفعلوا ما فعلوا من المعاندة ما يجب أن يؤيس من ايمان من هو في هذا الوقت ، وأي علقة بين الموضوعين والحالين ؟ قيل : ليس كلما يطمع فيه يؤيس منه على وجه الاستيقان بانه لا يكون ، لأن الواحد من افناء العامة(١) لا يطمع ان يصير ملكا . ومع ذلك لا يمكن القطع على كل حال ان ذلك لا يكون ابداً . ولكن لا يطمع فيه لبعده ، والله تعالى نفى عنهم الطمع ولم يؤيسهم على القطع والثبات وانما لم يطمع فيهم لبعد ذلك من الوهم منهم مع احوالهم التي كانوا عليها. وشبههم باسلافهم المعاندين ، وقد كانوا قادرين على ان يؤمنوا وكان ذلك منه جائزاً . وهؤلاء الذين عاندوا ـ وهم يعلمون ـ كان قليلا عددهم ، يجوز على مثلهم التواطؤ والاتفاق وكتمان الحق ، وانما يمتنع ذلك في الجمع العظيم والخلق الكثير ، لأمر يرجع الى اختلاف الدواعي . فأما على وجه التواطؤ والعمد فلا يمتنع فيهم ايضاً ، فيبطل بذلك قول من نسب فريقاً الى المعاندة دون جميعهم وان كانوا باجمعهم كفاراً .

قوله تعالى :

« وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » . (٧٦) آية .

هذه الآية فيها اخبار عمن رفع الله الطمع في ايمانهم من يهود بني اسرائيل الذين كانوا بين اظهرهم فقال : افتطمعون ايها المؤمنون ان يؤمنوا لكم، وهم القوم الذين كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وهم الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا : أي صدقنا بمحمد (ص) وبما صدقتم به واقررنا بذلك . فأخبر الله بانهم تخلقوا باخلاق المنافقين وسلكوا منهاجهم . « واذا

(١) اي لا يعلم من هو

خلا بعضهم الى بعض » : أي اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم ، الى بعض منهم فصاروا في خلاء الناس، وذلك هو الموضع الذي ليس فيه غيرهم، قالوا ـ يعني بعضهم لبعض ـ : اتحدثونهم بما فتح الله عليكم . وقال ابن عباس بما فتح الله عليكم أي بما ألزمكم الله به . فيقول له آخرون انما نستهزىء بهم ونضحك . وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا . فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم . فانزل الله هذه الآية : أي تقرون بانه نبي وقد علمتم انه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبركم بانه النبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا . اجحدوه ولا تقروا به لهم . فقال الله تعالى : « اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » (١)

وقال ابو العالية : اتحدثونهم بما فتح الله عليكم : اي بما انزله في كتابكم من بعث محمد (ص) وبه قال قتادة وقال مجاهد : ذلك قول يهود بني قريظة حين سبهم النبي (ص) بانهم اخوة القردة والخنازير . قالوا من حدثك بهذا ـ حين ارسل اليهم علياً (ع) فاذوا محمداً (ص) ـ فقال : يااخوة القردة والخنازير قال بعضهم لبعض : ما اخبره بهذا إلا منكم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ، ليكون لهم حجة عليكم ؟ وقال السدي : هؤلاء ناس آمنوا من اليهود ثم نافقوا وكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضهم لبعض : اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به ، ليقولوا نحن احب الى الله منكم واكرم عليه منكم ؟ ومثله روي عن ابي جعفر «ع» واصل الباب الفتح في لغة العرب : القضاء والنصرة والحكم . يقال اللهم افتح بيني وبين فلان : أي احكم بيني وبينه ، ومنه قوله تعالى : « ويقولون متى هذا الفتح » (٢) يعني هذا القضاء فقال تعالى : « قل يوم الفتح (٣) يعني يوم القضاء . وقال الشاعر :

ألا ابلغ بني عصم رسولا ... فاني عن فُتاحتكم غنيّ (٤)

---

(١) سورة البقرة آية ٧٧ (٢) سورة آلم السجدة آية ٢٨ . (٣) سورة آلم السجدة آية ٢٩

(٤) نسب للاشعري الجعفي ولمحمد بن حمران بن ابي حمران . أمالي القالي : ٢٨١ . اللسان : « فتح » وبنو عصم م رهط عمرو بن معد يكرب الزبيدي .

ويقال للقاضي الفتاح قال الله تعالى : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » (١) يعني احكم به . ويقال فتح بمعنى علم ، فقال افتح على هذا أي اعلمني بما عندك فيه . واذا كان معنى الفتح ما وصف فقد بان ان معنى الآية . أتحدثونهم بما حكم الله عليكم وقضاه فيكم ، ومن حكمه ما أخذ به ميثاقهم من الايمان بمحمد « ص » بما بينه في التوراة ومن قضائه انه جعل منهم القردة والخنازير . فاذا ثبت ذلك ،فان اقوى التأويلات : قول من قال : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمد « ص » وصفته في التوراة ، وانه رسول الله « ص » الى خلقه .

وروي عن ابي جعفر « ع » انه قال : كان قوم من اليهود ليسوا بالمعاندين المتواطئين ، اذا لقوا المسلمين ،حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد « ص » فنهاهم كبراؤهم عن ذلك، وقالوا : لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمد «ص » فيحاجوكم به عند ربكم ، فنزلت الآية .

ومعنى قوله : « افلا تعقلون » أفلا تفهمون ايها القوم أن اخباركم محمد«ص» واصحابه ، بما تحدثونهم به واقراركم لهم بما تقرون لهم من وجودكم بعث محمد في كتبكم وانه نبي مبعوث حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم . وقال ابو عبيدة « بما فتح الله عليكم » أي بما منّ عليكم واعطاكم ليحاجوكم به . وقال الحسن : في قوله « ليحاجوكم به عند ربكم » أي في ربكم فيكونوا اولى منكم اذا كانت حجتهم عليكم .قال الحسن: ثم رجع الى المؤمنين فقال : « افلا تعقلون » ايها المؤمنون فلا تطمعوا في ذلك .　قوله تعالى :

« أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ »

(٧٧) آية بلا خلاف .

المعنى :

معناه : اولا يعلمون ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم ، فكيف يستخيرون أن

(١) سورة الاعراف آية : ٨٩ .

يسروا الى اخوانهم النهي عن التحدث بما هو الحق وايسوا كسائر المنافقين ، وان كانوا يسرون الكفر فانهم غير عالمين بان الله يعلم سرهم وجهرهم ، لأنهم جاحدون له. وهؤلاء مقرون . فهم من هذه الجهة ألوم واعجب شأناً واشد جزاءً . وقال قتادة في « اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون » من كفرهم وتكذيبهم محمداً (ص) اذا خلا بعضهم الى بعض · « وما يعلنون » اذا لقوا اصحاب محمد « ص » قالوا آمنا يغرونهم بذلك . ومثله روي عن ابي العالية .

قوله تعالى :

« وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ » (٧٨) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابو جعفر المدني : اماني مخففاً والباقون بالتشديد ·

المعنى :

قوله : « ومنهم » يعني هؤلاء اليهود الذين قص الله قصتهم في هذه الآيات وقطع الطمع في ايمانهم . وقال اكثر المفسرين : سموا اميين ، لأنهم لا يحسنون الكتابة ، ولا القراءة . يقال منه : رجل امي بين الامية . ومنه قوله « ع » أما امة اميون لا يكتب ولايحسب وانما سمي من لا يحسن الكتابة امياً لأحد امور . قال قوم : هو مأخوذ من الامة أي هو على اصل ما عليه الامة من انه لا يكتب . لا يستفيد الكتابة بعد اذ لم يكن يكتب

الثاني ـ انالامة : الخلقة . فسمي امياً لأنه باق على خلقته · ومنه قول الاعشى :

وان معاوية الا كرميـ ـن حسان الوجوه طوال الامم(١)

والثالث ـ انه مأخوذ من الام · وانما اخذ منه ، لاحد امرين :

احدها ـ لانه على ما ولدته امه من انه لا يكتب .

---

(١) اللسان « امم » الامم جمع امة يريد طوال القامات . في المخطوطة والمطبوعة « معونة » بدل « معاوية » .

والثاني ـ نسب الى امه ، لأن الكتابة كانت في الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب من الرجال الى امه ، لجهلها دون ابيه . وقال ابو عبيدة الاميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم كتاب . والنبي الامي : الذي لا يكتب ، وانشد لتبع :

له امة سميت بالزبو   ر امية هي خير الامم

وروي عن ابن عباس : ان الاميين قوم لم يصدقوا رسولا ارسله الله عزوجل ولا كتابا انزله ، وكتبوا كتابا بايديهم ، وقالوا : لقوم جهال هذا من عند الله . وقال : قد اخبر انهم يكتبون بايديهم ، ثم سماهم اميون لجحودهم كتاب الله عزوجل ورسله . والوجه الاول اوضح في اللغة . وهذا الوجه مليح لقوله في الآية الثانية « فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم » فأثبت انهم يكتبون ومن قال بالاول يحتاج ، ان يجعل هذا مستأنفاً لغير من تقدم ذكره ، أو لبعضهم .

وقوله : « لا يعلمون الكتاب » أي لا يعلمون ما في الكتاب الذي انزله الله عز وجل ، ولا يدرون ما أودعه من حدوده وأحكامه وفرائضه كهيئة البهائم . وانما هم مقلدة لا يعرفون ما يقولون . والكتاب المعني به التوراة . وانما ادخل عليه لام التعريف ، لأنه قصد به قصد كتاب معروف بعينه . ومعنى الآية فريق لا يكتبون ولا يدرون ما في الكتاب الذي عرفتموه ، والذي هو عندكم ، وهم ينتحلونه ، ويدعون الاقرار به من احكام الله عز وجل وفرائضه وما فيه من حدوده التي بينها فيه إلا اماني .

قال ابن عباس ومجاهد إلا قولا يقولون بافواههم كذباً . وقال قتادة الاماني انهم يتمنون على الله ما ليس لهم . وقال آخرون : الاماني احاديث . وقال الكسائي والفراء وغيرها : معناه إلا تلاوة ، وهو المحكي عن ابي عبيدة على ما رواه عنه عبد الملك بن هشام ، وكان ثقة . وضعف هذا الوجه الحسين بن علي المغربي ، وقال هذا لا يعرف في اللغة . ومن صححه استدل بقوله تعالى : « اذا القى الشيطان في امنيته » (١) . قال كعب بن مالك :

---

(١) سورة الحج آية ٥٢

تمنى كتاب الله اول ليلة ... واخره لا في حمام المقادر

وقال آخر :

تمنى كتاب الله بالليل خالياً ... تمني داود الزبور على رسل

وقال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني : الاماني التقدير . قال الشاعر :

ولا تقولن لشيء سوف افعله ... حتى يبين ما يمني لك الماني

أي ما يقدر لك المقدر « وإلا » هاهنا استثناء منقطع . ومعناه لكن اماني وكل موضوع يعلم ان ما بعد إلا خارج عن الاول فهو بمعنى لكن ، كقوله « ما لهم به من علم إلا اتباع الظن » وكقولهم ما في الدار واحد إلا حماراً ، والا وتداً قال الشاعر :

ليس بيني و بين قيس عتاب ... غير طعن الكلى وضرب الرقاب (١)

وقال آخر :

حلفت يميناً غير ذي مثنوية ... ولا علم إلا حسن ظن بصاحب (٢)

معناه لكن حسن ظني بصاحبي . ومثله (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) (٣) . ومثله (لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم) (٤) . ولولا ولوما وهلا وإلا الثقيلة بمعنى واحد قال الشاعر :

تعدون عقر النيب افخر مجدكم ... بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا (٥)

يعني هلا . وقال آخر :

اتيت بعبد الله في القيد موثقاً ... فهلا سعيداً ذا الجناية والعذر

---

(١) قائله : عمرو بن الأيهم التغلبي ، وقيل اسمه : عمر ، وقيل هو اعشى تغلب .

(٢) قائله : نابغة بني ذبيان . ديوانه . مثنوية : استثناء

(٣) سورة النساء آية ٩١ .

(٤) سورة هود آية ٤٣ .

(٥) قائله : جرير ، من قصيدة يهجو بها الفرزدق . عقر الناقة : ضرب قوائمها . النيب ج ناب : الناقة المسنة . ضوطرى : الرجل الضخم اللئيم . والضوطرى : الامرأة الحمقاء . الكمي : الشجاع

ثم قال آخر :

وماشيخوني غير اني ابن غالب   واني من الاثرين عندالزغايف

واحدهم زغيف : وهو التابع . وكل موضوع حسن ان يوضع فيه مكان إلا (لكن) فاعلم انه مكان استثناء منقطع . ولو قيل هاهنا ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون لكان صحيحاً .

والاماني واحدها امنية مثقل ومن خفف الياء قال ، لأن الجمع يكون على غير واحده بنقصان أو زيادة . والاماني كلهم يخففونها لكثرة الاستعمال ، وكذلك الاضاحي . واولى التأويلات قول ابن عباس ومجاهد : من ان الاميين الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية ، وانهم لا يفقهون من الكتاب الذي انزل اليه على موسى شيئاً لكنهم متخرصون الكذب . ويقولون : الباطل . والتمني في الموضوع تخلق الكذب وتخرصه . يقال منه تمنيت اذا افتعلته وتخلقته . ومنه ما روي عن بعض الصحابة انه قال : ما تغنيت ولا تمنيت أي ما تخرصت الباطل ، ولا تخلقت الكذب والافك ، ويقوي ذلك قوله في آخر الآية : (وان هم إلا يظنون) فبين أنهم يتمنون ما يتمنون من الكذب ظناً لا يقيناً ، ولو كان المعنى انهم يتلونه لما كانوا ظانين وكذلك لو كانوا يتمنونه ، لأن الذي يتلوه اذا تدبر علمه ، ولا يقال فيمن يقرأ كتاباً لم يتدبره ، وتركه انه ظان لما يتلوه إلا ان يكون شاكاً فيما يتلوه ولا يدري أحق هو ام باطل ، ولم يكن القوم الذين عاصروا النبي (ص) من اليهود شاكين في التوراة انها من عند الله ، وكذلك التمني . لا يجوز ان يقال : هو ظان بتمنيه ، لأن التمني من المتمني اذا وجد لا يقال فيه شاك فيما هو عالم به ، لأنه ينافي العلم . والمتمني في حال وجود تمنيه لا يجوز ان يقال هو يظن تمنيه . وقوله : (وان هم إلا يظنون) قال جميع المفسرين معناه يشكون . والذي اقوله ان المراد بذلك نفي العلم عنهم ، وقد ينتفي العلم تارة بالشك وتارة بالظن . واما في الحقيقة فالظن غير الشك ، غير ان المعنى متفق عليه هاهنا .

قوله تعالى :

« فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ » (٧٩) آية بلا خلاف .

اللغة والاعراب :

قال الزجاج : الويل كلمة يستعملها كل واقع في هلكة . واصله في اللغة العذاب والهلاك وارتفع بالابتداء ، وخبره الذين . ولو كان في غير القرآن ، لجاز بالنصب على معنى جعل الله ويلا للذين والرفع على معنى ثبوت الويل للذين ، ومثله الويح والويس اذا كان بعدهن لام رفعتهن . واما التعس والبعد وما اشبهها فهو نصب ابداً . فان اضفت ويل وويح وويس نصب من غير تنوين . تقول ويلَ زيدٍ وويسَ زيد . ولا يحسن في التعس والبعد الاضافة بغير لام فلذلك لم ترفع . وقد نصب قوم مع اللام فيقولون ويلاً لزيد ، وبحاً لخالد . قال الشاعر :

كسا اللؤم تيماً خضرة في جلودها فويلاً لتيم من سرابيلها الخضر(١)

المعنى :

قال ابن عباس : « الويل » في الآية العذاب . وقال الاصمعي هو التقبيح . ومنه قوله : « ولكم الويل مما تصفون » . وقال المفضل : معناه الحزن . وقال قوم : هو الهوان والخزي ، ومنه قول الشاعر :

يازبرقان اخا بني خلف ما انت ويل ابيك والفخر(٢)

وقال ابو سعيد الخدري : الويل واد في جهنم . وقال عثمان بن عفان : هو جبل في النار .

---

(١) قائله جرير . اللسان : (ويل) (٢) البيت للمخبل اللسان : (ويل) وروايته (ويب) بدل (ويل) . ومعنى ويب : التصغير والتحقير .

وقوله: « يكتبون الكتاب بأيديهم » معناه انهم يقولون كتبته، ثم يضيفونه الى الله، كقوله « خلقت بيدي » (١) « وعملت ايدينا » (٢) أي نحن تولينا ذلك ولم نكله الى احد من عبادنا. ومثله رأيته بعيني وسمعته باذني ولقيته بنفسي. والمعنى في جميع ذلك التأكيد، ولأنه قد يأمر غيره بالكتابة، فتضاف اليه مجازاً. فلذلك يقول الامي كتبت الى آل فلان بكذا، وهذا كتابي اليك، وكما تقول: حملت الى بلد كذا. وانما امرت بحمله. فأعلمنا الله تعالى انهم يكتبونه بايديهم، ويقولون هو من عند الله، وقد علموا يقيناً اذا كتبوه بايديهم انه ليس من عند الله. وفي الآية دلالة على ابطال قول المجبرة، لأنه تعالى عابهم بهذا القول، اذ نسبوا ما كتبوه من التحريف الى انه من عند الله، وجعل عليهم الويل. واذا كان تحريفه من الكتاب - ليس من عند الله، من جهة القول والحكم - فليس ذلك منه من جهة القضاء والحكم ولا التقدير والمشيئة.

وقال ابن السراج: معنى « بايديهم » أي من تلقاء انفسهم.

وقوله « ليشتروا به ثمناً قليلاً ». قال قوم: أي انه عرض الدنيا لأنه قليل المدة، كما قال تعالى: « قل متاع الدنيا قليل » (٣) ذهب اليه ابو العالية. وقال آخرون: إنه قليل لأنه حرام.

وروي عن ابي جعفر (ع)، وذكره ايضاً جماعة من اهل التأويل أن أحبار اليهود كانت غيرت صفة النبي (ص) ليوقعوا الشك للمستضعفين من اليهود.

وقوله: « وويل لهم مما كانوا يكسبون » يقولون مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم. واصل الكسب العمل الذي يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر، وكل عامل عملا بمباشرة منه لما عمل. ومعناه هاهنا الاحتراف فهو كاسب لما عمل. قال لبيد ابن ربيعة:

لمعفر قهد تنازع شلوه　　غبس كواسب لا يمن طعامها (٤)

---

(١) سورة ص: آية ٧٥. (٢) سورة يس: آية ٧١. (٣) سورة النساء: آية ٧٦.

(٤) معلقته. اللسان: (عفر) في المخطوطة والمطبوعة (بمعفر فهد) بدل (لمعفر قهد) —

وقيل الكسب عبارة عن كل عمل بجارحة يجتلب به نفع ، أو يدفع به مضرة ومنه قيل للجوارح من الطير : كواسب .

قوله تعالى :

« وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ » (٨٠) آية بلا خلاف .

المعنى :

قوله : « وقالوا » يعني اليهود الذين قالوا لن تمسنا النار ، ولن ندخلها إلا اياماً معدودة . وانما لم يبين عددها في التنزيل ، لأنه تعالى اخبر عنهم بذلك ، وهم عارفون بعدد الايام التي يوقتونها في النار ، فلذلك نزل تسمية عدد الايام ، وسماها معدودة ، لما وصفنا .

وقال ابو العالية وعكرمة والسدي وقتادة : هي أربعون يوماً . ورواه الضحاك عن ابن عباس . ومنهم قال : انها عدد الايام التي عبدوا فيها العجل .

وقال ابن عباس : إن اليهود تزعم انهم وجدوا في التوراة مكتوباً ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة ، وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم واحد، فاذا انقطع المسير، انقطع العذاب وهلكت النار . وقال مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس : إنها سبعة ايام ، لأن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ، وانهم يعذبون بعدد كل ألف سنة يوماً واحداً من ايام الآخرة ، وهو كألف سنة من ايام الدنيا . ولما قالت اليهود ما قالت من قولها : لن تمسنا النار إلا اياماً معدودة على ما بيناه ، قال الله تعالى لنبيه : « قل اتخذتم عند الله عهداً » بما تقولون من ذلك أو ميثاقاً ، فالله

— وفي المطبوعة (غبش) بدل (غبس) . المعفر : الذي الق في العفر ، وهو التراب . والقهد : ولد البقر . والشلو : العضو من اللحم . وغبس : غبر ولا يمن طعامها : تكسب طعامها بنفسها .

لا ينقض عهده « ام تقولون على الله ما لا تعلمون » من الباطل جهلاً وجراءة عليه

القراءة :

وفي القراء من قرأ « أوتخذتم » بادغام الذال في التاء . ومنهم من لم يدغم . واصل أتخذتم أأتخذتم .دخلت ألف الاستفهام على ألف القطع من نفس الكلمة ، فكره اجتماعها فحذفت الاصليـة ، وبقيت التي للاستفهام ، لانها لمعنى ـ وهي وان كانت للاستفهام في الاصل ـ فالمراد بها هاهنا التكبير ، والتوبيخ ، والاعلام لهم ولغيرهم أن الامر بخلاف ما قالوه ، وانهم يقولون بغير علم . والدليل على انها ألف استفهام كونها مفتوحة . ولو كانت اصلية لكانت مكسورة في إتخـذتم ، ولذلك يدخل بينها المد كما قالوا في « آلله اذن لكم » (١) ، لأن قوله : « اذن الله » لو اخبر بها لكانت مفتوحة . ولو لم تدخل المدة لاشتبهت ألف الاستفهام بهمزة الخبر ، وليس كذلك هاهنا ، لأن الفتحـة تختص للاستفهام وفي الخبر تكون مكسورة . وفي المفتوحتين لابد من الجمع بين الهمزتين . ومنهم من يفصل بينهما بمدة . ومنهم من لا يفصل ، نحو قوله « أأمنتم من في السماء » (٢)

قوله تعالى :

« بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَـةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْـحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (٨١) آية بلا خلاف .

الاعراب والقراءة :

قرأ اهل المدينة خطيئاته على الجمع . الباقون على التوحيد .

قوله « بلى » جواب لقوله : « لن تمسنا النار إلا اياماً معـدودة » فرد الله عليهم بأن قال : « بلى من احاطت به خطيئته » ابداً . وبلى تكون جواباً للاستفهام الذي اوله جحود . وتكون جواباً للجحد وان لم تكن استفهاماً ، كقوله : « تقول

---

(١) سورة يونس : آية ٥٩ . (٢) سورة الملك : آية ١٦ .

حين ترى العذاب » الى قوله « بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها » (١) . ويقول القائل لم افعل كذا وكذا فيقول له غيره : بلى قد فعلت . بلى ونعم جوابان :

أحدهما ـ يدخل فيما لا يدخل فيه الآخر ، لأن بلى تدخل في باب الجحود. وقال الفراء : انما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد ، لأنه اذا قال لغيره ، مالك علي شيء فقال له نعم، فكأنه قد صدقه، وكأنه قال نعم ليس لي عليك شيء ، فلهذا اختلف نعم وبلى .

وقوله : « سيئة » فمن همز اتى بيائين بعدها همزة . ومن ترك الهمزة على لغة أهل الحجاز يقول « سية » مثل عية . ومن لين قال « سيئة » كأنه يشير الى الهمزة ويسكنها .

المعنى :

قال مجاهد ، وابن عباس وابو وايل ، وقتادة وابن جريج : « السيئة » هاهنا الشرك . وقال السدي : الذنوب التي وعد الله عليها النار . والذي يليق بمذهبنا هاهنا قول مجاهد ، لأن ما عدا الشرك لا يستحق عندنا عليه الخلود في النار .

« وأحاطت به خطيئته » . قال ابن عباس ومجاهد انها الشرك . وقال الربيع ابن خيثم : من مات عليها . وقال ابن السراج : هي التي سدت عليه مسالك النجاة . وقال جميع المعتزلة : انه اذا كان ثوابه اكثر من عقابه . والذي نقوله : الذي يليق بمذهبنا ان المراد بذلك الشرك والكفر . لأنه الذي يستحق به الدخول مؤبداً . ولا يجوز ان يكون مراداً بالآية .

وقوله : « واحاطت به خطيئته » يقوي ذلك ، لأن المعنى فيه ان تكون خطاياه كلها اشتملت عليه ولا يكون معه طاعة يستحق بها الثواب ، تشبيهاً بما احاط بالشيء من كل وجه . ولو كان معه شيء من الطاعات ، لكان مستحقاً للثواب فلا تكون السيئة محيطة به ، لأن الاحباط عندنا باطل فلا يحتاج الى تراعي كثرة

---

(١) سورة الزمر آية ٥٨ ، ٥٩ .

العقاب، وقلة الثواب، لأن قليل الثواب عندنا يثبت مع كثرة العقاب. لما ثبت من بطلان التحابط بادلة العقل. وليس هذا موضع ذكرها، لأن الآية التي بعدها فيها وعد لأهل الايمان بالثواب الدائم. فكيف يجتمع الثواب الدائم والعقاب الدائم، وذلك خلاف الاجماع؟ ومتى قالوا احدهما يبطل صاحبه، قلنا الاحباط باطل ليس بصحيح على ما مضى.

قوله تعالى:

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢)» آية.

هذه الآية متناولة (١) لمن آمن بالله وصدق به، وصدق النبي (ص) وعمل الصالحات التي اوجبها الله تعالى عليه، فانه يستحق بها الجنة خالداً ابداً. وظاهرها يمنع من ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لأنه اذا كان مؤمناً مستحقاً للثواب الدائم، فلا يجوز ان يستحق مع ذلك عقاباً دائماً، لأن ذلك خلاف ما اجمع المسلمون عليه ومتى عادوا الى الاحباط، كلموا فيه بينهم وبين بطلان قولهم.

قوله تعالى:

«وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣)» آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: «لا يعبدون» بالياء. الباقون بالتاء.

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة (متأولة) بدل (متناولة).

وقرأ « حسناً » بنصب(١) الحاء والسين (٢)حمزة والكسائي الباقون « حسناً » بضم الحاء وإسكان السين وتقدير الآية : واذكروا ايضاً يامعشر بني اسرائيل اذ أخذنا ميثاقكم لا تعبدون إلا الله ، فلما اسقطت ان ، رفع . كما قال الشاعر :

ألا ايهذا اللائمي اشهد الوغى   وان اشهد اللذات هل انت مخلدي (٣)

ومثاله قوله : « افغير الله تأمروني اعبد » . ومن قرأ بالياء ، تقديره انه اخبر انه تعالى أخذ ميثاقهم ، لايعبدون إلا الله ، وبالوالدين احساناً ، ثم عدل الى خطابهم فقال : « وقولوا للناس حسناً » . والعرب تعمل ذلك كثيراً . وانما استخاروا ان يصيروا الى المخاطبة بعد الخبر ، لأن الخبر انما كان عمن خاطبوه بعينه ، لا عن غيره . وقد يخاطبون ، ثم يصيرون بعد ذلك الى الخبر عن المخاطب . مثال الاول قول الشاعر :

شطت مزار العاشقين فاصبحت   عسراً علي طلابك ابنة مخزم (٤)

مزار نصب . والتاء من اصبحت كناية عن المرأة فأخبر عنها ثم خاطبها . ومثال الثاني قول الشاعر :

اسيئي بنا أو احسني لا ملومة   لدينا ولا مقلية ان تقلت (٥)

وقال زهير :

فاني لو إلاقيك اجتهدنا   وكان لكل منكره كفاء

وابري موضحات الرأس منه   وقد يبرى من الجرب الهناء

ومن قرأ بالتاء فان الكلام من أوله خطاب .

وتقديره : واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل ، قلنا لا تعبدوا الا الله . قال بعض النحويين : المعنى واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله ، وبالوالدين

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة هكذا والصحيح بفتح (٢) في المطبوعة « الصواب وبفتح الحاء والسين » زائدة . (٣) قائله طرفة بن العبد البكري ديوانه : ٣١٧ . من معلقته المشهورة . وروايته : « الزاجر » بدل « اللائم » . واحضر ـ في الموضعين ـ بدل (اشهد) . (٤) قائله عنترة بن شداد . اللسان (شطط) وروايته (طلابها) بدل (طلابك) وفي معلقته هكذا :

حلت بأرض الزائرين فأصبحت   عسراً علي طلابك ابنة مخرم

(٥) قائله كثير عزة ، ديوانه ١ : ٥٣ . تلاه يقليه قلى فهو مقلي : كرهه . وتقلى أي استعمل من القول أو الفعل ما يدعو الى بغضه .

احسانا، حكاية ، كأنه قال استحلفناهم لا يعبـدون إلا الله ، اذ قلنا لهم : والله لو قالوا والله لا تعبدون . والاول اجود .

وقوله تعالى : « وبالوالدين احسانا » عطف على موضع أن المحـذوفة في « تعبدون إلا الله وبالوالدين احسانا » فرفع لا تعبدون ، لما حذفت أن ، ثم عطف بالوالدين على موضعها : كما قال الشاعر :

معاوي اننا بشر فاسجح   فلسنا بالجبال ولا الحديدا (١)

فعطف (٢) ولا الحديد على موضع الجبال . واما الاحسان فنصوب بفعـل مضمر يؤدي عن معناه ، قوله (٣) « وبالوالدين » اذ كان مفهوما معناه .

وتقدير الكلام واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبـدوا إلا الله وان تحسنوا الى الوالدين احسانا . فاكتفى بقوله : « وبالوالدين » عن ان يقول بان تحسنوا الى الوالدين احسانا، اذ (٤) كان مفهوما بما ظهر من الكلام . وقال بعض اهل العربية : تقديره وبالوالدين فاحسنوا ، فجعل الباء التي في الوالدين من صلة الاحسان مقدمة عليه. وقال آخرون : الا تعبدوا إلا الله واحسنوا بالوالدين احسانا، فزعموا ان الباء في وبالوالدين من صلة المحذوف . اعني من احسنوا . فجعلوا ذلك من كلامين والاحسان الذي اخذ عليهم الميثاق بان يفعـلوه الى الوالدين ما فرض على امتثالها من فعل المعروف ، والقول الجميل ، وخفض جناح الذل رحمة بها ، والتحنن عليها ، والرأفة بها ، والدعاء لها بالخير ، وما اشبهه مما ندب الله تعالى الى الفعل بها .

وقوله : « وذي القربى » أي وبذي القربى ان تصلوا قرابة منهم ، ورحمة .

اللغة :

والقربى مصدر على وزن فعلى من قولك : قرب مني رحم فلان قرابة ، وقربى وقربا بمعنى واحد .

---

(١) قائله عقيبة بن هبيرة الأسدي ، جاهلي اسلامي . الخزانة : ٣٤٣ . (٢) في المطبوعة « فعطف » (٣) في المطبوعة والمخطوطة « وقوله » على ما يظهر ان الناسخ زاد الواو لأنه لم يفهم معنى الكلام . (٤) في المطبوعة والمخطوطة « اذا » الالف ايضاً زيادة من الناسخ .

واليتامى جمع يتيم: مثل اسير واسارى . ويدخل في اليتامى الذكور منهم والاناث

المعنى :

ومعنى ذلك : اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا إلا الله وحده ، دون ما سواه من الانداد ، وبالوالدين احسانا وبذي القربى ان يصلوا رحمه ، ويعرفوا حقه . وباليتامى ان يتعطفوا عليهم بالرأفة ، والرحمة ، وبالمساكين أن يوفوهم حقوقهم التي ألزمها الله في اموالهم .

والمسكين هو المتخشع المتذلل من الفاقة والحاجة وهو مفعيل من المسكنة وهي ذل الحاجة والفاقة .

وقوله : « وقولوا للناس حسناً »فيه عدول الى الخطاب بعدالخبر على مامضى القول فيه . وقد ذكرنا اختلاف القراء في حَسَنا وحُسنا . واختلف اهل اللغة في الفرق بينهما فقال بعض البصريين هو (١) على احد وجهين :

أحدهما ـ أن يكون أراد بالحُسن الحسَن . ويكون لمعنيين مثل البُخل والبَخل واما ان يكون جعل الحسَن هو الحُسن في التشبيه ، لأن الحُسن مصدر والحسن هو الشيء الحسن ، فيكون ذلك : كقول القائل : انما انت أكل وشرب قال الشاعر :

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع (٢)

فجعل التحية ضربا وقال آخر : بل الحسن هو الاسم العام الجامع جميع معاني الحسن ، والحسن هو البعض من معاني الحَسن ،ولذلك قال تعالى اذ (٣)وصى بالوالدين « ووصينا الانسان بوالديه حسنا » (٤) يعني بذلك انه وصاه بجميع معاني الحَسن :

وقرىء في الشواذ : حسنى . لا يقرء بها لشذوذها حكاها الاخفش . وذلك لا يجوز لأن فعلى ، وافعل لا يستعمل إلا بالالف واللام . نحو الاحسن والحسنى والافضل

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة (المصريين) وهو خطأ . (٢) قائله عمرو بن معد يكرب . الخزانة ٤ : ٥٤ . يقال دلفت الكتيبة الى الكتيبة في الحرب : أي تقدمت . (٣) في المطبوعة والمخطوعة (اذا) بزيادة الألف وهو خطأ . (٤) سورةالعنكبوت: آية ٩

الآية مثل الآية الاولى سواء .

واما سفك الدم ، فانه صبه واراقته . ومعنى « لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم » النهي عن أن يقتل بعضهم بعضاً ، وكان في قتل الرجل منهم قتل نفسه اذا كانت ملتها واحدة ، ودينها واحد وكان اهل الدين الواحد في ولاية بعضهم بعضاً بمنزلة رجل واحد . كما قال النبي (ص) : انما المؤمنون في تعاطفهم وتراحمهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر . فهذا قول قتادة وابي العالية . ويحتمل ان يكون المراد لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاد به قصاصاً . فيكون بذلك قاتلا نفسه ، لانه كالسبب فيه واضيف قتل الولي اياه قصاصاً اليه بذلك . كما يقال لرجل يعاقب لجناية جناها على نفسه : انت جنيت على نفسك . وفيه قول ثالث : وهو ان قوله : « انفسكم » اراد به اخوانكم ، لانهم كنفس واحدة .

وقوله : « ثم اقررتم وانتم تشهدون » اي اقررتم بذلك ايضاً ، وبذلتموه من انفسكم ، وانتم شاهدون على من تقدمكم باخذنا منهم الميثاق ، وما بذلوه من انفسهم . فذكر تعالى اقرارهم وشهادتهم ، لأن اخذ الميثاق كان على اسلافهم — وإن كان لازماً للجميع ، لتوكيد الحجة عليهم . — وقال بعض المفسرين : نزلت هذه الآية في بني قريظة والنضير .

يقول : حرم الله في الكتاب ان تسفكوا دماءكم ، اي لا تقتتلوا فيقتل بعضكم بعضاً (١) ، ولا تتركوا أسيراً في يد الآسرين ليقتلوه «ولا تخرجوا انفسكم من دياركم » معناه لا تغلبوا احداً على داره ، فتخرجوه ، فقبلتم ذلك واقررتم به . وهو اخذ الميثاق « وانتم تشهدون » بذلك .

واما النفس فأخوذة من النفاسة ، وهي الجلالة فنفس الانسان انفس ما فيه . والدار هي المنزل الذي فيه ابنية المقام ، بخلاف (٢) منزل الارتحال . وقال الخليل : كل

(١) في المخطوطة « لا تقتلوا » . وعبارة المطبوعة هكذا : « لا يقتلوا فيقتل بعضكم ولا تتركوا . . . » .

(٢) في المطبوعة « بجلال » .

موضع حل فيه قوم فهو دار لهم ـ وان لم يكن فيه ابنية . وقيل ايضاً : إن معنى قوله : « ثم اقررتم وانتم تشهدون » ان اقرارهم هو الرضاء به ، والصبر عليه : كما قال الشاعر :

الست كليبياً اذ سيم خطة اقرّ كاقرار الحليلة للبعل

وقوله : « وانتم تشهدون » يحتمل امرين :

احدهما ـ وانتم تشهدون على انفسكم بالاقرار .

والثاني ـ وانتم تحضرون دماءكم وتخرجون انفسكم من دياركم .

وحكي عن ابن عباس انه قال : ذلك خطاب من الله تعالى لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجري رسول الله (ص) أيام هجرته اليهم موبخاً لهم على تضييعهم احكام ما في ايديهم من التوراة التي كانوا يقرون بحكمها . فقال الله تعالى لهم : « ثم اقررتم » يعني بذلك اقر أولكم وسلفكم وانتم تشهدون على اقرارهم ، باخذ الميثاق عليهم بان لا يسفكوا دماءهم ، ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم ، ويصدقوا بان ذلك حق من ميثاقي عليكم . وقال ابو العالية : ذلك خبر من الله عن أوائلهم . ولكنه اخرج الخبر مخرج المخاطبة عنهم على النحو الذي وصفناه في سائر الآيات . « وانتم تشهدون » اي وانتم شهود .

قوله تعالى :

« ثُمَّ أَنتُم هَـٰؤُلاءِ تَقتلوُنَ أَنفُسكُمْ وتُخرِجُونَ فَريقاً مِنكُم مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهرُونَ عَلَيهِمْ بِالاثم وَالعدوَانِ وإن يأتُوكُمْ أَسارَى تُفادوُهُمْ وَهوَ مُحرمٌ عَليكُم اِخراجُهُم أفتؤمنُونَ بِبعضِ الكِتاب ، وتَكفُرُونَ بِبعضٍ فَما جَزاء مَن يَفعَل ذلكَ مِنكُمْ الاّ خزيٌ في الحَيوةِ الدُنيا وَيَومَ القِيمةَ يُردّونَ الى اشدّ العذابِ وَما اللهُ بِغافِل عَمّا تَعمَلونَ » (٨٥) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ اهل الكوفة تظاهرون هاهنا ، وفي التحريم بتخفيف الظاء . الباقون بالتشديد فيهما . وقرأ حمزة «أسرى» بفتح الهمزة ، وسكون السين بغير الف بعدها . وقرأ اهل المدينة ، وعاصم ، والكسائي ، ويعقوب (تفادوهم) بضم التاء وبألف .

وقوله « ثم انتم هؤلاء » يحتمل وجهين :

احدهما ـ ان يكون اريد به ثم انتم يا هؤلاء فترك يا استغناء ، لدلالة الكلام عليه : كما قال : « يوسف : اعرض عن هذا » (١) ومعنى الكلام ثم انتم يا معشر يهود بني اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم : ألاّ تسفكوا دماءكم ، ولا تخرجوا انفسكم من دياركم ، وبعد شهادتكم على انفسكم بذلك انه حق لازم لكم الوفاء به تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم متعاونين عليهم في اخراجكم اياهم بالاثم ، والعدوان .

والتعاون هو التظاهر ، وانما قيل للتعاون : التظاهر ، لتقوية بعضهم ظهر بعض . فهو تفاعل من الظهر . وهو مساندة بعضهم ظهره الى ظهر بعض . قال الشاعر :

تظاهرتم اشباه نيب تجمعت   على واحد لازلتم قرن واحد

ومنه قوله تعالى : « وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه » وقوله « والملائكة بعد ذلك ظهير » (٢) وقوله : « ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٣) وقوله : « سحران تظاهرا » [٤] وقوله : « وكان الكافر على ربه ظهيرا » [٥] ويقال : اتخذ معك نفراً ونفرين ظهيرين يعني عدة ، والوجه الآخر أن يكون معناه : ثم انتم القوم تقتلون انفسكم فيرجع الى الخبر عن (انتم) وقد اعترض بينهم وبين الخبر عنهم (هؤلاء) كما تقول العرب : انا ذا أقوم ، وانا ذا أجلس . ولو قيل أنا هذا يجلس لكان صحيحاً . وكذلك انت ذاك تقوم ، وقال بعض النحويين : ان هؤلاء [في] [٦] قوله : « ثم انتم هؤلاء » تنبيه ، وتوكيد لانتم . وزعم أن انتم : وان كان كناية عن

(١) سورة يوسف : آية ٣٠ . (٢) سورة التحريم : آية ٤ . (٣) سورة الاسرى : آية ٨٨ (٤) سورة القصص : آية ٤٨ . (٥) سورة الفرقان : آية ٥٥ (٦) زودنا (في) ليتم المعنى

اسماء جميع المخاطبين فانما جازان يؤكد بهؤلاء . وأولاء يكنى بها عن المخاطبين كما قال خُفاف بن ندبة :

اقول له والرمح يأطرمتنه تبيّن خفافا انني اناذ لكا [١]

يريد انا هو ، وكما قال « حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ». [٢]

والاثم قيل معناه : هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب . ومنه قول النبي (ص) لنواس بن سمعان ، حين سأله عن البر والاثم ، فقال (ص) : البر ما اطمأنت اليه نفسك والاثم ما حك في صدرك . وقال قوم: معنى الاثم [٣] ما يستحق عليه الذم ، وهو الاصح .

والعدوان مجاوزة الحق . وقال قوم : هو الافراط في الظلم . واسرى جمع اسير واسارى جمع اسرى . كما قالوا : مريض ومرضى وجريح وجرحى وكسير وكسرى . هذا قول المفضل بن سلمة قال ابو عمرو بن العلاء : الاسارى هم الذين في الوثاق والاسرى الذين في اليد . وان لم يكونوا في الوثاق .

ومعنى تفادوهم أو تفدوهم : طلب الفدية من الاسير الذي في ايديهم من اعدائهم قال الشاعر :

قفي فادي اسيرك إن قومي وقومك ما أرى لهم اجتماعا

وكان هذا محرما عليهم ـ وان كان مباحا لنا ـ فذكر الله تعالى توبيخا لهم في فعل ما حرم عليهم . وقال آخرون : انه افتداء الاسير منهم اذا اسره اعداؤهم . وهذا مدح لهم ذكره من بعد ذمهم انهم خالفوه في سفك الدماء ، وتابعوه في افتداء

---

(١) الاغاني ٢ : ٣٢٩ ، ١٣ : ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٦ : ١٣٤ وقد مر في ١ : ٥١ من هذا الكتاب . قال هذا في مقتل ابن عمه معاوية بن عمرو أخي الخنساء . اقول له : أي لمالك ابن حمار الذي مر ذكره في البيت السابق وهو :

فان تك خيلي قد اصيب صميمها فعمداً على عين تيممت مالكا

واطر الشيء : ان تقبض على احد طرفي الشيء ثم تعوجه ، وتعطفه وتثنيه . واراد ان حر الطعنة جعله منثني من المها ثم ينثني ليهوي صريعاً اذ أصاب الرمح مقتله . في المطبوعة « ناظر فنه » بدل « يأطر متنه » وهو تحريف .

(٢) سورة يونس آية ٢٢ . (٣) في المخطوطة والمطبوعة « الاسم »

الاسرى استشهاداً على هذا الباطل بقوله : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » وقال قوم : الفرق بين تفدوهم وتفادوهم ، ان تفدوهم هو افتكاك بمال وتفادوهم هو افتكاك الاسرى بالأسرى . واختلفوا فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمة عن ابن عباس انه قال : « ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم » الى قوله : والعدوان أي اهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم قال: انبأهم الله بذلك من فعلهم ، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم ، وافترض عليهم فيها فداء اسراهم . وكانوا فريقين : طائفة منهم بنو قينقاع (١) وانهم حلفاء الخزرج . وحلفاء النضير وقريظة ، وانهم حلفاء الاوس . وكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع (٢) مع الخزرج، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس ، يظاهر كل فريق حلفاءه على اخوانه ، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبايديهم التوراة ، يعرفون منها ما عليهم ولهم . والاوس والخزرج اهل شرك يعبدون الاوثان ولا يعرفون جنة ولا نارا ، ولا قيامة ولا كتابا ، ولا حلالا ولا حراما ، فاذا وضعت الحرب اوزارها افتدوا اسراهم تصديقاً لما في التوراة ، واخذا به يفتدي بنو قينقاع من كان (من) (٣) اسراهم في ايدي الاوس ، ويفتدي بنو النضير وقريظة ما كان في ايدي الخزرج . ويطلبون ما اصابوا من الدماء ، وما قتلوا من قتلوا منهم ، فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم . يقول الله تعالى حين انبأهم بذلك : «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ » أي تفادونهم بحكم التوراة وفي حكم التوراة ان لا يقتل ويخرج من داره ويظاهر (٤) عليه من يشرك بالله ويعبد الاوثان من دونه - ابتغاء عرض الدنيا - ففي ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج نزلت هذه القصة . وذكر فيه اقوال اخر تزيد وتنقص لا فائدة في ذكرها ، ممناها متقارب لما اوردناه .

وقوله « يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض

(١ و ٢) في المخطوطة والمطبوعة « قيقاع » وهو خطأ .

(٣) زدنا « من » لأنه لا يتم المعنى بدونها .

(٤) في المخطوطة والمطبوعة « ان لا يقتل ويخرجونه من وتظاهر . . » .

الكتاب وتكفرون ببعض » القصد بذلك توبيخهم وتعنيفهم على سوء افعالهم . فقال: ثم انتم بعد اقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم : « لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم » تقتلون انفسكم يعني يقتل بعضكم بعضاً . وانتم مع قتلكم من تقتلون منكم . اذا وجدتم اسيراً منكم في ايدي غيركم من اعدائكم تفدونهم . ويخرج بعضكم بعضاً من ديارهم ، وقتلكم اياهم واخراجكم اياهم من ديارهم حرام عليكم كما حرام عليكم تركهم اسرى في ايدي عدوكم . فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم . وتستجيزون قتلهم وهما جميعاً في اللازم لكم من الحكم فيهم سواء ، لأن الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم اسرى في ايدي عدوهم . « أفتؤمنون ببعض الكتاب » الذي فرضت عليكم فيه فرائضي وبينت لكم فيه حدودي ، واخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقي ، فتصدقون به فتفادون اسراكم من ايدي عدوكم ، وتكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله ، من اهل دينكم ومن قومكم ، وتخرجونهم من ديارهم وقد علمتم ان في الكفر منكم ببعضه نقضاً منكم في عهدي وميثاقي .

وقوله : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا » فالخزي : الذل ، والصغار يقال خزي الرجل يخزى خزياً . « في الحياة الدنيا » يعني في عاجل الدنيا قبل الآخرة . ثم اختلفوا في الخزي الذي خزاهم الله بما سلف منهم من المعصية فقال بعضهم : ذلك حكم الله الذي انزله على نبيه (ص) من اخذ القاتل بما قتل ، والقود به قصاصاً ، والانتقام من الظالم للمظلوم .

وقال آخر : بل ذلك هو الجزية منهم ـ ما اقاموا عل م ـ ذلة لهم وصغاراً

وقال آخرون : الخزي الذي خزوا به في الدنيا إخراج رسول الله (ص) بني النضير من ديارهم لأول الحشر . وقيل : مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم . وكان ذلك خزياً في الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم ومعنى قوله : « يوم القيامة يردون الى اشد العذاب » أي اسوء العذاب ، يعني بعد الخزي الذي يحل بهم في الدنيا يردهم الله الى اشد العذاب ـ الذى اعده الله لأعدائه .

وقال بعضهم: يردهم يوم القيامة الى اشد العذاب ، يعني اشد من عذاب الدنيا
- والاول اقوى: انه من أشد العذاب يعني اشد جنس العذاب . وذلك يقتضي العموم
ولا يخص إلا بدليل .

وقوله : « وما الله بغافل عما تعملون » . منهم من قرأ بالياء ، رده الى من
أخبر عنهم .

ومن قرأ بالتاء ، رده الى المواجهين بالخطاب . والياء اقوى ، لقوله : « فما جزاء
من يفعل ذلك » .

وقوله : « ويوم القيامة يردون » فالرد الى هذا أقرب من قوله : « أفتؤمنون
ببعض الكتاب » فاتباع الأقرب أولى من إلحاقه بالاول . والكل حسن . والمعنى
وما الله بساهٍ عن اعمالهم الخبيثة بل هو محص لها وحافظ لها حتى يجازي عليها .
فان قيل : ظاهر الآية يقتضي ان يصح الايمان ببعض الاشياء ، وان كفروا بالبعض
الآخر ، وذلك مناف لمذهبكم في الارجاء والموافاة . لأن المعنى في ذلك إظهار
التصديق بالبعض ، والمنع بالتصديق بالبعض الآخر . ويحتمل ان يكون المراد ان
ذلك على ما يعتقدونه ، لأنكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم عملتم ببعضه دون بعض ،
فكأنكم آمنتم ببعضه دون بعض .

قوله تعالى :

« أولئِكَ الَّذينَ اشتَرُوا الحَياةَ الدُّنيا بالآخِرةِ فَلا يُخفَّفُ عنهمْ
العذَابُ وَلا هُمْ يُنصرُونَ » (٨٦) آية بلا خلاف .

المعنى :

قوله : « أولئك » إشارة الى الذين اخبر عنهم يؤمنون ببعض الكتاب ،
فيفادون أساراهم من اليهود ، ويكفرون ببعض فيقتلون من حرم الله عليهم قتله من
اهل ملتهم ، ويخرجون من داره من حرم الله اخراجه . هم الذين اشتروا رياسة
الحياة الدنيا . ومعناه ابتاعوها على الضعفاء واهل الجهل والغباء منهم . وانما وصفهم

بانهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، لأنهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله عز وجل فيها عوضاً من نعيم الآخرة الذي اعده الله للمؤمنين . فجعل تركهم حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمناً لما ابتاعوه من خسيس الدنيا بما اخبر الله انه لا حظ لهم في نعيم الآخرة ، وان لهم في الآخرة عذاباً غير مخفف عنهم فيها العقاب . وقوله : « ولا هم ينصرون » أي لا ينصرهم احد في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى

قوله تعالى :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ » (٨٧) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ أهل الكوفة الرسل مثقل في جميع القرآن . وقرأ ابن كثير القدس بسكون الدال حيث وقع . الباقون بتثقيلها ،

المعنى :

ومعنى قوله « اتينا موسى الكتاب » انزلناه اليه واعطيناه . والكتاب المراد به التوراة . وقوله « وقفينا » معناه واردفنا ، واتبعنا بعضه خلف بعض ، كما يقفو الرجل الرجل : اذا سار في اثره من ورائه واصله من القفا . يقال فيه قفوت فلاناً اذا صرت خلف قفاه . كما يقال دبرته اذا صرت في دبره قال امرؤ القيس :

وقفى على اثارهن بحاصب ... فمر العشى البارد المتحصب (١)

ومعنى قوله : « بالرسل » من بعد موسى . والمراد بالرسل الانبياء ، وهم جمع رسول يقال : رسول ورسل ، كما يقال : رجل صبور وقوم صبر . ورجل شكور ، وقوم

(١) ديوانه ٣٨ . وروايته « فقفي » بدل وقفا وعجزه
وغيبة شؤبوب من الشد ملهب
والعجز الموجود اعلاه غير موجود في ديوان امرىء القيس .

شكر . والمعنى في « قفينا » اتبعنا بعضهم بعضا على منهاج واحد ، وشريعة واحدة ، لأن كل من بعثه الله نبيا بعد موسى الى زمن عيسى بن مريم (ع) فانما بعثه باقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء الى ما فيها ، فلذلك ، قال : « وقفينا من بعده بالرسل » يعني على منهاجه وشريعته .

وقوله : « واتينا عيسى بن مريم البينات » اعطينا عيسى بن مريم الحجج والدلالات على نبوته من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك من الآيات التي دلت على صدقه وصحة نبوته .

وقوله : « وايدناه بروح القدس » أي قويناه واعناه . يقال منه ايدك الله ، أي قواك الله . وهو رجل ذو ايد وذو اياد أي ذو قوة ومنه قول العجاج :

من ان تبدلت بآدي آدا (١)

يعني بقوة شبابي قوة الشيب قال الشاعر :

ان القداح اذا اجتمعن فرامها   بالكسر ذو جلد وبطش أيد (٢)

يعني بالايد القوي قال قتادة والسدي والضحاك والربيع : روح القدس هو جبرائيل « ع » . قال : ابن زيد ايد الله عيسى بالانجيل روحا كما جعل القرآن روحا كلاهما روح الله كما قال : « وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا » . وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح : الاسم الذي كان يحيي به الموتى . واقوى الاقوال قول من قال : هو جبرائيل (ع) لأن الله تعالى ايد عيسى به كما قال تعالى « ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي التي انعمت عليك وعلى والدتك إذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » (٣) فاخبر انه ايده به ولو كان المراد به الانجيل لكان ذلك تكراراً . وانما سمي الله تعالى جبرائيل روحاً واضافه الى القدس ، لأنه كان بتكوين الله روحاً من عنده من غير ولادة والد ولده . وقال قوم سمي روحاً لأنه كان بمنزلة الارواح للابدان تحيي بما يأتي به من

---

(١) اللسان « ايد » والبيت الذي بعده : لم يك ينآد فمسى انآدا . وفي المطبوعة باد آذا

(٢) مروج الذهب ٣ : ١٠٤ . قائله عبدالله بن عبد الأعلى .

(٣) سورة المائدة آية ١١٣ .

البينات . وقال آخرون : سمي بذلك ، لأن الغالب على جسمه الروحانية لرقته وكذلك سائر الملائكة وانما خص به تشريفا والتقديس والتطهير والقدس : الطهر وقال السدي: القدس هاهنا البركة يقال : قدس عليه : برك عليه .ويكون اضافته الى نفسه كقوله « حق اليقين » وقال الربيع : القدس الرب . وقال ابن زيد القدس هو الله ، وايده بروحه ؛ واحتج بقوله «الملك القدوس» . وقال القدوس والقدس واحد . وروي عن ابن عباس ان القدس الطاهر وقال الراجز :

الحمد لله العلي القادس

وقال رؤبة :

دعوت رب القرة القدوسا

وقوله :« افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » فالخطاب بذلك متوجه الى يهود بني اسرائيل وكأنه قال : يامعشر يهود بني اسرائيل لقد اتينا موسى التوراة وتابعنا من بعده الرسل اليكم واتينا عيسى ابن مريم الحجج والبينات اذ بعثناه اليكم وايدناه بروح القدس وانتم كلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه انفسكم استكبرتم عليهم تجبراً وبغياً وكذبتم منهم بعضاً وقتلتم بعضا ، وظاهر الخطاب وان كان خرج مخرج التقدير فهو بمعنى الخبر .

قوله تعالى :

« وَقالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مايؤمنون»

(٨٨) آية واحدة .

القراءة :

القراء المعروفون على تسكين اللام من قوله غلف . وقال ابن محيص غلف بضم اللام

المعنى :

وروي عن ابن عباس ذلك فمن قرأ بالتسكين قال : معنى غلف الواحد منها

اغلف وغلف مثل احمر وحمر فكأنهم قالوا : قلوبنا أوعية فلم لا تعي ما تأتينا به قالوا كما « قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب » أي لا تفقه لأنها في حجاب . ومنه يقال الرجل الذي لم يختتن اغلف والمرأة غلفاء ويقال للسيف اذا كان في غلاف اغلف وقوس غلفاء : وجمعها غلف وكذلك كل لغة على وزن افعل الذكر والانثى فعلاء يجمع على فعل مضمومة الاول ساكنة الثاني نحو احمر وحمر واصفر وصفر فيكون ذلك جمعاً للتذكير والتأنيث ولا يجوز تثقيل عين الفعل إلا في ضرورة الشعر . قال طرفه :

ايها الفتيان في مجلسنا　　جردوا منها وراداً وشُقرا(١)

فحرك لضرورة الشعر . ومن قرأ « غلف » مثقلا قال : هو جمع غلاف مثل مثال ومثل وحمار وحمر . فيكون معناه إن قلوبنا اوعية للعلم فما بالها لا تفهم ، وهي اوعية للعلم . ويجوز ان يكون التسكين عين التثقيل (٢) مثل رسْل ورُسل . وقال عكرمة غلف : أي عليها طابع . والمعنى عندنا ان الله اخبر ان هؤلاء الكفار ادعوا ان قلوبهم ممنوعة من القبول وذهبوا الى ان الله منعهم من ذلك ،فقال الله رداً عليهم « بل لعنهم الله بكفرهم » أي انهم لما كفروا فالفوا كفرهم واشتد الجاجهم به ومحبتهم اياه ، منعهم الله ،من الالطاف والفوائد ـ ما يؤتيه المؤمنين ثواباً على ايمانهم وترغيباً لهم في طاعتهم ، وزجر الكافرين عن كفرهم؛ لأن من سوى بين المطيع والعاصي له ، فقد اساء اليهما . وفي الآية ردّ على المجبرة ايضاً ، لأنهم قالوا : مثل ما يقول اليهود من أن على قلوبهم ما يمنع من الايمان ويحول بينهم وبينه ، وكذبهم الله تعالى في ذلك بأن لعنهم وذمهم . فدل على أنهم كانوا مخطئين ، كما هم مخطئون . وقال ابو علي الفارسي : ما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها ، اذا ذكر بانه لا يعلم وصف بان عليه مانعاً كقوله تعالى : « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها » (٣) . فان القفل لما كان مانعاً من الدخول الى المقفل عليه شبه القلوب به . ومثله قوله :

---

(١) ديوانه اشعار الستة الجاهليين . جردوا تدعوا للغارة . وتجرد الفرس تقدم الحلبة فخرج منها . وراد جمع ورد « فتح فسكون » وهو من الخيل بين الكميت والاشقر .

(٢) هذه عبارة المخطوطة وفي المطبوعة سقط . (٣) سورة محمد آية ٢٤ .

« سكرت ابصارنا » (١) وقوله : « الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري » (٢) ومثله « بل هم منها عمون » (٣) وقوله : « صم بكم » (٤) . لأن العين اذا كانت في غطاء لم ينفذ شعاعها فلا يقع بها ادراك، فكأن شدة عنادهم بحملهم على رفع المعلومات. واللعن هو الاقصاء والابعاد . يقال : لعن الله فلاناً يلعنه لعناً . فهو ملعون ، ثم يصرف مفعول الى فعيل ، فيقال : هو لعين . كما قال الشماخ بن ضرار :

ذعرت به القطا ونفيت عنه   مقام الذئب كالرجل اللعين (٥)

أي المبعد . فصار معنى الآية قالت اليهود : « قلوبنا في اكنة مما يدعونا اليه » محمد (ص) . فقال الله : ليس ذلك كما زعموا ولكنه تعالى اقصاهم وأبعدهم عن رحمته وطردهم عنها ، لجحودهم به وبرسله .

وقوله تعالى : « قليلاً ما يؤمنون » قال قتادة : قيل منهم من يؤمن . وقال قوم : « قليلاً ما يؤمنون » أي لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم . والذي نقوله ان معنى الآية ان هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى قليلوا الايمان بما انزله الله تعالى على نبيه محمد « ص » ولذلك نصب قوله « قليلاً » لأنه نصب على نعت المصدر المتروك . وتقديره لعنهم الله بكفرهم ، فإيماناً قليلاً يؤمنون . ولو كان الامر على ما قال قتادة ، لكان القليل مرفوعاً ، وكان تقديره فقليل ايمانهم . وقال قوم من اهل العربية : ان ما زائدة لا معنى لها . كقوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم » (٦) وتقدير الكلام : قليلاً يؤمنون ، وانشد بيت مهلهل

لو بأبانين جاء يخطبها   ضرج ما انف خاطب بدم (٧)

يعني ضرج انف خاطب . وما زائدة . وقال قوم : ذلك خطأ في الآية وفي البيت وان ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الاشياء اذا كانت

(١) سورة الحجر : آية ١٥ (٢) سورة الكهف : آية ١٠٢ (٣) سورة النحل آية : ٦٦
(٤) سورة البقرة آية ١٧ . (٥) ديوانه : ٩٢ . في المطبوعة والمخطوطة « دعوت » بدل ذعرت . (٦) سورة آل عمران آية ١٥٩ . (٧) الكامل ٢ : ٦٨ . وروايته « خضب » بدل « ضرج » وفي المطبوعة والمخطوطة « بانين » ومع ذلك غير منقطة . ابانان : ابان الاسود وابان الابيض .

« ما » كلمة تجمع كل الاشياء، ثم تخص بعض ما عمته، فانها تذكر بعدها. وفي الناس من قال: « فقليلا ما يؤمنون »، لأنه كان معهم بعض الايمان من التصديق بالله وبصفاته، وغير ذلك مما كان فرضاً عليهم، وذلك هو القليل بالاضافة الى ما جحدوا به من التصديق بالنبي « ص » وما جاء به. والذي يليق بمذهبنا ان نقول: إنه لم يكن معهم ايمان اصلا، وانما قال: « فقليلا ما يؤمنوا » كما يقول القائل: قل ما رأيت هذا قط. وروي عنهم سماعاً: — اعني العرب — مررت ببلد قل ما ينبت إلا الكراث والبصل. يريدون ما ينبت إلا الكراث والبصل.

قوله تعالى:

« وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ». (٨٩) آية بلا خلاف.

المعنى:

التقدير: ولما جاء اليهود من بني اسرائيل الذين وصفهم الله، كتاب من عند الله يعني به القرآن الذي انزله على محمد « ص » واشتقاق الكتاب من الكتب، وهو جمع كتبة وهي الخرزة. وكلما ضممت بعضه الى بعض، فقد كتبته. والكتيبة من الجيش من هذا الانضمام بعضها الى بعض.

وقوله: « مصدق لما معهم » من الكتب التي انزلها الله قبل القرآن من التوراة والانجيل وغيرها. « ومعنى مصدق لما معهم » لما في التوراة والانجيل، والاخبار التي فيها. ويحتمل ان يكون المراد: مصدق بان التوراة والانجيل من عند الله. ومصدق رفع، لأنه نعت الكتاب. ولو نصب على الحال، لكان جائزاً، لكن لم يقرأ به.

وقوله: « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ». قال ابو عبيدة معناه يستنصرون. قال ابن عباس: إن اليهود كانوا يستنصرون على الاوس الخزرج

برسول الله « ص » قبل مبعثه فلما بعثه الله في العرب ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشير ابن معرور : يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وآله ونحن اهل الشرك ، وتخبرونا بانه مبعوث . فقال لهم سلام بن مشكم : ما جاء بشيء ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم . فأنزل الله ذلك . وقال قوم : معنى « يستفتحون » يستحكمون ربهم على كفار العرب . كما قال الشاعر :

ألا أبلغ بني عُصم رسولا فاني عن فُتاحتكم غني «١»

اي محاكمتكم . وقال قوم : معناه يستعلمون من علمائهم صفة نبي يبعث من العرب ، وكانوا يصفونه . فلما بعث انكروه .

واما جواب قوله : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم » فقال قوم : ترك جوابه استغناء بمعرفة المخاطبين . معناه كما قال : « ولو ان قرآناً سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى » « ٢ » فترك الجواب ، وكان تقديره ولو ان قرآناً سوى هذا القرآن سيرت به الجبال ، اوقطعت به الارض ، او كلم به الموتى لسيرت بهذا . ترك ذلك لدلالة الكلام عليه وكذلك الآية الجواب فيها محذوف لدلالة قوله : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » وقال آخرون : قوله : « كفروا » جواب لقوله : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم » . ولقوله: « ولما جاءهم ما عرفوا » . ونظيره قوله : « فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » « ٣ » فصار قوله : فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جواباً لقوله : « فاما يأتينكم » ، ولقوله : « فمن تبع هداي » ، ومثله في الكلام قولك ما هو إلا ان جاءني فلان ، فلما ان قعد وسمت له ، فصار قولك : وسمت له جواباً لقولك : ما هو إلا ان جاءني ، ولقولك : فلما ان قعد . وجاء الاول للكتاب وجاء الثاني ـ قيل : إنه ـ للرسول ، فلذلك كرر . وقوله : فلعنة الله على الكافرين »

« ١ » قائله الاشعر الجعفي . اللسان (فتح) وروايته :

ألا من مبلغ عمراً رسولا فاني عن فتاحتكم غني

« ٢ » سورة الرعد آية : ٣٣ « ٣ » سورة البقرة آية : ٣٨ .

فقد بينا فيما مضى ، معنى اللعنة ، ومعنى الكفر فلا وجه لاعادته . وقد مضى الجواب عمن يستدل بمثل ذلك على ان الكافر قد يكون عالماً ببعض الاشياء التي اوجبها الله تعالى بخلاف ما يذهب اليه اصحاب الموافاة ، وان من عرف الله فلا يجوز ان يكفر وان المعتمد على ذلك : ان نقول : لا يمتنع ان يكونوا قد عرفوا الله وكثيراً مما وجب عليهم ، لكن لم يكن وقع نظرهم على وجه يستحقون به الثواب ، لان ذلك هو الممنوع منه ، وقد بينا ايضاً صفة من يتعلق بذلك من اصحاب الضرورات ، لأن غاية ما في ذلك ان القوم كانوا عارفين فجحدوا ما عرفوا ، وليس يمتنع ان يكونوا عارفين استدلالا ثم جحدوا : فالضرورة لم يجر لها ذكر .

قوله تعالى :

« بِئْسَ ما اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُوا بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ (٩٠) آية .

اللغة والاعراب :

أصل بئس : بئس من البؤس ؛ فأسكنت الهمزة ونقلت حركتها الى الباء . كما قالوا في ظللت ظلت ، وكما قيل للكبد كبد ، فنقلت حركة الباء الى الكاف ، لما سكنت الباء . ويحتمل ان تكون بئس . وان كان اصلها بئس من لغة من ينقل حركة العين من فعل الى الفاء اذا كانت عين الفعل احد حروف الحلق الستة . كما قالوا في لعب : لِعب . وفي سئم سِئم ، وهي لغة تميم . ثم جعلت دلالة على الذم والتوبيخ ووصلت بـ (ما) . واختلفوا في (ما) فقال قوم من البصريين : هي وحدها اسم ، « وان يكفروا » تفسير له . نحو نعم رجلا زيد « وان ينزل الله » بدل من انزل . وقال الفراء : بئس الشيء اشتروا به انفسهم ان يكفروا . فـ (ما) اسم بئس ، (وأن يكفروا) الاسم الثاني . وقوله «ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده » ، إن

شئت جعلت (أن) في موضع رفع ، وان شئت في موضع خفض : فالرفع بئس الشيء هذا ان يكفروا ، والخفض بئس الشيء إشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً . وفي قوله : « لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم » « ١ » . مثل ذلك . قال ابو عبيدة : والعرب تجعل (ما) وحدها في هذا الباب بمنزلة الاسم التام . وقوله : « فنعما هي » « وبئس ما انت » قال الراجز :

لا تعجلا بالسير وادلواها   لبئسما بطء ولا نرعاها «٢»

قال : ويقولون لبئس ما تزويج ، ولا مهر : فيجعلون (ما) وحدهااسماً بغير صلة .

وروي عن النبي « ص » انه قال : نعم ما المال للرجل الصالح ، فجعلت (ما) اسماً . وقال قوم : هذا الوجه ضعيف ، لان هذا القول ، يكون التقدير بئس الشيء اشتروا به انفسهم ، فقد صارت ما بصلتها اسماً موقتاً ، لان اشتروا فعل ماضي ، واذا وصلت بفعل ماضي كانت معرفة موقتة . تقديره بئس شراؤهم كفرهم . وذلك غير جائز عنده : فبان بذلك فساد هذا القول . وبئس ونعم لا يلقاها اسم علم كزيد وعمر ، واخيك وابيك : فانما يلقاها المعرف بالالف واللام . كقولك : الرجل والمرأة ، وما اشبـــه ذلك . فان نزعتها ، نصبت . كقوله : « بئس للظالمين بدلاً » « ٣ » « وساء مثلا القوم الذين كذبوا باياآتنا » « ٤ » فان كانت نكرة مضافة الى نكرة جاز الرفع والنصب . كقولك نعم غلام سفر غلامك ، بالرفـع والنصب — حكاه الفراء .

وقال بعضهم : إن (ان) في موضع خفض ان شئت ، وان شئت في موضع رفـع : فالخفض ان ترده على الهـاء في به على التـكرير على كلامين ، لانك قلت : اشتروا انفسهم بالـكفر : والرفع ان يكون تكراراً على موضع (ما) التي تلي

«١» سورة المائدة آية : ٨٣ .

«٢» اللسان (دلا) : دلوت الناقة دلواً : سقتها رويداً ورعى الماشية وارعاها : اطلقهـا في المرعى .

«٣» سورة الـكهف آية : ٥١

«٤» سورة الاعراف آية : ١٧٦ .

بئس ، ولا يجوز ان يكون رفعاً على قولك بئس الرجل عبد الله .

وقال بعضهم : أولى هذه الاقوال أن تجعل بئسما مرفوعاً بالراجع من الهاء في قوله : اشتروا به . كما رفعوا ذلك بعبد الله ، في قولهم : بئسما عبد الله ، وجعل أن يكفروا مترجماً عن بئس . فيكون التقدير بئس الشيء باع اليهود به انفسهم بكفرهم ، بما انزل الله بغياً وحسداً ان ينزل الله من فضله . وتكون ان التي في قوله : « ان ينزل الله » في موضع نصب ، لانه يعني به ان يكفروا بما انزل الله من اجل ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده . وموضع (ان) جر . والكسائي جعل ان في موضع خفض بنية الباء وانما كان النصب اقوم ، لتمام الخبر قبلها ولا خافض معها . وحرف الخفض اذا كان مضمراً لا تخفض به .

المعنى :

ومعنى قوله : « اشتروا به انفسهم » اي باعوا به انفسهم ـ على وزن افتعلوا ـ من الشراء وسمي البائع الشاري بهذا ، لانه باع نفسه ودنياه عنده . واكثر الكلام شريت بمعنى بعت . واشتريت بمعنى ابتعت . قال الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري :

وشريت بُرداً ليتني من قبل بردٍ كنت هامة «٣»

ومعنى قوله : « وشروه بثمن بخس » باعوه . وربما استعملت اشتريت بمعنى بعت . وشريت بمعنى ابتعت . والاكثر ما قلناه .

وقوله : « بغياً » اي حسداً وتعدياً . فان قيل : كيف باعت اليهود انفسها بالكفر . وهل يشترى بالكفر شيء ؟ قيل معنى الشراء والبيع ـ عند العرب ـ هو ازالة ملك المالك إلى غيره بعوض يعتاضه منه ، ثم يستعمل ذلك في كل معتاض من عمله عوضاً ـ خيراً كان أو شراً ـ يقال نعم ما باع فلان نفسه به ، وبئس ما باع به نفسه . بمعنى نعم الكسب كسبها ، وبئس الكسب كسبها . وكذلك قوله : « بئس ما اشتروا به انفسهم » ، لما ابقوا انفسهم بكفرهم بمحمد « ص » واهلكوها .

«٣» طبقات فحول الشعراء : ٥٥٥ من قصيدة له في هجاء عباد بن زياد ـ وكان قد باع غلاماً لابن مفرغ . اسمه (برد) قوله . كنت هامة . اي كنت هالكاً .

خاطبهم الله بالعرف الذي يعرفونه : فقال : بئس ما اعتاضوا من كفرهم بالله ، وتكذيبهم محمداً « ص » إذا كانوا رضوا به عوضاً من ثواب الله ، وما اعدّ لهم ـ لو كانوا امنوا بالله وما انزل على انبيائه ـ بالنار ، وما اعدّ لهم بكفرهم بذلك . ونظير هذه الآية قوله : في سورة النساء : « الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب » الى قوله : « وآتيناهم ملكاً عظيماً » «١» .

وكان ذلك حسداً منهم لكون النبوة في غيرهم .

وقوله : « بغياً » نصب لانه مفعول له . والمعنى فساداً . قال الاصمعي : مأخوذ من قولهم : بغى الجرح اذا فسد . ويجوز ان يكون مأخوذاً من شدة الطلب للمطاول . وسميت الزانية بغيّاً لانها تطلب . واصل البغي الطلب . و « بغياً ان ينزل الله » اي لأن ينزل الله . وكذلك كل ما في القرآن . ومثله قول الشاعر :

أتجزع أن بان الخليط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع

وقوله : « فباءوا بغضب على غضب » اي رجعوا . والمراد رجعت اليهود من بني اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الاستنصار لمحمد « ص » في الاستفتاح به ، وبعد ما كانوا يخبرون الناس من قبل مبعثه انه نبي مبعوث ـ مرتدين على اعقابهم حين بعثه الله نبياً ـ بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم به وجحدهم بنبوته ، وانكارهم اياه . وقال السدي : الغضب الاول حين عبدوا العجل ، والثاني ـ حين كفروا بمحمد « ص » . وقال عطا وغيره : الغضب الاول ـ حين غيروا التوراة قبل مبعث محمد « ص » : والغضب الثاني ـ حين كفروا بمحمد « ص » . وقال عكرمة والحسن : الاول ـ حين كفروا بعيسى « ع » : والثاني ـ حين كفروا بمحمد « ص » . وقد بينا ان الغضب من الله هو ارادة العقاب بهم .

وقوله : « وللكافرين عذاب مهين » معناه للجاحدين بنبوة محمد « ص » عذاب مهين من الله : إما في الدنيا ، وإما في الآخرة . و « مهين » هو المذل لصاحبه

«١» سورة النساء آية ٤٣ ـ ٥٣ .

المخزي للبسه هواناً وذلة . وقيل « المهين » هو الذي لا ينتقل منه الى اعزاز وإكرام . وقد يكون غير مهين اذا كان تمحيصاً وتكفيراً ينتقل بعده الى اعزاز وتعظيم : فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة ، لا يكون عذابه مهيناً . قال المؤرخ : « فباءوا » استوجبوا اللعنة ـ بلغة جرهم ـ . ولا يقال باء مفردة حتى يقول بكذا وكذا : اما بخير واما بشر . قال ابو عبيدة : « فباءوا بغضب » احتملواه واقرّوا به . واصل البواء التقرير والاستقرار . قال الشاعر :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها　　كصرخة حبلى يسرتها قبولها « ١ »

قوله تعالى :

« وإذا قيلَ لهم آمِنُوا بما أنزلَ اللهُ قالوا نؤمنُ بما أُنزِلَ علينا ويكفرونَ بما وراءَه وهو الحقُّ مُصدِّقاً لما معهم قُل فلمَ تقتلونَ أنبياءَ اللهِ من قبلُ إن كنتم مؤمنين (٩١) آية بلا خلاف .

المعنى :

قوله : « بما انزل الله » يعني القرآن . « قالوا نؤمن بما أنزل علينا » يعنون التوراة . « ويكفرون بما وراءه » يعني بما بعده قال الشاعر :

تمني الاماني ليس شيء وراءها　　كموعد عرقوب اخاه بيثرب (٢)

وقال الفراء : معنى « وراءه » ها هنا سواه . كما يقال للرجل يتكلم بالحسن : ما وراء هذا الكلام شيء يراد به ، ليس عند المتكلم شيء سوى ذلك الكلام .

« ١ » قائله الأعشى الكبير انظر (فعل) وروايته (اسلمتها قبيلها) أي يئست منها قابلتها التي تستقبل المولود . وديوانه ١٧٧ ، رقم القصيدة ٢٣ . وروايته (يسرتها قبولها) أي سهلت ولادتها قابلتها . وفي المخطوطة والمطبوعة (بشرتها قبيلها) وفي المخطوطة (نصالحكم) بدل (اصالحكم) وفي المطبوعة (نصاحبكم) . تبوءوا تعودوا . « ٢ » لم نجد هذا البيت في مصادرنا . وفي اللسان (عرقب) بيت للأشجعي عجزه كعجز هذا الا أن (مواعيد) جاءت به بدل (كموعد) ويقول (بيترب) ـ بالتاء ـ مكان في اليمن (ويثرب) ـ بالثاء ـ المدينة نفسها

ومعنى قوله : « ويكفرون بما وراءه وهو الحق » وبما سوى التوراة وبما بعده من كتب الله عزوجل التي انزلها الله الى رسله .

قوله : « هو الحق مصدقاً » يعني القرآن مصدقاً لما معهم ـ ونصب على الحال ـ ويسميه الكوفيون على القطع .

وقوله : « من قبل » ضم على الغاية ، وكذلك اخواتها نحو بعد وتحت وفوق اذا جعلت غاية ضمت . وفي ذلك خبر من الله تعالى ذكره انهم من التكذيب في التوراة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالانجيل والقرآن عناداً وخلافاً لأمره ، وبغياً على رسله .

وقوله : « فلم تقتلون انبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » يعني قل يا محمد ليهود بني اسرائيل اذا قلت لهم آمنوا ـ قالوا لك نؤمن بما انزل علينا ـ : لم تقتلون ان كنتم مؤمنين بما أنزل الله عليكم ـ انبياءه ـ وقد حرم عليكم في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم ، بل امركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم . وفي ذلك تكذيب لهم في قولهم نؤمن بما انزل علينا ، وتعيير عليهم .

وقوله : « فلم تقتلون » وان كان بلفظ الاستقبال المراد به الماضي ، بدلالة قوله : من قبل . وذلك لما مضى ، كما قال : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين » «١» اي ما تلت . قال الشاعر :

ولقد امر على اللئيم يسبني ... فمضيت عنه وقلت لا يعنيني «٢»

وفي رواية اخرى ثمت . قلت يريد بقوله ولقد امر بدلالة قوله : فمضيت ولم يقل فأمضى وقال آخر :

واني لآتيكم تشكر ما مضى ... من الامر واستيجاب ما كان في غد «٣»

«١» سورة البقرة آية : ١٠٢ «٢» قائله رجل من بني سلول . سيبويه ٤١٦ . وشرح شواهد المغني وغيرها كثير . وروايتهم جميعاً « ثمت » بدل عنه .

«٣» قائله الطرماح بن حكيم الطائي . ديوانه ١٤٦ . واللسان (كون) وروايته (الاستنجاز) بدل (استيجاب) وكذلك المطبوعة .

يعني بذلك ما يكون في غد . قال الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه   ان الوليد احق بالعذر«١»

يعني يشهد وقال آخر :

فما أضحى ولا امسيت إلا   اراني منكم في كوفان «٢»

فقال : اضحى ، ثم قال : ولاامسيت . ومثله «يحسب انماله اخلده»«٣» اي يستخلده . وقال بعض الكوفيين انما قال : «فلم تقتلون انبياء الله من قبل» واراد به الماضي كما يقول القائل ـ موبخاً لغيره ، ومكذباً له : لم تكذب ، ولم تبغض نفسك الى الناس . قال الشاعر :

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة   ولم تجدي من ان تقري به بداً«٤»

فالجزاء المستقبل ، والولادة كلها قد مضت ، وجاز ذلك لانه معروف . وقال قوم : معناه فلم ترضون بقتل انبياء الله إن كنتم مؤمنين . وقالت فرقة ثانية : فلم تقاتلون انبياء الله فعبر عن القتال بالقتل ، لانه يؤول اليه .

قوله تعالى :

« وَلَقَدْ جَاءَكُم مُوسَى بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجلَ مِنْ بَعدِهِ وأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) آية بلا خوف .

المعنى :

« ولقد جاءكم موسى » يعني جاء اليهود موسى « بالبينات » الدالة على صدقه وصحة نبوته . كقلب العصا حية ، وانبجاس الماء من الحجر ، واليد البيضاء ، وفلق البحر ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، وغيرها من الآيات . وسماها بينات ، لظهورها وتبينها للناظرين اليها انها معجزة لا يقدر على أن يأتي بمثلها بشر . وانما هي جمع بينة

«١» ديوانه ٨٥ وانساب الاشراف ٥ : ٣٢ من قصيدة قالها في الوليد بن عقبة بن ابي معيط ـ وكان قد حده عثمان بن عثمان على شرب الخمر .

«٢» اللسان (كوف) . والكوفان (بتشديد الواو) . الاختلاط والشدة والعناء .

«٣» سورة الهمزة آية ٣   «٤» قائله زائدة بن صعصعة وتقدم في ١ . ٢٨٩ .

مثل طيبة وطيبات وقوله : « ثم اتخذتم العجل من بعده » يعني بعد « موسى » لما فارقهم ومضى الى ميقات ربه .

ويجوز ان تكون الهاء كناية عن المجيء . فيكون التقدير : ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء موسى بالبينات « وانتم ظالمون » كما يقول القائل : جئتني فكرهتك : اي كرهت مجيئك . وليس المراد بثم هاهنا النسق ، وانما المراد بها التوبيخ ، والتعجب والاستعظام لكفرهم مع ما رأوا من الآيات . وقوله : « وانتم ظالمون » يعني انكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل . وليس ذلك لكم ، وعبدتم غير الله ، وكان ينبغي لكم ان تعبدوا الله ، لان العبادة لا تكون لغير الله ، فانتم بفعل ذلك ظالمون انفسكم .

قوله تعالى :

« وإذ اخذنا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعنا فَوقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتيناكم بِقُوَّةٍ واسْمَعُوا قالوا سَمِعْنَا وَعَصَينا وأُشْرِبُوا في قُلوبِهِم العِجلَ بكفرِهِم قُل بِئْسَما يأمُرُكُم بِهِ إيمانُكُمْ إنْ كُنتُم مُؤمِنينَ (٩٣) آية بلا خلاف .

المعنى :

تقديره واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم وعهودكم بان تأخذوا ما آتيناكم من التوراة التي انزلها الله على موسى بجد واجتهاد ، ومعناه اقبلوا ما سمعتم ، كما قيل سمع الله لمن حمده : اي قبل الله حمده قال الراجز :

بالحمد والطاعة والتسليم خير واعفى لفتى تميم (١)

فصار تقدير الآية : « واذ اخذنا ميثاقكم » بأن « خذوا ما آتيناكم بقوة » واعملوا بما سمعتم واطيعوا الله « ورفعنا فوقكم الطور » من اجل ذلك .

---

(١) قائله رجل من ضبة من بني ضرار يدعى جبير بن الضحاك . تاريخ الطبري ٤ : ٢٢٣ . في ذكر سنة ٥٥ وروايته (السمع) بدل (بالحمد) .

وقوله : « قالوا سمعنا وعصينا » كأن الكلام خرج مخرج الخبر عن الغائب بعد أن كان الابتداء بالخطاب ، لما تقدّم ذكره من ابتداء الكلام ، اذ كان حكاية . والعرب تخاطب ، ثم تعرد بعد ذلك الى الخبر عن الغائب ، ثم تخاطب ، لان قوله : « واذ اخذنا ميثاقكم » بمعنى قلنا لكم ، فأجبتمونا ، وقوله : « سمعنا » إخبار من الله تعالى عن اليهود الذين أخذنا ميثاقهم ان يعملوا بما في التوراة ، وان يطيعوا الله بما يسمعون منها انهم قالوا حين قيل لهم ذلك : سمعنا قولك ، وعصينا أمرك ويحتمل ان يكون ماقالوه لكن فعلوا ما يدل على ذلك ، فقام الفعل مقام القول . كما قال الشاعر :

امتــلأ الحوض وقال قطني مهلا رويداً قد ملأت بطني (١)

وقوله : « واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم » فيه وجوه :

احدها ــ ما قال قتادة وابو العالية : واشربوا في قلوبهم حب العجل . يقال أشرب قلبه حبّ كذا وكذا قال زهير :

فصحوت عنها بعد حبّ داخل والحبّ يشربه فؤادك داء (٢)

وقالت اعرابية :

باهلي من عادى ونفسي فداؤه به هام قلبي منذ حين ولايدري

هوى اشربته النفس ايام جهلها ولجّ عليه القلب في سالف الدهر

وقال السدي : لما رجع موسى الى قومه اخذ العجل الذي وجدهم عاكفين عليه ، فذبحه ثم حرقه بالمبرد ، ثم ذراه في اليم فلم يبق بحر يجري يومئذ إلا وقع فيه شيء منه ، ثم قال اشربوا فشربوا ، فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب . والاول عليه اكثر محصلي المفسرين وهو الصحيح ، لان الماء لا يقال فيه : أشرب منه فلان في قلبه ، وانما يقال ذلك : في حب الشيء على ما بيناه ، ولكن يترك ذكر الحب اكتفاء بفهم السامع ، لمعنى الكلام ، اذ كان معلوماً ان العجل لا يشربه القلب

---

(١) اللسان (قطط) وروايته (سلا) بدل (مهلا) .

(٢) ديوانه : ٣٣٩ . وروايته (تشربه) بضم التاء وسكون الشين وكسر الراء .

وان الذي اشرب منه حبّه . كما قال « واسأل القرية » وانما اراد اهلها . كما قال الشاعر :

حسبت بغام راحلتي عناقاً   وما هي ويب غيرك بالعناق (١)

يريد بذلك حسبت بغام راحلتي بغام عناق · وقال طرفه بن العبد :

ألا إنني سقّيت اسود حالكا   ألا بجلي من الشراب ألا بجل (٢)

يريد بذلك سقيت سما اسود ، فاكتفى بذكر (اسود) عن ذكر (السم) لمعرفة السامع بمعنى ما اراد بقوله سقيت اسود · وقال آخر :

وكيف تواصل من أصبحت   خلالته كأبي مرحب ؟ (٣)

اي كخلالة أبي مرحب وقال آخر :

وشر المنايا ميتةوسط اهله (٤)

اي ميتة ميت · وقد يقول العرب : اذا سرك ان تنظر الى السخاء ، فانظر الى هرم (٥) ، أو الى حاتم . فيجتزئون بذكر الاسم عن ذكر فعله ، للعلم به .

وقوله : « بئسما يأمركم به ايمانكم إن كنتم مؤمنين » معناهقل يا محمد ليهود بني اسرائيل : بئس الشيء يأمركم به ايمانكم إن كان يأمركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه ، وجحد ما جاء من عنده . وقال الازهري : معنى ان كنتم :

---

(١) اللسان (عنق) انشده ابن الاعرابي . لقريظ يصف الذئب وفي اللسان (بغم) نسبه الى ذي الخرق . البغام : الصوت من الحيوان الصامت . والعناق : الانثى من المعز ، ويب كلمة تقولها العرب للتحقير . بمعنى ويل .

(٢) ديوانه : ٣٤٣ (اشعار الستة الجاهليين) ، واللسان (سود) وروايته (شربت) بدل (سقيت) بضم السين وتشديد القاف وضم التاء . ويروى (ساخاً) بدل (حالكا) واختلف فيما اراد بقوله (اسود) قيل الماء ، وقيل المنية ، وقيل السم . وبجلي حسبي .

(٣) قائله النابغة الجعدي : اللسان (خلل) . ابي مرحب : كنية الظل ، ويقال هو كنية عرقوب الذي قيل عنه :   مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

انظر ١ : ٨٥ فثمت ايضاح كاف .

(٤) وعجز البيت :   كهلاك الفتى قد اسلم الحي حاضره

(٥) في المطبوعة « هرما » وهو تحريف وهرم : هو ابن سنان صاحب زهير بن ابي سلمى وحاتم : الطائي المشهور .

اي ما كنتم مؤمنين ـ نفياً ـ والاول اجود . ومعنى ايمانهم : تصديقهم الذي زعموا انهم مصدقون ، من كتاب الله اذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا : نؤمن بما أنزل علينا .

وقوله : « ان كنتم مؤمنين » أي ان كنتم مصدقين كما زعمتم ، فأخبر ان تصديقهم بالتوراة ، انه كان يأمرهم بذلك ، فبئس الامر يأمرهم به . وانما ذلك نفي عن التوراة ان يكون يأمر بشيء بما يكرهه الله من افعالهم ، واعلاماً منه ان الذي تأمرهم به اهواؤهم ، وتحمل عليه عداوتهم . وهذا كما يقول الرجل : بئس الرجل انا إن رضيت بفعلك ، او ساعدتك عليه .

والمعنى وأشربوا في قلوبهم حب العجل بكفرهم ، اي لالفهم الكفر وثبوتهم فيه ، والكفر يدعو بعضه الى بعض ، ويحسن بعضه بعضاً . وليس المعنى في قوله : « واشربوا » ان غيرهم فعل ذلك بهم ، بل هم الفاعلون له ، كما يقول القائل : أنسيت ذلك من النسيان (٣) ليس يريد إلا انك فعلت . وقولهم : لقد أوتي فلان علماً جماً ـ وان كان هو المكتسب له ، وإن الجنس الذين قالوا : سمعنا وعصينا غير الذين رفع عليهم الطور بأعيانهم ، لكنهم كانوا على منهاجهم ، وسبيلهم . فأما أولئك باعيانهم ، فانهم آمنوا : إما طوعاً ، واما كرهاً . والمعنى في (الباء) المتصلة بالكفر : أنهم كفروا بالله بما اشربوا من محبة العجل . وليس المعنى انهم في ذلك اشربوا حب العجل جزاءً على كفرهم ، لأن محبة العجل كفر قبيح . والله لا يفعل الكفر في العبد ، لا إبتداء ، ولا مجازاة .

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة « انست من النسيان » وهو غلط .

قوله تعالى :

« قُلْ إنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خالِصةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوا الموْتَ إن كُنتُم صادِقِين » (٩٤) آية واحدة بلا خلاف .

هذه الآية مما احتج الله بتأويلها لنبيه (ص) على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره ، وفضح بها احبارهم وعلماءهم ، لانه دعاهم الى قضية عادلة بينه وبينهم، كما كان من الخلاف الواقع بينهم . فقال لفريق من اليهود : ان كنتم صادقين ان الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم ، او دون محمد واصحابه الذين آمنوا به فتمنوا الموت، لان من اعتقد انه من أهل الجنة قطعاً ، كان الموت أحب اليه من حياة الدنيا التي فيها النغص ، وانواع الآلام ، والمشاق ، ومفارقتها الى نعيم خالص يتخلص به من اذى الدنيا .

وقوله : « فتمنوا الموت » ـ وان كان صورته صورة الامر ـ المراد به التوبيخ ، والزام الحجة .

وروي عن النبي (ص) انه قال : لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ، ولرأوا مقاعدهم من النار فقال الله تعالى لهم « وان يتمنونه ابداً بما قدمت ايديهم » تحقيقاً لكذبهم ، فقطع على انهم لا يظهرون التمني وفي ذلك اعظم الدلالة على صدقه ، لانه اخبر بشيء قبل كونه ، فكان كما اخبر ، لانه لا خلاف انهم لم يتمنوا . وقيل انهم ما تمنوا ، لانهم علموا انهم لو تمنوا الموت ، لماتوا ـ كما قاله ـ فلذلك لم يتمنوه . وهذا قول ابن عباس . وقال غيره : إن الله صرفهم عن اظهار التمني ، ليجعل ذلك آية لنبيه (ص) .

أما التمني فهو قول لما كان: ليته لم يكن ، ولما لم يكن ليته كان . وقال قوم: هو معنى في القلب . غير انه لا خلاف انه ليس من قبل الشهوة . فمن قال من المفسرين : انه أراد فتشهوا، فقد اخطأ . وقد روي عن ابن عباس انه قال : فاسألوا الموت . وهذا بعيد ،

لان التمني بمعنى السؤال لا يعرف في اللغة . فان قيل : من اين انهم ما تمنوه بقلوبهم عند من قال : انه معنى في القلب ؟ قلنا : لو تمنوه بقلوبهم لأظهروه بألسنتهم حرصاً منهم على تكذيبه في إخباره ، وجهداً في اطفاء امره . وهذه القصة شبيهة بقصة المباهلة ، وان النبي (ص) لما دعا النصارى الى المباهلة امتنعوا لقلة ثقتهم بما هم عليه ، وخوفهم من صدق النبي (ص) .

ومعنى « خالصة » : صافية . يقال خلص لي هذا الامر : اي صار لي وحدي، وصفا لي يخلص خلوصاً وخالصة . والخالصة : مصدر كالعاقبة يقال الرجل هذا خلصاني : اي خالصتي ـ من دون اصحابي .

قوله تعالى :

« وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ »

(٩٥) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين قيل لهم : « تمنوا الموت ان كنتم صادقين » بانهم لا يتمنون ذلك ابداً . وقد بينا ان في ذلك دلالة على صدق النبي (ص) من حيث تضمنت انهم لا يتمنون ذلك في المستقبل . وكان كما قال .

وقوله : « ابداً » نصب على الظرف : اي لم يتمنوه ابداً طول عمرهم . كقول القائل : لا أكلك ابداً ، . وانما يريد ما عشت .

وقوله : « بما قدمت ايديهم » معناه بالذي قدمت ايديهم ويحتمل ان يكون المراد بتقدمة ايديهم : فتكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر .

وقوله : « والله عليم بالظالمين » انما خص الظالمين بذلك ـ وان كان عالماً بغيرهم لأن الغرض بذلك الزجر ، كانه قال : عليم بمجازاة الظالمين . كما يقول القائل لغيره ، مهدداً له : انا عالم بك بصير بما تعمله . وقيل : انه عليم بانهم لا يتمنونه ابداً حرصاً على الحياة ، لان كثيراً منهم يعلم انه مبطل : وهم المعاندون منهم الذين يكتمون الحق وهم يعلمون .

قوله تعالى :

« وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحرصَ النَّاسِ على حَيوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لو يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذابِ أن يُعَمَّرَ واللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » (٩٦) آية بلا خلاف .

المعنى :

قال ابن عباس ، وابو العالية : ومجاهد ، والربيع : ان المعني بقوله احرص الناس على حياة اليهود واحرص من الذين اشركوا وهم المجوس وهم الذين يود احدهم لو يعمّر الف سنة وما هو بمزحزحه لانه اذا دعا بعضهم لبعض يقول له : هزار سال بده : اي عشرة الاف سنة واليهود احرص على الحياة منهم « وما هو بمزحزحه » اي بمباعده من العذاب ان يعمر لانه لو عمر ما عمّر لما دفعه طول العمر من عذاب الله تعالى على معاصيه وانما وصف الله اليهود بانهم احرص الناس على حياة لعلمهم بما قد اعدّ الله لهم في الآخرة على كفرهم ، بمالا يقر به اهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث ويعلمون ما هناك من العذاب . وان المشركين لا يصدقون ببعث ولا عقاب . واليهود احرص منهم على الحياة واكره للموت .

وقوله : « وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر » يعني وما التعمير وطول البقاء بمزحزحه من عذاب الله ، وهو عماد لطلب (ما) الاسم اكثر من طلبها الفعل كما قال الشاعر :

وهل هو مرفوع بما ها هنا راس (١)

وان في قوله : « يعمر » رفع بمزحزحه وحسنت الباء في قوله « بمزحزحه »

---

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٥٢ صدر البيت :

بثوب ودينار وشاة ودرهم

وقوله . « بثوب » متعلق بقوله « باع » من البيت المتقدم وهو

بأن السلامي الذي بضرية　امير الحمى قد باع حقي بني عبس

ومعنى « فهل هو مرفوع بما هاهنا رأس » : فهل نجد ناصراً ينصرنا ويأخذ لنا حقنا ، فترفع رؤسنا . وهذه كلمة يقولونها في مثل ذلك .

كما تقول : ما عبد الله بملازمة زيد وهي التي مع (ما) ذكره عماد للفعل ، لاستفتاح العرب النكرة قبل المعرفة . وقال قوم : ان هو التي مع (ما) كناية عن ذكر العمر وجعل ان يعمر مترجما عن هو يريد ما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر : اي وان عمر قال الزجاج : وما هو كناية عن احدهم كانه قال : وما احدهم بمزحزحه من العذاب كانه قال : يود احدهم ان يعمر الف سنة وما ذلك العمر بمزحزحه من العذاب وقوله : « بمزحزحه » اي بمبعده قال الحطيئة :

فقالوا تزحزح لابنا فضل حاجة اليك ولا منا لو هيك رافع (١)

يعني تباعد يقال منه : زحزحه يزحزحه زحزحة وزحزاحاً . فتأويل الآية : وما طول العمر بمبعده من عذاب الله ، ولا منجيه منه ، لانه لابد للعمر من الفناء فيصير الى الله تعالى ، وقال الفراء : « احرص الناس على حياة ، ومن الذين اشركوا » ايضا والله اعلم كقولك هو اسخى الناس . من حاتم ومن هرم(٢) لان تأويل قولك : اسخى الناس انما هو اسخى من الناس .

وقوله : « والله بصير بما يعملون » قرىء بالتاء والياء معاً : اي لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ، بل هو بجميعها محيط ، ولها حافظ حتى يذيقهم بها العذاب ومعنى بصير مبصر عند اهل اللغة وسميع بمعنى مسمع ، لكنه صرف الى فعيل في بصير وسميع ، ومثله « عذاب أليم » بمعنى مؤلم « وبديع السموات » بمعنى مبدع . وعند المتكلمين المبصر : هو المدرك للمبصرات ، والبصير هو الحي الذي لا آفة به ، لانه يجب ان يبصر المبصرات اذا وجدت . وليس احدهما هو الآخر وكذلك سميع ومسمع .

وقوله : « يود » تقول وددت الرجل أود وداً ووداً ووداداً ووداداة ومودة واود : لا يكون ماضيه ، الا وددت وقال بعض المفسرين : ان تأويل قوله « لتجدنهم احرص الناس على حياة » اي من الناس اجمع ، ثم قال : واحرص من الذين اشركوا

---

(١) الاغاني ١٣ ٦ وقد نسب البيت لقيس بن الحدادية من قصيدة طويلة ، نفيسة .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة « هرمة » انظر ١ ٣٥٥ .

على وجه التخصيص ، لان من لا يؤمن بالبعث ، والنشور ، يكون حرصه على البقاء في الدنيا اكثر ممن يعتقد الثواب ، والعقاب . فان قيل : أليس نجـــد كثيراً من المسلمين يحرصون على الحياة ، ويكرهون الموت ؟ فكيف تدل هـذه الآية على ان اليهود لم يكونوا على ثقة مما كانوا يدّعونه من انهم اولى به من المسلمين ـ مع ان المسلمين يشاركونهم في الحرص على الحياة ـ وهم على يقين من الآخرة ، وما فيها من الثواب ، والعقاب ؟ قيل : ان المسلمين لا يدّعون أن الدار الآخرة لهم خالصة ، ولا انهم احباء الله ، ولا انهم من اهل الجنة قطعاً ، كما كانت اليهود تدعي ذلك ، بل هم مشفقون من ذنوبهم ، يخافون أن يعذبوا عليها في النار ، فلهذا يشفقون من الموت ، ويحبون الحياة ، ليتوبوا من ذنوبهم التي يخافون ان يعذبوا عليها في النـار ، فلهذا يشفقون من الموت ويحبون الحياة ليتوبوا من ذنوبهم ، ويصلحوا اعمالهم . ومن كان على يقين مما يصير اليه ، لم يؤثر الحياة على الموت . كما روي عن علي (ع) انه قال : لا ابالي سقط الموت عليّ او سقطت على الموت ، وقال : اللهم سئمتهم ، وسئموني : فابدلني بهم خيراً منهم ، وابدلهم بي شراً مني . وقوله : اللهم عجل اليّ الراحة ، وعجل لهم الشقوة . وكما روي عن عمار (ره) انه قال يوم صفين : القى الأحبة : محمداً وصحبه . وكما قال حذيفة عند الموت : حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم .

قوله تعالى :

« قُلْ مَنْ كانَ عَـدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَانه نَزَّلَهُ عَلى قَلبِكَ بِاذنِ الله مُـصَـدِّقـاً لِما بَينَ يَدَيْه وهُدى وبُشـرَى للمؤمنين » (٩٧) آية واحدة بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابن كثير : (جبريل) بفتح الجيم وكسر الراء وبعدها ياء ساكنة من غير همزة مكسورة . وقرأ حمزة والـكسـائي وخلف وابو بكر إلا يحيى : بفتح الجيم والراء بعدها همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن (جبرعيل) .

وروى يحيي كذلك إلا انه حذف بعده الهمزة فيصير (جبرئل) . الباقون بكسر الجيم والراء ، وبعدها ياء ساكنة من غير همز . وقرأ اهل البصرة (ميكال) بغير همز ، ولا ياء . وقرأ اهل المدينة بهمزة مكسورة بعد الالف . مثل (ميكاءل) الباقون باثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على وزن (ميكاعيل) .

اللغة :

قال ابو الحسن الاخفش : في (جبرئل) ست لغات : جِبرائيل ، وجَبرئيل ، وجَبرال ، و جبريل ، وجبرال ، وجبرئل . وحكى الزجاج بالنون ايضاً بدل اللام ، وهي لغة بني أسد . وبتشديد اللام .

النزول :

اجمع اهل التأويل على ان هذه الآية نزلت جواباً لليهود ـ حين زعموا أن جبريل عدوّ لهم ، وان ميكال وليّ لهم ـ لما أخبروا ان جبريل هو الذي نزل على محمد (ص) ـ قالوا : جبريل عدو لنا ، يأتي بالحرب والجدب . وميكائيل يأتي بالسلام والخصب ، فقال الله تعالى : « قل من كان عدوا لجبريل » اذ كان هو المنزل الكتاب عليه ، فانه انما أنزله على قلبه باذن الله ، لا من تلقاء نفسه ، وانما انزل لما هو مصدق بين يديه من الكتب التي في ايديهم ، لا مكذباً لها ، وانه وإن كان فيما أنزل الامر في الحرب ، والشدة على الكافرين . فانه هدىً وبشرى للمؤمنين .

المعنى :

وقوله : « على قلبك » ولم يقل على قلبي . كقولك الذي تخاطبه : لا تقل للقوم إن الخبر عندك ، ويجوز ان تقول : لا تقل : ان الخبر عندي . وكما تقول : قال القوم : جبرائيل عدونا ، ويجوز ان تقول : قالوا : جبرائيل عدوهم . ولا ينبغي أن يستنكر أحد أن اليهود يقولون : إن جبرائيل عدونا ، لان الجهل في هؤلاء أكثر من ان يحصى . وهم الذين اخبرالله عنهم بعد مشاهدة فلق البحر ، والمعجزات

الباهرة « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » « ١ » وقالوا : « ارنا الله جهرة » « ٢ » ومثل ذلك طائفة من النصارى تعادي سليمان فلا تذكره ولا تعظمه ، ولا تقرّ نبوته .

الاعراب :

وجبرائيل ، وميكائيل : اسمان اعجميان أعربا . وقيل : ان جبر عبد وايل الله مثل عبد الله «٣» . وضعف ذلك ابو علي الفارسي من وجهين :

احدهما ـ ان ايل لا يعرف في اسماء الله في لغة العرب .

والثاني ـ انه لو كان كذلك لأعرب آخر الكلمة . كما فعل ذلك في سائر الاسماء المضافة : والامر بخلافه .

سبب النزول :

وكان سبب نزول هذه الآية ما روي أن صوريا ، وجماعة من يهود اهل فدك ، لما قدم النبي (ص) المدينة سألوه ، فقالوا : يا محمد كيف نومك ، فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في اخر الزمان ؟ فقال : تنام عيناي وقلبي يقظان ، فقالوا : صدقت يا محمد ، فاخبرنا عن الولد يكون من الرجل او من المرأة ؟ فقال : اما العظام والعصب والعروق ، فمن الرجل ، واما اللحم والدم والظفر والشعر : فمن المرأة . قالوا : صدقت يامحمد ، فما بال الولد يشبه اعمامه ، ليس فيه من شبه اخواله شيء ، او يشبه اخواله ليس فيه من شبه اعامه شيء ؟ فقال : ايهما علا ماؤه كان الشبه له ، قالوا : صدقت يا محمد ، فاخبرنا عن ربك ما هو ؟ فأنزل الله تعالى : « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحـد » « ٤ » . فقال ابن صوريا : خصلة واحدة إن قلتهـا آمنت بك ، واتبعتك ، اي ملك يأتيك بما ينزل الله لك ؟ قال : جبريل . قالوا : ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب ، وميكائيل ينزل باليسر والرخاء ، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك : آمنا بك . فأنزل الله عزوجل هذه الآية.

«١» سورة الاعراف آية : ١٣٧ . «٢» سورة النساء آية : ١٥٢ .

«٣» في المخطوطة والمطبوعة واو زائدة قبل « مثل » .

«٤» سورة الاخلاص بأجمعها .

المعنى :

وقوله : « مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » يعني القرآن .

ونصب مصدقاً على الحال . والهاء في قوله : « نزله على قلبك » يا محمد « مصدقاً لما بين يديه » يعني القرآن ، ويعني مصدقاً لما سلف من كتب الله امامه التي انزلها على رسله ، وتصديقاً لها : موافقةً لمعانيها في الامر باتباع النبي (ص) ، وما جاء به من عند الله . وانما اضافه « هدىً وبشرى للمؤمنين » من حيث كانوا المهتدين به ، والعاملين العاملين به ـ على ما بيناه فيما مضى . ـ

قوله تعالى :

« مَن كانَ عَدّواً لِلّهِ ومَلائِكَتِه وَرُسُلِه وَجِبرِيلَ وَمِيكَالَ فَانَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلكافِرِينَ (٩٨) آية .

وقد بينا اختلاف القراء في جبريل وميكائيل ـ وان كانا من جملة الملائكة ـ فانما افردا بالذكر ، لاجل امرين :

أحدهما ـ ذكرا لفضلهما ومنزلتهما . كما قال : « فيهما فاكهة ونخل ورمان) (١) ولما تقدم من فضلهما ، وان الآية نزلت فيهما ، وفيما جرى من ذكرهما .

والثاني ـ ان اليهود لما قالت : جبريل عدونا ، وميكال ولينا ، خصا بالذكر ، لئلا يزعم اليهود ان جبريل وميكال مخصوصان من جملة الملئكة ، وغير داخلين في جملتهم ، فنص الله تعالى عليهما ، لابطال ما يتأولونه من التخصيص . ثم قال : « فان الله عدو للكافرين » ولم يقل فانه ، فكرر اسم الله لئلا يظن ان الكناية راجعة الى جبرائيل ، او ميكائيل . ولم يقل (لهم) لانه يجوز ان ينتقلوا عن العداوة بالايمان . وفي هذه الآية دلالة على خطأ من قال من المجبرة : ان الامر ليس بمحدث احتجاجاً بقوله : « ألاله الخلق والامر » (٢) قالوا : فاما افرد الامر بالذكر بعد ذكره الخلق دل على ان الامر ليس بمخلوق . ولو كان الامر على ما قالوه ، لوجب ان لا يكون جبريل

(١) سورة الرحمان آية : ٦٨ . (٢) سورة الاعراف آية : ٥٣ .

وميكائيل من الملائكة . ونظير ذلك أيضاً قوله : « واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح » (١) .

قوله تعالى :

« وَلَقد أنزَلنا إليكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وما يَكفُرُ بِها إلاّ الفاسِقُونَ » (٩٩) آية بلا خلاف .

المعنى :

معنى الآيات يحتمل امرين :

احدهما ـ ذكره البلخي وجماعة من أهل العلم يعني سائر الآيات المعجزات التي اعطاها الله النبي (ص) من الآيات : القرآن ، وما فيه ، وغير ذلك من الدلالات وقال بعضهم : هو الاخبار عما غمض مما في كتب الله السالفة من التوراة ، والانجيل، وغيرها . وقال ابن عباس : ان ابن صوريا الفطراني قال لرسول الله (ص) : يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما انزل عليك من اية بينة فنتبعك لها . فانزل الله في ذلك « ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون » فان قال بعض اليهود : انتم مقرون باياتنا ونحن نجحد بآياتكم ، فحجتنا لازمة لكم لانها مردودة الى ما تعرفونه (٢) ؟ قيل لهم فيجب على هذا ألا يكون لكم حجة على الدهرية والبراهمة والثنوية ، لانهم لا يعترفون باياتكم . وانما قال : « وما يكفر بها الا الفاسقون » ولم يقل الكافرون . وان كان الكفر اعظم من الفسق ، لاحد امرين :

الاول انه عنى الخارجين عن اديانهم ، وان اظهروا انهم يتمسكون بها ، لان اليهود قد خرجت بالكفر بالنبي (ص) من شريعة موسى والفسق هو الخروج عن امر الله الى ما يعظم من معصيته .

والثاني ـ انه اراد الفاسقين المتمردين في كفرهم ، لان الفسق لا يكون الا اعظم الكبائر فان كان في الكفر، فهو اعظم الكفر ، وان كان فيما دون الكفر ، فهو

---

(١) سورة الاعراف آية : ٣٣ . (٢) في المطبوعة (تعرفون) .

أعظم المعاصي . هذا يجيء على مذهب الحسن ، لانه ذكر ان الفاسقين : عني به جميع من كفر بها ، وقد يدخل في هذا الكلام احد امرين : احدهما - لقوم يتوقعون الخبر او لقرب (٥) الماضي من الحال . تقول : قد ركب الامير ، وجاء زيد ، وقد عزم على الخروج ، إي عازماً عليه ، وهي ها هنا مع لام القسم على هذا تقديره قوم يتوقعون الخبر ، لان الكلام اذا أُخرج ذلك المخرج كان أوكد وابلغ ، والآية هي العلامة التي فيها عبرة . وقيل العلامة هي الحجة . والبينة الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة ماخوذة من ابانه احد الشيئين عن الآخر فيزول التباسه به .

قوله تعالى :

« أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ » (١٠٠) آية واحدة .

الاعراب :

الواو في قوله « او كلما » عند سيبويه واكثر النحويين واو العطف . الا ان الف الاستفهام دخلت عليها ، لان لها صدر الكلام ، وهي او الاستفهام بدلالة ان الواو يدخل على هل ، لان الالف اقوى منها . قال الزجاج وغيره تقول : وهل زيد عاقل ، ولا يجوز وأزيد عاقل . وقال بعضهم يحتمل ان تكون زائدة . كزيادة الفاء في قولك : أفالله لتصنعن . والاول - اصح لانه لا يحكم بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة ، والعطف على قوله : « خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا » (٦) او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ؟ وانما اتصل ذكر العهد بما قبله لاحد امرين :

احدها - بقوله : « واذ اخذنا ميثاقكم » .

والثاني - انهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات .

«١» في المطبوعة « الخبر ويقرب » «٢» سورة البقرة آية : ٩٣ .

المعنى :

والمراد بالعهد هاهنا : الميثاق الذي اخذه الله ليؤمنن بالنبي الامي ـ على قول ابن عباس ـ وقال ابو علي : المعني به العهود التي كانت اليهود اعطوها من انفسهم ـ في ايام انبيائهم ، وفي ايام نبينا محمد (ص) ، لانهم كانوا عاهدوه انهم لا يعينوا عليه احداً فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشاً يوم الخندق .

اللغة :

وقوله : « نبذه » النبذ والطرح والالقاء نظائر . قال صاحب العين : والنبذ طرحك الشيء عن يدك امامك ، او خلفك . والمنابذة : انتباذ الفريقين للحرب . تقول نبذنا إليهم على سواء : اي نابذناهم الحرب . والمنبوذون هم الاولاد الذين يطرحون ـ والنبيذ معروف ـ والفعل نبذت لي ، ولغيري ، وانبذت : خاصة لنفسي . والمنابذة في البيع منهي عنهـا وهي كالرمي ، كأنه اذا رمى اليه : وجب له ، وسمي النبيذ : نبيذاً ، لان التمر كان يلقى في الجرة وغيرها (١) . وهي فعيل بمعنى مفعول . واصاب الارض نبذة من المطر : اي قليل .

المعنى :

قال قتادة : معنى نبذه في الآية : نقضه ، وقيل : تركه . وقيل ألقاه ، والمعنى متقارب ـ قال ابو الاسود الدؤلي :

نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلاً اخلقت من نعالكا «٢»

وقوله : « بل اكثرهم » الهاء ، والميم عائدتان على المعاهدين ، ولا يصلح على الفريق اذ كانوا كلهم غير مؤمنين . واما المعاهدون : فمنهم من آمن كعبد الله

«١» في المطبوعة والمخطوطة « في الجر وغيره » .

«٢» ديوانه : ١١ . من ابيات كتب بها الى صديقه الحصين بن الحر ، وهو وال على ميسان . وكان كتب اليه في امر يهمه فشغل عنه ـ . وقبل البيت .

وخبرني من كنت ارسلت انما اخذت كتابي معرضاً بشمالكا

ابن سلام، وكعب الاحبار وغيرهما. وانما دخلت بل على قوله: «اكثرهم لا يؤمنون»، لامرين:

احدهما - انه لما قال: «نبذه فريق منهم» دل على انه كفر ذلك الفريق بالنقض، وحسن هذا التفصيل، لان منهم من نقض عناداً. ومنهم من نقض جهلاً.

والوجه الثاني - كفر فريق منهم بالنقض، وكفر اكثرهم بالجحد للحق، وهو امر النبي «ص» وما يلزم من اتباعه، والتصديق به. وقيل بل يعني ان الفريق وان كانوا هم المعاندون، والجميع كافرون. كما تقول: زيد كريم بل قومه جميع كرام.

وقوله: «او كلما» نصب على الظرف، والعامل فيه نبذ، ولا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا، لانه متمم [لما] : اما صلة، واما صفة.

قوله تعالى:

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (١٠١) آية.

المعنى:

قال السدي واكثر المفسرين: المعني بالرسول محمد «ص». وقال بعضهم: يجوز أن يعنى به هاهنا الرسالة. كما قال كثير:

فقد كذب الواشون ما بحت عندهم　　بليلى ولا ارسلتهم برسول «١»

وهذا ضعيف، لأنه خلاف الظاهر، قليل الاستعمال. والكتاب يحتمل ان يراد به التوراة. ويحتمل ان يراد به القرآن. قال السدي: نبذوا التوراة، واخذوا بكتاب اصف، وسحر هاروت وماروت: يعني انهم تركوا ما تدل عليه التوراة من صفة النبي «ص». وقال قتاده وجماعة من اهل العلم: إن ذلك الفريق كانوا

«١» اللسان «رسل» وقد جاء على وجهين احدهما - «برسيل» بدل «برسول» والثاني - «بسر» بدل «بليلى» وفي كليهما «لقد» بدل «فقد».

معاندين . وقال ابو علي : لا يجوز على جماعتهم ان يكتموا ما علموا مع كثرة عددهم، واختلاف هممهم ، لانه خلاف العادة ، ولكن يجوز على الجمع الكثير ان يتواطوا على الكتمان ، ولذلك قال : « فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله » .

وقوله : « مصدق لما معهم » يحتمل أمرين : احدهما ـ مصدق لما معهم ، لانه جاء على الصفة التي تقدمت بها البشارة . والثاني ـ انه مصدق بالتوراة انها حق من عند الله ـ والاول احسن ، ـ لان فيه حجة عليهم ، وعبرة لهم . وقال الحسن : « مصدق لما معهم » من التوراة ، والانجيل . وقال غيره : يصدق بالتوراة ، لان الاخبار هاهنا عن اليهود دون النصارى . وانما قال : « نبذ فريق منهم من الذين أوتو الكتاب » ولم يقل منهم ، اذ تقدم ذكرهم ، لاحد امرين :

احدها ـ انه لما اريد علماء اهل الكتاب ، اعيد ذكرهم لاختلاف المعنى ـ على قول البلخي .

والثاني ـ انه للبيان . وكان يجوز النصب في مصدق ، لان كتاباً قد وصف ، لانه من عند الله ـ على ما قاله الزجاج وقوله : « كأنهم لا يعلمون » فمعناه انهم يعلمون وكأنهم لكفرهم وكتمانهم لا يعلمون .

قوله تعالى :

« واتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلى مُلكِ سُلَيمانَ وما كَفرَ سُليمانُ وَلكنَّ الشَّياطِين كَفرُوا يُعلمونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أنزلَ على المَلكَين بِبابلَ هارُوت وَمارُوتَ وما يُعلمانِ من أحدٍ حتّى يَقُولا إنَّما نَحنُ فِتنَةٌ فَلا تكفُر فَيَتعلَّمُونَ مِنهُما ما يُفرِّقون بهِ بينَ المرءِ وَزَوجه ومَا هُم بِضارّين بِهِ مِن أحدٍ إلاَّ بإذنِ اللهِ ويتعلَّمونَ مايضرُّهم ولاَ ينفعُهم وَلَقد عَلمُوا لَمن اشتَراهُ مالهُ في الآخرةِ مِن خلاقٍ

ولبئسَ ما اشتَروا بِه أنفسهم لو كانُوا يعلمُون » (١٠٢) آيـة بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابن عامر ، وحمزة ، ، والكسائي ، وخلف : « ولكن الشياطين » « ولكن الله قتلهم » « ١ » « ولكن الله رمى » « ٢ » بتخفيف النون من (لكن) وكسرها في الوصل ، ورفع الاسم بعدها . الباقون بالتشديد . وروي تثنية (الملكين) بكسر اللام ، هاهنا حسب .

المعنى :

واختلفوا في المعني بقوله « واتبعوا » على ثلاثة اقوال : فقال ابن جريج ، وابو اسحاق : المراد به اليهود الذين كانوا في زمن النبي « ص » وقال الجبائي : المراد به اليهود الذين كانوا في زمن سليمان . وقال قوم : المراد به الجميع وهو قول المتأخرين ، قال : ، لان مبتغي السحر من اليهود لم يزالوا منذ عهد سليمان إلى ان بعث محمد « ص » . وروي عن الربيع : أن اليهود سألوا محمداً « ص » زماناً عن امور من التوراة ـ لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا انزل الله عليه ما سألوا عنه ـ فيخبرهم، فلما رأوا ذلك قالوا : هذا أعلم بما انزل علينا منا وانهم سألوه عن السحر ، وخاصموه به ، فأنزل الله عزوجل« واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان » ومعنى « تتلوا » قال ابن عباس : تتبع ، لان التالي تابع . وقال بعضهم : يدعى ـ وليس بمعروف ـ وقال قتادة ، وعطا : معناه تقرأ من تلوت كتاب الله : اي قراته . وقال تعالى : « هنالك تتلو كل نفس ما اسلفت » « ٣ » اي تتبع وقال حسان بن ثابت :

نبيّ يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد « ٤ »

« ١ ، ٢ » سورة الانفال آية ١٧ .

« ٣ » سورة يونس آية ٣٠ .

« ٤ » قائله حسان بن ثابت . ديوانه . ٨٨ . من ابيات قالها في خبر ام معبد حين خرج رسول الله « ص » مهاجراً الى المدينة وروايته « مسجد » بدل « مشهد » .

والذي تتلوه هو السحر ـ على قول ابن اسحاق ، وغيره من اهل العلم : ـ وقال بعضهم : الكذب . ومعنى قوله : « على ملك سليمان » على عهد سليمان . قال ابن اسحاق وابن جريج : في ملك سليمان حين كان حياً . وهو قول المبرد وقال قوم : إنما قال تتلو « على ملك » لانهم كذبوا عليه بعد وفاته كما قال : « ويقولون على الله الكذب » « ١ » وقال : «أتقولون على الله مالا تعلمون» « ٢ » وقال الشاعر :

عرضت نصيحة مني ليحيى　　فقال غششتني والنصح مرّ
وما بي ان اكون اعيب يحيى　　ويحيى طاهر الاخلاق برّ
ولكن قد اتاني ان يحيى　　يقال عليه في نفعاء شرّ

فاذا صدق ، قيل : تلا عنه . واذا كذب ، قيل تلا عليه ، واذا أبهم ، جاز فيه الامران . وقوله : « الشياطين » قال قوم : هم شياطين الجن ، لان ذلك هو المستفاد من اطلاق هذه اللفظة . وقال بعضهم : المراد به شياطين الانس المتمرّدة في الضلالة . كما قال جرير :

ايام يدعونني الشيطان من غزلي　　وكن يهوينني اذ كنت شيطانا

وقوله : « وما كفر سليمان » وإن لم يجر لذلك ذكر ، يكون هذا تكذيباً له . فمعناه ان اليهود اضافوا الى سليمان السحر ، وزعموا ان ملكه كان به ، فبرّأه الله مما قالوا . وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة . وقال ابن اسحاق : قال بعض أحبار اليهود : ألا تعجبون من محمد « ص » يزعم أن سليمان كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً فانزل الله تعالى : « وما كفر سليمان » وقيل : تقدير الكلام واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر ، فتضيفه الى سليمان . وما كفر سليمان . لان السحر لما كان كفراً ، نفى الله تعالى عنه ذلك على المعنى ـ وان كانوا لم يضيفوا اليه كفراً ـ والسبب الذي لاجله اضافت اليهود الى سليمان السحر ، ان سليمان جمع كتب السحر تحت كرسيه . وقيل في خزائنه ، لئلا يعمل به فلما مات

« ١ » سورة آل عمران : آية ٧٥ ، ٧٨ .
« ٢ » سورة الاعراف آية : ٢٧ ، سورة يونس آية : ٦٨ .

وظهر عليه قالت الشياطين : بهذا كان يتمّ ملكه ، وشاع في اليهود وقبلوه ، لعداوتهم لسليمان . وقيل انهم وضعوا كتاب السحر بعد سليمان واضافوه اليه وقالوا : بهذا كان يتمّ له مكان فيه ، فكذبهم الله تعالى في ذلك ، ونفى عنه ذلك .

اللغة :

والسحر والكهانة والحيلة نظائر . يقال سحره يسحره سحراً ، واسحرنا اسحاراً ، وسحّره تسحيراً . قال صاحب العين : السحر عمل يقرّب الى الشيطان . كل ذلك يكتبونه السحر . ومن السحر الاخذة التي تأخذ العين حتى يظن ان الامر كما ترى ـ وليس الأمر كما ترى ـ والجمع الاخذ. والسحر البيان من اللفظ كما قال النبي «ص» : ان من البيان لسحراً ، والسحر فعل السحر في شيء يلعب به الصبيان اذا مد خرج على لون ، فاذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر يسمى السحارة والسحر العدو قال لبيد :

ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب «١»

وقال آخر :

فان تسلينا مم نحن فاننـــا عصافير من هذا الانام المسحر «٢»

وقوله : « انما انت من المسحرين » « ٣ » يعني من المخلوقين . وفي تمييز العربيـــة هو المخـلوق الذي يطعم ، ويسقى ، والسحَر اخر الليـــل . بالتنوين . قال الطرماح :

بان الخليط بسحرة فتبـددوا والدار تشعب بالخليط وتبعد «٤»

«١» اللسان (سحر) وقد نسبه لامرىء القيس . والبيت الذي يليه .

عصافير وذبان ودود واجرأ من مجلحة الذئاب

والسحر . الغذاء . وموضعين . مسرعين . لامر غيب . يريد الموت .

«٢» اللسان (سحر) قائله لبيد . وروايته (تسألينا فيما) بدل (تسلينا مم) . والسحر هنا يحتمل احد امرين . الخديعة ، والغذاء .

«٣» سورة الشعراء . آية ١٥٣ ، ١٨٥ .

«٤» اللسان « خلط » ذكر الصدر فقط . الخليط : القوم الذين امرهم واحد والجمع خلطاء ، وخلط .

وتسحّرنا اكلنا سحوراً ، واسحرنا كقولك اصبحنا . والسحر الرئة مخفف ، وما يتعلق بالحلقوم . ويقال للجبان اذا جبن انتفخ مسحره واستحر الطائر اذا غلبه بسحر . واصل الباب الخفاء ، والسحر قيل : الخفاء سببه توهم قلب الشيء عن حقيقته كفعل السحرة في وقت موسى ـ لما اوهموا ان العصا والحبال صارت حيوانا ـ فقال: « يخيل اليه من سحرهم انها تسعى » (١) .

وقوله : « لكن الشياطين كفروا » قيل فيه ثلاثة اقوال :

احدها ـ انهم كفروا بما نسبوه الى سليمان من السحر .

والثاني ـ انهم كفروا بما استخرجوه من السحر .

والثالث ـ معناه ولكن الشياطين سحروا فعبر عن السحر بالكفر .

وقوله : « يعلمون الناس السحر » قيل فيه قولان :

احدها ـ انهم القوا السحر اليهم فتعلموه .

[والثاني ـ انهم دلوه على استخراجه من تحت الكرسي فتعلموه] (٢)

وقوله : « وما انزل على الملكين » قال ابن عباس وقتادة وابن زيد والسدي: ان (ما) بمعنى الذي . وقال الربيع في احدى الروايتين عن ابن عباس : انها بمعنى الجحد . وروي عن القاسم بن محمد : انها تحتمل الامرين . وموضع (ما) نصب لفظها على السحر ، وقيل انها عطف على (ما) في قوله : « ما تتلو الشياطين » وقال بعضهم : موضعها جر عطف على ملك سليمان ، وعلى ما انزل . ومن قرأ بكسر اللام في الملكين قال : هما من ملوك بابل ، وعلوجها . (٣) وهو قول ابي الاسود الدؤلي، والربيع ، والضحاك ، وبه قرأ الحسن البصري ، ورواها عن ابن عباس ، واختلف

---

(١) سورة (طه) آية : ٦٦ .

(٢) ما بين القوسين من مجمع البيان ، لان الشيخ ذكر قولين ، ولا يوجد في المخطوطة وفي المطبوعة الاقول واحد .

(٣) العلوج ، جمع علج ، ويجمع ايضاً على اعلاج ومعلوجي ، ومعلوجاء وهو الرجل الشديد من كفار العجم . ومنهم من يطلقه على عموم الكافر .

من قال بهذا فقال قوم: كانا مؤمنين، ولذلك نهيا عن الكفر. وقال قوم: انهما كانا نبيين من انبياء الله. ومن قرأ بالفتح قال قوم منهم: كانا ملكين وقال آخرون: كانا شيطانين. وقال قوم: هما جبريل وميكائيل خاصة. واختلفوا في بابل فقال قوم: هي بابل العراق، لانها تبلبل بها الالسن: وروي ذلك عن عائشة وابن مسعود. وقيل: بابل دماوند. ذكره السدي. وقال قتادة: هي من نصيبين الى رأس العين. وقال الحسن ان الملكين ببابل الكوفة الى يوم القيامة، وان من اتاهما سمع كلامهما. ولا يراهما وبابل بلد لا ينصرف.

وقيل في معنى السحر اربعة اقوال:

احدها ــ انه خدع ومخاريق، وتمويهات لا حقيقة لها يخيل الى المسحور أن لها حقيقة.

والثاني ــ انه اخذ بالعين على وجه الحيلة.

والثالث ــ انه قلب الحيوان من صورة الى صورة، وانشاء الاجسام على وجه الاختراع فيمكن الساحر ان يقلب الانسان حماراً وينشيء اجساماً.

والرابع ــ انه ضرب من خدمة الجن كالذي يمسك له التجدل فيصرع، واقرب الاقوال الاول، لان كل شيء خرج عن العادة الخارقة، فانه لا يجوز أن يتأتى من الساحر. ومن جوز للساحر شيئاً من هذا، فقد كفر لانه لا يمكنه مع ذلك العلم بصحة المعجزات الدالة على النبوات، لانه اجاز مثله من جهة الحيلة والسحر.

وقوله: «وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر» يتصل قوله: «فلا تكفر» باحد ثلاثة أشياء: احدها ــ فلا تكفر بالعمل بالسحر والثاني ــ فلا تكفر بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله عزوجل به كما امتحن بالنهر في قوله: «فمن شرب منه فليس مني» وثالثها (١) ــ فلا تكفر بواحد منهما للتعلم للسحر والعمل به فان قيل كيف يجوز ان يعلم الملكان السحر؟ قيل يعلمان ماالسحر وكيف الاحتيال به، ليجتنب، ولئلا يتموه على الناس انه من جنس المعجزات التي تظهر على يــد

(١) سورة البقرة آية: ٢٤٩.

الانبياء فيبطل الاستدلال بها . وقال جماعة من المفسرين منهم : ابو علي وغيره : انزلها الله من السماء وجعلها بهيئة الانس ، حتى بينا للناس بطلان السحر . وقال الحسن وقتادة : اخذ عليها ألا يعلماه « حتى يقولا : انما نحن فتنة فلا تكفر » .

وقوله : « وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر » على قول من جعل ما جحداً .

وقوله : « وما انزل على الملكين » يحتمل ان يكون ذلك من قول هاروت وماروت وليسا ملكين . كما يقول الغاوي الخليع لنا انك في ضلال فلا ترد ما انا فيه ، فيقر بالذنب وهو يأتيه . والتقدير على هذا : « ولكن الشياطين كفروا » هاروت وماروت . فمن قرأ الملكين بفتح اللام ـ وهو قراءة الجمهور ، اختلفوا فمنهم من قال : ان سحرة اليهود زعموا ان الله انزل السحر على لسان جبريل ، وميكايل الى سليمان ، فاكذبهم الله بذلك وفي الكلام تقديم وتأخير ، فتقديره وما كفر سليمان وما انز على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا . يعلمان الناس السحر . ببابل هاروت وماروت ـ وهما رجلان ببابل غير الملكين اسم احدهما ـ هاروت والآخر ماروت ، ويكون هاروت وماروت بياناً عن الناس . وقال قوم : ان هاروت وماروت ملكان من الملائكة . واختلفوا في سبب هبوطهما ـ على قولين .

فقال قوم : ان الله اهبطهما ليامرا بالدين ، وينهيا عن السحر ، لان السحر كان كثيراً في ذلك الوقت ، ثم اختلفوا فقال قوم : كانا يعلمان الناس كيفية السحر وينهيانهم عن فعله ، ليكون النهي بعد العلم به ، لان من لا يعرف الشيء فلا يمكنه اجتنابه . وقال قوم آخرون : لم يكن للملكين تعليم السحر ، ولا اظهاره ، لما في تعليمه من الاغراء بفعله . والثالث هبطا لمجرد النهي ـ اذ كان السحر فاشيا ـ .

وقال قوم : كان سبب هبوطهما ان الملائكة تعجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم ، فقال لهم : اما لو كنتم مكانهم لعملتم مثل اعمالهم ، فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ، فامرهم ان يختاروا ملكين ليهبطا الى الارض فاختاروا هاروت وماروت ، فاهبطا الى الارض ، وركب فيهما شهوة الطعام والشراب والنكاح ،

واحل لهما كل شيء بشرط الا يشركا بالله ولا يشربا الخمر ولا يزنيا ، ولا يقتلا النفس التي حرم الله فعرضت لهما امرأة للحكومة فمالا اليها ، فقالت لهما لا اجيبكما حتى تعبدا صنماً وتشربا الخمر ، وتقتلا النفس ، فعبدا الصنم وواقعاها ، وقتلا سائلاً مر بهما خوفاً ان يشهر امرهما في حديث طويل ، لا فائدة في ذكره . قال كعب فو الله ما امسيا من يومهما الذي اهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه فتعجبت الملائكة من ذلك ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود الى السماء وكانا يعلمان الناس السحر ومن قال : بعصمة الملائكة ، لم يجز هذا الوجه . وقال قوم من اهل التأويل : ان ذلك على عهد ادريس . وانما قوله : « انما نحن فتنة » .

اللغة :

فالامتحان والفتنة والاختبار نظائر . يقال فتنه فتنة وافتتن افتتانا . وقال ابو العباس ، فتن الرجل وأفتن (١) بمعنى اختبر . وتقول : فتنت الرجل ، وافتنته . ولغة قريش : فتنته قال الله تعالى : « وفتناك فتونا » (٢) وقال « ولقد فتنا سليمان » (٣) ، وقال اعشى همدان :

لئن فتنتنى فهي بالامس افتنت   سعيداً فأمسى قد قلا كل مسلم (٤)

فجاء باللغتين . وقوله تعالى : « فظن داود أنما فتناه » (٥) اي اختبرناه . ويقال فتنت الذهب في النار : اذا اختبرته فيها ، لتعلم اخالص هو ام مشوب . فقيل — لكل ما أحميته في النار : — فتنته . وتقول فتنت الخبزة في النار : اذا أنضجتها . ومثله يقال في اللحم . وقوله : « والفتنة أشد من القتل » (٦) اي الكفر أشد

(١) في المطبوعة والمخطوطة (فتن) باسقاط الالف .
(٢) سورة طه آية : ٤٠ .   (٣) سورة ص آية : ٣٤ .
(٤) اللسان (فتن) وروايته (لهي) بدل (فهي) قال ابن بري : قال بن جني ويقال هذا البيت لابن قيس . والبيت الذي يليه :

والقى مصابيح القراءة واشترى   وصال الغواني بالكتاب المتمم

فقال سعيد : كذبتن كذبتن . وفي مجمع البيان (لقد) بدل (لئن) (وهي) بدل (فهي) .
(٥) سورة : ص آية ٢٤ .   (٦) سورة البقرة : آية ١٩١ .

من القتل . والفتن في الدين والحروب وقولهم : فتنة السوط أشد من فتنة السيف ، ومعناه اختبار السوط أشد لان فيه تعذيباً متطاولاً . وقوله: «يوم هم على النار يفتنون» (١) اي يشوون من قولك فتنت الخبز . والمعنى الصحيح انهم يعذبون بكفرهم . يقال فتن الكافر ، العذاب وافتنته اي جزاه بفتنته كقولك : كذب واكذبته . وكل من صبأ فقد فتن . وقوله: « بايكم المفتون » (٢) قال الاخفش : معناه الفتنة : فهو مصدر ، كقولك: رجل ليس له معقول ، وخذ ميسوره ودع معسوره . وابى ذلك سيبويه . وقال: خذ ميسوره اي ما تيسر له . وليس له مرفوع : اي ما يرفع . قال صاحب العين : فتن فلان فتوناً فهو فاتن : اي مفتن . وقوله : « وما انتم عليه بفاتنين » (٣) اي مضلين ـ عن الحسن ومجاهد ـ وأصل الباب الاختبار . ومعناه في الآية : انما نحن اختبار وبلوى وامتحان ، فلا تكفر . وقال قتادة : « انما نحن فتنة » اي بلاء . ويحتمل أن يكون معناه انهما كانا كافرين ، فيكون معنى قولهما : « انما نحن فتنة » اي شيء عجيب مستطرف كما يقال للمرأة الحسناء انها فتنة من الفتن . ويكون قوله : « فلا تكفر » على هذا الوجه يعني بما جئناك به ، بل صدق به واعمل عليه . وقوله : « حتى يقولا » يحتمل امرين :

احدها ـ ان حتى ، بمعنى إلا وتقديره وما يعلمان من احد إلا أن يقولا : انما نحن فتنة ، فلا تكفر ويكون ذلك زيادة في الابتلاء من الله في التكليف .

والثاني ـ انه نفي لتعليمهما الناس السحر ، وتقديره ولا يعلمان أحداً السحر ، فيقولان : « انما نحن فتنة فلا تكفر » فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين ، والنهي عنه من الملكين .

وقوله : « فيتعلمون » قال قوم : معنى تعلم واعلم واحد . كما جاء علمت ،

«١» سورة الذاريات : آية ١٣ .

«٢» سورة القلم : آية ٦ .

«٣» سورة الصافات : آية ١٦٢ .

واعلمت ، وفهمت ، وافهمت كما قال كعب بن زهير :

تعلم رسول الله إنك مدركي   وان وعيداً منك كالاخذ باليد (١)

وقال القطامي :

تعلمّ ان بعد الغي رشداً   وان لهذه الغير انقشاعا

ومنهم من قال : تعلم بمنزلة تسبب الى مابه تعلم من النظر في الادلة . وليس في اعلم ذلك ، لانه قد ينبئهم على ما يعلمه بالتأمل له ، كقوله : اعلم ان العمل يدل على الفاعل. وما لم يسبق المحدث فهو محدث . والاُول كقوله : تعلم النحو والفقه . فان قيل كيف يفرق بين المرء وزوجه ؟ قلنا فيه ثلاثة اقوال :

احدها ـ انه اذا تعلم السحر كفر فحرمت عليه امرأته .

والثاني ـ ان يمشي بينهما بالنميمة حتى يفسد بينهما ، فيفضي الى الطلاق والبينونة .

والثالث ـ قال قتادة وغيره : يوجد كل واحد منهما على صاحبه ويبغضه اليه . وقيل : انه كان من شرع سليمان أن من تعلم السحر ، بانت منه زوجته . وقوله : « منهما » الضمير ـ قيل : ـ انه راجع الى الملكين . وقيل بل الى الكفر والسحر . لانه تقدم الدليل عليهما في قوله : « ولكن الشياطين كفروا » كما جاء « سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى » (٢) اي يتجنب الذكرى . ومن قال الملائكة معصومون ، يقول الكناية ترجع الى الكفر والسحر لا غير دون الملكين . فكأنه قيل : « فيتعلمون » مكان ما علماهم « ما يفرقون به بين المرء وزوجه » ، كقول القائل : ليت لنا من كذا ، وكذا كذا : اي بدله . قال الشاعر :

جمعت من الخيرات وطباً وعلبة   وصراً لاُخلاف المزممة البزل

---

(١) شذور الذهب : ٣٠٢ . وهذا بيت من قصيدة طويلة نسبها لانس بن زنيم الديلي يقولها بعد فتح مكة معتذراً لرسول الله « ص » مما كان عمرو بن سالم الخزاعي يقوله فيه وفي اصحابه ومطلعها :

انت الذي تهدى معد بامره   بل الله يهديهم وقال : لك اشهد

(٢) سورة الاعلى : آية ١٠ .

ومن كل اخلاق الكرام نميمة وسعياً على الجار المجاور بالمحل(١)

يريد جمعت مكان خيرات الدنيا هذه الخيرات الرديئة ، والافعال الدنيئة .

اللغة :

وقوله : « يفرقون بين المرء وزوجه » فالمرء تأنيثه المرأة . قال صاحب العين: امرأة تأنيث المرء ويقال مرأة بلا ألف . والمرأة مصدر الشيء المريء الذي يستمرأ يقال ماكان مريئاً ، ولقد مرؤ واستمرأته ، وهو المريء ، للطعام وأصل الباب المريء ، فقولهم مرأة كقولهم جارية اي جرت في النور والشباب . فأمّا امراء الطعام فانه يجري وينفذ في مجاريه ، ولا يقف . وكذلك المرأة تجري في السن الى حد . وفرق في الشواذ ما بين المرء ـ بضم الميم ـ وهي لغة هذيل . وقوله : « وما هم بضارين به من احد » فالضرر والالم والاذى نظائر . والضر نقيض النفع . يقال ضره يضره ضراً ، واضر به اضراراً ، واستضر استضراراً ، واضطر اضطراراً . وضاره مضارّة وضراراً . قال صاحب العين : الضّر والضُّر لغتان ، فاذا جمعت الضر والنفع. فتحت الضاد . والضرر نقصان يدخل في الشيء . يقال دخل عليه ضرر في ماله . والضرورة اسم لمصدر الاضطرار . والضرير : الذاهب البصر من الناس . تقول : رجل ضرير بين الضرارة . والضراء من الضر . وقوم اضراء .

والضرر مصدر اضره مضارة وفي الحديث (لا ضرر ولا ضرار) واذا ضرّ به المرض قيل : ضرير ، وامرأة ضريرة . والضرير : اسم للمضارة ، وا كثر ما يستعمل في الغيرة تقول : ما اشد ضريره عليها . قال الشاعر يصف حماراً وحشياً : —

(١) امالي المرتضى ١ : ٤٢١ . الوطب صفاء اللبن خاصة . والعلبة : جلدة تؤخذ من جنب البعير فتسوى مستديرة كالقصعة المدورة يشرب بها الرعيان . والصر : شد ضرع النوق الحلوبات والفاعل صرار . والأخلاف : جمع خلف ـ بكسر فسكون ـ ضرع الناقة . والبزل : جمع بازل : الناقة او البعير اذا استكمل الثامنة ، وطعن في التاسعة ، وبزل نابه اي انشق عن اللحم . والمزممة : هي التي علق عليها الزمام . والنجل تمزيق العرض بالغيبة . وفي الحديث « من نجل الناس نجلوه » في المطبوعة والمخطوطة (رطباً) ـ بدل (وطباً) . و (غلبة) بدل (علبة) و (لمحلي) بدل « بالنجل » .

حتى اذا مالان من ضريره (١)

والضرتان : امرأتان للرجل ، والجمع الضرائر . والضرتان : الالية من جانبي عظمها ، وهما الشحمتان اللتان تهدلان من جانبيها . وضرة الابهام : لحمة تحتها . وضرة الضرع : لحمة تحتها . والضر : الهزال . وضرير الوادي : جانباه وكل شيء دنا منك حتى يزحمك : فقد اضربك . وأصل الباب : الانتقاص .

وقوله : « من أحد الا باذن الله » يحتمل امرين :

احدهما ـ بتخلية الله .

والثاني ـ الا بعلم الله من قوله : « فأذنوا بحرب من الله » معناه اعلموا . بلا خلاف ويقال : انت آذن اذناً . قال الحطيئة :

الا يا هند إن جددت وصلا والا فاذنيني بانصرامي (٢)

وقال الحارث بن حلزّة :

آذنتنا ببينها اسماء (٣)

معناه اعلمتنا . والاذن في اللغة على ثلاثة أقسام :

احدها ـ بمعنى العلم وذكرنا شاهده .

والثاني ـ الاباحة والاطلاق كقوله « فانكحوهّن باذن اهلهن » (٤) . وقوله : « يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم » (٥) .

والثالث ـ بمعنى الامر : كقوله : « انزله على قلبك باذن الله » (٦) وقداجمعت الأمة على انه لم يأمر بالكفر، ولم يتجه نفي القسم الثالث . ولا يجوز أن يكون المراد

---

(١) اللسان « ضرر » .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة « ألا » ساقطة . وفي المطبوعة « ياهند » وعجزه فيهما .
والا فأذنيني حاجلا بانصرامي

(٣) معلقته الشهيرة وهذا مطلعها . وعجزه .
رب ثاو يمل منه الثواء

(٤) سورة النساء : آية ٢٤ .

(٥) سورة النور : آية ٥٨ . (٦) سورة البقرة : آية ٩٧ .

« إلا باذنه » الا بارادته ، ومشيئته ، لان الارادة لا تسمى إذناً . الا ترى أن من اراد الشيء من غيره أن يفعله ، لا يقال أذن له فيه ؟ فبطل ما قالوه . وقد روي عن سفيان إلا بقضاء الله . وقال بعض من لا معرفة له : الاذن بمعنى العلم بفتح الهمزة والذال دون الاذن بكسر الهمزة وسكون الذال ـ وهذا خطأ ، لان الاذن مصدر يقال فيه اذن واذن مثل حذر وحذر . وقال تعالى : «خذوا حذركم » «١» ويجوز فيه لغتان مثل : شِبه وشَبه ومِثل ومَثل . وقال هذا القائل : من شاء الله منعه ، فلم يضره السحر . ومن شاء خلى بينه وبينه ، يضره . وقوله : « لا ينفعهم » .

اللغة :

فالنفع نقيض الضر والنفع والمنفعة واللذة نظائر . يقال نفع ينفع نفعا ، فهو نافع . وانتفع فلان بكذا وكذا . ورجل نفاع ينفع الناس . وأصل النفع : ضد الضر . وحد النفع هو كل فعل يكون الحيوان به ملتذا : اما لانه لذة ، او يؤدي الى اللذة . والمضرة كل معنى يكون الحيوان به ألما : اما لانه ألم ، او يؤدي الى الالم .

والهاء في قوله « لمن اشتراه » عائدة الى السحر .

المعنى :

والمعنى لقد علمت اليهود أن من استبدل السحر بدين الله ، ماله في الآخرة من خلاق . وهو قول ابن زيد ، وقتادة . وقال قوم من المفسرين ، كأبي علي ، وغيره . كانوا يعطون عليه الاجرة ، فذلك اشتراؤهم له . والخلاق : النصيب من الخير ، وهو قول مجاهد ، وسفيان . وقال قوم : ماله من جهة . وقال الحسن : ماله من دين . قال امية بن ابي الصلت :

يدعون بالويل فيها لاخلاق لهم   إلا سرابيل من قطر واغلال «٢»

يعني لا نصيب لهم في الآخرة من الخير . ومعنى « شروا به انفسهم » باعوا به

«١» سورة النساء : آية ٧٠ ، ١٠١ .

«٢» ديوانه : ٤٧ . والقطر : النحاس الذائب . في المطبوعة (لا سرابيل) بدل (الا سرابيل) .

انفسهم في قول السدي ، وغيره - فان قيل : كيف قال : « لو كانوا يعلمون » وقد قال قبله « ولقد علموا لمن اشتراه » ؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة :

احدها - إنهم فريقان : فريق علموا . وعاندوا وفريق علموا وضيعوا .

والثاني - انهم فريق واحد إلا انهم ذُمّوا في أحد الكلامين بنفي العلم ، لانه بمنزلة المنتفي : واخبر عن حالهم في الاخرة وتقديره أنهم علموا قدر السّحر ، ولم يعلموا ان هلاكهم بتصديقه : واستعماله ، اولم يعلموا كنه ما اعد الله من العذاب على ذلك وان علموه على وجه الجملة .

[والثالث] وقال قوم : هو مقدّم ومؤخر . وتقديره وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرّهم ولا ينفعهم ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون . ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق وقال بعضهم : هما جميعاً خبر عن فريق واحد ، واراد بقوله : « ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون» اي لو كانوا يعلمون بما علموه فعبر عن المعلوم بالعلم ، كما قال كعب بن زهير المزني يصف ذئباً وغرابا تبعاه ، لينالا من طعامه ، وزاده :

اذا حضراني قلت لو تعلمانه ألم تعلما اني من الزاد مرمل «١»

فاخبر انه قال لهما : لو تعلمانه فنفى عنهما العلم ، ثم استخبرهما ، فقال : الم تعلما ، وكذلك الآية . وقال قوم : إن الذين علموا الشياطين والذين لم يعلموا الناس دون الشياطين ، فان قيل : ما معنى لمن اشتراه ، واين جوابها ان كانت شرطا ؟ قلنا عنه جوابان احدهما - انها بمعنى الجزاء . والآخر بمعنى الذي في قول الزجاج ، وجوابها مكتفى منه جواب القسم . كما قال : « لئن اخرجوا لا يخرجون معهم» «٢» ولذلك وقع قالوا : ولا يجوز الجزم إلا في ضرورة الشعر ، كما قال الشاعر :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقاً اصم في نهار القيظ للشمس باديا

والوجه ، لاصوم منّ . ولا يجوز لاصوم إلا في ضرورة الشعر كما قال :

«١» ديوانه ٥١ وآمالي الشريف المرتضى ١ : ٢٢٤ المرمل الذي نفد زاده ، ومنه الارمل .

«٢» سورة الحشر آية ١٢

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم ليعلم ربي ان بيتي واسع (١)

قالوا وان جزمت الاول ، جاز جزم الثاني ، كقولك : لئن تقم لا نقم إليك.

وقوله : « فيتعلمون » يجوز ان يكون عطفاً على فيأتون فيتعلمون ، وقد دل اول الكلام على يأتون . وقيل : فيعلمون الناس السحر فيتعلمون — وكلاهما ذكره الكسائي والفراء — وانكر الزجاج القول الاخير ، لاجل قوله : « منهما اي من الملكين ، واجاز القول الاول ، واختار قولاً ثالثاً : وهو يعلمان ، فيتعلمون ، والذي انكره يجوز إذا كان « منهما » راجعاً الى السحر والكفر ، ولا يجوز ان يكون « فيتعلمون » جواباً لقوله : « فلا تكفر » فينصب ، لان تقديره لا يكن كفر فتعلم ، كما تقول : لاتدن من الأسد فيأكلك : اي لايكن دنو فأكل . فهذا نهي عن دنو يقع بعده اكل . وانما النهي في الاول عن الكفر بتعلم السحر ، للعمل وليس يصلح للجواب على هـذا المعنى ولا يجوز ان يكون جواباً للنفي في قوله : « وما يعلمان » ، لان لفظه على النفي ، ومعناه الايجاب كانه قيل : يعلمان اذا قالا نحن فتنة فلا تكفر . فان قيل : ما اللام الاولى في قوله : « ولقد علموا » وما الثانية في قوله : « لمن اشتراه » ومثله قوله : « ولئن جئتهم بآية ليقولن » (٢) قيل : الثانية لام القسم بالاجماع قال الزجاج : لانك إنما تحلف على فعلك لا على فعل غيرك — في قولك : والله لئن جئتني لاكرمنك — فأما الاولى فزعم بعض النحويين أنها لما دخلت في اول الكلام اشبهت لام القسم ، فاجيبت بجوابه — قال الزجاج : هـذا خطأ ، لان جواب القسم لا يشبه القسم ، ولكن اللام الاولى دخلت إعلاماً ان الجملة بكاملها معقودة بالقسم ، لان الجزاء — وان كان القسم عليه — ، فقد صار للشرط فيه حظ ، ولذلك دخلت اللام . قال الرماني : هذا الذي ذكره ، لا يبطل شبهها بالقسم ، لانها للتوكيد ، كما انه للتوكيد ، فكأنه قال : والله إن اتيتني لاكرمنك

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٢٠ نسبه الكميت بن معروف . في المخطوطة (ري) بدل (ربي) وفي المطبوعة (رى) .

(٢) سورة الروم : آية ٥٨ .

والظاهر في روايات اصحابنا ان الساحر يجب قتله وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف. وقال ابو علي من قال : انه يقلب الاجسام ، وينشئها . يجب قتله ان لم يتب ، لانه مرتد كافر بالانبياء ، لانه لا يجد بين ما ادعى وبين آياتهم فضلاً (١) واما من قال : إنه يموه ويمخرق (٢) ، فانه يؤدب ، فلا يقتل . واما الروايات التي في ان الملكين اخطأا ، وركبا الفواحش ، فانها اخبار آحاد . من اعتقد عصمة الملائكة ، يقطع على كذبها ومن لم يقطع على ذلك ، جوز ان تكون صحيحة ، ولا يقطع على بطلانها . والذي نقوله ان كان الملكان رسولين فلا يجوز عليهما ذلك ، وان لم يكونا رسولين ، جاز ذلك ـ وان لم نقطع به ـ وقد بينا الكلام عليه فيما مضى . فأما ما روي من أن النبي « ص » سحر ـ وكان يرى انه يفعل مالم يفعله ـ وانه لم يفعله فأخبار آحاد ، لا يلتفت اليها . وحاشى النبي « ص » من كل صفة نقص ، اذ تنفر من قبول قوله ، لانه حجة الله على خلقه ، وصفيه من عباده ، واختاره الله على علم منه . فكيف يجوز ذلك مع ما جنبه الله من الفظاظة والغلظة ، وغير ذلك من الاخلاق في الدنيئة ، والخلق المشينة ، ولا يجوّز ذلك على الانبياء الا من لم يعرف مقدارهم ولا يعرفهم حقيقة معرفتهم . وقد قال الله تعالى : « والله يعصمك من الناس » (٣) وقد اكذب الله من قال : ان يتبعوا إلا رجلاً مسحوراً . فقال : « وقال الظالمون ان يتبعون إلا رجلاً مسحورا » (٤) فنعوذ بالله من الخذلان ، ونحمده على التوفيق لما يرضاه .

و « لكن » مشددة ، ومخففة معناهما واحد . قال الكسائي : والذي أختارته العرب اذا كانت (ولكن) بالواو مشددة ، واذا كانت بلا واو اختاروا التخفيف ـ وكل صواب ـ وقرىء بغير ما اختاروه اتباعاً للاخبار في القراءة .

---

(١) في المطبوعة « بين اباتهم فصلا »

(٢) المخرق ، والموه يطلقان على معنى واحد والمخرقة مأخوذة من مخاريق الصبيان . وهي خرق مفتولة يلعبون بها .

(٣) سورة المائدة . آية ٧٠

(٤) سورة الأسرى . آية ٤٧ والفرقان . آية ٨ .

« وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » (١٠٣) ـ آية بلا خلاف ـ

الاعراب :

الضمير في قوله : « ولو انهم آمنوا » عائد على الذين يتعلمون السحر . **قال** الحسن : تعلموا ان ثواب الله خير لهم من السحر . **وأما جواب لو فللنحويين فيه** قولان . فالبصريون يذهبون الى ان جوابه محذوف ، وتقديره . ولا ثيبوا . **واوقع** لمثوبة من عند الله موقعه لدلالته عليه . وقال بعضهم : **التقدير ولو انهم آمنوا** واتقوا لأثيبوا ، ثم قال : « ولمثوبة من عند الله خير لو كانو يعلمون » **أي لوكانوا** يستعملون ما يعلمون . وليس أنهم كانوا يجهلون ذلك ، كما **يقول الانسان لصاحبه** ـ وهو يعظه : ـ ما أدعوك اليه خير لك او كنت تعقل أو **تنظر في العواقب والفكر** فيها . وقال الفراء : الجواب في « لمثوبة » . ، لأن « لو » **اشبهت لئن ، (١) من حيث** كان كل واحد منهما جزاء ، فلما اشبهتها اجيبت بجوابها ، فالمعنى لئن آمنوا لمثوبة . فعلى القول الاول ، لا يجوز ، لو أتاني زيد لعمرو خير منه . **وعلى الثاني يجوز** . ولو قلت لو اتاني زيد ، لا كرامي خير له ، جاز على الوجهين . **واللام التي في** (لمثوبة) لام الابتداء ، لانها دخلت على الاسم ، كما **دخلت في (علمت لزيد خير** منك) . ولو جاز هاهنا ، لام القسم ، **لنصبت الاسم في علمت** .

المعنى :

فان قيل : ما معنى قول الله تعالى « لمثوبة من عندالله **خير لو كانوا يعلمون »** وهو خير علموا أو لم يعلموا ؟ قيل : لو كانوا يعلمون ، لظهر **لهم بالعلم ذلك ، أي** اعلموا أن ثواب الله خير من السحر . وقال ابو علي : **المعني في ذلك الدلالة على جهلهم** ، والترغيب لهم في ان يعلموا ذلك ، وان يطلبوا **ما هو خير لهم من السحر ـ وهو ثواب**

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة (لكن) وهو تحريف نظيع .

الله الذي ينال بطاعته ، واتباع مرضاته وفيه دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف ، لأنهم لو كانوا عارفين - على ما يقولونه ، لما قال : « لو كانوا يعلمون » .

والمثوبة : الثواب - في قول قتادة والسدي والربيع - والثواب : هو الجزاء على العمل بالاحسان وهو منافع مستحقة يقارنها تعظيم وتبجيل .

اللغة :

والمثوبة والثواب والاجر نظائر . ونقيض المثوبة العقوبة ، يقال ثاب يثوب ثوباً وإثابة ، واثابه اثابة ، وثواباً ، ومثوبة ، واستثابة . وثوب تثويباً . والثواب في الاصل معناه : ما رجع اليك من شيء . تقول اعترت الرجل غشية ، ثم ثابت اليه نفسه ، ولذلك صار حق الثواب الجزاء ، لانه العائد على صاحبه مكافأة مافعل .

ومنه التثويب في الاذان وغيره : وهو ترجيع الصوت ، ولا يقال ، ذلك للصوت مرة واحدة . ويقال ثوّب الداعي اذا كرر دعاءه الى الحرب ، أو غيرها . ويقال انهزم القوم ثم ثابوا ، أي رجعوا . والثوب مشتق من هذا ، لأنه ثاب لباساً بعد أن كان قطناً ، أو غزلاً . والثيّب : التي قد تزوجت بوجه ما كان ، ولا يوصف به الرجل إلا ان تقول ولد الثيبين وولد البكرين . والمثابة : الموضع الذي يثوب اليه الناس . قال الله تعالى : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس » أي مجتمعاً بعد التفرق . وان لم يكن تفرقوا من هناك ، فقد كانوا متفرقين ثم ثابوا اليه . ويقال ثاب الحوض ثئوباً اذا امتلأ أو كاد يمتلىء . وأصل الباب الثوب : الرجوع

القراءة :

قرأ قتادة (لمثوبة) بسكون الثاء وفتح الواو - وهي لغة جازت على الاصل - كما قالوا : مشورة ومشورة - بفتح الواو وسكون الشين ، وضم الشين وسكون الواو - والقراء على خلافه . والعرب مجمعون على إلقاء الالف من قولهم : هذا خير منك ، وشر منك ، إلا بعض بني عامر يقولون : ما اريد خيراً اخير من ذا . وقال بعضهم أيضاً : هذا أشر من ذا - والوجه طرح الالف -

قوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ »(١٠٤) آية بلا خلاف

اللغة :

المراعاة : التفقد للشيء في نفسه ، أو احواله . والمراعاة ، والتحفظ ، والمحافظة ، والمراقبة : نظائر . ونقيض المراعاة الاغفال : يقال رعى يرعى رعياً ، والرعي : ما تأكله الماشية من نبات الارض . ورعى الله فلاناً اذا حفظه . ورعيت له عهده وحقه بعده ، أو في من خلّف . وارعيته سمعي اذا اصغيت اليه . وراعيته نفسي : اذا لاحظته . وجمع الراعي : رعاء ورعاة ورعيان . والرعاية : فعل الراعي ، يرعاها رعاية : اذا ساقها ، وسرّحها ، وأراحها ، فقد رعاها ، وكل من ولي قوماً فهو راعيهم ـ وهم رعيته ـ والمرعي من الناس : المسوس . والراعي : السائس ويقال : فلان يراعي كذا : معناه ينظر الى ما يصير اليه أمره . ورعيت النجوم : أي رقبتها ، واسترعاه الله خلقه ، أي ولاه أمرهم ليرعاهم . والارعاء : الابقاء على اخيك . وتقول اراعيني سمعك أي اسمع يافلان . وكان المسلمون يقولون : يارسول الله راعنا : أي استمع منا ، فحرفت اليهود ، فقالوا : يامحمد راعنا ـ وهم يلحدون الى الرعونة ـ يريدون به النقيصة ، والوقيعة ، فلما عوتبوا قالوا : نقول كما يقول المسلمون ، فنهى الله عن ذلك فقال : « ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا » ورجل ترعية : الذي لم تزل صنعته وصنعة آبائه الرعاية (١) . قال الشاعر :

يسوقها ترعية جاف فُضُل إن رتعت صلى وإلا لم يصل (٢)

واصل الباب : الرعي : الحفاظ .

---

(١) في المطبوعة لم يزل صنعة وصنيعه امامة الرعاية . (٢) اللسان (فضل) وبه رواية اخرى ايضا : يتبعها بدل يسوقها . وفي المخطوطة والمطبوعة هكذا :

يسوسها ترعية حاف فصل فان رعت صلا والا لم يصل

رجل فضل وامرأة فضل : متفضل في ثوب واحد .

المعنى :

وأما الآية فللمفسرين فيها ثلاثة أقوال :

ـ قال ابن عباس ومجاهد : « لا تقولوا راعنا » ، أي لا تقولوا : اسمع منا ونسمع منك .

ـ وقال عطاء : « لاتقولوا راعنا » ، أي لا تقولوا خلافاً . وروي ذلك ايضاً عن مجاهد . وهذا الاوجه له ـ إلا ان يراد (راعنا) بالتنوين . ـ

ـ وقيل : معناه ارقبنا . قال الاعشى :

يرعي الى قول سادات الرجال اذا　　ابدوا له الحزم أو ماشاءه ابتدعا (١)

يعني يصغي . وقال الاعشى ايضاً :

فظللت أرعاها وظل يحوطها　　حتى دنوت اذا الظلام دنا لها(٢)

والسبب الذي لأجله وقع النهي عن هذه الكلمة ، قيل فيه خمسة أقوال :

ـ احدها ـ ما قاله قتادة وعطية : انها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء .

[الثاني] ـ وقال عطاء هي كلمة كانت الانصار تقولها في الجاهلية ، فنهوا عنها في الاسلام .

[الثالث] ـ وقال ابو العالية : ان مشركي العرب كانوا اذا حدّث بعضهم بعضاً ، يقول احدهم لصاحبه ارعنا سمعك فنهوا عن ذلك .

[الرابع] ـ وقال السدي : كان ذلك كلام يهودي بعينه ، يقال له : رفاعة ابن زيد . يريد بذلك الرعونة فنهي المسلمون عن ذلك .

---

(١) ديوانه : ٨٦ . ابتدع : احدث ما شاء .

(٢) ديوانه : ٢٧ . في المخطوطة والمطبوعة (وضللت) بدل (فظللت) و (نحو دنوت) بدل (حتى دنوت)

[الخامس] ـ وقال ابو علي قد بين الله عزوجل ، انها كلمة كانت اليهود تلوي بها السنتهم ـ في قوله : ـ « من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه » . (١) « ويقولون سمعنا وعصينا » (٢) « اسمع غير مسمع وراعنا لياً بالسنتهم وطعناً في الدين » (٣) وهو قول ابن عباس ، وقتادةوقيل : « لا تقولواراعنا » من المراعاة والمكافأة . فامروا أن يخاطبوا النبي (ص) بالتوقير والتعظيم ، اي لا تقولوا : راعنا سمعك ، حتى نفهمك وتفهم عنا . وقال ابو جعفر (ع) هذه الكلمة : سبّ (٤) بالعبرانية ـ اليه كانوا يذهبون ـ قال الحسين بن علي المغربي فبحثتهم عن ذلك فوجدتهم يقولون را ع رن (٥) قال : على معنى الفساد والبلاء ، ويقولون : (انا) بتفخيم النون ، واشمامها بمعنى ، لأن مجموع اللفظين واللفظتين فاسد ، لان فلما عوتبو على ذلك قالوا إنّا نقول: كما يقول المسلمون . فنهي المسلمون عن ذلك . ولما كان معنى (راعنا) يراد به النظر قال : قولوا عوضها انظرنا ، اي انظر الينا . « واسمعوا » : ما يقوله لكم الرسول .

القراءة :

وروي عن الحسن انه كان يقرأ « راعنا » بالتنوين بمعنى لا تقولوا : قولا راعنا يعني من الرعونة ، وهي الحمق ، والجهل وهذا شاذ لا يؤخذ به ، وفي قراءة ابن مسعود « راعنا » خطاب من جماعة لجماعة بمراعاتهم وهذا ايضا شاذ .

المعنى :

ومعنى انظرنا يحتمل امرين : احدها ـ انتظرنا نفهم ونتبين ما تعلمنا . والثاني ـ قال مجاهد : معناه فهمنا ، بين لنا يا محمد يقال منه : نظرت الرجل انظره

---

(١) سورة النساء : آية ٤٥ . والمائدة : ١٤ .
(٢) سورة البقرة : آية ٩٣ .
(٣) سورة النساء : آية ٤٥ .
(٤) في المخطوطة والمطبوعة (سبت) .
(٥) هكذا في المخطوطة والمطبوعة . ولم نجدها في باقي التفاسير .

نظرة ، بمعنى انتظرته وارتقبته . ومنــــه قوله : « انظرونا نقتبس » (١) اي انتظرونا وقيل معناه : اقبل علينا .

وقوله : « واسمعوا » يحتمل امرين :

احدهما - قال الحسن والسدي : إن معناه اسمعوا ما يأتيكم به الرسول .

والثاني - ما قال ابو علي : معناه اقبلوا ما يامركم به الرسول من قوله : سمع الله لمن حمده ، وسمع الله دعاك ، وقبله . وقال علقمة والحسن والضحاك : كل شيء من القرآن : « يا ايها الذين امنوا » فانه نزل بالمدينة .

قوله تعالى :

« ما يَوَدّ الذينَ كَفَروا مِن أهل الكِتابِ ولا المُشركينَ ان يُنزّلَ عَليكُم مِن خَيرٍ مِن رَبّكُم والله يَختَصُّ بِرَحمته من يَشاء والله ذو الفَضلِ العَظيم » (١٠٥) آية واحدة بلا خلاف .

معنى ما يود : ليس يحب . يقال منه : وده يوده ودا ، ووداداً . والمودة المحبة .

« ولا المشركين » في موضع جر بالعطف على اهل الكتاب . وتقديره ، ولا من المشركين .

وقوله : « ان ينزل » في موضع نصب بقوله : « يود » .

وانما ذموا على ذلك - وان كان ذلك ميل الطباع ، - لان ذلك في دلالة على انهم فعلوا كراهية لذلك ، وتعرضوا بذلك لعداوة المؤمنين . وكان الذم عليهم لذلك ، ولو رفع « المشركين » عطفاً على « الذين كفروا » كان جائزا ولكن لم يقرأ بــه احد . ومثله في احتماله الامرين قوله : « يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هواً ولعباً من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء » (٢) . بخفض الراء وفتحها - وقرىء بهما .

(١) سورة الحديد : آية ١٣ .
(٢) سورة المائدة : آية ٦٠

و « من » في قوله : « من خير » زائدة مؤكدة ، كقولك : ما جاءني من احد . وموضعها رفع قال ابو ذؤيب :

جزيتك ضعف الوّد لما استبنته وما ان جزاك الضعف من احد قبلي (١)

واما « من » في قوله : « من ربكم » فلابتداء الغاية . والتي في قوله : « من اهل الكتاب » فللتنويع ، مثل التي في قوله : « فاجتنبوا الرجس من الاوثان » (٢) .

قوله : « يختص برحمته من يشاء » .

المعنى :

روي عن علي (ع) وابي جعفر الباقر (ع) انه أراد النبوة . وبه قال الحسن ، وابو علي والرماني ، والبلخي وغيرهم من المفسرين . وقال « يختص بها من يشاء » من عباده وروي عن ابن عباس انه اراد دين الاسلام . وهذا بعيد ، لانه تعالى وصف ذلك بالانزال ، وذلك لا يليق الا بالنبوة .

اللغة :

والاختصاص بالشيء هو الانفراد به والاخلاص له مثله . وضد الاختصاص الاشتراك . ويقال خصّ خصوصاً ، وتخصص : تخصصاً . وخصصه : تخصيصاً ، وكلّه خاصة من ذلك ، وكلمة عامة وسائط من ذلك . ويقال : خصه بالشيء ، يخصّه خصا : اذا وصله به . وخصان الرجل . من يختصّه من اخوانه . والخصائص : الفرج والخصاصة : الحاجة . والخص شبه كوة تكون في قبة أو نحوها ، اذا كان واسعا قدر الوجه . وقال الراجز :

وان خصاص ليلهنّ استدا ركبن في ظلمائه ما اشتدا (٣)

(١) اللسان (ضعف) قال الاصمعي : معناه اضعفت لك الود ، وكان ينبغي أن يقول : ضعفي الود .
(٢) سورة الحج : آية ٣٠ .
(٣) اللسان (خصص) استد أي استتر بالغيم

شبه القمر بالخصاص. وكل خلل أو خروق تكون في السحاب او النخل، تسمى الخصاصة: والخصائص فرج بين الاثا في (١) وأصل البـــاب: الانفراد بالشيء. فمنه الخصائص: الفرج لانه انفراد كل واحد عن الآخر من غير جمع بينهما. ويقال: اختصصته بالفائدة واختصصت بهـــا انا، كقولك: افردته بهـــا، وانفردت بها.

وتقدير الآية ما يحب الكافرون من اهل الكتاب، ولا المشركين بالله من عبدة الاوثان، ان ينزل عليكم شيئاً من الخير الذي عنده، والخير الذي عنوه الا ينزله الله عليهم ما اوحى الى نبيه، وانزله عليه من الشرائع، والقرآن بغيا منهم، وحسداً.

« والله ذو الفضل العظيم » خير منــــه (تعالى) ان كل خيرنا له عباده في دينهم، ودنياهم، فانه من عنده ابتداء، وتفضلا منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلك عليه.

قوله تعالى:

« مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ او نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا او مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (١٠٦) آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ ابن عامر، الا الداحوني عن هشام « ما ننسخ » بضم النون وكسر السين. الباقون بفتحها. وقرأ ابن كثير وابو عمرو « ننســـاها » بفتح النون، والسين، واثبات الهمزة الساكنة بعد السين. الباقون - بضم النون، وخفض السين بلا همزة.

اللغة:

النسخ والبدل والخلف نظائر. يقال: نسخ نسخاً، وانتسخ انتساخـــاً، واستنسخ استنساخاً، وتناسخوا تناسخاً، وناسخ مناسخة. قال ابن دريد: كل

---

(٦) بين الأثاني أي بين الاصابع.

شيء خلف شيئاً ، فقد انتسخه ، ونسخت الشمس الظل ، وانتسخ الشيب الشباب . وقال صاحب العين : النسخ ان تزيل امراً كان من قبل يعمل به ، ثم تنسخه بحادث غيره . كالآية نزل فيها امر ، ثم يخفف الله عن العباد بنسخها بآية اخرى ، فالآية الاولى منسوخة ، والثانية ناسخة . وتناسخ الورثة أن تموت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم لم يقسم ، وكذلك تناسخ الازمنة من القرون الماضية . واصل الباب : الابدال من الشيء غيره . وقال الرماني : النسخ الرفع ، لشيء قد كان يلزمه العمل به الى بدل ، وذلك كنسخ الشمس بالظل ، لانه يصير بدلا منها ـ في مكانها ـ وهذا ليس بصحيح ، لانه ينتقض بمن تلزمه الصلاة قائما ثم يعجز عن القيام ، فانه يسقط عنه القيام لعجزه . ولا يسمى العجز ناسخاً ، ولا القيام منسوخاً ، وينتقض بمن يستبيح بحكم العقل عند من قال بالاباحة ، فاذا ورد الشرع بحظره ، لا يقال الشرع نسخ حكم العقل ، ولا حكم العقل يوصف بانه منسوخ ، فاذاً الاولى في ذلك ما ذكرناه في اول الكتاب : وهو ان حقيقة كل دليل شرعي دلّ على ان مثل الحكم الثابت بالنص الاول غير ثابت فيما بعد على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الاول مع تراخيه عنه ، واذا ثبت ذلك ، فالنسخ في الشرع : على ثلاثة اقسام . نسخ الحكم دون اللفظ ، ونسخ اللفظ دون الحكم ، ونسخهما معاً .

فالاول ـ كقوله : « يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مأتين » الى قوله : « الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مأة صابرة يغلبون مأتين » (١) ، فكان الفرض الاول وجوب ثبات الواحد للعشرة ، فنسخ بثبوت الواحد للاثنين ، وغير ذلك من الاي المنسوخ حكمها ، وتلاوتها ثابتة ، كآية العدة ، وآية حبس من يأتي بالفاحشة ، وغير ذلك

والثاني ـ كآية الرجم . قيل انها كانت منزلة فرفع لفظها وبقي حكمها .

والثالث ـ هو مجوّز وان لم يقطع بانه كان . وقد روي عن ابي بكر انه كان يقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر (٢)

---

(١) سورة الانفال : آية ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) في المطبوعة زيادة (بكم)

المعنى :

واختلفوا في كيفية النسخ على أربعة اوجه :

ـ قال قوم : يجوز نسخ الحكم والتلاوة من غير افراد واحد منهما عن الآخر .

ـ وقال آخرون : يجوز نسخ الحكم دون التلاوة .

ـ وقال آخرون : يجوز نسخ القرآن من اللوح المحفوظ ، كما ينسخ الكتاب من كتاب قبله .

ـ وقالت فرقة رابعة : يجوز نسخ التلاوة وحدها ، والحكم وحده ، ونسخهما معاً ـ وهو الصحيح ـ

وقد دللنا على ذلك ، واوفدنا سائر الاقسام في العدة في اصول الفقه . وذلك ان سبيل النسخ سبيل سائر ما تعبد الله تعالى به ، وشرعه على حسب ما يعلم من المصلحة فيه فاذا زال الوقت الذي تكون المصلحة مقرونة به . زال بزواله . وذلك مشروط بما في المعلوم من المصلحة به . وهذا القدر كاف في ابطال قول من ابى النسخ ـ جملة ـ واستيفاؤه في الموضع الذي ذكرناه .

وقد انكرقوم جواز نسخ القرآن ، وفيما ذكرناه دليل على بطلان قولهم ، وقد جاءت اخبار متظافرة بانه كانت اشياء في القرآن نسخت تلاوتها ، فمنها ما روي عن ابي موسى : انهم كانوا يقرؤون لو ان لابن آدم واديين من مال لا بتغى اليهما ثالث ، لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . ويتوب الله على من تاب . ثم رفع . وروي عن قتادة قال : حدثنا انس بن مالك أن السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة : ـ قرأنا فيهم كتابا ـ بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا ، فرضي عنا وارضانا ، ثم ان ذلك رفع . ومنها الشيخ والشيخة ـ وهي مشهورة ـ . ومنها ما روي عن ابي بكر انه قال : كنا نقرأ : لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر . ومنها ما حكي : ان سورة الاحزاب كانت تعادل سورة البقرة ـ في الطول ـ وغير ذلك من الاخبار المشهورة بين اهل النقل . والخبر على ضربين :

احدها ـ يتضمن معنى الامر بالمعروف ـ فما هذا حكمه ـ يجوز دخول

النسخ فيه .

والآخر يتضمن الاخبار عن صفة الامر . (١) لا يجوز تغييره في نفسه ، ولا يجوز ان يتغير من حسن الى قبح أو قبح الى حسن ، فان ذلك لا يجوز دخول النسخ فيه . وقد بينا شرح ذلك في العدة . والافعال على ثلاثة اقسام ـ احدها ـ لا يكون إلا حسناً . وثانيها ـ لا يكون إلا قبيحاً . وثالثها ـ يحتمل الحسن والقبح بحسب ما يقع عليه من الوجوه :

فالاول ـ كارادة الافعال الواجبة ، أو المندوبة التي لا يجوز تغيرها ، كشكر المنعم ، ورد الوديعة ، والاحسان الخالص وغير ذلك .

والثاني ـ كارادة القبيح ، وفعل الجهل .

والثالث ـ كسائر الافعال التي تقع على وجه ، فتكون حسنة ، وعلى آخر فتصير قبيحة .

فالاول ، والثاني لا يجوز فيه النسخ . والثالث يجوز فيه النسخ .

ومن قرأ ننسخ ـ بفتح النون ـ فمن نسخت الكتاب . فانا ناسخ ، والكتاب منسوخ . ومن قراء ـ بضم النون ، وكسر السين ـ فانه يحتمل فيه امرين :

احدها ـ قال ابو عبيدة : ماننسخك يامحمد . يقال نسخت الكتاب ، وانسخه غيري .

والاخر ـ نسخته جعلته ذا نسخ . كما قال قوم للحجاج ـ وقد قتل رجلا ـ : أقبرنا فلاناً أي جعله ذا قبر يقال قبرت زيداً :اذا دفنته واقبره الله : جعله ذا قبر كما قال : « ثم اماته فاقبره » (٢)

وقوله « أو ننسأها » فالنسء التأخير ونقيضه التقديم ، يقال انسأت الابل عن الحوض أنسأها نسأ : اذا اخرتها عنه ، وانتسأت عن الشيء ـ :اذا تباعدت عنه ـ انتساء ونسأت الابل في ظمئها فانا أنسؤها نسأ : اذا زدتها في ظمئها يوماً أو يومين ، أو

---

(١) في المطبوعة (صنعة الامر)
(٢) سورة عبس : آية ٢١ .

اكثرمن ذلك . وظمؤها : منعها الماء . ونسأت الماشية تنسأ نسأ : اذا سمنت . وكل سمين ناسيء ، تأويلها ان جلودها نسأت اي تأخرت عن عظامها ، قاله الزجاج ، وقال غيره : انما قيل ذلك لانها تأخرت في المرعى حتى سمنت ، ونسأت المرأة تنسيء نسأ اذا تأخر حيضها عن وقته ، ورجي حملها ، ويقال : انسأت فلاناً البيع (١) ونسأ الله في اجل فلان ، وانسأ الله اجله اذا أخر اجله . والنسيء تأخرالشيء ، ودفعه عن وقته ، ومنه قوله تعالى : « انما النسيء زيادة في الكفر » (٢) وهو ما كانت العرب تؤخر من الشهر الحرام في الجاهلية . ونسأت اللبن أنسؤه نسأ اذا اخذت حليباً وصببت عليه الماء ، واسم ذلك : النسيء ، والنسيء هذا سمي بذلك ، لأنه اذا خالطه الماء أخر بعض اجزاء اللبن عن بعض قال الشاعر :

سقوني النسء ثم تكنفوني   عداة الله من كذب وزور (٣)

ويقال للعصاة المنساة ، لانها ينسأ بها ، أي يؤخر بها ما يساق عن مكانه ، ويدفع بها الانسان عن نفسه ونسأت ناقتي اذا رفعتها في السير واصل الباب التأخير .

المعنى :

وقال الحسن في قوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها » ان نبيكم (ص) أقرىء قرآنا ثم نسيه ، فلم يكن شيئاً ومن القرآن ما قد نسخ وأنتم تقرأونه . وقال ابن عباس « ماننسخ من آية » أي ما نبدل من آية ومن قرأ ننسأها بالهمز فان معناه نؤخرها (٤) من قولك نسأت هذا الامر أنسؤه نساء اذا أخرته وبعته بنسأ أي بتأخير ، وهو قول عطا وابن ابي نجيح ، ومجاهد ، وعطية وعبيد بن عمير . وعلى هذا يحتمل نؤخرها امرين . احدها فلا ننزلها وننزل بدلا منها ما يقوم مقامها في المصلحة ، أو ما يكون اصلح للعباد منها . وهذا ضعيف لانه لا فائدة في تأخير

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة (المنع)

(٢) سورة التوبة : آية ٣٨ .

(٣) قائلة عروة بن الورد العبسي . اللسان (نسأ) في المخطوطة والمطبوعة (النسيء) بدل (النسء) وهما لغتان .

(٤) في المطبوعة (لو أخرها) وهو تحريف من الناسخ .

ما لا يعرفه العباد ، ولا علموه ولا سمعوه .

والثاني ـ نؤخرها الى وقت ثان ، فنأتي بدلا منها في الوقت المقدم ، بما يقوم مقامها . فاما من حمل ذلك ، على معنى يرجع الى النسخ، فليس يحسن لأنه يصير تقديرها ، ما ننسخ من اية او ننسخها . وهذا لا يجوز . ومعنى قوله :

« نأت بخير منها او مثلها ».

المعنى :

قيل فيه قولان :

احدها ـ قال ابن عباس نأت بخير منها لكم في التسهيل والتيسير ، كالامر بالقتال الذي سهل على المسلمين بدلالة قوله : « الان خفف الله عنكم » (١) اومثلها كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد ما كان الى بيت المقدس .

والوجه الثاني بخير منها فى الوقت الثاني ، اي هي لكم خير من الاولى في باب المصلحة،او مثلها فيذلك . وهو قول الحسن وهذا الوجه اقوى ، وتقديره كأن الآية الاولى فى الوقت الثاني في الدعاء الى الطاعة ، والزجر عن المعصية ، مثل الآية الاولى في وقتها . فيكون الاطف بالثانية ، كاللطف بالاولى الا انهفي الوقت الثاني يسهل بها دون الاولى . وقال ابو عبيدة معنى « ننساها » (٢) اي نمضيها فلا ننسخها قال طرفة :

امون كألواح الاران نسأتها   على لاحب كانه ظهر برجد (٣)

يعني امضيتها ومن قرأ « ننسها » بضم النون ، وكسر السين يحتمل امرين :

احدها ـ ان يكون مأخوذا من النسيان إلا انه لا يجوز أن يكون ذلك

---

(١) سورة الانفال : آية ٦٦ .

(٢) في المخطوطة (يستقيم) .

(٣) معلقته المشهورة ، والاساس (أرن) . وفي المخطوطة (وعنس) بدل (أمون) وفي المطبوعة (كالراح) بدل (كالواح) . ومعنى الأمون التي أمنت أن تكون ضعيفة ، والاران : التابوت الذي تحمل فيه الموتى ، واللاحب : الطريق الواضح ، والبرجد : كساء من اكسية العرب .

من النبي (ص) لأنه لا يجوز ذلك من حيث ينفر عنه، ويجوز ذلك على الأمة بان يؤمروا بترك قراءتها، وينسونها على طول الايام. ويجوز ان ينسيهم الله (تعالى) ذلك وان كانوا جما كثيرا، ويكون ذلك معجزا بمعنى الترك من قوله: «نسوا الله فنسيهم» (١) والاول عن قتادة، والثاني عن ابن عباس وقال معناه: نتركها لا نبدلها. وقال الزجاج: ننسها بمعنى نتركها خطأ، انما يقال: نسيت بمعنى تركت، ولا يقال أنسيت بمعنى تركت وانما معنى ننساها نتركها، اي ان نامركم بتركها. قال الرماني: انما فسر المفسرون على ما يؤول اليه المعنى لانه اذا امر بتركها، فقد تركها. فان قيل: اذا كان نسخ الاية رفعها، وتركها فما معنى ذلك إلا ان يترك، ولم جمع بينهما؟ قيل: ليس معنى تركها الا ان يترك، وقد غلط الزجاج في توهمه ذلك، وانما معناه اقرارها، فلا ترفع، كما قال ابن عباس: تركها، ولا نبدلها وانما قال: «الم تعلم ان الله على كل شيء قدير» تنبيهاً على انه يقدر على ايات وسور مثل القرآن ينسخ بها امره لنا فيه بما امرنا، فيقوم في النفع مقام المنسوخ. او اكثر. وقال بعضهم: معنى «او» في الآية الواو، كان قال: ما ننسخ من ايه وننساها نات بخير منها، فعلى هذا زالت الشبهة. فان قيل: اي تعلق بين هذه الآية وبين التي قبلها؟ قلنا: لما قال في الآية الاولى «ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم» دل في هذه الآية على انه جل وعز، لا يخليهم من إنزال خير اليهم، خلاف ما يود اعداؤه لهم: فان قيل: هل يجوز نسخ القرآن بالسنة أم لا؟ قلنا فيه خلاف بين الفقهاء، ذكرناه في اصول الفقه، وبين اصحابنا ايضا فيه خلاف، إلا ان يقوى في النفس جواز ذلك. وقد ذكرنا ادلة الفريقين، والشبه فيها في اصول الفقه - لا يحتمل ذكرها هذا المكان. وانما اخرنا ذلك، لأن تلاوة القرآن، والعمل بما فيه تابع المصلحة، ولا يمتنع ان تتغير المصلحة، تارة في التلاوة فتنسخ، وتارة في الحكم فينسخ، وتارة فيهما فينسخان. وكذلك لا يمتنع ان تكون المصلحة في ان تنسخ، تارة بقرآن، وتارة

---

(١) سورة التوبة: آية ٦٨.

بالسنة المقطوع بها . فذلك موقوف على الادلة .

وقوله : « نأت بخير منها » لا يدل على ان السنة خير من القرآن ، لأن المراد بذلك نأت بخير منها في باب المصلحة . على ان قوله : « نات بخير منها » فمن اين ان ذلك الخبر يكون ناسخاً . فلا متعلق في الآية يمنع من ذلك . والاولى جوازه . على ان هذا وان كان جائزاً ، فعندنا انه لم يقع ، لانه لا شيء من ظواهر القرآن يمكن ان يدعى انه منسوخ بالسنة اجماعاً ، ولا بدليل يوجب العلم . واعيان المسائل فيها خلاف ، نذكرها عندنا فيه ـ اذا مررنا بتاويل ذلك . واما ما روي عن ابن سعيد ابن المسيب من انه كان يقرأ « أوتنسها » بالتاء المعجمة من فوق ، وفتح السين ـ فشاذ ، لا نلتفت اليه ، لانا قد بينا ان النبي « ص » لا يجوز عليه ان ينسى شيئاً من وحي الله . وكذلك ما روي عن ابي رجا العطاردي « ننسها » بضم النون الاولى ، وفتح الاخرى ، وتشديد السين ـ ذكرها شاذة .

وفي الآية دليل على ان القرآن غير الله ، وان الله هو المحدث له ، والقادر عليه ، لأن ما كان بعضه خيراً من بعض ، او شراً من بعض ، فهو غير الله لا محالة . وفيها دليل ان الله قادر عليه ، وما كان داخـــلا تحت القدرة ، فهو فعل ، والفعل لا يكون إلا محدثاً ، ولانه لو كان قديماً لما صح وجود النسخ فيه ، لانه اذا كان الجميع حاصلا فيما لم يزل ، فليس بعضه بان يكون ناسخاً ، والاخر منسوخاً باولى من العكس . فان قيل : لم قال : « ألم تعلم ان الله » او ما كان النبي « ص » عالماً بان الله على كل شيء قدير ؟ قلنا عنه جوابان :

احدها ـ ان معنى قوله : « الم تعلم » اما علمت ؟

والثاني ـ انه خرج ذلك مخرج التقرير ، كما قال : « أأنت قلت للناس » «١».

وفيه جواب ثالث ـ انه خطاب للنبي « ص » والمراد امته ، بدلالة قوله بعد ذلك : « وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير » .

«١» سورة المائدة : آية ١١٩ .

قوله تعالى :

« أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ » (١٠٧) آية .

المعنى :

« الولي » في الآية : هو القيم بالامر . من وليه الشيء . ومنه ولي عهد المسلمين .

ومعنى قوله : « من دون الله » سوى الله . قال امية بن ابي الصلت :

يا نفس مالك دون الله من واقي وماعلى حدثان الدهر من باقي«٢»

وفي قوله : « مالكم من دون الله من ولي ولا نصير » ثلاثة اوجه :

احدها ـ التحذير من سخط الله ، وعقابه اذ لا احد يمنع منه .

والثاني ـ التسكين لنفوسهم : ان الله ناصرهم دون غيره ، اذ لا يعتد بنصر احد مع نصره .

والثالث ـ التفريق بين حالهم ، وحال عبّاد الاوثان . مدحاً وذماً لاؤلئك . وبهذا قال ابو علي الجبائي ، وإنما قال للنبي « ص » « الم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض » وان كان النبي « ص » عالماً بان له الملك كله ، لامرين : احدهما ـ التقرير والتنبيه الذي يؤول الى معنى الايجاب كما قال جرير :

ألستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح؟

وانكر الطبري ان يدخل حرف الاستفهام على حرف الجحد بمعنى الاثبات والبيت الذي انشدناه ، يفسد ما قاله ، وايضاً قوله : « أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى » « ٢ » وقوله : « أليس الله بكاف عبده » « ٣ » وغير ذلك يفسد ما قاله .

«١» ديوانه : ٤٣ في المطبوعة (راق) بدل (واق) .

«٢» سورة الانسان : آية ٤٠ .

«٣» سورة الزمر : آية ٣٦ .

والوجه الثاني ـ انه خطاب للنبي (ص) والمراد به امته كما قال : «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» (١) وقال جميل بن معمر :

ألا ان جيراني العشية رائح — دعتهم دواع من هوى ومنادح(٢)

وانما يحسن ذلك ، لأن غرضه الخبر عن واحد فلذلك قال : رائح وقال أيضاً :

خليلي فيما عشتما هل رأيتما — قتيلا بكى من حب قاتله قبلي(٣)

يريد قاتلته ، فكنى بالمذكر عن المؤنث . قال الكميت :

الى السراج المنير احمد لا — يعدلني رغبة ولا رهب (٤)

عنه الى غيره ولو رفع النـ — ـاس الي العيون وارتقبوا (٥)

وقيل افرطت بل قصدت ولو — عنفني القائلون او ثلبوا (٦)

لجّ بتفضيلك اللسان ولو — اكثر فيك الضجاج واللجب (٧)

انت المصفى المحض المهذب في النـ — ـسبة إن نص قومك النسب (٨)

قالوا : انما خرج كلامه على وجه الخطاب للنبي (ص) ، واراد به أهل بيته بدلالة قوله : ولو اكثر فيك الضجاج واللجب ، لأنه لا أحد يوصف من المسلمين بتعنيف مادح النبي (ص) ولا باكثار الضجاج واللجب في إطناب القول فيه ، وانما قال : « له ملك السموات » ولم يقل ملك ، لانه اراد ملك السلطان والملكة

---

(١) سورة الطلاق : آية ٢ .

(٢) لم نجده في ديوانه ، منادح : البلاد الواسعة البعيدة .

(٣) الأمالي ٢ : ٧٤ والأغاني ١ : ١١٧ و ٧ : ١٤٠ . في المخطوطة والمطبوعة « أو » بدل « هل » .

(٤) الهاشميات ٣٤ والحيوان للجاحظ ١٧٠ ـ ١٧١ .

(٥) « عنه الى غيره » متعلق بقوله « لا يعدلني . . . » في البيت قبله .

(٦) افرطت : جاوزت الحد . قصدت : عدلت بين الافراط والتقصير . الثلب : العيب والذم . في المخطوطة والمطبوعة « العالمون » بدل « القائلون » .

(٧) فيك ـ هنا ـ : بسببك ومن اجلك . الضجاج : مصدر ضاجه ـ بتشديد الجيم ـ يضاجه مضاجة وضجاجا : المشاغبة مع الصياح . واللجب ارتفاع الاصوات واختلاطها طلباً للغلبة .

(٨) هذب الشيء : نقاه من كل ما يعيب . نص الشيء : رفعه وأبانه . يعني أبان فضلهم على غيرهم .

دون الملك . يقال من ذلك : ملك فلان على هذا الشيء يملكه مُلكاً ومَلكا وملكا . والنصير فعيل من قولك : نصرتك انصرك فأنا ناصر ونصير ، وهو المؤيد والمقوي .

قوله تعالى :

« أم تُريدونَ أنْ تسألوا رَسولَكُم كما سُئِل مُوسى مِنْ قَبل ومَنْ يَتَبدَّل الكُفر بالإيمان فقد ضَلَّ سَواء السَّبيل » (١٠٨)

آية بلا خلاف .

سبب النزول :

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية ، فروي عن ابن عباس أنه قال: قال رافع بن خزيمة ، ووهب بن زيد لرسول الله (ص) إئتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه ، وفجِّر لنا انهارا ، نتبعك و نصدقك ، فأنزل الله في ذلك من قولهما « أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل » وقال الحسن عنى بذلك المشركين من العرب لما سألوه فقالوا « أو تأتي بالله والملائكة قبيلا » (١) وقالوا : « او نرى ربنا » (٢) وقال السدي: سألت العرب محمداً (ص) أن يأتيهم بالله فيروه جهرة . وقال مجاهد : سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً . فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل . فأبوا ورجعوا . وقال ابو علي : روي ان النبي (ص) سأله قومه ان يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ، ويعلقون عليها التمر ، وغيره من الماكولات . كما سألوا موسى « اجعل لنا الها كما لهم الهة » (٣) ومعنى « أم » في قوله : « أم تريدون » التوبيخ وإن كان لفظها لفظ الاستفهام كقوله تعالى « كيف تكفرون بالله » (٤) .

(١) سورة الاسراء : آية ٩٢ .
(٢) سورة الفرقان : آية ٢١ .
(٣) سورة الاعراف : آية ١٣٧ .
(٤) سورة سورة البقرة : آية ٣٨ .

اللغة :

وأم على ضربين : متصلة ، ومنفصلة : فالمتصلة عديلة الالف وهي مفرقة لما جمعته اي . كما ان اومفرقة لما جمعته احد تقول : اضرب ايهم شئت أزيدا ام عمراً أم بكراً . والمنفصلة غير المعادلة لألف الاستفهام قبلها لا يكون الا بعد كلام ، لانها بمعنى بل والالف كقول العرب : إنها لابل أم شاة كانه قال : بل شاة هي . ومنه قوله : « الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه» (١) كانه قال : بل يقولون : افتراه . وكذلك « أم تريدون » كانه قيل : بل تريدون وقال الاخطل .

كذبتك عينك ام رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا (٢)

وقال الفراء : إن شئت قلت قبله استفهام فترده عليه . وهو قوله : « ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير » وقال الرماني في هذا بعد أن تكون على المعادلة ولابد ان يقدر له أم تعلمون خلاف ذلك « فتسألون رسولكم كما سئل موسى من قبل » والمعنى (٣) أنهم يتخيرون الايات ويسالون المحالات . كما سئل موسى ، فقالوا : « اجعل لنا إلها كما لهم الهة » وقالوا « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » (٤) وهذا الوجه اختاره البلخي والمغربي وحكي عن بعضهم أن ذلك عطف على قوله : « افتؤمنون ببعض الكتاب » (٥) وقيل ايضاً لما قيل لهم قولوا : « انظرنا واسمعوا » (٦) كان تقدير الكلام فهل تعقلون هذا ام تريدون ان تسألوا رسولكم .

---

(١) سورة الم ـ السجدة آية ٣ .

(٢) ديوانه ٤١ . واسط قرية غربي الفرات وهي من منازل بنى تغلب . الغلس ظلمة اخر الليل اذا اخطلطت بتباشير الصباح . في المطبوعة والمخطوطة « غلس » بدل « غلس »

(٣) في المخطوطة والمطبوعة « والمعنى عنهم بانهم » .

(٤) سورة البقرة : آية ٥٥ .

(٥) سورة البقرة : آية ٨٥ .

(٦) سورة البقرة : آية ١٠٤ .

وقوله : « سواء السبيل » معناه قصد الطريق ـ على قول الحسن ـ وسواء بالمد تكون على ثلاثة اوجه بمعنى قصد وعدل ، وبمعنى وسط . كقوله : « خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم » (١) وقوله : « فاطّلع فرآه في سـواء الجحيم » (٢) اي وسطها قال حسان :

يا ويح انصار النبي ونسله　　بعد المغيب في سواء الملحد (٣)

وتكون بمعنى غير كقولك للرجل اتيت سواك أي غيرك . ومعنى ضل هاهنا الذهاب عن الاستقامة قال الاخطل :

كنت القذى في موج اكدر مزبد　　قذف الأتي به فضل ضلالا (٤)

أي ذهبت يمينا وشمالا والسبيل والطريق والمذهب نظائر ويقال : اسبل اسبالا وسبله تسبيلا . والسبيل يذكر ويؤنث ، والجمع السبل . والسـابلة : المختلفة في الطرقات في حوائجهم ، والجمع السوابل . وسبل سابل كقولهم شعر شاعر . والسبلة ما على الشفة العليا من الشعر بجمع الشاربين وما بينهما والسبل المطر المسبل والمسبولة هي سنبلة الذرة والارز ونحوه اذا مالت ويقال للزرع اذا سنبله : سنبلة ويقـال اسبلت اسبالاً : اذا ارخيته . واسبل الرجل ازاره : اذا ارخاه من الخيـلاء قال الشاعر :

واسبل اليوم من برديك اسبالا

وأصل الباب الاسبال : وهو الحد . والسؤال : هو الطلب ممن يعلم معنى الطلب أمراً من الامور . ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها والتعلق بينهما انه لما دل الله بما تقدم من الآيات على تدبير الله لهم فيما يأتي به من الآيات وما ينسخه فكانه قال :

---

(١) سورة الدخان : آية ٤٧ .　(٢) سورة الصافات : آية ٥٥ .

(٣) ديوانه ٩٨ . وروايته « رهطه » بدل نسله وفي المخطوطة كما اثبتنا وفي المطبوعة « قبله » . والقصيدة يرثي بها رسول الله « ص » المغيب من غيب : وارى . اللحد : القبر .

(٤) ديوانه : ٥٠ القذى : ما يكون فوق الماء من اوساخ . وقوله : (اكدر) : بحر كدر بعد صفاء مزبد : بحرهائج يقذف بالزبد . الأتي السيل . ورواية الديوان : (في لج اكدر) .

ام لا ترضون بذلك فتخيروا الآيات وتسألوا المحالات « كما سئل موسى » لأن الله تعالى انما يأتي بالآيات على ما يعلم فيها من المصلحة، فاذا أتى بآية تقوم بها الحجة فليس لاحد الاعتراض عليها، ولا له اقتراح غيرها. لانه تعنت اذ قد صح البرهان بها.

وقوله: « ومن يتبدل الكفر بالايمان » معناه من يستبدل الكفر يعني الجحود بالله وباياته بالتصديق بالله وباياته وبالاقرار به. وقال بعضهم عبر بالكفر هاهنا عن الشدة وبالايمان عن الرخاء وهذا غير معروف في اللغة ولا العرف الا ان يراد بذلك الثواب والعقاب اللذان يستحقان عليها فيكون له وجه في التنزيل.

قوله تعالى:

« وَدَّ كثيرٌ من أهل الكتابِ لو يردونكم مِن بَعد ايمانكم كفاراً حَسَداً مِن عِندِ انفسهم مِن بعدِ ما تَبين لهُم الحق فاعفوا واصفحوا حَتى يأتي الله بامره ان اللهَ عَلى كُل شيء قَدير » (١٠٩) آية واحدة.

المعنى بقوله: « ود كثير من اهل الكتاب » ـ عن الحسن ـ النصارى واليهود. وقال الزهري، وقتادة: كعب بن الاشرف، وعن ابن عباس حي بن اخطب، وابو ياسر بن اخطب.

وحسداً نصب على أحد أمرين:

أحدها ـ على الجملة التي قبله بدلا من الفعل. كانه قال: حسدوكم حسداً كانه قال: تحسدك حسدا.

والآخر: ان يكون مفعولا. كانه قال: يردونكم لاجل الحسد كما تقول: جئته خوفاً منه. تقول حسدت احسد حسداً، وحسدتك على الشيء، وحسدتك الشيء، بمعنى واحد. قال الشاعر:

فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما (١)

(١) اللسان: «حسد». وروايته « زعيم » بدل « فريق ». قل ابن بري: الشعر لشمر بن ذي الحرث الضبي وربما روي لتأبط شرا. وانكر ابو القاسم الزجاجي رواية من روى «عموا صباحا» واستدل على ذلك بأن هذا البيت من قطعة كلها من روي الميم. قل ابن بري ـــ

ورجل حاسد وحسود ، وحسّاد . والحسد هو الاسف بالخير على من له خير . واشد الحسد التعرض للاغتنام بكون الخير لاحد . وقد يكون الحاسد متمنياً لزوال النعمة عن المحسود وان لم يكن يطمع في تحول تلك النعمة . والصفح هو التجاوز عن الذنب . والصفح ، والعفو ، والتجاوز بمعنى واحد . يقال صفح صفحاً وتصفح تصفحة ، وتصافحوا تصافحاً والصفحة ما كان من ظاهر الشيء يقال لظاهر جلد الانسان : صفحة ، وكذلك هو من كل شيء . ومن هذا صافحته : اي لقيت صفحة كفه صفحة كفي . وفي الحديث التشبيح للرجال والتصفيح للنساء : اي التصفيق . فانما هو لانها تضرب بصفحة كف على صفحة الاخرى . وانشد الاصمعي :

كأن مصفحات في ذراه　　وانواحاً عليهن المآلي (٢)

المآلي جمع مئلاة وهي خرقة تمسكها النائحة تقاص بها دمعتها . والصفاح من السيوف العراض واحدها صفحة وصُفحة . وقال :

ضربناهم حتى اذا ارفضّ جمعهم　　علوناهم بالمرهفات الصفائح

وصفحت عنه قيل فيه قولان :

احدها ـ اني لم آخذه بذنبه . وابديت له مني صفحة جميلة .

[الثاني] وقيل بل لم ير مني ما يقبض صفحته .

وتقول صفحت الورقة : اي تجاوزتها الى غيرها . ومنه تصفحت الكتاب ، وقد تصفح الكتاب ، وقد يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرأ . ويسمى الصفح

ـ قد وهم ابو القاسم في هذا أولم تبلغه هذه الرواية لأن الذي يرويه «واصباحاً» يذكره مع ابيات كلها على روي الحاء وهي للخزرع بن سنان الغساني ومن جملة الابيات :

نزلت بشعب واد الجن لما　　رأيت الليل قد نشر الجناحا

ـ باختصار عن اللسان ـ

(١) اللسان « صفح » وقد نسب البيت الى لبيد • في المطبوعة والمخطوطة « بايديها » بدل « عليهن » المصفحات ـ بكسر الفاء وتشديدها ـ نساء يصفقن بايديهن في مأتم • وروي « مصفحات » ـ بفتح الفاء وتشديدها ـ اريد بها السيوف العريضة •

من المصحف وغيره من الدفاتر من الصفحة . ومنه « فاصفح الصفح الجميل » (١) .
وقوله : « فاعفوا واصفحوا » قال الحارث بن هشام :

وصفحت عنهم والاحبة فيهم   طمعاً لهم بعقاب يوم سرمد

اي لم احاربهم لاقبض صفاحهم ، او اريهم ذلك في نفسي . ويقال نظر اليهم صفحاً بقدر ما ابدي صفحته لم يتجاوز . والصفاح موضع سمي بذلك ، لانه صخور مستوية تبدو صفائحها . وأصل الباب صفحة الشيء وهي ظاهره .

وقوله : « من عند انفسهم » قال الزجاج : متعلق بـ « ودّ كثير »لا بقوله : « حسداً » ، لان حسد الانسان ، لا يكون من غير نفسه . وقد يجوز ان يتصل بقوله : « حسداً » على التوكيد . كما قال تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه » (٢) ويحتمل وجهاً آخراً وهو ان اليهود كما يضيفون الكفر والمعاصي الى الله تعالى ، فقال الله : « من عند انفسهم » تكذيباً لهم انها من عند الله .

وقوله : « من بعد ما تبين لهم الحق » قال قتادة : من بعد ما تبين لهم ان محمداً رسول الله (ص) والاسلام دين الله . وهو قول الربيع والسدي وابن زيد، وروى عن ابن عباس مثله .

وقال بن عباس : ان قوله : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره » منسوخة بقوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (٣) . وقال قتادة نسخت بقوله : « قاتلوا المشركين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » الآية . وبه قال الربيع والسدي .

وروي عن ابي جعفر محمد بن علي : انه قال : لم يؤمر رسول الله (ص) بقتل ، ولا اذن له فيه حتى نزل جبرائيل (ع) بهذه الآية « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا » (٤) وقلده سيفاً .

---

(١) سورة الحجر : آية ٨٥
(٢) سورة الانعام : آية ٣٨
(٣) سورة التوبة : آية ٦ .
(٤) سورة الحج : آية ٣٩ .

وقوله : « حتى يأتي الله بأمره » قال ابو علي : « بامره » لكم يعاقبهم او يعافيهم هو على ذلك ، ثم اتى بامره فقال : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله » (١)

وقوله : « ان الله على كل شيء قدير » قيل فيه ثلاثة اقوال :

قال ابو علي : انه قدير على عقابهم اذ هو « على كل شيء قدير » .

وقال الزجاج : قدير على ان يدعو الى دينه بما احب مما هو الأليق بانجائكم اي فيأمر بالصفح تارة وبالعقاب اخرى على حسب المصلحة .

والثالث - انه لما امر بالامهال ، والتأخير في قوله : « فاعفوا واصفحو » كأن فيه تعلق النفس بالعافية في ذلك ، فقال امهلوهم فانهم لا يعجزون الله ، ولا يفوتونه ، اذ هو « على كل شيء قدير » .

وانما امرهم بالصفح ، والعفو وان كانوا مضطهدين مقهورين مقموعين ، من حيث ان كثيراً من المسلمين كانوا عزيزين في عشائرهم ، وأقوامهم يقدرون على الانتصار والانتقام من الكفار ، فامرهم الله تعالى بان يعفوا وإن قدروا حتى يأتي الله بامره .

قوله تعالى :

« وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَما تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (١١٠) آية واحدة بلا خلاف .

ان قيل ما المقتضي لذكر الصلاة والزكاة هاهنا ؟ قلنا : انه تعالى لما اخبرهم بشدة عداوة اليهود لهم وامرهم بالصفح عنهم قال : « اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » فان في ذلك معونة على الصبر مع ما تجزون بها من الثواب والاجر ، كما قال في موضع آخر : « واستعينوا بالصبر والصلاة » .

وقوله : « وما تقدموا » معنى (ما) الجزاء، وجوابه « تجدوه » . ومثله « ما

(١) سورة التوبة : آية ٣٠ .

يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » والخير المذكور في الآية هو العمل الصالح الذي يرضاه الله . ومعنى « تجدوه » اي تجدوا ثوابه . وكذا قال الربيع كما قال ابن نجا :

وسبحت المدينة لا تلمها (١)

اي سبحت اهل المدينة . وقوله : « ان الله بما تعملون بصير » معناه انه لا يخفى عليه شيء من اعمالكم . جازاكم على الاحسان بما تستحقونه من الثواب ، وعلى الاساءة بما تستحقونه من العقاب ، فاعملوا عمل من يدري انه يجازيه من لا يخفى عليه شيء من عمله ، ففي ذلك دلالة على الوعد ، والوعيد ، والامر والزجر ، وان كان خبرا عن غير ذلك في اللفظ .

قوله تعالى :

« وَقَالوا لَن يَدخُلَ الجَنةَ إلاَّ مَن كانَ هُوداً أو نَصارى تِلكَ أَمانيُّهم قُل هاتوا بُرهانَكم ان كنتُم صادِقين » (١١١) آية بلا خلاف .

المعنى :

قوله : « هوداً » يريد يهودا فحذف الياء المزيدة ووحد كان ، لان لفظة (من) قد تكون للواحد وتكون للجماعة والعرب تقول : من كان صاحباك . ولا يجوز الوقف على قوله : « وقالوا » بل يجب صلته بقوله : « لن يدخل الجنة » الآية . فان قيل كيف جمع بين اليهود والنصارى في الحكاية مع افتراق مقالتهما في المعنى ، وكيف يحكي عنهما ماليس يقول لهما ؟ قلنا : فعل ذلك للايجاز والاختصار وتقديره : قالت اليهود : لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ، فادرج الخبر عنهما للايجاز من غير اخلال اذ شهرة

---

(١) وعجز البيت :

رأت قمراً بسوقهم نهاراً

حالها تغني عن البيان . ومثله في الادراج ، والجمع من غير تفصيل قوله : « قلنا اهبطوا » (١) وانما كانت الصورة إهبط لابليس ، ثم قيل اهبطا لادم وحواء فحكاه على المعنى وتقدير الكلام . وقال بعض اهل الكتاب : لن يدخل الجنة الا من كان هوداً . وقال بعضهم : لن يدخل الجنة الا من كان نصارى : والبعض الثاني غير الاول الا انه لما كان اللفظ واحداً أجمع مع الاول . قال حسان بن ثابت :

فمن يهجو رسول الله منكم　　ويمدحه وينصره سواء (٢)

تقديره ومن يمدحه وينصره . غير انه لما كان اللفظ واحدا أجمع مع الاول ، وصار كانه اخبار به عن جملة واحدة . وانما كان (٣) حقيقة عن بعضين متفرقين . ومثله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » (٤) يعني آدم ، ثم قال « وجعل منها زوجها » (٥) اي من النفس بمعنى الجنس فهو في اللفظ على مخرج الراجع الى النفس الاولى . وفي تحقيق المعنى لغيرها وهذا قول اكثر المفسرين السدي وغيره . وفي معنى (٦) هود ثلاثة اقوال .

احدها ـ انه جمع هائد وهود كحائل وحول وعائد وعود وعائط وعوط وهو جمع المذكر والمؤنث على لفظ الواحد . والهائد : التائب الراجع الى الحق .

والوجه الثاني ـ ان يكون مصدرا يصلح للواحد والجمع . كما يقال : رجل فطر ، وقوم فطر ونسوة فطر ورجل صوم وقوم صوم .

والثالث ـ ان يكون معناه إلا من كان يهوديا الا ان الياء الزائدة حذفت . ورجع الى معنى الاصل من اليهود .

ومعنى « امانيهم » قال المؤرخ : اباطيلهم ـ بلغة قريش ـ وقال قتادة : اماني

« ١ » سورة البقرة : آية ٣٦ .

« ٢ » ديوانه من قصيدة يذم بها أبا سفيان حين علم أن أبا سفيان هجا رسول الله «ص» ومطلعها :

ألا ابلغ أبا سفيان عني　　فأنت مجوف نخب هواء

« ٣ » في المطبوعة « كان » ساقطة .

« ٤ ، ٥ » سورة الاعراف : آية ١٨٨ .

« ٦ » في المطبوعة « معنى » ساقطة .

يتمنونها على الله كاذبة وبه قال الربيع . وقيل ايضا معناه تلك أقاويلهم وتلاوتهم كما قال « لا يعلمون الكتاب الا اماني » (١) اي تلاوة .

ومعنى « هاتوا » احضروا . وهو وإن كان على لفظ الامر المراد به الانكار والتعبير . وتقديره ان آتيتم ببرهان صحت مقالتكم . ولن ياتوا به ، لان كل مذهب باطل فلا برهان عليه .

اللغة :

والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد ، وهو ما أمكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك . وفرق الرماني بين الدلالة والبرهان بأن قال : الدلالة قد تنبيء عن معنى فقط ، لا تشهد بمعنى اخر : وقد تنبيء عن معنى يشهد بمعنى اخر ، والبرهان ليس كذلك ، لانه بيان عن معنى ينبيء عن معنى اخر ، وهذا الذي ذكره لا يسلم له لانه محض الدعوى وبه قال الحسن ، ومجاهد والربيع والسدي .

المعنى :

« هاتوا برهانكم » اي حجتكم . وفي الآية دلالة على فساد التقليد لانه لو جاز التقليد، لما ألزم القوم ان ياتوا فيما قالوه ببرهان . وقد يجوز في العربية امانيهم بالتخفيف على ما ذكره الزجاج . والتثقيل اجود .

قوله تعالى :

« بَلى مَن اَسلَم وَجهه لِلهِ وَهُو مُحسنٌ فله أجرهُ عِند ربه ولا خَوفٌ عَلَيهم وَلا هُم يَحزَنون » (١١٢) ـ آية بلا خلاف . ـ

فان قيل : أليس بلى انما تكون في جواب الاستفهام مثل قوله «الست بربكم قالوا بلى» فكيف دخلت هاهنا؟ قلنا إنما جاز ذلك لأنه يصلح ان يكون تقديره أما

« ١ » سورة البقرة : آية ٧٨ .

يدخل الجنة احد فقيل « بلى من اسلم وجهه لله » لان ما تقدم يقتضي هذا السؤال ، ويصلح ان يكون جواباً للجحد على التكذيب ـ كقولك : ما قام زيد فيقول : بلى قد قام ، ويكون التقدير ها هنا ليس الامر كما قال الزاعمون « لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى » ولـكن « من اسلم وجهه لله وهو محسن » فهو الذي يدخلها وينعم فيها ، أو بلى من اخلص نفسه لطاعة الله .

ومعنى اسلم يحتمل امرين : احدهما ـ اسلم الى كذا بمعنى صرفه اليه كقولك اسلمت الثوب اليه ، والثاني ـ اسلم له بمعنى اخلص له من قولك : قد سـلم الشيء لفلان اذ اخلص له . ومنه قوله : « ورجلا سلماً لرجل » (١) اي خالصاً وقال زيد ابن عمرو بن نفيل :

واسلمت نفسي لمن اسلمت له المزن تحمل عذباً زلالا (٢)

وانما جاز اسلم وجهه لله على معنى اسلم نفسه لله على مجرى كلام العرب في استعمال وجه الشيء ،وهم يريدون نفس الشيء ،إلا انهم ذكروه باللفظ الاشرف الأنبه ودلوا عليه به . كما قال عزوجل : « كل شيء هالك إلا وجهه » (٣) أي إلا هو . وقال : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك » (٤) وقال الاعشى :

أؤول الحكم على وجهه ليس قضائي بالهوى الجائر (٥)

يعني على ما هو من صحته ، وصوابه . وقال ذو الرمة :

فطاوعت همي وانجلى وجه بازل من الأمر لم يترك خلاجاً بزولها (٦)

« ١ » سورة الزمر آية ٢٩ .

« ٢ » سيرة ابن هشام ١ : ٢٤٦ المزن واحدته مزنة : وهو السحاب عامة . وقيل : المزن : السحاب البيضاء .

« ٣ » سورة القصص آية : ٨٨ .

« ٤ » سورة الرحمان : آية ٢٧ .

« ٥ » ديوانه : ١٤٣ . رقم القصيدة ١٨ . اول الحكم الى اهله : رده اليهم . الجائر . المنحرف عن الصواب . في المطبوعة والمخطوطة « وأول » بدل « أؤول » .

« ٦ » ديوانه . ٥٦ من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي طاوعت همي : طاوعت ما هممت به نفسي . وقوله : بازل من الامر هذا مثل . يقال . ـــ

يريد انجلى البازل من الامر . وقال ابن عباس : اسلم وجهه لله : اخلص عمله لله . وقال الربيع : اخلص لله . وقال الحسن : يعني بوجهه : وجهه في الدين . وقيل معناه استسلم لامر الله . ومن الوجه يقال : توجه توجهاً ، وواجه مواجهة ، وتواجهوا تواجهاً . والجهة : النحو . تقول : كذا على وجه كذا ، والوجهة القبلة شبهها في كل وجهة : اي كل وجه استقبلته ، واخذت فيه . وتقول توجهوا اليك ، ووجهوا اليك ، كل يقال : غير ان قولك : توجهوا اليك على معنى ولوا اليك وجوههم . والتوجه الفعل اللازم . والوجاه والتجاه لغتان : وهو ما استقبل شيء شيئاً تقول دار فلان تجاه دار فلان . والمواجهة : استقبالك بكلام او بوجه . واصل الباب الوجه مستقبل كل شيء . ووجه الانسان : محياه . ونقيض الوجه القفاء . ويقال : وجه الكلام ، تشبيهاً بوجه الانسان ، لانه اول ما يبدو منه ، ويعرف به . وقد يقال في الجواب : هذا وجه وذلك خلف ، تشبيهاً ايضاً من جهة الحسن ، لان الغالب في الوجه انه احسن . ويقال : هذا وجه الرأي الذي يبدوا منه ، ويعرف به . والوجه من كل شيء : اول ما يبدو ، فيظهر بظهور ما بعده .

وقوله : « وهو محسن » في موضع نصب ، لانه في موضع الحال وانما قال : « فله اجره » على التوحيد ، ثم قال : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » على الجمع لان (من) لفظها لفظ الواحد ، ومعناها الجمع ، فمرة تحمل على اللفظ : واخرى على المعنى كما قال : « ومنهم من يستمع اليك » (١) وفي موضع اخر « ومنهم من يستمعون اليك » (٢) . وقال الفرزدق :

تعال فان عاهدتني لا تخونني   نكن مثل من ياذئب يصطحبان (٣)

— بزل ناب البعير بزولا اي انشق وظهر . وخطة بزلاء . تفصل بين الحق والباطل . والخلاج : الشك والتردد . والبيت في المطبوعة هكذا .

فطاعت هي وانجلى اوجه نازل   من الامر لم يترك خلاجاً نزولها

وفي المخطوطة قريب من هذا .

« ١ » سورة الانعام : آية ٢٥ وسورة محمد آية ١٦

« ٢ » سورة يونس : آية ٤٢ .   « ٣ » انظر ١ : ٢٨٤

فثنى واللفظ واحد لاجل المعنى . فان قيل اذا كان قد ذكر « فلهم اجرهم عند ربهم » فلم قال : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » قيل عن ذلك جوابان :

احدها ـ الدلالة على انهم على يقين لا على رجاء يخاف معه ألا يكون الموعود به .

والثاني ـ الفرق بين حالهم ، وبين حال اهل العقاب الذي يخافون ويحزنون .

قوله تعالى :

« وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » (١١٣) ـ آية بلا خلاف . ـ

النزول :

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقال ابن عباس : انه لما قدم اهل نجران من النصارى على رسول الله « ص » اتتهم احبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله (ص) فقال رافع بن خويلد : ما انتم على شيء ، وكفر بعيسى وبالانجيل ، فقال رجل من من اهل نجران من النصارى : ما أنتم على شيء وجحد بنبوة موسى ، وكفر بالتوراة فأنزل الله في ذلك الآية الى قوله : « فيما كانوا فيه يختلفون » .

وقال الربيع : هؤلاء اهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله (ص) .

المعنى :

ومعنى الآية احد شيئين :

احدها ـ حل الشبهة بانه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الانكار ، لما لم يؤت على انكاره ، ببرهان فلا ينبغي ان تدخل الشبهة بانكار اهل الكتاب لملة اهل الاسلام

اذ كل فريق من اهل الكتاب قد انكر ما عليه الآخر ، ثم بين أن سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب في الانكار لدين الاسلام من مشركي العرب ، وغيرهم ممن الكتاب له فيهم ، وجحدهم لذلك سواء اذ لا حجة معهم يلزم بها تصديقهم ، لا من جهة سمع ولا عقل .

والوجه الآخر ـ الذم لمن انكر ذلك من اهل الكتاب على جهة العناد ، اذ قد ساوى المعاند منهم للحق الجاهل به في الدفع له ، فلم ينفعه علمه ، بل حصل على مضرة الجهل كما حصل عليه من لا علم له به . فان قيل : اذا كانت اليهود انما قالت : ليست النصارى على شيء في تدينها في التوراة فكيف قال : « كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم » وأهل الحق ايضاً يقولون مثل قولهم ؟ قيل : إن المعنى « كذلك قال الذين لا يعلمون الكتاب » ، اي فقد ساووا في ذلك من لا كتاب له . وكما لا حجة في جحد هؤلاء كذلك لا حجة في جحدهم ، ولم يساووا أهل الحق فيه ، لانهم قالوه عن علم . والمعني بقوله : « كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم » ـ في قول السدي ـ هم العرب الذين قالوا : ليس محمد (ص) على شيء . وقال الربيع : قالت النصارى : مثل قول اليهود قبلهم ، ووجه هذا القول ، اي فقد ساووكم يا معشر اليهود في الانكار « وهم لا يعلمون » . وقال عطاء : هؤلاء الذين لا يعلمون امم كانت قبل اليهود والنصارى ، وقبل التوراة والانجيل .

اللغة :

« والقيامة » مصدر إلا انه صار كالعلم على وقت بعينه ، وهو الوقت الذي يبعث الله عزوجل فيه الخلق ، فيقومون من قبورهم الى محشرهم . تقول : قام يقوم قياماً وقيامة : مثل عاد يعود عياداً وعيادة ، وصانه صيانة ، وعاده عيادة .

المعنى :

وقوله : « فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » يحتمل امرين : (١)

« ١ » أثبت ثلاثة أمور .

احدها - قال الحسن حكمه فيهم ان يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار . وقال ابوعلي: حكمه الانصاف من الظالم المكذب بغير حجة ولا برهان للمظلوم المكذب . وقال الزجاج : حكمه ان يريهم من يدخل الجنة عيانا . وهذا هو حكم الفصل في الآخرة فاما حكم العقل في الدنيا فالحجة التي دل الله بها على الحق من الباطل في الديانة .

قوله تعالى :

وَمَن أظلمُ مِمَّن مَنَعَ مَساجِدَ اللهِ أن يُذكَرَ فيها اسمُهُ وَسَعى في خَرابِها أولئكَ ما كانَ لَهُم أنْ يَدخُلوها إلا خائفينَ (١١٤) - آية واحدة . -

المعنى :

اختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية ، فقال ابن عباس ، ومجاهد ، واختاره الفراء انهم الروم ، لانهم كانوا غزوا بيت المقدس ، وسعوا في خرابه حتى كانت أيام عمر ، فاظهر الله عليهم المسلمين ، وصاروا لا يدخلونه إلا خائفين : وقال الحسن وقتادة والسدي : هو بخت نصر خرب بيت المقدس . قال قتادة : واعانه عليه النصارى . وقال قوم : عنى به سائر المشركين ، لانهم يريدون صد المسلمين عن المساجد ، ويحبونه . وقال ابن زيد ، والبلخي ، والجبائي والرماني : المراد به مشركي العرب . وضعف هذا الوجه الطبري من بين المفسرين بان قال : إن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام . وهذا ليس بشيء ، لان عمارة المساجد بالصلاة فيها وخرابها بالمنع من الصلاة فيها . وقد روي انهم هدموا مساجد كان أصحاب النبي يصلون فيها بمكة ، لما هاجر النبي واصحابه . وقال : وهو ايضاً لا يتعلق بما قبله من ذم أهل الكتاب كما يتعلق اذا عنى به النصارى ، وبيت المقدس . فيصير الكلام منقطعاً ، فيقال له : قد جرى ذكر لغير أهل الكتاب من المشركين في قوله : « كذلك قال الذين لا يعلمون » وهذا أقرب من اليهود والنصارى ، ولان ذلك كله ذم : فرقة

يوجه الى اليهود ، ومرة الى النصارى ، ومرة الى عباد الاوثان وغيرهم من أهل الشرك . فان قيل : كيف قال : « مساجد الله » بالجمع وهو أراد المسجد الحرام ، أو بيت المقدس ؟ قيل عنه جوابان :

احدهما ـ ان كل موضع منه مسجد ، كما يقال لكل موضع من المجلس العظيم مجلس . فيكون اسماً يصلح ان يقع على جملته ، وعلى كل موضع سجود فيه .

[والثاني] ـ وقال الجبائي لانه يدخل فيه المساجد التي بناها المسلمون للصلاة بالمدينة .

وقوله : « ممن منع »

اللغة :

والمنع ، والصد والحيلولة نظائر . وضد المنع الاطلاق . يقال : منع منعاً . وامتنع امتناعا . وتمنع تمنعاً . وتمانع تمانعاً . ومانعه ممانعة . وقال صاحب العين : المنع : ان يحول بين الرجل وبين الشيء يريده . وتقول : منعته فامتنع . ورجل منيع لا يخلص اليه وهو في عز ومنعة يخفف ويثقل . وامرأة منيعة ممتنعة لا تؤاتى على فاحشة وقد تمنعت مناعة . وكذلك الحصن وغيره تقول : منع مناعا : اذا لم يرم ومناع ، أي امنع قال الشاعر :

مناعها من ابل مناعها ألا ترى الموت لدى اوباعها (١)

المعنى :

ومساجد الله قد بينا ان منهم من [قال] أراد المسجد الاقصى ، ومنهم من [قال] أراد المسجد الحرام ، ومنهم من قال : أراد جميع المساجد .

وروي عن زيد بن علي عن أبيه عليهما السلام انه أراد جميع الارض ، لقوله

---

(١) لم نجد هذا البيت في مصادرنا ووجدنا بيتاً يشبهه في شواهد سيبويه ١ : ١٢٣ ولم ينسبه وهو :

تراكها من ابل تراكها أما ترى الموت لدى أوراكها

وهذا ايضا موجود في الكامل المبرد : ٤١٣ .

عليه السلام : جعلت لي الارض مسجداً وترابها طهوراً .

وقوله : « وسعى في خرابها »

اللغة :

والسعي والعدو والركض نظائر . وضد السعي الوقف . تقول : سعى (١) سعياً ، واستسعى استسعاء وتساعوا تساعياً . قال صاحب العين : السعي : عدو دون الشديد . وكل عمل من خير أو شر ، فهو السعي يقال : فلان يسعى على عياله أي يكسب لهم يقولون : ان السعي التكسب والعمل . قال الشاعر :

سعى عقالا فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين (٢)

عقال صدقة عام . والساعية ان تسعى بصاحبك الى وال من فوقه . والسعاية ما يستسعى به العبد من ثمن رقبته اذا اعتق بعضه ، وهو ان يكلف من العمل مايؤدي عن نفسه ما بقي ويقال سعى للسلطان اذا ولي الصدقة وساعي الرجل الامـة : اذا فجر بها . ولا تكون المساعاة إلا في الاماء . واصل الباب : السعي : العدو .

وقوله : « في خرابها » فالخرب ، والهدم ، والنقض نظائر ونقيض الخراب العمارة . يقال : خرب خرابا واخربه إخرابا . وتخرب تخربا وخربه تخريباً . والخرب الذكر من الحبارى ، والجمع الخربان . قال الشاعر :

ما رأينا خربا ينفر عنه البيض صقر لايكون المهر جحشاً لايكون الجحش مهر

والخربة : سعة خرق الاذن . قال ذو الرمة :

كأنه حبشي يبتغي أثراً أو من معاشر في آذانها الخرب (٣)

---

(١) في المطبوعة سعى ساقطة .

(٢) انظر ا : ٣٠٠ تمت ايضاح واف .

(٣) اللسان (خرب) يصف نعاما شبهه برجل حبشي ، لسواده . وقوله (يبتغي اثراً) لانه مدلى الرأس وفي آذانها الخرب : يعني السند . وقيل الخربة سعة خرق الاذن في المطبوعة (اشراً) بدل (أثراً) و (حبثي) بدل (حبشي) .

والخربة : عروة المزادة وكذلك كل بيت مستدير والخارب: اللص . وما رأينا من فلان خربة أي فساداً في دينه أو شيناً . والخارب من شدائد الدهر . قال الشاعر :

ان بها اكتل أو رزاما　　خويربين ينقفان الهاما (١)

والرزام : الهزال . والخروبة شجرة الينبوت . والخرابة : سرقة الابل قال الاصمعي لا يكادون يسمون الخارب إلا سارق الابل وأصل الباب : الخراب ضد العمران .

وقوله : « ومن اظلم » رفع لانه خبر الابتداء وتقديره أي أحد اظلم .

وقوله : « ان يذكر » يحتمل وجوهاً من النصب . قال الاخفش : يجوز ان يكون على حذف (من) ، وتقديره من ان يذكر ، ويجوز أن يكون على البدل من « مساجد الله » ، وقال الزجاج : يجوز على معنى كراهية أن يذكر . وعلى الوجوه كلها العامل فيه (منع)

المعنى :

ومعنى قوله : « اولئك ما كان لهم ان يدخلوها إلا خائفين » فيها خلاف . قال قتادة : هم اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا انهك (٢) ضربا ، وابلغ اليه في العقوبة . وبه قال السدي . وقال ابن زيد : نادى رسول الله (ص) ألا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان وقال الجبائي بين الله انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ، ولا دخول المساجد فان دخل منهم داخل الى بعض المساجد ، كان على المسلمين اخراجه منه إلا ان يدخل الى بعض الحكام

---

(١) اللسان (خرب) الاكتل والكتال : هما شدة العيش . والرزام الهزال . قال ابو منصور : اكتل ورزام ـ بكسر الراء ـ رجلان خاربان أي لصان . وقوله : خوربان أى هما خاربان وصغرهما وهما اكتل ورزام ، ونصب خويربين على الذم . والجمع خراب . في المطبوعة والمخطوطة (خربيان) بدل (خويربين) و (ننفقان) بدل (ينقفان)

« ٢ » في المطبوعة « الا ازهك » بدل « الا انهك »

بخصومة بينه وبين غيره الى بعض القضاة، فيكون دخوله خائفـــا من الاخراج على وجة الطرد بعد انفصال خصومته، ولا يقعد مطمئنا كما كان يقعد المسلم. وهو الذي يليق بمذهبنا، ويمكن الاستدلال به على ان الكفار لايجوز أن يمكنوا من دخول المساجد على كل حال. فأما المسجد الحرام خاصة، فان المشركين يمنعون من دخوله، ولا يتركون ليدخلوه لحكومة، ولا غيرها، لأن الله تعالى قد امر بمنعهم من دخوله بقوله: « ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر » (١) يعني المسجد الحرام. وقال الزجاج: أعلم الله ان أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف الى مساجدهم إلا خائفاً. وهو كقوله: « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (٢) كأنه قيل: أولئك ما كان لهم ان يدخلوها إلا خائفين، لاعزاز الله الدين واظهاره المسلمين.

قوله تعالى:

لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٥)

ـ آية. ـ

المعنى:

قال قتادة: معناه انهم « يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ». وقال السدي: خزيهم في الدنيا انهم اذا قام المهدي، وفتحت قسطنطينية قتلهم، فلذلك خزيهم في الدنيا ان يقتلوا ان كانوا حرباً، ويؤدون الجزية ان كانوا ذمة. وقال الجبائي: الخزي لهؤلاء الكفار الذين امرنا بمنعهم من دخول المساجد على سبيل ما يدخلها المؤمنون. وقوله: « ولهم في الآخرة عذاب عظيم » قال الفراء: يقول فيما وعد الله المسلمين من فتح الروم وان لم يكن بعد ـ والناس على خلافه، في ان معنى الآخرة

---

(١) سورة التوبة: آية ١٩.

(٢) سورة التوبة: آية ٣٤.

يوم القيامة . كأنه قيل : لهم في الآخرة عذاب جهنم .

قوله تعالى :

وَلِلهِ المَشرِقُ والمَغرِبُ فَأَينَما تُوَلوا فَثَمَّ وَجهُ اللهِ إنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٦) آية بلا خلاف .

اللغة :

المشرق والشرق : اسمان لمطلع الشمس ، والمغرب ، والغرب : اسمان لغربها . يقال : شرق شروقا ، واشرق إشراقا ، وتشرق تشريقاً . والمشرقان والمغربان : مشرقا الشتاء والصيف ، ومغرباهما . والمشارق مطالع الشمس في كل يوم حتى تعود الى المشرق الاول في الحول . وشرقت الشمس : اذا طلت ، واشرقت : اذا اضاءت . وتقول : لا افعل ذلك ماذر شارق : أي ما طلع قرن الشمس . وشرق يشرق شرقاً : اذا اغتص . وقال عدي بن زيد :

لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري(١)

والمشرقة (٢) حيث يقعد المشرق في وجه الشمس . قال الشاعر :

تحبين الطلاق وأنت عندي ... بعيش مثل مشرقة الشتاء (٣)

وشرق الثوب بالصبغ : اذا احمر واشتدت حمرته ، ولطمه فشرق الدم في عينه : اذا احمرت . وتقول : اشرورقت عينه ، واغرورقت . وناقة شرقاء : اذا شقت أذنها (٤) بنصفين طولا ، وكذلك الشاة . وأيام التشريق أيام مشرق اللحم في الظل .

---

(١) اللسان شرق و (غصر) الشرق بالماء والريق : كالغصص بالطعام . الاعتصار : ان يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء : وهو أن يشربه قليلا قليلا .

(٢) المشرقة فيها اربع لغات ـ بضم الراء ، وفتحها ـ وشرقة ـ بتسكين الراء ـ ومشراق .

(٣) لم نجد هذا البيت في مصادرنا ولم نعرف قائله . وفي اللسان (شرق) بيت يشبهه وهو :

تريدين الفراق وأنت مني ... بعيش مثل مشرقة الشمال

(٤) في المطبوعة (وفاته شرقاً اذا شقتا نها)

وقال صاحب العين : كانوا يشرقون اللحم تلك الايام في الشمس . وقوله : ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴾ (١) أي حيث طلعت عليهم الشمس . والشرق طائر من الطيور الصوائد . مثل الصقر ، والشاهين وقال الشاعر :

قد اغتدى والصبح ذو بريق   بملحَم احمر سو ذنيق
أجدل أو شرق من الشروق (٢)

وكل شيء طلع من الشمس يقال : شرق يشرق . وفي الحديث : لا تشريق إلا في مصر ، ومسجد جامع ، أي لا صلاة عيد ، لانها وقت طلوع الشمس . واصل الباب الطلوع . والمغرب والمغيب نظائر . تقول : غرب يغرب غروبا ، واغترب اغترابا واستغرب استغرابا ، وغرّب تغريباً . وسمي الغراب غراباً لبعده ونفوره (٣) وانه أشد الطيور خوفا وأصل الباب الحد والتباعد حتى بلغ النهاية . ومن هذا مغرب الشمس . والرجل الغريب المتباعد . وشطت غربة النوى أي بعد المتنائي : وهو أبعد البعد . وغرب السيف والسهم : حدّه سمي بذلك ، لانه يمضي فلا يرد ، فهو مأخوذ من الابعاد . ويقال لموضع الرداء : غارب . وقولهم للدابة : مغرب : اذا ابيضت حدقته ، واهدابه . شبيه بابيضاض الشمس عند الغروب . وقولك للرجل : أغرُب معناه أبعد . وثوبي غربي : اذا لم تستحكم حمرته . مأخوذ من الدابة الغرب . وتقول : اصابه حجر غرب : اذا أتاه من حيث لا يدري . وأتاه حجر غرب : اذا رمى غيره فاصابه . ويقال : إقطع غرب لسان فلان عني : أي اقطع حدة لسانه . وناقة ذات غرب ، أي حدة الغرب . والغرب : الدمع الحار الفاسد . وقال الكميت :

أبى غرب عينيك إلا انهلالا

« ١ » سورة الحجر آية ٧٣ .

« ٢ » اللسان « شرق » ولم ينسبها الملحم - بفتح الحاء - من يطعم اللحم - بفتح العين - السوذق ، والسوذنيق والسوذانق ، وربما قالوا : ذيذونق : الشاهين ، وهو طائر كالصقر وجيم مادة « سوذق » فارسية معربة . وفي المخطوطة والمطبوعة هكذا :

قد اغتدى والصبح ذو نبيق   لسلحم اكلب شوذنيق

« ٣ » في المطبوعة « عن أباً لبعده ونقول »

وجمعه غروب . والغرب : دلو ضخم يتخذ من جلد تام . والغرب : ما قطر من الماء من الدلاء من الحوض ، والبئر ويقال : اغرب الحوض : اذا سال من جوانبه وفاض والغرب : جنس من الشجر خارج عن حد ما يحمل بحمل ، أو طيب ريح ، أو صلابة . وغاية مغربة : أي بعيدة . والغرب : الفضة . وقيل : انه جام من فضة . وقيل : انه الذهب . قال الشاعر :

كما دعدع ساقي الاعاجم الغربا (١)

والغارب : اعلى الموج والغارب : مابين يدي السنام. وعنقاء مغرب : موضوع على طائر لا يعرف حده والغربيب : الاسود الشديد السواد . وأصل الباب : الغرب: الحد . واللام في قوله : « ولله المشرق » لام الملك وأصلها لام الاضافة وهي على ثمانية اوجه : الملك ، والفعل ، والعلة ، والولادة ، والاختصاص ، والاستغاثة ، ولام كي . وهي لام الغرض (٢) ولام العاقبة . (٣) فلام الملك كقولك: له مال ، والفعل: له كلام ، والعلة : (٤) هو اسود لما فيه السواد ، ولام الولادة : (٥) أب له ولد له أخ ، والاختصاص : له علم ، وله ارادة (٦) والاستغاثة يالبكر ، ولام كي : «وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون» ، (٧) ولام العاقبة : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا » فهذه وجوه لام الاضافة . وانما قيل : « ولله المشرق والمغرب » بالتوحيد وله جميع المشارق والمغارب لاحد امرين :

(١) اللسان (غرب) . قائله الاعشى . و (كما) زائدة من الصدر والبيت :
فدعدع عاسرة الركاء كما دعدع ساقي الاعاجم الغربا
والغرب : جام الفضة . قال ابن بري هذا البيت للبيد وليس للاعشى كما زعم الجوهري
(٢) في المطبوعة (كلام الغرض) .
(٣) في المطبوعة « الغاية »
(٤) في المطبوعة (بعله) .
(٥) في المطبوعة « له » ساقطة
(٦) في المطبوعة « وله ارادة في ارادة »
(٧) سورة الانعام : آية ١٢٣ .

احدهما ـ انه اخرج ذلك مخرج الجنس ، فدلّ على الجمع ، كما قيل اهلك الناس الدينار والدرهم .

والآخر ـ انه على الحذف . كأنه قيل المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم ، والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم . وانما خص الله تعالى ذكر ذلك ها هنا لاحد امور :

احدها ـ قال ابن عباس : واختاره الجبائي انه رد على اليهود لما انكروا تحويل القبلة الى الكعبة ، وقال : ليس هو في جهة دون جهة ، كما تقول المشبهة .

والثاني : قال ابن زيد وقتادة ، كان للمسين التوجه بوجوههم الى الصلاة حيث شاؤوا ثم نسخ ذلك بقوله : « فول وجهك شطر المسجد الحرام » (١) وانما كان النبي (ص) اولا اختار التوجه الى بيت المقدس ، وقد كان له التوجه الى حيث شاء .

وقال آخرون : كان ابن عمر يصلي حيث توجهت به راحلته في السفر تطوعا ، وذكر أن رسول الله (ص) كان يفعل ذلك ويتاول عليه الآية .

وقيل : نزلت في قوم صلوا في ظلمة وقد خفيت عليهم جهة القبلة ، فلما اصبحوا اذا هم صلوا الى غير القبلة ، فأنزل الله هذه الآية . وهذا قول عبد الله بن عامر عن ابيه . والنخعي والاول اقوى الوجوه .

وقوله : « فثم وجه الله » المراد بالوجه ، فيه اختلاف . قال الحسن ، ومجاهد : المراد به ، فثم جهة القبلة ، وهي الكعبة ، لانه يمكن التوجه اليها من كل مكان . قال ابن بيض :

أي الوجوه انتجعت قلت لها   لاي وجه إلا الى الحكم
متى يقل صاحبا رادفه   هذا ابن بيض بالباب يبتسم

وقيل : معناه فثم وجه الله ، فادعوه كيف توجهتم . وقال آخرون ، واختاره

« ١ » سورة البقرة : آية ١٥٠ .

الرماني والجبائي : فثم رضوان الله . كما يقال : هذا وجه العمل ، وهذا وجه الصواب وكانه قال : الوجه الذي يؤدي الى رضوان الله . وتقدير الآية واتصالها بما قبلها ، كأنه قال : لا يمنعكم تخريب من خرب المساجدان تذكروه حيث كنتم من أي وجه ، وله المشرق والمغرب ، والجهات كلها .

المعنى :

وقوله : « والله واسع عليم » قال قوم : معناه غني ، فكانه قيل : واسع المقدور . وقال الزجاج : يدل على التوسعة للناس فيما رخص لهم في الشريعة ، وكانه قيل : واسع الرحمة ، وكذلك رخص في الشريعة . ومعنى القول الاول انه غني عن طاعتكم ، وانما يريدها لمنفعتكم . وقال الجبائي : معناه واسع الرحمة .

اللغة :

والسعة والفسحة والمباعدة نظائر . وضد السعة الضيق يقال : وسع يسع سعة ، وأوسع إيساعا ، وتوسع توسعاً ، واتسع اتساعا ، ووسع توسعة ، والوسع : جدة الرجل وقدرة ذات يده ، فرحمة الله وسعت كل شيء وانه ليسعني ما وسعك . وتقول: وسعت الوعاء فاتسع فعل لازم . وكذلك اتوسع . وسع الفرس سعة ووساعة ، فهو وساع . وأوسع الرجل : اذا كان ذا سعة في المال ، فهو موسع ، وموسع عليه . وتقول سير وسيع ووساع . وفي القرآن « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » (١) أي طاقتها واصل الباب : السعة نقيض الضيق .

المعنى :

ومعنى عليم انه عالم بوجه الحكمة ، فبادروا الى ما أمركم به من الطاعة . وقيل واسع الرحمة عليم ابن يضعها على وجوه الحكمة . ومعنى (ثم) هناك تقول لما قرب من المكان : هنا ، وما تراخى : ثم وهناك .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٦ .

الاعراب :

وانما بني ، لان فيـــه معنى الاشارة الى المكان لابهامها ؛ وبني على الحركة لالتقاء الساكنين ، وفتح لخفة الفتحة في المضاعف .

وقوله : « فاينما تولوا » جزم باينما . والجواب فثم وجه الله . « وثم » موضعه النصب لكنه بني على الفتح وقوله: «اينما» تكتب موصولة في اربعة مواضع ليس في القرآن غيرها . هذه واحـــدة ، وفي النحل « اينما يوجهه» (١) وفي الاحزاب « ملعونين اينما ثقفوا » « ٢ » وفي الشعراء « اينما كنتم تعبدون » « ٣ » ومن الناس من يجعل معها التي في النساء « اينما تكونوا يدرككم الموت » (٤) وكلها على القياس إلا التي في الشعراء ، فان قياسها ان تكتب مفصولة ، لان (ما) اسم موصول بما بعده بمعنى الذي .

قوله تعالى :

« وَقَالوا اتخذَ اللهُ وَلَداً سُبحانَهُ بَلْ لَهُ مَافي السماوَاتِ والارض كلٌّ لهُ قَانِتونَ » (١١٧) آية واحدة بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابن عامر وحده : « قالوا » بلا واو .

المعنى :

والمعني بهذه الآية النصارى وقال قوم : النصارى ، ومشركوا العرب معاً ، من حيث قالوا : الملائكة بنات الله ، وقالت النصارى : المسيح بن الله ـ هذا قول الزجاج . ـ وفي هذه الآية دلالة على انه لا يجوز الولد على وجه من الوجوه ،

« ١ » آية ٧٦ .
« ٢ » آية ٦١ .
« ٣ » آية ٩٢ .
« ٤ » آية ٧٧ .

لأنه اذا كان جميع مافي السماوات والارض ملكا له ، فالمسيح عبد مربوب ، وكذلك الملائكة المقربون ، لان الولد لا يكون إلا من جنس الوالد ، ولا يكون المفعول إلا من جنس الفاعل ، وكل جسم فعل لله فلا مثل له ولا نظير على وجه من الوجوه (تعالى الله) عن صفات (١) المخلوقين .

وقوله : « وكل له قانتون » . الاصل في القنوت الدوام . وينقسم اربعة اقسام :

الطاعة ، كقوله : « كل له قانتون » أي مطيعون والقنوت الصلاة كقوله : « يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي » (٢) . والقنوت : طول القيام . وروي عن جابر بن عبد الله قال : سئل النبي (ص) أي الصلاة أفضل فقال : طول القنوت. ويكون القنوت السكوت ، كما قال زيد بن ارقم : كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت « وقوموا لله قانتين » (٣) فامسكنا عن الكلام . وقيل في « قانتون » هاهنا ثلاثة أقوال :

[الاول] قال مجاهد : معناه مطيعون ، وطاعة الكافر في سجود ظله . وقال ابن عباس : مطيعون .

الثاني ـ قال السدي : كل له مطيعون يوم القيامة . وقال الربيع : كل له قائم يوم القيامة .

الثالث ـ قال الحسن : كل قائم له بالشهاده عبدة . وقالت فرقة رابعة ـ وهو الاقوى ـ : كل دائم على حالة واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنيعة ، والدلالة على الربوبية . وزعم الفراء : انها خاصة لاهل الطاعة ، بدلالة انا نجد كثيراً من الخلق غير طائعين . وعلى ما اخترناه لا يحتاج الى التخصيص .

« ١ » في المطبوعة « طبقات . »

« ٢ » سورة آل عمران : آية ٤٣ .

« ٣ » سورة البقرة : آية ٢٣٨ .

اللغة :

وأما القنوت في اللغة فقد يكون بمعنى الطاعة . تقول : قنت يقنت قنوتاً ، فهو قانت : اذا اطاع . وقال صاحب العين : القنوت في الصلاة دعاء (١) بعد القراءة في آخر الوتر ، يدعو قائما ومنه قوله : « امن هو قانت أناء الليل ساجداً أو قائما » (٢) . والقنوت ، والدعاء : قيام في هذا الوضع . وقيل في قوله : « وقوموا لله قانتين » (٣) أي خاشعين . وقال ابن دريد : القنوت : الطاعة . وقال ابو عبيدة : القانتات : الطائعات ، والقنوت في الصلاة : طول القيام – على ما قاله المفسرون – في قوله : « وقوموا لله قانتين » . واصل الباب : المداومة على الشيء .

قوله تعالى :

بَديعُ السَّماواتِ والأَرْضِ وإذا قَضى أَمْراً فإنما يَقولُ لَهُ كُنْ فَيكُونُ (١١٨) – آية بلا خلاف . –

القراءة :

قرأ ابن عامر « فيكون » نصباً . الباقون بالرفع .

اللغة :

بديع بمعنى مبدع . مثل أليم بمعنى مؤلم ، وسميع بمعنى مسمع . وبينها فرق لأن في بديع مبالغة ليس في مبدع ، ويستحق الوصف في غير حال الفعل على الحقيقة . بمعنى ان من شأنه الانشاء لانه قادر عليه ، ففيه معنى مبدع . وقال

---

(١) في المطبوعة « دعة » .
(٢) سورة الزمر : آية ٩ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٣٨ .

السدي : تقول ابتدعها ، فخلقها ولم يخلق قبلها شيئاً (١) تتمثل به . والابداع ، والاختراع ، والانشاء نظائر وضد الابتداع الاحتذاء على مثال . يقال : أبدع إبداعا ، وابتدع ابتداعا ، وبدع تبديعاً . وقال ابن دريد : بدعت الشيء : اذا انشأته : والله « بديع السماوات والارض » أي منشئها . وبدعت الركي ، (٢) اذا استنبطتها ، وركي بديع : أي جديد الحفر . ولست ببدع في كذا . أي لست بأول من أصابه هذا . ومنه قوله : « ما كنت بدعاً من الرسل » (٣) . وكل من احدث شيئا ، فقد ابدعه . والاسم : البدعة وأبدع بالرجل : اذا كلت راحلته ، وانقطع به . وقوله : « ما كنت بدعاً من الرسل » أي ما كنت بأول مرسل . والبدعة : ما ابتدع من الدين ، وغيره ، وجمعها بدع . وفي الحديث : كل بدعة ضلالة . وتقول جئت بأمر بديع ، أي مبتدع عجيب وأبدعت الابل : اذا تركت في الطريق من الهزل . وأصل الباب : الانشاء .

المعنى :

وقوله : « اذا قضى امراً » يحتمل أمرين :

أحدها ـ اذا خلق امراً . كما قال « فقضاهن سبع سماوات في يومين » (٤) أي خلقهن ـ وهو اختيار البلخي ، والرماني ، والجبائي .

والثاني : حتم بان يفعل أمراً وحكم . وقيل احكم امراً ، كما قال ابو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما داوداً وصنع السوابغ تبع (٥)

« ١ » في تفسير الطبري ـ دار المعارف المصرية ـ ٢ : ١، ٥ « ابتدعها خلقها ولم يخلق شيء فيتمثل به » ومثله في الدر المحين ١ : ١١ وفي مطبوعة بولاق من التفسير المذكور كما أثبتنا .

« ٢ » الركي ، جمع ركية : البئر تحفر

« ٣ » سورة الاحقاف : آية ٩

« ٤ » ـ سورة حم ـ السجدة : آية ١٢

« ٥ » ديوانه : ١٩ واللسان « صنع » من قصيدة يرثي بها أولاده حين ماتوا بالطاعون ومسرودتان : درعان من السرد وهو الخرز والنسج تبع : اسم لكل ملك من ملوك حمير . الصنع : الحاذق والامرأة : صناع

اللغة :

قضاهن : احكمها ، والقضاء والحكم نظائر . يقال : قضى يقضي قضاء ، واقتضى اقتضاء ، وتقاضيا تقاضيـــاً ، واستقضى استقضاء ، وتقضى تقضياً وقضى تقضية ، وقاضاه مقاضاة ، وانقضى انقضاء . قال صاحب العين : قضى يقضي قضاء ، وقضية : يعني حكم . وتقول : قضى اليه عهداً معناه اوصى اليه . ومنه قوله : « وقضينا الى بني اسرائيل » (١) . « وقضى عليها الموت » (٢) أي اتى عليه . والانقضاء فناء الشيء ، وذهابه . وكذلك التقضي وأصل الباب : القضاء . والفصل والقضاء ينصرف على وجوه :

منها الامر كقوله تعالى : «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه »(٣) أي أمر . ومنه الخلق كقوله : « فقضاهن سبع سماوات » (٤) أي خلقهن . ومنـــه الاخبار ، والاعلام ، كقوله : « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب » (٥) أي اخبرناهم ومنه الفصل : قضى القاضي بين الخصمين أي فصل الامر بينهما .

المعنى :

ومعنى قوله : « فانما يقول له كن فيكون » قيل فيه قولان :

أحدهما ـ انه بمنزلة المثل ومعناه ان منزلة الفعل له في السهولة ، وانتفاء التعذر كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه كذا وقال بيده : اذا حرك رأسه وأومى بيده ، ولم يقل شيئاً في الحقيقة وقال ابو النجم :

(١) ـ سورة اسرى : آية ٤ .
(٢) ـ سورة الزمر : آية ٤٢ .
(٣) ـ سورة الاسرى : آية ٢٣ .
(٤) سورة ـ حم ـ السجدة : آية ١٢ .
(٥) سورة الاسراء : آية ٤ .

اذ قالت الانساع للبطن الحقى قدماً فآضت كالفنيق المحنق (١)

وقال عمرو بن حممة الدوسي (٢) :

فاصبحت مثل النسر طارت فراخه اذا رام تطياراً يقال له : قع(٣)

وقال آخر :

امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويداً قد ملأت بطني(٤)

وقال آخر :

فقالت له العينان سمعاً وطاعة وحدّرتا كالدر لما يثقب (٥)

وقال العجاج : (٦) يصف ثوراً :

وفيه كالاعواض للعكور فكرّ ثم قال في التفكير

ان الحياة اليوم في الكرور

والوجه الآخر أنه علامة جعلها الله للملائكة اذا سمعوها ، علموا انه احدث امراً . وكلاهما حسن والاول أحسن وأشبه في كلام العرب في عادة الفصحاء . ونظيره قوله تعالى : « فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا اتيناطا ئعين »(٧) وهو الذي اختاره البلخي ، والرماني ، واكثر المفسرين . وقد قيل في ذلك اقوال فاسدة ، لا يجوز التعويل عليها :

---

(١) اللسان (حنق) ذكر البيتين . وفي (قول) البيت الاول فقط . وروايته « قد قلت » بدل « اذ قالت » . يصف الشاعر ناقة انضاها السير . الانساع : جمع نسع ـ بكسر النون وسكون السين ـ وهو السير : خيط من الجلد . ولحق البطن : ضمر . وآض : صار ورجع الفنيق : الجمل الفحل . والمحنق : الضامر القليل اللحم .

« ٢ » في المطبوعة « عمر بن حمد السدوسي » والصحيح ما أثبتناه . وهو احد المعمرين زعموا أنه عاش ثلاثمئة وتسعين سنة وهو ايضاً أحد حكام العرب .

« ٣ » الحماسة للبحتري : ٢٠٥ .

« ٤ » اللسان « قطط » البيتان . و « قول » البيت الاول فقط .

« ٥ » اللسان « قول » وروايته « قالت » بدل « فقالت » وبالفاء اتم الوزن . وفي مجمع البيان « وقالت » بالواو .

« ٦ » في المطبوعة « ضعيف » زائدة في هذا الموضع

« ٧ » سورة ـ حم ـ السجدة : آية ١١ .

ان الامر خاص في الموجودين الذين قيل لهم « كونوا قردة خاسئين » (١) ومن جرى مجراهم ، لانه لا يؤمر المعدوم عندهم .

ومنها انه أمر المعدوم من حيث هو لله معلوم ، فصح أن يؤمر فيكون .

ومنها ـ ان الآية خاصة في الموجودات من اماتة الاحياء واحياء (٢) الموتى وما جرى مجرى ذلك من الامور . وانما قلنا بافساد هذه الاقوال ، لانه لا يحسن ان يؤمر إلا من كان عاقلا مميزاً يقدر على ما أمر به ، ويتمكن من فعله . وجميع ماذكروه بخلافه . لأن المعدوم ليس بحي ، ولا عاقل . ولا يصح امره . ومن كان موجوداً لا يجوز ان يؤمر أن يكون قردة ، لان المعاني التي تكون بها كذلك ، ليس في مقدوره . كذلك القول في الاماتة والاحياء وتأويل قوله : « كونوا قردة خاسئين » قد بيناه فيما مضى . وقال بعضهم : إنه أمر للموجود في حال كونه لاقبله ولا بعده ، وانه مثل قوله : « ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون » (٣) وان دعاء الله إياهم لا يتقدم خروج القوم من قبورهم ، ولا يتأخر عنه . وهذا فاسد لأن من شرط حسن الامر أن يتقدم المأمور به . وكذلك القول في الدعاء ، فلا يسلم ما قالوه . وتأويل ماالستشهدوا به على ما بيناه في الآية سواء في انه اخبار عن تسهيل الفعل وسرعة وقوعه ، وارادته ، لا ان يكون هناك دعاء على الحقيقة ، ثم يلزم على جميع ما ذكروه ان تكون الاشياء مطيعة لله تعالى لان الطاعة هي موافقة الامر من الاشياء التي قالها : كوني بأن فعلت نفسها ، ويلزم ان يكون لهـا عقل وتمييز وكل ذلك فاسد . فاما من استدل بهذه الآية ونظائرها على ان كلام الله قديم من حيث انه لو كان محدثا لاقتضى ألا يحصل إلا (بكن) . والكلام في (كن) كالكلام فيه الى أن ينتهي الى (كن) قديمة . وهو كلام الله القديم . فهذا باطل لانا قد بينا معنى الآية ، فلا يصح ما قالوه . على ان الآية تقتضي حدوث كلامه من

« ١ » سورة البقرة : آية ٦٥

« ٢ » واحياء ساقطة من المطبوعة .

« ٣ » سورة الروم : آية ٢٥ .

حيث أخبر ان المكونات تكون عقيب (كن) لأن الفاء توجب التعقيب ، فاذا كانت الاشياء محدثة ، فما يتقدمها بوقت واحد لا يكون إلا محدثاً فبطل ما قالوه . وايضاً فانهقال : « اذا قضى امراً » ومعناهخلق فبين انه يخلق الامر وقوله :« كن » أمر يوجب أن يكون محدثا . ودلت الآية على نفي الولد عن الله من وجهين .

احدهما ـ ان الذي ابتدع السماوات والارض من غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير والد .

والآخر ـ ان من هذه صفته ، لا يجوز عليه اتخاذ الولد ، كما لا يجوز صفات النقص عليه (تعالى) عن ذلك . واذا حملنا الآية على وجود المثال ، فوجود الخلق هو كقوله : « كن » إلا انه خرج على تقدير فعلين ، كما يقال : اذا تكلم فلان بشيء ، فانما كلامه مباح ، واذا أمر بشيء فانما هو حتم ، وكما قال : تاب فاهتدى فتوبته هي اهتداؤه ، فلا يتعذر أن يقال : كن قبله ، أو معه . ومتى حملنا ذلك على انه علامة للملائكة فانه يحتمل ان يكون معه ، ويحتمل ان يكون قبله . كما تقول : اذا قدم زيد ، قدم عمرو . فانه يحتمل ان يكون وقتاً للامرين معا إلا أنه اشبه الشرط ، كقولك : ان جئتني اعطيتك . ولذلك دخلت الفاء في الجواب ، كما تجيء في الشرط ، كقوله : « ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل » (١) وكذلك تحتمل الآية الامرين .

الاعراب :

ورفع قوله : « فيكون » يحتمل أمرين : احدهما ـ ان يكون عطفاً على يقول . والآخر ـ على الاستئناف أي فهو يكون . ونصبه على جواب الامر ، فلا يجوز ، لانه انما يجب الجواب بوجود الشرط . فما كان على فعلين في الحقيقة ، كقولك إأتني فأكرمك ، فالاتيان غير الاكرام ، فأما « كن فيكون » فالكون الحاصل هو الكون المأمور به ، ومثله انما اقول له إأتني ، فيأتيني . وقال ابو علي الفارسي : يجوز ذلك

« ١ » سورة يوسف : آية ٧٧ .

على وجه : وهو على ان لفظه لما كان لفظ الامر ، نصب كما نصب في جواب الامر ، فان كان الامر بخلافه ـ كما قال ابو الحسن في نحو قوله تعالى « قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة » (١) ويجوز ذلك في الآي على انه اجري مجرى جواب الامر ـ وان لم يكن جواباً له في الحقيقة . ـ وقد يكون اللفظ على شيء ، والمعنى على غيره نحو قولهم : ما أنت وزيد ، والمعنى لم تؤذيه . وليس ذلك في اللفظ ، ومثله « فلا تكفر فيتعلمون » (٢) ليس فيتعلمون جواباً لقوله : « فلا تكفر » ولكن معناه يعلمون أو يعلمان ، فيتعلمون منهما غير أن قوله « فلا تكفر » نهي على الحقيقة . وليس قوله « كن » امراً على الحقيقة ، فمن هاهنا ضعفت هذه القراءة .

قوله تعالى :

« وَقَالَ الذِينَ لا يَعلَمُونَ لَولا يُكلِمنا اللهُ أو تأتينا آيةٌ كَذَلِكَ قَالَ الذِينَ مِنْ قبلِهِمْ مِثلَ قَولِهِمْ تَشَابَهت قُلوبُهمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَومٍ يُوقِنونَ » (١١٩) آية بلا خلاف .

المعنى :

المعني بهذه الآية في قول مجاهد : النصارى . وقول ابن عباس : اليهود . وفي قول الحسن وقتادة : مشركوا العرب . وكل ذلك يحتمل . غير انه لمشركي العرب أليق ، لانه يشاكل ما طلبوا حين قالوا : « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا » الى قوله : « هل كنت إلا بشراً رسولا » (٣) ويقوي ذلك قوله : « وقال الذين لا يعلمون » : الكتاب . فبين أنهم ليسوا أهل كتاب . ومن اختار ان المراد بها النصارى قال : لانه قال قبلها « وقالوا اتخذ الله ولداً » (٤) وهذا

« ١ » سورة ابراهيم : آية ٣١ .
« ٢ » سورة البقرة : آية ١٠٢ .
« ٣ » سورة البقرة : آية ١١٩ .
« ٤ » سورة البقرة : آية ١١٦ .

لا دلالة فيه ، ولا يمتنع ان يذكر قوماً ، ويخبر عنهم ، ثم يستأنف قوماً آخرين ، فيخبر عنهم على ان مشركي العرب قد اضافوا الى الله البنات فدخلوا في جملة من قال : « اتخذ الله ولداً » .

ومعنى قوله : « لولا » هلاّ ، كما قال الأشهب بن رميلة :

تعدّون عقر النيب أفضل مجدكم　　بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا (١)

أي هلاّ تعقرون الكمي المقنعا . وانما قال : « أو تأتينا آية » وقد جاءتهم الآيات ، لانهم طلبوا آية ، كما ان آية الرسل توافق دعوتهم ؛ ويكلمهم الله كما كلمهم الله .

والمعني بقوله « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم » اليهود على قول مجاهد . وعلى قول قتادة والسدي والربيع : اليهود والنصارى . والضمير في قوله : « تشابهت قلوبهم » يعني كناية عن قلوب اليهود والنصارى ـ على قول مجاهد ـ وعلى قول الربيع وقتادة : عن العرب واليهود والنصارى وغيرهم ، فقوله « تشابهت قلوبهم » يعني في الكفر ، بالاعتراض على انبياء الله بالجهل ، لان اليهود قالت لموسى : « أرنا الله جهرة » وقالت النصارى للمسيح : « أنزل علينا مائدة من السماء » . وقالت العرب لمحمد (ص) : حول لنا الصفا ذهباً ، وغير ذلك . وكذلك قال الله تعالى : « أتوا صوابه » (٢) وروي عن ابن إسحاق انه قرأ « تشابهت » ـ بتشديد الشين ـ خطأً ، لان ذلك انما يجوز في المضارع . بمعنى تتشابه ـ فتدغم احدى التاءين في الشين ـ هكذا قال الفراء ، وغيره من أهل العلم .

وقوله : « قد بينا الآيات لقوم يوقنون » معناه أيقن بها قوم من حيث دلتهم على الحق ، فالواجب على كل هؤلاء ان يستدلوا بها ، ليصلوا الى اليقين كما وصل غيرهم اليه بها .

« ١ » وقيل انه لجرير وهو مذكور في ديوانه : ٣٣٨ . وروايته افضل سعيكم . وقد مر في ١ : ٣١٩ . والبيت من قصيدة طويلة في مناقضة جرير والفرزدق . والكمي : الشجاع .

« ٢ » سورة الذاريات : آية ٥١ .

اللغة :

واليقين والعلم والمعرفة نظائر في اللغة . ونقيضه الشك ، والجهل . تقول أيقن ايقاناً ، وتيقن تيقنا ، واستيقن استيقانا . وقال صاحب العين : اليقين النفس . قال الشاعر :

وما بالذي ابصرتـــه العيو ن من قطع يأس ولا من يقن (١)

واليقين : علم يثلج به الصدر ، ولذا يقولون : أجد برد اليقين ، ولا يقولون: وجد برد العلم . فان قيل : لم لم يؤتوا الآيات التي طلبوها ، لتكون الحجة أأكد قلنا : اظهار الآيات يعتبر فيه المصالح ، وليس بموقوف على اقتراح العباد . ولو علم الله ان ما اقترحوا من الآيات فيه مصلحة ، لاظهرها ، فلما لم يظهرها ، علمنا انه لم يكن فيها مصلحة لنا اصلا .

قوله تعالى :

« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تَسأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ » (١٢٠) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ نافع « لا تسأل » . بفتح التاء وجزم اللام . على النهي ، وروي ذلك عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) ، وابن عباس . ذكر ذلك الفراء ، والبلخي الباقون على لفظ الخبر على مالم يسم فاعله .

المعنى :

معنى قوله : « ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » تسلية للنبي (ص) فقيل له

---

(١) اللسان « يقن » اليقن ـ بفتح الياء والقاف ـ : اليقين . في المطبوعة « يقين » بدل « يقن » وفي المخطوطة « تيقين » .

« انما انت بشير ونذير » ولست « تسأل عن أصحاب الجحيم » ومثله قوله : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » وقوله « ليس عليك هـــداهم » (١) وقوله « عليه ما حمل وعليكم ما حملتم » (٢)

الاعراب :

وموضع « تسأل » يحتمل أمرين :

احدها ـ ان يكون استئنافا ولا موضع له .

والآخر ـ ان يكون حالا ، فيكون موضعه نصباً . ذكر ذلك الزجاج ، لانه قال : « أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً » غير مسئول عن اصحاب الجحيم . ومن فتح التاء على الخبر . تقديره : غير سائل . وانكر قوم الحال . واعتلوا ان في قراءة أبي: « وما تسأل » وفي قراءة عبدالله : « ولن تسأل » وهذا غير صحيح ، لان ليس قياس (لا) قياس لن (٣) وما ، لانه يجوز أرسلناك لا سائلا ، ولا يجوز ماسائلا. ولذلك احتمل مع لا الحال ، ولن يحتمل مع ما ولن ، لان للا (٤) تصرفا ليس لهما فيجوز ان يعمل ماقبلها في ما بعدها ، ولا يجوز ذلك فيها . تقول :جئت بلا خبر ، ولا يجوز بما خبر . والجحيم النار بعينها اذا شبت وقودها . قال امية بن ابي الصلت :

اذا شبت جهنم ثم زادت واعرض عن قوابسها الجحيم (٥)

فصار كالعلم على جهنم . وقال صاحب العين : الجحيم : النار الشديدة التأجج، والالتهاب كما اججوا نار ابراهيم . وهي تجحم جحوما (٦) يعني توقدت جمرتها وجاحم الحرب : شدة القتل في معركتها . وقال سعيد بن مالك بن ضبيعة .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٧٢ .

(٢) سورة النور : آية ٥٤ .

(٣) (ان) ساقطة من المطبوعة .

(٤) في المطبوعة (لانه لا) .

(٥) ديوانه ٥٣ . وروايته (فارت) بدل (زادت) .

(٦) في المطبوعة « جحوا ما » .

والحرب لا يبقى لجـــا حمها التخيل والمراح (١)
إلا الفتى الصبار في النـ جدات والفرس الوقاح

والجحمة : العين بلغة حمير قال الشاعر :

أيا جحمتا بكي على أم مالك اكيلة قلوب بأعلى المذانب «٢»

وجحمتا الاسد : عيناه . وتقول : جحمت النار جحماً : اذا اضطرمت . وجمر جاحم : اذا اشتد اشتعاله . ومنه اشتقاق الجحيم . واصل الباب الالتهاب . ومنه الاجحم : الشديد حمرة العين شبه بالنهار في حمرتها . والحرب تشبه بالتهاب النار .

المعنى :

وفي الآية دلالة على انه لا يؤخذ احد بذنب غيره قريبا كان منه أو بعيداً . كما بين الله انه لا يطالب احد بذلك غيره . وان كان قد فرض على النبي « ص » ان يدعو الى الحق ، ويزجر عن الباطل . وليس عليه ان يقبل المدعو . ومن قرأ بلفظ النهي . قال الزجاج : يحتمل أمرين :

أحدهما ـ ان يكون امره بترك المسألة . والآخر ـ ما قاله الاخفش : ان يكون المعنى على تفخيم ما أعد لهم من العقاب . كما يقال لا تسال عن فلان أي قد صار الى امر عظيم . وقال قوم : لو كان على النهي : لقال فلا « بالفاء » ، لانه يصير بمنزلة الجواب كأنه يدل على لانا ارسلناك إلا بالحق ولا تسأل عن اصحاب الجحيم . ولا يحتاج بالرفع الى الفاء . واذا كان على الرفع فظاهر الكلام الاول يقتضيه اقتضاء الاحوال ، أو اقتضاء البيان الذي يجري مجرى الحجاج على من اعترض بان فعل

« ١ » اللسان « جحم » في المخطوطة والمطبوعة « الخيل » بدل « التخيل » .
« ٢ » اللسان « جحم » قال ابن بري صواب انشاده بما قبله وما بعده :

انبح لها القلوب من ارض فرقري وقد يجلب الشر البعيد الجوالب
أيا جحمتي بكي على أم مالك اكيلة قليب ببعض المذانب
فلم يبق منها غير نصف عجانها وشنطرة منهـا واحدى الذوائب

القلوب : الذئب .

الداعي الى الايمان لا يحل موقعه الا بان يقبل المدعو اليه . واما ايصاله بما تقدم على الجزم ، فانما هو على معنى التغليظ لشـــان الجحيم ، ليزجر (١) بذلك عن ترك اتباعه (ص) والتصديق بما اتى به من البشارة . قال أبو علي الفارسي إنما تلزم الفاء اذا كان الكلام الاول علة فيما بعد ذلك ، كقولك اعطيك فرسا فلا تسأل شيئاً اخراً والآية بخلاف ذلك . وفي الناس من قال : القراءة بالجزم مردودة ، لانه لم يتوجه له اتصال الكلام ، ولا كيف جاء بالواو دون الفاء . وقد بينا الاتصال . فاما المجيء بالواو فلأنه لم يرد الدلالة على معنى الجواب ، ولـكن عطف جملة على جملة تتعلق بها وتقتضي على ما انطوى عليه معناها ومعنى الحق في قوله : « انا ارسلنـاك بالحق » الاسلام ، بشيرا من اتبعك عليه بالثواب نذيرا من خالفك فيه بالعقاب . وقيل : « إنا ارسلنـاك بالحق » يعني على الحق . كما قال : « خلق الله السماوات والارض بالحق » (٢) كأنه قال : على انها حق لا باطل .

قوله تعالى :

« وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَـهـُود وَلا النصارى حَتى تَتبع مِلتـَهُم قل إن هدَى اللهِ هو الهُدى ولَئِن اتبعَـتَ اهواءَهم بَعدَ الذي جاءَكَ من الـعِلم مالَكَ من اللهِ من وليٍ ولا نَصير » (١٢١)

قيل في معنى هذه الآية قولان :

احـــدهما ـ ان النبي « ص » كان مجتهداً في طلب ما يرضيهم ، ليقبلوا الى الاسلام ويتركوا القتـال ، فقيل له : دع ما يرضيهم الى ما امر الله به من مجاهدتهم .

والآخر ـ قال الزجاج : كانوا يسألونه « ع » الهدنة والمسالمة ويرونه انه ان امهلهم اسلموا . فاعلمه الله انهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم . وهذه الآية تدل انه لا يصح ارضاء اليهود ولا النصارى على حال ، لانـــــه تعالى علقه بان اليهود

---

(١) في المطبوعة (ليرجم)　　　　(٢) سورة ابراهيم آية : ١٩ .

لا يرضون عنه حتى يكون « ص » يهوديا ، والنصارى لا يرضون عنه حتى يكون نصرانيا ، فاستحال ان يكون يهوديا نصرانيا في حال واستحال إرضاؤهم بذلك .

اللغة :

والرضا والمحبة ، والمودة نظائر وضد الرضا الغضب . ويقال رضي يرضى رضاء . وارضاه إرضاء ، وارتضاه ارتضاء ، واسترضاه وترضاه ترضيا ، وتراضوا تراضيا ، والرضي والمرضي بمعنى واحد . والرضا مقصور من بنات الواو بدلالة الرضوان تقول : رجل رضى ورجال رضى وامرأة ونساء رضى . وأصل الباب الرضى نقيض الغضب . وقوله : « حتى تتبع ملتهم » فالملة ، والنحلة ، والديانة نظائر . وتقول وجد فلان ملة وملالا . وهو عدوى الحمى . ومللت الشيء أمله ملالة ومللا : إذا سئمته ومللت الخبزة املها ملا : اذا دفنتها في الجمر والجمر بعينه الملة . وقال صاحب العين : الملة الرماد والجمر وكل شيء تمله في الجمر فهو مملول . قال الشاعر في وصف الحرباء :

كأن ضاحيه بالنار مملول (١)

والمملول (٢) الممتل من الملة . وطريق ممل مليل : قد سلك حتى صار معلماً وملة رسول الله « ص » الامر الذي اوضحه . وامتل الرجل اذا اخذ في ملة الاسلام: اي قصدها ما امل منه . والأمل املال الكتاب ، ليكتب . والمليلة من الحمى .

المعنى :

وقوله : « قل إن هدى الله هو الهدى » معناه هو الذي يهدي الى الجنة . لا اليهودية ، ولا النصرانية . وقيل ان معناه الدعاء الى هدى الله الذي يكذب قولهم

(١) البيت من قصيدة لكعب بن زهير . اللسان (مال) . يقول كأن ما ظهر منه للشمس مشوي بالملة من شدة حره . يقال : أطعمنا خبز ملة ، واطعمنا خبزة مليلا ، ولا يقال اطعمنا ملة . في المطبوعة . كأن صاحبه في النار مملوك . وهو تحريف فحش . وفي المخطوطة . كأن صاحبه في النار مملول . والصحيح ما ذكرناه .

(٢) في المطبوعة « والمملوك » .

« لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً او نصارى » (١) وهي الادلة الواضحة على ان المطيع لله هو الذي يفوز بثوابه في الجنة ، لامن ذكروه من العصاة له . وهذه الآية تدل على ان من علم الله منه انه لا يعصي ، يتناوله الوعيد والزجر ، لانه تعالى علم ان النبي « ص » لا يعصي ولا يتبع اهواءهم ، وفيها دلالة على ان كل من اتبع الكفار على كفرهم ماله من الله من ولي ولا نصير ، لانه اذا وجب ذلك في متبع واحد ، وجب ذلك في الجميع .

الاعراب :

« حتى تتبع » نصب بحتى وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه ؛ وجميع البصريين أن الناصب للفعل (أن) بعد حتى،لان حتى تخفض الاسم في قوله:«حتى مطلع الفجر » (٢) ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم وفعل ، ولا ما يكون خافضاً لاسم، يكون ناصباً لفعل. فصار ذلك مثل قولك جاء زيد ليضربك ، فانها تنصب الفعل باضمار (ان) لكونها جارّة للاسم .

قوله تعالى :

« ألذينَ آتَيناهم الكِتابَ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلاوَته أولئكَ يُؤمِنُونَ بِه ومَن يكفُر بِه فأولَئكَ هُم الخاسِرُونَ » (١٢١) آية بلا خلاف .

المعنى :

المعني بهذه الآية ـ في قول قتادة واختيار الجبائي ـ اصحاب النبي (ص) الذين آمنوا بالقرآن وصدقوا به . وقال ابن زيد : هو من آمن بالنبي (ص) من بني اسرائيل . والكتاب على قوله : التوراة .

ومعنى قوله : « يتلونه حق تلاوته » قال ابن عباس : يتبعونه حق اتباعه ،

---

(١) سورة البقرة : آية ١١١ .

(٢) سورة الفجر : آية ٧ .

ولا يحرفونـه ، ثم يعملون بحلاله ويقفون عند حرامه . ومثله قوله : « والقمر اذا تلاها » (١) اي تبعها . وبه قال ابن مسعود ، ومجاهد وقتادة ، وعطاء . وروي عن ابي عبد الله (ع) حق التلاوة الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الأولى ، ويستجير من الاخرى . وقال قوم « يتلونه حق تلاوته » يقرؤونه حق قراءته .

اللغة

والتلاوة في اللغة على وجهين :

احدها ـ القراءة .

والثاني ـ الاتباع .

والاول اقوى ، وعليه اكثر المفسرين ولا يجوز ان يقال : يتلونه حق التلاوة على مذهب الكوفيين ، كما لا يجوز يتلونه : ايّ التلاوة ، لان ايا اذا كانت مدحاً وقع على النكرة ، ولم يقع على المعرفة . ولا يجوز مررت بالرجل حق الرجل كما لا يجوز مررت بالرجل اي الرجل . وكما لا يجوز مررت بابي عبد الله ابي زيد . وانما جاز تلاوته . كما يجوز رب رجل واخيه . وقال بعض البصريين يجوز مررت بالرجل حق الرجل . ولا يجوز مع اي لان ايا تدل على البعض . وليس كذلك حق . فامـا مررت بالرجل كل الرجل فجائز عند الجميع ، لان اصله التوكيد ، فترك على حاله .

المعنى :

والمعني بقوله « ومن يكفر به » اليهود ـ على قول ابن زيد ـ والاولى ان يكون ذلك محمول على عمومه في جميع الكفار . وبه قال الجبائي واكثر المفسرين.

قوله تعالى :

« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي

---

(١) سورة الشمس : آية ٢ .

فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » (١٢٢) آية واحدة .

هذا خطاب من الله لبني اسرائيل الذين كانوا في عهد رسول الله « ص » امرهم الله ان يذكروا نعمته التي انعم بها عليهم .

اللغة :

والنعمة : النفع الذى يستحق به الشكر . والانعام والاحسان والافضال نظائر . ونقيض النعمة : النقمة : وهو الضرر المستحق .

المعنى :

ومعنى قوله : « واني فضلتكم على العالمين » يعني عالمي زمانهم . وتفضيله اياهم بان جعل فيهم النبوة والحكم وهذه الآية قد تقدم ذكر مثلها في رأس نيف واربعين . وقيل في سبب تكريرها ثلاثة اقوال :

احدها ـ ان نعم الله لما كانت الاصل الذى به يجب شكره ، وعبادته ذكر بها ، ليقبلوا الى طاعته واتباع امره ، وليكون مبالغة في استدعائهم الى ما يلزمهم لربهم التظاهر بالنعم عليهم .

والثاني ـ انه لما ذكر الكتاب وعنى به التوراة ، وكان فيه الدلالة على شأن عيسى ومحمد « ص » في النبوة والبشارة المتقدمة ، ذكرهم عزوجل بما انعم عليهم من ذلك ، وفضلهم كما جاء « فبأى آلاء ربكما تكذبان » (١) بعد نعم ذكرهم بها ، ثم عدد نعماً اخر ، وقال فيها « فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢) اى فبأى هذه تكذبان وكل تقريع جاء ، فانما هو موصول بتذكير نعمه غير الاول . والثالث غير الثاني . وهكذا الى آخر السورة . وكذلك الوعيد ـ في سورة المرسلات ـ بقوله : « ويل يومئذ للمكذبين » (٣) انما هو بعد الدلالة على اعمال يعظم التكذيب بما تدعو اليه الادلة .

(١ و ٢) سورة الرحمان من آية ١٣ الى ٧٧ .

(٣) سورة الطور اية ١١ ، وسورة المرسلات من اية ١٥ الى ٤٩ ، وسورة المطففين ا ١٠ .

الثالث ـ انه مقدمة لما بعده ، لانه تعالى اراد وعظهم ذكرهم قبل ذلك بالنعم عليهم ، لانه استدعاء الى قبول الوعظ لهم (١) . وقيل : فيه وجه رابع ·

وهو انه لما تباعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير .

وموضع « التي » نصب بالعطف على نعمتي ·

قوله تعالى :

« واتَّقُوا يَوماً لا تَجزي نَفسٌ عن نَفسٍ شيئاً وَلا يُقبَل منها عَدلٌ ولا تَنفَعها شَفاعَةٌ ولا هُم يُنصَرُون » (١٢٤) آية بلا خلاف .

ومثل هذه الآية ايضاً تقدم . وبينا ما فيها ، فلا معنى للتكرار · وبينا ان العدل هو الفدية · وقيل هو المثل · ويقال هذا عدله ، اي مثله والعدل : هو الحمل وبينـــا قول من يقول : إن الشفاعة لا تكون إلا لمرتكبي الكبائر : اذا ماتوا مصرين · فان قلنا ظاهر الآية متروك بالاجماع ، لانه لا خلاف ان هاهنا شفاعة نافعة والآية تقتضي نفيها ، وان خصوا بانها لا تنفع المصرين ، وانما ينفع التائبين ؟ قلنا : لنا ان نخصها بالكافرين دون فساق (٢) المسلمين · واما قوله : « لا يشفعون » الا لمن ارتضى فنتكلم عليه اذا انتهينا اليه . ومن قال : إنه ليس يعني انه يشفع لها شافع فلا تنفع شفاعته ، لكنه يريد لا تأتي بمن يشفع لها . كما قال الشاعر :

على لاحب لا يهتدى بمناره

وإنما اراد به لا منار هناك فيهتدى به لا يضرنا ، لانا لانقول : إن هناك شفاعة تحصل ولا تنفع بل نقول : إن الشفاعة اذا حصلت من النبي ، وغيره فانها تنفـــع لا محالة . وكذلك عند المخالف ، وان قلنا : انها تنفع في اسقاط المضار وقالوا : هم في زيادة المنافع · غير ان اتفقنا (٣) على انها تحصل لا محالة ولسنا ممن ينفي حصول الشفاعة اصلا ·

---

(١) في المخطوطة « لهم فيه » (٢) في المطبوعة « فاق » وهو تحريف .

(٣) في المطبوعة « انقضا » .

قوله تعالى :

« وإذِ ابتَلى ابراهيمَ رَبه بكلماتٍ فأتمهن قالَ اني جاعلُكَ للناسِ اماماً قالَ وَمن ذريتي قالَ لا ينال عهدي الظالمين » (١٢٥) آية بلا خلاف .

القراءة :

اسكن الياء من « عهدي » حمزة وحفص إلا ابن ساهي . وكتب في بعض المصاحف « ابراهم » بغير ياء، وفي اكثرها بالياء . قال بعض الجرهميين : نحن ورثنا على عهد (ابراهم)(١) . وقرأ ابن عامر ابراهام في خمسة وثلاثين موضعاً في القرآن كله : في البقرة خمسة عشرة موضعاً . وهو جميع ما فيها . تقدير الآية واذكرو إذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات .

المعنى :

والابتلاء هو الاختبار ـ وهو مجاز هاهنا لان حقيقته الامر من الله تعالى بخصال الايمان فسمي ذلك اختبارا ، لان ما يستعمل بالامر منا في مثل ذلك على جهة الاختبار والامتحان، فجرى تشبيهاً باستعماله اهل اللغه عليه.وقال بن الاخشاذ : إنما ذلك على انه جل ثناؤه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم لانه لو جازاهم بعمله فيهم ، كان ظالما لهم . والكلمات التي ابتلى الله ابراهيم بها فيها خلاف فيروى في بعض الروايات عن ابن عباس ، و به قال قتادة ، وابو الخلد : انه أمره (٢) اياه بعشرة سنن (٣) . خمس في الرأس ، وخمس في الجسد . فاما التي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق والفرق وقص الشارب ، والسواك . واما التي في الجسد : فالختان وحلق

« ١ » استدل بهذا على « ابرام » ـ بدون ياء ـ وفي المطبوعة والمخطوطة بالياء . وهو غلط .

« ٢ » في المخطوطة والمطبوعة « أمن » .

« ٣ » في المطبوعة « سنين » .

العانة ، وتقليم الاظفار ، ونتف الابطين والاستنجاء . وفي احدى الروايتين عن ابن عباس أنه ابتلاه من شرائع الاسلام بثلاثين شيئاً عشرة منها في براءة « التائبون العابدون الحامدون .الى اخرها » وعشرة في الاحزاب : « ان المسلمين والمسلمات الى اخرها » وعشرة في سورة المؤمنين : الى قوله « والذين هم على صلاتهم يحافظون » وعشرة في سأل سائل الى قوله: « والذين هم على صلاتهم يحافظون » فجملها اربعين سهما وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه امره بمناسك الحج : الوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار (١) والافاضه . قال الحسن : ابتلاه الله بالكوكب وبالقمر وبالشمس ، وبالختان وبذبح ابنه ، وبالنار ، وبالهجرة وكلهن وفى لله فيهن . وقال مجاهد : ابتلاه الله بالآيات التي بعدها وهي « اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » وقال الجبائي : أراد بذلك كلما كلفه (٢) من طاعاته العقلية والشرعية .

وقوله : ﴿ فاتمهن ﴾ معناه وفى بهن على قول الحسن وقال قتادة والربيع : عمل بهن ، فاتمهن . وقال البلخي : الضمير في اتمهن راجع إلى الله . وهو اختيار الحسين بن علي المغربي . قال البلخي : الكلمات هي الامامة على ما قال مجاهد . قال : لأن الكلام متصل ، ولم يفصل بين قوله : « اني جاعلك للناس اماما » و بين ما تقدمه بواو ، فاتمهن الله بان اوجب بها الامامة له بطاعته ، واضطلاعه ، ومنع ان ينال العهد الظالمين من ذريته ، واخبره بان منهم ظالما فرضي به وأطاعه وكل ذلك ابتلاء واختبار .

اللغة :

والتمام والكمال والوفاء نظائر . وضد التمام النقصان . يقال : تم تماما ، وأتم إتماماً . واستتم استتماما . وتمم تتميما وتتمة . وتتمة كل شيء : ما يكون تمامه بغايته كقولك: هذه الدراهم تمام هذه المأة . وتتمة هذه المأة . التم : الشيء التام . تقول جعلته لك تماما

« ١ » ورمي الجمار ساقطة من المطبوعة　　　« ٢ » كلفه ساقطة من المطبوعة .

أي بتمامه ، والتميمة : قلادة ، من سيور . وربما جعلت فيه العوذ ، تعلق على الصبيان . والليلة التمام اطول ليلة في السنة . ويقال : بل ليل التمام لثلاث عشرة، لانه يستبان فيها نقصانها من زيادتها (١) . ويقال : بل ليلة اربع عشرة ، لانه يتم فيها القمر ، فيصير بدراً . ويقال حملته لتمام ـ بفتح التاء وكسرها ـ والتمام في لغة تميم هو التمام . وقال ابن دريد : امرأة حبلى متم (٢) وولد الغلام اتم ، وتمام . وبدر تمام ، وليل تمام ـ بالكسر فيهن ـ وما بعد هـذا فهو تمام ـ بالفتح ـ . وأصل الباب التمام ، وهو الكمال .

المعنى :

وقوله : « من ذريتي » معناه واجعل من ذريتي من يؤتم به ، ويقتدى به ـ على قول الربيع وأكثر المفسرين . وقال بعضهم معناه انه سأل لعقبه ان يكونوا على عهده ، وورثته . كما قال : « واجنبني وبني ان نعبد الاصنام » (٣) فأخبره الله ان في عقبه الظالم المخالف له، وذريته بقوله : « لا ينال عهدي الظالمين » والاول اظهر . وقال الجبائي قوله : « ومن ذريتي » سؤال منه لله أن يعرفه هل في ذريته من يبعثه نبياً ، كما بعثه هو ، وجعله إماماً . وهذا الذي قاله ليس في الكلام ما يدل عليه ، بل الظاهر خلافه . ولو احتمل ذلك لم يمتنع ان يضيف الى مسألة منه لله ان يفعل ذلك بذريته مع سؤاله تعريفه ذلك .

اللغة :

والذرية ، والنسل والولد نظائر . واراد ابراهيم (ع) هذا . وقال بعضهم : عبر بالذريـــة عن الآباء . وقال تعالى : « وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون » (٤) اي آباءهم . وهذا ليس بواضح . وبعض العرب ذرية ـ بكسر

« ١ » هكذا عبارة المخطوطة والمطبوعة . وفي لسان العرب « تمم » هي ثلاث ليال لا يستبان زيادتها من نقصانها .

« ٢ » في المخطوطة والمطبوعة « ميتم » « ٣ » سورة ابراهيم : آية ٣٥ .

« ٤ » سورة يس : آية ٤١ .

النال - وبها قرأ زيد بن ثابت . قال صاحب العين الذر : صغار النمل . واحده ذرة ، والذر اخذك الشيء بأطراف اصابعك . تقول : ذررت الدواء اذره ذراً . وكذلك الملح وغيره . واسم الدواء - الذي يتخذ للعين - ذرور . والذريرة : ذات قصب الطيب ، وهو قصب يجاء به من الهند كأنه قصب النشاب (١) . والذرارة ما تناثر (٢) من الشيء الذي تذره . والذرية : فعلية من ذررت ، لان الله تعالى ذرهم في الارض ، فنثرهم فيها . كما ان السريرة من سررت . والجمع الذراري ، والسراري وما أشبهه وإن خففت ، جاز . والذرور ذروة الشمس ، فهو يذر ذروراً وذلك اول طلوعها ، وسقوطها الى الارض ، أو الشجر . وتقول ذر قرن الشمس اي طلع . وأصل الباب الذر وهو التفرقة .

وقوله: « لا ينال عهدي » والنيل والالحاق والادراك نظائر . والنيل والنوال: ما نلته من معروف انسان . وأناله معروفه ، ونوّله : اعطاه نوالا . قال طرفة :

إن تنوله فقد تمنعه　　وتريه النجم يجري بالظهر (٣)

وقولهم : نولك ان تفعل ذلك ، ومعناه حقك ان تفعل . والنول خشبة الحائك الذي ينسج الوسائد عليه ونحوها . واذا نه المنصوبة ايضاً تسمى النوال . وأصل الباب النيل ، وهو اللحوق .

المعنى :

والمراد بالعهد هاهنا فيه خلاف . قال السدي واختاره الجبائي : إنه اراد النبوة . وقال مجاهد : هو الامامة وهو المروي عن ابي جعفر ، وابي عبد الله (ع) قالوا : لا يكون الظالم إماماً . وقال ابو حذيفة : لا اتخذ إماماً ضالا في الدنيا . وقيل : معناه الامر بالوفاء له فيما عقده من ظلمه . وقال ابن عباس : فاذا عقد عليك في ظلم ، فانقضه . وقال الحسن : ليس لهم عند الله عهد يعطيهم عليه خيراً في الآخرة ، فأما في الدنيا ، فقد يعاهدون فيوفى لهم . وكأنه على هذا التأويل طاعة يحتسب بها في الآخرة .

---

(١) في المطبوعة « النشاء »　　(٢) في المطبوعة « ما تناش »

(٣) اللسان « نول » .

وقوله : « لا ينال عهدي الظالمين » يدل على انه يجوز ان يعطي ذلك بعض ولده اذا لم يكن ظالماً ، لانه لو لم يرد ان يجعل احداً منهم إماما للناس ، كان يجب أن يقول في الجواب لا ولا ينال عهدي ذريتك . وكان يجوز ان يقول في العربية : لا ينال عهدي الظالمون ، لان ما نالك فقد نلته . وروي ذلك في قراءة ابن مسعود إلا أنه في المصحف (بالياء) . تقول نالني خيرك ، ونلت خيرك . واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان الامام لا يكون إلا معصوما من القبائح ، لان الله تعالى نفى ان ينال عهده ـ الذي هو الامامة ـ ظالم ، ومن ليس بمعصوم فهو ظالم : إما لنفسه ، أو لغيره . فان قيل : انما نفى ان يناله ظالم ـ في حال كونه كذلك ـ : فاما اذا تاب وأناب ، فلا يسمى ظالماً ، فلا يمتنع أن ينال . قلنا : اذا تاب لا يخرج من أن تكون الآية تناولته ـ في حال كونه ظالما ـ فاذا نفى ان يناله ، فقد حكم عليه بانه لا ينالها ، ولم يفد انه لا ينالها في هذه الحال دون غيرها ، فيجب ان تحمل الآية على عموم الاوقات في ذلك ، ولا ينالها وإن تاب فيما بعد . واستدلوا بها ايضا على أن منزلة الامامة منفصلة من النبوة ، لان الله خاطب ابراهيم (ع) وهو نبي ، فقال له : انه سيجعله إماما جزاء له على اتمامه ما ابتلاه الله به من الكلمات ، ولو كان إماما في الحال ، لما كان للكلام معنى ، فدل ذلك على ان منزلة الامامة منفصلة من النبوة . وانما أراد الله أن يجعلها لابراهيم (ع) وقد أملينا رسالة مقررة في الفرق بين النبي ، والامام ، وان النبي قد لا يكون إماما على بعض الوجوه ، فاما الامام فلا شك انه يكون غير نبي . واوضحنا القول في ذلك ، من أراده وقف عليه من هناك. وابراهيم :وابراهم لغتان،واصله ابراهام فحذفت الالف استخفافا . قال الشاعر:

عذت بما عاذ به إبراهم (١)

وقال امية : مع ابراهم التقي وموسى

قوله تعالى :

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ

---

(١) قائله عبد المطلب . اللسان (برم) وتتمة الرجز :

مستقبل القبلة وهو قائم ... اني لك اللهم عان راغم

ابراهيمَ مُصلىً وَعَهِدنا الى ابراهيمَ وَاسماعيلَ أن طَهِرا بيتيَ للطائفينَ والعاكفينَ وَالرُّكعِ السجودِ (١٢٦) آية واحدة .

القراءة :

قرأ نافع وابن عامر « واتخذوا » على لفظ الخبر . الباقون بلفظ الامر .

المعنى :

قوله : « واذ جعلنا » عطف على قوله « وإذ ابتلى ابراهيم ربه »وذلك معطوف على قوله : « يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم » « واذكروا إذ ابتلى ابراهيم ربه » «واذا جعلنا البيت مثابة » والبيت الذي جعله مثابة هو البيت الحرام .

اللغة :

والبيت في اللغة ، والمنزل ، والمأوى نظائر . يقال : بات يبيت بيتوتة ، وبيته مبايتة . وتبيت تبيتاً . وتبايتوا تبايتاً . والبيت من أبيات الشعر ومن بيوت الناس . والبيت من بيوتات العرب : احياؤها (١) . وبيت فلان أبياتاً تبيتاً اذا بناها . والبيتوتة : الدخول في الليل . تقول : بت افعل كذا ، وبالنهار ظللت (٢) وباتوا بيتوتة حسنة . وأباتهم الله إباتة . وأباتهم الامر بياتاً كل ذلك دخول الليل . وليس من النوم في شيء وما عنده بيت ليلة . ولا بيتة ليلة بكسر الباء يعني القوت . والله يكتب ما يبيتون عمل الليل وبيت القوم اذا اوقعت فيهم ليلا . والمصدر البيت . والاسم : البيات . ومنه قوله : « بأسنا بياتا » ويسمى البيت من الشعر بيتاً لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت أهله وامرأة الرجل : بيته . قال الراجز :

(١) في المطبوعة والمخطوطة (أخبارها) .

(٢) في المطبوعة (وتاتيها وظللت) .

مالي اذا اخذتهـا صأيت(١)   أكبر غيرني أم بيت

وماء بيوت اذا بات ليـلة في إنائه واصل الباب البيت : المـنزل

وقوله : « مثابة » في معناه خلاف . قال الحسن يثيبون اليه كل عام ، أي ليس هو مرة في الزمان فقط . وقال ابن عباس : معناه أنه لا ينصرف عنه احد ، وهو يرى انه قد قضى منه وطراً ، فهم يعودون اليه . وقال ابو جعفر (ع) : يرجعون اليه لا يقضون منه وطراً وبه قال مجاهد . وحكى الخازني (٢) ان معناه يحجون (٣) اليه فيثابون عليه . وقال الجبائي يثوبون اليه : يصيرون اليه .

اللغة :

والفرق بين مثابة ومثاب ، ان الاخفش قال : مثابة المبالغة لما كثر من يثوب اليه . كما قيل علامة ونسابة وسيارة وقال الفراء والزجاج : معناهما واحد . كالمقامة والمقام بمعنى واحد . ووزن مثابة مفعلة واصلها مثوبة . من ثاب يثوب مثابـة ، ومثابا . وثوابا : اذا رجع فنقلت حركة الواو الى الياء ثم قلبت على ما قبلها . قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم :

مثاب لافناء القبائل كلهـا   تخب اليه اليعملات الطلائح (٤)

---

(١) اللسان (بيت) وآمالي الشريف المرتضى ١ : ٣٧٨ . ولم ينسبهما . في المخطوطة والمطبوعة :

البر قد عالني أم بيت

صأى يصئي ويصأى صئيا ـ بكسر الصاد وضمها وفتحها ـ الفرخ : صاح . وكذا العقرب ومنه المثل « يلدغ ويصئي » يضرب لمن يظلم ويشكو .

(٢) في المخطوطة الخازني .

(٣) في المطبوعة (الحجون)

(٤) اللسان (ثوب) وروايته (الذوامل) بدل « الطلائح » وقـد نسبه لابي طالب « رض » وفي تفسير الطبري ٣ : ٢٦ وفي تفسير أبي حيان ١ : ٣٨٠ ايضاً برواية التبيان الا أن ابي حيان نصب (مثابا) .

وافناء القبائل : اخلاطهم . والخبب : ضرب سريع من العدو . واليعملات : ج . يعملة وهي الناقة السريعة المطبوعة على العمل . اشتق اسمها من العمل . وطلائح ج . طليح : الناقـة التي اجهدها السير .

ومنه ثاب اليه عقله ، أي رجع اليه بعد عزوبه . وقوله « وأمنا » فالامن مصدر قولك أمن يأمن أمنا . وانما جعله أمنا بان حكم ان من عاذ به والتجأ لايخاف على نفسه ما دام فيه بما جعله في نفوس العرب من تعظيمه فكان من فيه آمنا على ماله ودمه ويتخطف الناس من حوله كما قال : « أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » (١) ولعظم حرمته ان من جنى جناية والتجأ اليه لايقام عليه الحد حتى يخرج لكن يضيق عليه في المطعم والمشرب ، والبيع والشراء ، حتى يخرج منه ، فيقام عليه الحد . فان احدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه فيه ، لانه هتك حرمة الحرم . ولان الله تعالى جعل الاشهر الحرم لا يحل فيها القتال ، والقتل وكل ذلك بسبب البيت الحرام ، فهو آمن بهذه الوجوه .

القراءة والاعراب :

وقوله : « واتخذوا من مقام ابراهيم » اكثر القراء على لفظ الامر . إلا ابن عامر ونافع فانهما قرأ اعلى لفظ الخبر من فعل ماض ويحتمل ان يكون اللفظ معطوفا على قوله : « واذكروا » كانه قال يابني اسرائيل اذكروا نعمتي ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .

المعنى :

وقال الربيع بن انس : من الكلمات التي ابتلى ابراهيم ربه قوله : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وكأنه قال : « اني جاعلك للناس إماما » وقال : «اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وقيل : انه معطوف على « واذ جعلنا البيت » لان معناه واذكروا اذا جعلنا البيت واتخذوا وقيل : انه معطوف على معنى « جعلنا البيت مثابة للناس » لأن فيه معنى ثوبوا اليه واتخذوا . وظاهر قوله : واتخذوا انه عام لجميع المكلفين إلا من خصه الدليل وعليه اكثر المفسرين . وقال ابو علي

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٧ .

الفارسي : وجه قراءة من قرأ ، على الخبر انه عطف على ما أضيف اليه اذ كأنه قال واذ اتخذوا قال . وتقوية قوله ان ما بعده خبر ، وهو قوله « وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل » .

المعنى :

المعني بقوله : « من مقام » قيل فيه اربعة أقوال :

احدها ـ قال ابن عباس الحج كله مقام ابراهيم .

[ثانيها] ـ وقال عطا مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار .

[ثالثها] ـ وقال مجاهد : الحرم كله مقام ابراهيم .

[رابعها] ـ وقال السدي : مقام ابراهيم هو الحجر الذى كانت زوجة اسماعيل وضعته تحت قدم ابراهيم حين غسلت رأسه . فوضع ابراهيم رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر فوضعته تحت الشق الآخر فغسلته فغابت ايضا رجله فيه فجعلها الله من شعائره ، فقال « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وبه قال الحسن ، وقتادة ، والربيع ، واختاره الجبائي ، والرماني ، وهو الظاهر في اخبارنا ، وهو الاقوى ، لان مقام ابراهيم اذا اطلق (١) لايفهم منه إلا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام . وفي المقام دلالة على نبوة ابراهيم (ع) ، لان الله تعالى جعل الصخرة تحت قدمه كالطين حتى دخلت قدمه فيها ـ وكان ذلك معجزة له ـ . وقيل في معنى قوله « مصلى » ثلاثة أقوال :

قال مجاهد : مدعى مأخوذ من صليت بمعنى دعوت .

وقال الحسن والجبائي : قبلة .

وقال قتادة والسدي : أمروا أن يصلوا عنده . وهو المروي في أخبارنا . وبذلك استدلوا على أن صلاة الطواف فريضة مثله ، لان الله تعالى أمر بذلك والامر يقتضي الوجوب ، وليس هاهنا صلاة يجب اداؤها عنده غير هذه بلا خلاف .

---

(١) في المطبوعة (انطلق) وفي المخطوطة (انطاق)

وقوله : « عهدنا الى ابراهيم واسماعيل » أي أمرنا ان طهرا . قال الجبائي : أمرا أن يطهراه من فرث ودم كان يطرحه عنده المشركون قبل ان يصير في يد ابراهيم . ويجوز أن يريد طهراه من الاصنام ، والاوثان التي كانت عليه للمشركين قبل أن يصير في يد ابراهيم . وبهقال قتادة ، ومجاهد . وقال السدي طهراه ببنائكما له على الطهارة ، كما قال : « أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير » (١)

اللغة :

والطائف، والدائر والجائل نظائر . طاف يطوف طوافاً اذا دار حول الشيء . وأطاف به اطافة : اذا ألم به . وطوف تطويفاً . والطوف : خشب أو قصب يجمع بعضه الى بعض ، يركب عليه في البحر . والطوفان مصدر طاف يطوف طوفاً . فاما طاف بالبيت فهو طواف . وأطاف به اذا احاط به . والطائف : العاس . والطوافون المماليك كقوله : (طوافون عليكم) (٢) والطائف : طائف الجن والشيطان . وكل شيء يغشى القلب من وسواسه فهو طيفه . والطائفة من كل شيء قطعة . تقول : طائفة من الناس ، وطائفة من الليل . قال الله تعالى (طائفة من الذين معك) (٣) واصل الباب الطوف : الدور .

المعنى :

ومعنى « الطائفين » هاهنا قيل فيه قولان :

احدها ـ ما قال سعيد بن جبير : « الطائفين » من أتاه من غربة .

والثاني ـ قال عطا واختاره الجبائي ، وغيرهم : الطائفون بالبيت . ـ وهو الاصح ـ

وقوله : « والعاكفين » هاهنا قيل فيه اربعة أقوال :

---

(١) سورة التوبة : آية ١١٠ .

(٢) سورة النور : آية ٥٨ .

(٣) سورة المزمل : آية ٢٠ .

الاول ـ قال عطا واختاره الجبائي : انهم المقيمون بحضرته .

والثاني ـ قال مجاهد وعكرمة : انهم المجاورون .

والثالث ـ قال سعيد بن جبير ، وقتادة : انهم أهل البلد الحرام .

والرابع ـ قال ابن عباس : هم المصلون . والاول أقوى ، لانه المفهوم من اطلاق هذه اللفظة . قال النابغة (١)

عكوف على ابياتهم يثمدونها رمى الله في تلك الاكف الكوانع(٢)

اللغة :

والعكف واللزوم والدوام على الشيء نظائر . تقول عكف يعكف ، عكفاً وعكوفاً ، اذا : لزم الشيء وأقام عليه فهو عاكف ، وعكف الطير بالقتيل . والعاكف المعتكف في المسجد ، فلما يقولون عكف ، وان قيل كان صوابا ، وانما يقولون : اعتكف . ويقال للنظم اذا نظم فيه الجوهر : عكف تعكيفاً . والمعكوف : المحبوس واصل الباب العكف وهو اللزوم .

المعنى :

والمعني بقوله : « والركع السجود » قال قتاده وعطا : هم الذين يصلون عند الكعبة ، يركعون عندها ، ويسجدون . وقال الحسن : « الركع السجود » جميع

---

(١) هو نابغة بني ذبيان .

(٢) ديوانه ، واللسان (رمي) روايتها (قعوداً) بدل (عكوف) (والانوف) بدل (الاكف) وفي بعض المصادر الاخري (عكوفا) بدل (عكوف) وفي بعض الروايات (يثمدونهم) بدل « يثمدونها » . وهذا البيت من أبيات قالها لزرعة بن عامر ، حين بعثت بنو عامر الى حصن ابن حذيفة ، وابنه عيينة بن حصن : أن اقطعوا حلف ما بينكم وبين بني أسد ، والحقوا ببني كنانة ، ونحالفكم ونحن بنو ابيكم . وكان عيينة هم بذلك ، فقالت بنو ذبيان : اخرجوا من فيكم من الحلفاء ، ونخرج من فينا ! فأبوا ، فقال النابغة : هذه الابيات ، فمدح بني أسد ، وذم بني عبس ، ونقص بني سهم ومالك من غطفان وعبد بن سعيد بن ذبيان . وهاجم بهذا البيت الجميع و « يثمدونها » الضمير عائد الى الابيات . أي يلازمون بيوتهم ، يسترزقونها ، لان معنى الثمد الاسترزاق . وهو هزء بهم . « الكوانع » جمع كانع : وهو الخاضع الذي تدانى وتصاغر .

المؤمنين ، وبه قال الفراء . وهو الاقوى ، لانه العموم . فان قيل : كيف امر الله تعالى ان يطهر بيته ولم يكن هناك بيت بعد ؟ قيل : معناه ابنيا لي بيتاً مطهراً - في قول السدي - وقال عطا : معناه طهرا مكان البيت الذي تبنياه فيما بعد . وفي الآية دلالة على ان الصلاة جوف البيت جائزة .

قوله تعالى :

« وإذ قَالَ إبراهِيمُ رَبِّ اجعل هَذا بَلداً آمِناً وارزُقْ أهلَه مِنَ الثمَرَاتِ مَن آمَنَ مِنهم باللهِ واليوم الآخرِ قَالَ وَمَنْ كفَرَ فَأُمَتعه قَليلاً ثُمَّ أَضطرُّهُ الى عذابِ النارِ وَبِئسَ المَصيرُ (١٢٧) - آية . -

المعنى :

التقدير واذكروا إذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً . فان قيل : هل كان الحرم آمنا قبل دعوة ابراهيم (ع) ؟ قيل فيه خلاف :

قال مجاهد عن ابن عباس ، وابو شريح الخزاعي : كان آمنا لقول النبي (ص) حين فتح مكة هذه حرم حرمها الله يوم خلق السماوات والارض ، وهو الظاهر في رواياتنا .

وقال قوم : كانت قبل دعوة ابراهيم كسائر البلاد ، وانما صارت حرماً بعد دعوته (ع) كما صارت المدينة . لما روي ان النبي (ص) قال : ان ابراهيم (ع) حرم مكة ، واني حرمت المدينة .

وقال بعضهم : كانت حراماً والدعوة بوجه غير الوجه الذي صارت به حراماً بعد الدعوة والاول يمنع الله إياها من الاصطلام ، والانتقام ، كما لحق غيرها من

البلاد ، وبما جعل في النفوس من تعظيمها ، والهيبة لها . والوجه الثاني ـ بالامر على ألسنة الرسل . فأجابه الله الى ماسأل وانما سأل أن يجعلها آمنا من الجدب ، والقحط لانه أسكن أهله بواد غير ذي زرع ، ولا ضرع . ولم يسأله أمنه من انتقال ، وخسف ، لانه كان آمنا من ذلك . وقال قوم : سأله الامرين على ان يديمهما له . وان كان احدهما مستأنفا ، والآخر كان قبل .

ومعنى قوله : « بلداً آمنا » أي يأمنون فيه . كما يقال : ليل نائم أي النوم فيه .

اللغة :

والبلد والمصر والمدينة نظائر . ورجل بليد اذا كان بعيد الفطنة . وكذلك يقال للدابة التي تقصر عن نظائرها . وأصل البلادة التأثير . ومن ذلك قولهم لكركرة البعير : بلدة لانه اذا برك تأثرت (١). والبلد : الاثر في الجلد ، وغيره . وجمعه أبلاد . وانما سميت البلاد من قولك . بلد او بلدة ، لانها مواضع مواطن الناس وتأثيرهم . والبلد: المقبرة ويقال : هو نفس القبر قال حفاف :

كل امرىء نازل أحبته　　ومسلم وجهه الى البلد

« ولا اقسم بهذا البلد » يعني بمكة والتبلد نقيض التجلد . وهو استكانة وخضوع . وتبلد الرجل : اذا نكس وضعف في العمر ، وغيره حتى في السجود . والبلدة : منزل من منازل القمر . وأصل الباب البلد ، وهو الاثر في الجلد ، وغيره .

المعنى :

« وقوله « فأمتعه قليلا » يعني بالرزق الذي أرزقه الى وقت مماته . وقيل فأمتعه بالبقاء في الدنيا . وقال الحسن : فامتعه بالامن والرزق الى خروج محمد (ص) فيقتله إن أقام على كفره . أو يجليه (٢) عنها . وقد قرىء في الشواذ فامتعه على وجه الدعاء

(١) في المطبوعة (اذا ترك أخرت) .

(٢) في المطبوعة (الجلية) بدل (يجليه) .

بصورة الامر ، ثم اضطره بمثل ذلك على ان يكون ذلك سؤالا من ابراهيم ان يمتع الكافر قليلا ثم يضطره بعد ذلك الى عذاب النار . والاول اجود لانـه قراءة الجماعة ، هذا مروي عن ابن عباس .

القراءة :

والراء مفتوحة في هذه القراءة وكان يجب ان تكسر كما يقال مد ومد ولم يقرأ به أحد وقرأ : ابن عباس وحده « فأمتعه قليلا » من المتعة على الخبر الباقون بالتشديد بدلالة قوله : « متعناهم الى حين » .

اللغة :

والفرق بين متعت وامتعت ان التشديد يدل على تكثير الفعل ، وليس كذلك التخفيف . وفعلت وافعلت يجيء على خمسة اقسام :

احدها ـ ان يكونا بمعنى واحد كقولهم : سميت واسميت ويجيء على التكثير والتقليل ويجيء على النقص كقولك : فرطت : قصرت . (١) وافرطت : جاوزت .

والرابع ـ توليت الفعل وتركته حتى يقع : كقوله « يخربون بيوتهم » اي يهدمون . فاما اخربت فمعناه (٢) تركت المنزل وهربت منه حتى خرب .

والخامس ـ ان ينفرد احدهما عن الآخر . كقولك : كلمت لا يقال فيه افعلت واجلست ولا يقال : منه فعلت .

المعنى :

ومعنى « ثم أضطره » ادفعه الى عذاب النار وأسوقه اليها . والاضطرار هو الفعل في الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه ، اذا كان من جنس مقدوره ، ولهذا لا يقال فلان مضطر الى كونه ـ وان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه ـ لما لم يكن السكون من جنس مقدوره . ويقال هو مضطر الى حركة الفالج وحركة العروق ، لما كانت الحركة من جنس مقدوره .

---

(١) في المطبوعة (فبصرت) .   (٢ المطبوعة فتمعناه) .

وقوله : « وبئس المصير » هو الحال التي يؤدي اليها اولها .

اللغة :

وصار وحال وآل نظائر . يقال صار يصير مصيرا ، قياسه رجع يرجع مرجعا (١) وصيره تصييرا قال صاحب العين : صير ، كل امر مصيرة والصيرورة مصدر صار يصير صيرورة . وقال بعضهم : صيور الامر اخره . قال الكميت يمدح هشام ابن عبد الملك:

ملك لم يصنع الله منـــه　　بده أمر ولم يضـع صيورا

وصارة الجبل : رأسه . والصير : الشق . وفي الحديث من نظر في صير باب ففقئت عينه فهي هـدر . وصير البقر : موضع يتخذه للحظيرة . واذا كان للغنم فهو زريبة واصل الباب : المصير ، وهو المآل .

المعنى :

ومعنى الآية سأل سؤال عارف بالله مطيع له ، وهو ان يرزق من الثمرات من آمن بالله ، واليوم الاخر ، فاجاب الله ذلك ، ثم أعلمه انه يمتع من كفر بـه ، لاجل الدنيا ، ولا يمنعه من ذلك كما يتفضل به على المؤمن ، ثم يضطره في الآخرة ، الى عذاب النار ، وبئس المصير . وهي كما قال : نعوذ بالله منها .

وقوله في الآية « قليلا » يحتمل ان يكون صفة للمصدر كما قال متــاعا حسنا فوصف به المصدر ، وليس لاحد ان يقول كيف يوصف به المصدر ، وهو فعل يدل على التكثير ، وكيف يستقيم وصف الكثير بالقليل في قوله « فأمتعه » وهلا كانت قراءة ابن عامر ان حج على هذا وذلك ايضاً إنما وصفه بانه قليل من كان آخره الى نفاد ، ونقص ، وفناء . كما قال « متاع الدنيا قليل » ويجوز ايضاً ان يكون صفة للزمان . كما قال : « عما قليل ليصبحن نادمين » يعني بعد زمان قليــل وعن ابي جعفر « ع » في قولـه : « وارزقهم من الثمرات » اي تحمل اليهم من الآفاق .

« ١ » ز المطبوعة (رجعاً) .

قوله تعالى :

« وَاذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انكَ انتَ السميعُ العليمُ » (١٢٨) آية .

تقديره واذ يرفع ابراهيم القواعد .

اللغة

والرفع والاعلاء ، والاصعاد نظائر . ونقيض الرفع الوضع . ونقيض العلو : السفل . ونقيض الاصعاد الانزال تقول : رفع يرفع رفعا . وارتفع الشيء بنفسه . وبرق رافع : ساطع . والمرفوع : من سير الفرس . والبرذون دون الحضر ، وفوق الموضوع . ويقال : إنه لحسن الموضوع . ويقال ارفع من دابتك . وقد رفع الرجل يرفع رفاعة ، فهو رفيع والمرأة رفيعة . والحمار يرفع في عدوه ترفيعاً : اذا كان عدو بعضه ارفع من بعض . وكذلك لو احدث شيئاً فرفعته : الاول فالاول ، قلت رفعة ترفيعا . فالرفع نقيض الخفض في كل شيء . والرفعة نقيض الذلة ، ورفعته الى السلطان رفعاً اي قربته اليه . وفي التنزيل « وفرش مرفوعة (١) اي مقربة . والمرفع كل شيء رفعت به شيئاً ، فجعلته عليه . واصل الباب الرفع : نقيض الخفض . تقول رفع رفعاً وارتفع ارتفاعاً ، ورفع ترفيعاً ، وترافعوا ترافعاً ، وترفع ترفعاً ، ورافعه مرافعة .

والقواعد : واحدها قاعدة . قال الزجاج : اصله في اللغه الثبوت والاستقرار ، فمن ذلك القاعدة من الجبل ، وهي اصله . وقواعد البناء أساسه الذي بني عليه . واحدتها قاعدة . وامرأة قاعدة اذا اتت عليها سنون لا تزوج . ومنه قوله : « والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً » (٢) واذا لم تحمل المرأة ، ولا النخلة . يقال : قد قعدت وهي قاعدة ، وجمعها قواعد ايضاً . وتأويلها انها قد ثبتت على ترك الحمل . واذا

« ١ » سورة الواقعة : آية ٢٤ .

« ٢ » سورة سبأ : آية ٦٠ .

قعدت المرأة عن الحيض، فهي قاعد ايضاً بغيرهاء ـ لانه لافعل لها في قعودها عن الحيض وقد قعدت المرأة اذا كانت باولاد لئام فهي قاعدة . والاقعاد ان يقعد الرجل عن الشيء البتة يقال : اقعد فهو مقعد اي اقعدته الزمانة . وللجارية ثدي مقعد اذا كان متمكناً لا ينكس وشهر ذي العقدة كانت العرب تقعد فيه عن القتال . والقعود ما يقتعد الراعي ويحمل عليه متاعه ، وجمعه قعدان · وقعيد الانسان جليسه . ومنه قوله : « عن اليمين وعن الشمالى قعيد » (١) يعني الملكين . والقعيد كلما اتى من طائر أو ظبي . ويقال للئيم : قعد ، والجبان : قاعد ، لانه قعد عن الحرب · وقعد اللئيم عن الكرم قال الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتهـــا واقعد فانك انت الطاعم الكاسي (٢)

والقعدة في النسب أقرب القرابة إلى الأب أو الجد . والمقاعد مواضع القعود في الحرب ، وغيرهـا . ومنه قوله : « مقاعد للقتال » (٣) وقعيدة الرجل امرأته القاعدة في بيته . وأصل الباب القعود . نقيض القيام . والقواعد والاساس والاركان نظائر . وقيل : انما قيل في واحدة القواعد من النساء قاعد لشيئين :

أحدهما ـ أن ذلك كالطالق والحائض وما اشبه ذلك من الصفات التي تختص بالمؤنث دون المذكر فلم يحتج إلى علامة التأنيث . وإن أردت الجلوس قلت : قاعدة لا غير لانها تشارك في ذلك الرجال .

والوجه الاخر ـ إن ذلك على وجه التشبيـــه اي ذات قعود كما يقال نابل ودارع أي ذو نبل ودرع . لاتريد به تثبيت الفعل .

الاعراب :

وموضع الجملة من قوله : « ربنا تقبل منا » نصب بقول محذوف ، فكأنه قال : يقولان ربنا تقبل منا . واتصل بما قبله ، لأنه من تمام الحال لان (يقولان) في موضع الحال .

« ١ » سورة ق : آية ١٧ .

« ٢ » اللسان (طعم) ، وكما . طاعم : حسن المطعم .

« ٣ » سورة آل عمران : آية ١٢١ .

المعنى :

قال ابن عباس معناه يقولان (١) : ربنا ، ومثله « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم » (٢) أي يقولون (٣) ومثله « والملائكة باسطو أيديهم اخرجوا أنفسكم » (٤) أي يقولون . وقال بعضهم : هو شاذ تقديره يقول : ربنا . يرده الى اسماعيل وحده . ولا يعمل على ذلك لشذوذه .

وقال أكثر المفسرين كالسدي، وعبد بن عمير الليثي ، واختاره الجبائي ، وغيرهم : إن ابراهيم واسماعيل معاً رفعا القواعد . وقال ابن عباس : كان ابراهيم يبني وإسماعيل يناوله . وقال بعض الشذاذ (٥) أن ابراهيم وحده رفعها وكان اسماعيل صغيراً - وهو ضعيف لانه خلاف ظاهر اللفظ وخلاف اقوال المفسرين . وقال أكثر أهل العلم أنها رفعا البيت للعبادة لا للسكنى ، بدلالة قوله : « ربنا تقبل منا » . وهل كانت للبيت قواعد قبل ابراهيم ؟ فيه خلاف .

فقال ابن عباس وعطا : قد كان آدم عليه السلام بناه ثم عفي أثره ، فجدده ابراهيم . وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) .

وقال مجاهد ، وعمرو بن دينار : بل انشأه ابراهيم بامر الله عزوجل إياه . وكان الحسن يقول : أول من حج البيت ابراهيم (ع) . وقد روي في اخبارنا ان أول من حج البيت آدم وذلك يدل على انه قد كان قبل ابراهيم . وانما قال : « انك أنت السميع العليم » لانه لما ذكر الدعاء ، اقتضى حينئذ ذكر ذلك ، كأنه قال : انك أنت السميع العليم بنا ، وبما يصلحنا .

ومعنى قوله : « تقبل منا » اي اثبنا على عمله ، وهو مشبه بتقبل الهدية في أصل اللغة . وروي عن محمد بن علي الباقر (ع) انه قال : ان الله تعالى وضع تحت

« ١ » في مجمع البيان : (وفي حرف عبد الله بن مسعود ويقولان ربنا تقبل منا) . وفي - حاشية - وفي حرف عبد الله يقولان ربنا .

« ٢ » سورة الرعد : آية ٢٥ .

« ٣ » يقولون سلام عليكم . « ٤ » سورة الانعام : آية ٩٣ .

« ٥ » في المطبوعة والمخطوطة (السداد) .

العرش اربع اساطين وسماه الصراح وهو البيت المعمور وقال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة ، فقال ابنوا في الارض بيتاً بمثاله ، وقدره وامر من في الارض ان يطوفوا بالبيت .

وقال ابو جعفر : اسماعيل أول من شق لسانه بالعربية ، وكان ابوه يقول : وهما يبنيا البيت : ـ يا اسماعيل هابي ابن (١) . اي اعطني حجراً ، فيقول له اسماعيل بالعربية : يا أبي هاك حجراً ـ وابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة . وروى فلا عن عبد الله بن عمر قال : لما أهبط الله آدم من الجنه قال : اني منزل معك او مهبط معك بيتاً تطوف حوله كما يطاف حول عرشي ، وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي ، ولما كان زمن الطوفان رفع وكانت الانبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لابراهيم فاعلمه (٢) مكانه فبناه من خمسة اجبل : من حرا ، وثبير ، ولبنان ، وجبل الطور ، وجبل الخمر (٣) . قال الطبري وهو جبل بدمشق .

قوله تعالى :

« رَبَّنا وَاجعَلنا مُسلِمين لَكَ وَمن ذُرِّيَتنا أُمةً مُسلمة لَكَ وَأرنا مَناسِكنا وتُب عَلَينا اِنكَ أنت التَّوابُ الرَّحيم » (١٢٩)

آية بلا خلاف .

روي في الشواذ عن عوف بن الاعرابي انه قرأ (مسلمين) على الجمع . وانما سألا الله تعالى أن يجعلها مسلمين بمعنى : ان يفعل لهما من الألطاف ما يتمسكان معه بالاسلام في مستقبل عمرهما لان الاسلام كان حاصلا في وقت دعائهما ويجري ذلك مجرى احدنا ، اذا أدب ولده وعرّضه لذلك حتى صار أديباً جاز أن يقال : جعل ولده أديباً وعكس ذلك اذا عرّضه للبلاء ، والفساد ، جاز ان يقال : جعله ظالماً محتالاً فاسداً ويجوز ان يكونا قالاذلك تعبداً كما قال تعالى: «ربّ احكم بالحق» .

« ١ » وفي العبرانية معنى اعطني حجرا : هابلي ابن .

« ٢ » في المطبوعة (كابراهيم اعلمه) وهو تحريف .

« ٣ » الخمر جبل بيت المقدس سمي بذلك لكثرة كرومه (ياقوت) .

المعنى :

والاسلام : هو الانقياد لامر الله تعالى بالخضوع ، والاقرار بجميع ماأوجب عليه . وهو والايمان واحد عندنا ، وعند اكثر المرجئة والمعتزلة . وفي الناس من قال: بينهما فرق ، وليس ذلك بصحيح ، لقوله « ان الدين عند الله الاسلام » . وقوله : « ومن يبتغ غير الاسـلام دينا فلن يقبل منـه » (١) وانما خصّها بالدعوة بعض الذرية في قوله : « ومن ذريتنا » ، لان (من) للتبعيض من حيث أن الله تعالى : كان أعلمه أن في ذريتها من لا ينال العهد ، لكونه ظالماً . وقال السدي : إنما عنيا (٢) بذلك العرب . والاول هو الصحيح . وهو قول اكثر المفسرين .

وقوله : « وأرنا مناسكنا » فالمناسك هاهنا المتعبدات قال الزجاج : كل متعبد منسك (٣) . وقال الجبائي : المناسك هي ما يتقرب به الى الله من الهدى ، والذبح ، وغير ذلك من اعمال الحج والعمرة . وقال قتادة : أراها الله مناسـكها الطواف بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة ، والافاضة عن عرفات والافاضة من جمع ورمي الجمار حتى أكمل الله الدين . فهذا القول أقوى لأنه العرف في معنى المناسك وقال عطا : مناسكنا مذابحنا .

اللغة :

والنسك في اللغة : العبادة . رجل ناسك عابد، وقد نسك نسكا . والنسك : الذبيحة يقال : من فعل كذا فعليه نسك ، اي دم يهريقه ، ومنه قوله : « او نسك » اي دم واسم تلك الذبيحة : النسيكة والموضع الذي يذبح فيه المناسك والمنسك هو النسك نفسه . قال الله (تعالى) : « ولكل امة جعلنا منسكا » ويقال: نسك ثوبه اي غسله وقال ابن دريد : النسك اصله ذبائح كانت تذبح في الجاهلية . والنسيكة : شـاة كانوا

« ١ » سورة آل عمران : آية ٨٥ .
« ٢ » في المطبوعة (عينا) .
« ٣ » في المطبوعة والمخطوطة (منك) .

يذبحونها في الحرم في الاسلام ، ثم نسخ ذلك بالاضاحي قال الشاعر (١) :

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه   ولا تعبدالشيطان والله فاعبدا (٢)

واصل الباب العبادة وقيل ان النسك الغسل . قال الشاعر :

فلا ينبت المرعى سباخ عراعر   ولو نسكت بالماء ستة اشهر (٣)

اي غسلت ذكره الحسين بن علي المغربي . قال : وليس بمعروف .

وقوله : « وارنا » (٤) يحتمل امرين : احدهما ـ ان يكون من رؤية البصر. والآخر ـ أن يكون من رؤية القلب بمعنى اعلمنا . قال حطائط بن جعفر «٥»

اريني جوادا مات هزلا لعلني   ارى ما ترين او بخيلا مخلدا «٦»

اي عرفني ومعنى قوله: « وتب علينا » اي ارجع علينا بالرحمة والمغفرة وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة ، او فعل القبيح عليهم . ومن ادعى ذلك ، فقد ابطل . وقال قوم : معناه تب على ظلمة ذريتنا .وقيل : بل قالا: ذلك انقطاعا اليه « تعالى » تعبدا ليقتدى بها فيه . وهو الذي نعتمده .

« والتّواب » القابل للتوبة ههنا واذا وصف به العبد ، فمعناه أنه فاعل التوبة دفعة بعد اخرى ، فيفيد المبالغة . فعلى مذهبنا اذا قلنا : قبل الله توبته اي تاب عليه معناه انه يستحق الثواب . واذا قلنا : تاب العبد من كبيرة مع الاقامة على

« ١ » قائله الأعشى الكبير ميمون بن قيس من قصيدة يمدح بها رسول الله (ص) .

« ٢ » ديوانه ١٣٧ رقم القصيدة ١٧ . وروايته (الاوثان) بدل (الشيطان) . واللسان (نصب) ورواية العجز : لعافية والله ربك فاعبدا .

وفي اللسان ـ حاشية ـ قوله : « العافية » كذا بنسخة من الصحاح الخط وفي نسخ الطبع كنسخ شارح القاموس « العاقبة » . وفي اللسان ايضا . ويروي عجز بيت الأعشى : ولا تعبد .... اي كما انبتنا .

ذا النصب يعني اياك وذا النصب . اي لا تذبح القرابين للأصنام . فاعبدا أراد فاعبدن.

« ٣ » اللسان ـ (نسك) . ولم ينسبه .   « ٤ » في المطبوعة (وانا)

« ٥ » هو رجل من بني نهشل بن دارم .

« ٦ » اللسان « أنن » و « علل » . قال ابن بري فيه : قال حطائط بن جعفر ، ويقال هو لدريد . وروايته « لانني » بدل « لعلني » وهما بمعنى واحد . والشاعر يخاطب امه عند ملامته على انفاقه ماله .

كبيرة اخرى معناه عند من أجاز ذلك انه رفع العقاب بها على تلك الكبيرة التي تاب منها . وعندنا أنه يستحق بها الثواب ايضاً . وفي الآية دلالة على انه يحسن الدعاء بما يعلم الداعي أنه يكون لا محالة ، لانهما كانا عالمين بأنهما لايفارقان الاسلام . ولا ياتيان الكبيرة .

القراءة :

والاختيار في « ارنا » كسر الراء وهي قراءة الجمهور ، لانها كسرة الهمزة حولت الى الراء ، لأن اصله كان ارئنا ، فنقلت الكسرة الى الراء وسقطت الهمزة، فلا ينبغي أن تسكن ، لئلا تجحف بالكلمة وتبطل الدلالة على الهمزة . وقد سكنه ابن كثير . وفي بعض الروايات عن ابي عمر وعلى وجه التشبيه بما يسكن في مثل كبد ونخذ وقال الشاعر :

لو عصر منه المسك والبان انعصر

وقال آخر :

قالت سليمى اشتر لنا دقيقا　　واشتر وعجل خادما لبيقا

قوله تعالى :

« رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (١٣٠) آية واحدة بلا خلاف .

الضمير في قوله فيهم راجع الى الامة المسلمة التي سأل الله ابراهيم من ذريته . والمعني بقوله « رسولا منهم » هو النبي (ص) لما روي عن النبي (ص) انه قال : انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى (ع) يعني قوله « ومبشراً برسول يأتي من بعده اسمه أحمد » (١) وهول قول الحسن وقتادة والسدي وغيرهم من اهل العلم .

« ١ » سورة الصف : آية ٦ .

ويدل على ذلك ايضاً ، وان المراد به نبينا (ص) دون الانبياء الذين بعثهم الله من بني اسرائيل انه دعى بذلك لذريته الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنته الآية .

وفي قوله : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم » ولم يبعث الله من هذه صورته إلا محمداً « ص » . والمراد بالكتاب القرآن ـ على قول ابن زيد واكثر المفسرين ـ ومعنى « الحكمة » هاهنا السنة . وقيل المعرفة بالدين والفقه في التأويل . وقيل العلم بالاحكام التي لا يدرك علمها إلا من قبل الرسل « ع » فالاول قول قتادة ، والثاني قول انس بن مالك والثالث قول ابن زيد . وقال قوم هو كلام مثنى كأنه وصف التنزيل بانه كتاب ، وبانه حكمة ، وبانه آيات . وقال بعضهم : الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره به كما ينور البصر فيدرك المبصر ، وكل حسن .

ومعنى قوله : « ويزكيهم » قال ابن عباس : هو طاعة الله والاخلاص له . وقال ابن جريج يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه . وقال الجبائي : « ويزكيهم » معناه يستدعيهم الى فعل ما يزكون به ، من الايمان والصلاح . ويحتمل ان يراد به انه يشهد لهم بالزكاء آمنوا واصلحوا .

اللغة :

و « العزيز » القادر الذي لا يعجزه شيء . وقيل : القادر الذي لا يمتنع عليه شيء اراد فعله . وقيل : القدير وهو مبالغة الوصف بالقدرة . ونقيض العز الذل . ويقال : عزه يعز عزة وعزازاً . واعتز به اعتزازاً . وتعزز تعززاً . وعازه معازة . تقول : عز يعز عزة وعزاً : اذا صار عزيزاً . وعز يعز عزاً : اذا قهر . ومنه قولهم : من عز بز اي من غلب سلب . وكل شيء صلب ، فقد اعتز . وسمي العزاز من الارض : وهو الطين الصلب الذي لا يبلغ ان يكون حجارة . وعن الشيء اذا قل لا يكاد يوجد . وفلان اعتز بفلان اذا تشرف به « وعزني في الخطاب » (١) اي

« ١ » سورة ص : آية ٢٣ .

غلبني في محاوراة الكلام والعزاء : السنة الشديدة ، والمطر يعزز الارض تعزيزاً اذا لبدها . واصل الباب : القوة .

المعنى :

وقوله : « الحكيم » يحتمل امرين :

احدهما ـ المدبر الذي يحكم الصنع ، يحسن التدبير .

والثاني ـ بمعنى عليم ، والاول بمعنى حكيم في فعله بمعنى محكم ، فعدل الى حكيم ، للمبالغة . وانما ذكر الحكيم هاهنا ، لأنه يتصل بالدعاء ، كأنه قال : فزعنا إليك ، لانك القادر على إجابتنا العالم بما في ضمائرنا وبما هو أصلح لنا مما لا يبلغه علمنا .

قوله تعالى :

« وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ »

(١٣١) ـ آية بلا خلاف ـ

اللغة :

قوله : « ومن يرغب » فالرغبة : المحبة لما فيه للنفس منفعة . ورغب فيه ضد رغب عنه . والرغبة : المحبة (١) . والرغبة والمحبة والارادة نظائر . وبينها فرق . نقيض الرغبة الرهبة ونقيض المحبة : البغضة . ونقيض الارادة الكراهية . تقول : رغب رغبة وأرغبه إرغاباً . ورغّبة ترغيباً . وتقول : رغب رغبة ، ورغباً ، ورغبى ورغباً إذا ملت لمحبك (٢) ، ورغبت عنه إذا صددت عنه ، وأنا راغب به فيهما جميعاً ، والشيء مرغوب فيه ، ومرغوب عنه . ولي عن فلان مرغب . وهو رجل

« ١ » ـ « والرغبة : المحبة » ساقطة من المطبوعة .

« ٢ » في المطبوعة « اذا املت لمحبتك » .

رغيب : نهم شديد الاكل (١) وفرس رغيب الشحوة (٢) كثير الأخذ بقوائمه من الارض . وموضع رغيب واسع والرغبة العطاء الكثير الذي يرغب في مثله . وقال صاحب العين : اللهم اليك الرغباء ومن لدنك النعماء ، ورغبت عن الشيء إذا تركته .

الاعراب :

ومعنى « ومن يرغب عن ملة إبراهيم » لفظه الاستفهام ، ومعناه الجحد (٣)، كأنه قال : ما يرغب عن ملة ابراهيم ولا يزهد فيها إلا من سفه نفسه وكأنه قال : واي الناس يزهد فيها « إلا من سفه نفسه » والاولى على الاستفهام ، ومعناه الجحد (٤) . والثانية ـ بمعنى الذي كأنه قال : إلا الذي سفه نفسه . وفي نصب (نفسه) خلاف . قال الاخفش : معناه سفّه نفسه . وقال يونس : اراها لغة . قال الزجاج : اراد أن فعل (٥) لغة في المبالغة . كما أن فعل كذلك . فعلى هذا يجوز سفهت زيداً : بمعنى سفهت . وقال ابو عبيدة : معناه اهلك نفسه ، وأوبق نفسه . وقال ابن زيد : إلا من اخطأ حظه . وقال ابن تغلب والمبرد : سفه ـ بكسر الفاء ـ يتعدى ، وسفه ـ بضم الفاء ـ لا يتعدى . فهذا كله وجه واحد .

والثاني ـ أن يكون على التفسير ، كقوله « فان طبن لكم عن شيء منه نفساً »(٦) وهو قول الفراء : قال : العرب توقع سفه على نفسه . وهي معرفة ، وكذلك « بطرت معيشتها » (٧) . وانكر الزجاج هذا الوجه . وقال : معنى التمييز لا يحتمل التعريف ، لأن التمييز انما هو واحد يدل على جنس (٨) ، فاذا عرفته صار مقصوداً بعينه .

والوجه الثالث ـ ان يكون على التمييز ، والمضاف على الانفصال ، كما تقول :

« ١ » في المخطوطة « نهم بتشديد الاحل » وفي المطبوعة « نهم شديد الاكل » .

« ٢ » في المطبوعة « الشجرة » وفي المخطوطة غير منقطة .

« ٣ ، ٤ » في المطبوعة « الحجة » وهو تحريف .

« ٥ » في المخطوطة والمطبوعة « ان سفه » وهو غلط لان الجملة الثانية تدل على ما ابتدناه .

« ٦ » سورة النساء : آية ٤ « ٧ » سورة القصص : آية ٥٨

« ٨ » في المطبوعة (حسن)

مررت برجل مثله أي مثل له .

والوجه الرابع ـ على حذف الجار ، كما قال : « أن تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم » (١) اي لأولادكم . ومثله « ولا تعزموا عقدة النكاح » (٢) اي على عقدة النكاح . قال الشاعر :

نغالي اللحم للأضياف نيئاً ونرخصه إذا نضج القدير (٣)

والمعنى نغالي (٤) باللحم . وقال الزجاج : وهذا مذهب صحيح . واختار هو أن سفه بمعنى جهل . وهو موافق لمعنى ما قال ابن السراج في « بطرت معيشتها » لان البطر مستقل النعمة غير راض بها . وقال ابو مسلم : معناه جهل نفسه ، وما فيها من الآيات الدالة على ان لها صانعا ليس كمثله شيء فيعلم به توحيد الله وصفاته .

اللغة :

ومعنى قوله : « ولقد اصطفيناه في الدنيا » اخترناه للرسالة والصفو : التميز من سائر الكدر . واصطفيناه على وزن افتعلناه من الصفوة . وانما قلبت التاء طاء ، لانها اشبه بالصاد بالاستعلاء والاطباق ، وهي من مخرج التاء فأتى بحرف وسط بين الحرفين . والاصطفاء والاختيار والاجتباء نظائر . والصفاء والنقاء والخالص (٥) نظائر والصفاء نقيض الكدر . وصفوة كل شيء خالصه من صفوة الدنيا ، وصفوة الماء وصفوة الاخاء تقول : صفا صفاء ، واصفاه اصفاء ، واصطفاه ، اصطفاء . وتصفى تصفيا وتصافوا تصافيا . وصفاه تصفية وصافاه مصافاة . واستصفاه استصفاء . والصفا مصافاة المودة والاخاء . والصفاء مصدر الشيء الصافي وإذا اخذت صفوة ماء

« ١ » سورة البقرة : آية ٢٣٣ .

« ٢ » سورة البقرة : آية ٢٣٥ .

« ٣ » اللسان (غلا) قال ابو مالك : نغالي اللحم نشتريه غالياً ثم نبذله ونطعمه اذا نضج في قدورنا وفي المطبوعة (تعالى) بدل نغالي . وفي المطبوعة والمخطوطة (نبذله) بدل (نرخصه) و « القدور » بدل « القدير » .

« ٤ » في المطبوعة « تعالى يستعمونها » بدل « نغالي باللحم » .

« ٥ » في المطبوعة « الخاص » .

من غدير ، قلت استصفيت صفوة . وصفي الانسان : الذي يصافيه المودة . وناقة صفي كثيرة اللبن. ونخلة صفية : كثيرة الحمل. والجمع الصفايا والصفا: الحجر الضخم الأملس الصلب. فاذا انثوا(١) الصخرة قالوا صفاة صفواء. واذا ذكروا قالوا صفا صفوان والصفوان واحدته صفوانة. ومن الحجارة : الملس لا تنبت شيئاً . قال تعالى : « كمثل صفوان عليه تراب»(٢) . واصل الباب : الصفا : الخلوص .

قوله : « وانه في الآخرة لمن الصالحين » انما خص الآخرة بالذكر وان كان في الدنيا كذلك لان المعنى من الذين يستوجبون على الله الكرامة وحسن الثواب، فلما كان خلوص الثواب في الآخرة دون الدنيا ، وصفه بما ينبيء عن ذلك . ففي قوله : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه » دلالة على ان ملة ابراهيم هي ملة نبينا محمد « ص » ، لان ملة ابراهيم داخلة في ملة محمد « ص » مع زيادات في ملة محمد « ص » فبين أن الذين يرغبون من الكفار عن ملة محمد التي هي ملة ابراهيم ، قد سفهوا أنفسهم وهو معنى قول قتادة والربيع .

قوله تعالى :

« اذ قالَ له رَبّهُ اَسْلِم قال اَسْلَمتُ لِربّ العالَمينَ (١٣٢)

آية بلا خلاف .

قوله : « اذ قال له ربه » متعلق بقوله : « ولقد اصطفيناه » وموضعه نصب وتقديره : ولقد اصطفيناه حين قال له ربه اسلم . وقال الحسن : انما قال ذلك ، حين أفلت الشمس ، « فقال يا قوم إني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي » (٣) وانه اسلم حينئذ . وهذا يدل على أنه كان ذلك قبل النبوة . وأنه قال له ذلك : إلهاماً استدعاه به الى الاسلام ، فاسلم حينئذ . لما وضح له طريق الاستدلال بما رأى من الآيات ، والعبر الدالة على توحيده . ولا يصح أن يوحي الله تعالى اليه قبل اسلامه بانه نبي الله ، لان النبوة حال اعظام واجلال . ولا يكون ذلك قبل الاسلام . وانما

(١) في المخطوطة (نعتوا) . (٢) سورة البقرة : آية ٢٦٤ .
(٣) سورة الانعام : آية ٧٨ .

قال: «اصطفيناه» على لفظ المتكلم مع قوله: «اذ قال له ربه» على لفظ الغائب للتصرف في الكلام كما قال الشاعر:

باتت تشكي الي النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا (١)

والاسلام واجب على كل مكلف، وان اختلفت شرائع الانبياء فيما يتعبدون: من الحلال، والحرام. لقوله «تعالى»: ان «ان الدين عند الله الاسلام» (٢) وان الاسلام انما هو الاخلاص لله بالعمل بطاعته، واجتناب معصيته وذلك واجب على كل متعبد. وكله اسلام.

قوله تعالى:

« وَوَصَّى بِهَا إِبراهيمُ بَنِيه وَيَعقُوبُ يا بَنِيَّ إنّ اللهَ اصطَفى لَكُمُ الدّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلا وأنتُم مُسلِمُونَ » (١٣٣) آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ أهل المدينة، وابن عامر «واوصى» بهمزة مفتوحة بين الواوين، وتخفيف الصاد. الباقون ووصى مشددة الصاد. ومن قرأ وصى ذهب إلى قوله: «فلا يستطيعون توصية» (٣) ومصدر وصى مثل قطع تقطعة ولم يجيئوا به على تفعيل كراهية اجتماع الياءات مع الكسرة. ومن قرأ أوصى فلقوله: «من بعد وصية يوصي بها» (٤) وكلاهما جيدان.

اللغة:

والوصية مأخوذة من قولهم: اوصى النبت: اذا اتصل بعضه ببعض فلما

(١) اللسان (جهش) قائله لبيد. اجهش اذا تهيأ للبكاء.
(٢) سورة آل عمران: ١٩. (٣) سورة يس آية: ٥٠.
(٤) سورة النساء: آية ١٠.

أوصل الموصي جل أمره الى الموصى إليه ، قيـل : وصـية . وصى وأوصى وأمر وعهد نظائر في اللغة . وضد أوصى أهمل . والوصاة كالوصية، والوصاية مصدر التوصي. والفعل أوصيت إيصاء ووصيت توصية ، في المبالغة ، والكثرة وتقول : قـد قبل الوصاية . وإذا انطاع المرعى للسائمة فاصابته رواعد ، قيل وصى لهـا الرعي يصي وصيا . ووصيا . وأصل الباب : الوصية وهي الدعاء إلى الطاعة .

المعنى :

والهاء في قوله : « ووصى بها » يحتمل ان تعود الى احد شيئين :

احـدهما الى الملة . وقـد تقـدم ذكرها في قوله : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم » .

والثاني ـ ان يعود الى الكلمة في قوله : « اسلمت لرب العالمين » . والاول أقوى ، لانه مذكور في اللفظ . وهو قول الزجاج . واكثر المفسرين . والثاني حكاه البلخي وبعض اهل اللغـة . وارتفع يعقوب ، لانه معطوف على ابراهيم . والمعنى ووصى بها يعقوب . وبه قال ابن عباس وقتادة . وقال بعضهم : إنه على الاستئناف كأنه قال : ووصى يعقوب أن « يا بني إن الله اصطفى لـكم الدين » والاول اظهر لأن عليه اكثر المفسرين . « والألف واللام » . في الدين للعهد دون الاستغراق، لانه إنما اراد بذلك دين الاسلام دون غيره من الأديان . وانما أسقطت (أن) في « وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب » أن « يا بني » واثبت في « إنا ارسلنا نوحاً الى قومه أن انذر » (١) ، لأن اوصى في الآية بمعنى القول ، فجعل بمنزلة قولك الا تقديره تقدير القول ، فيجوز حينئذ إلحاق أن . كما قال : « إنا ارسلنا نوحاً الى قومه أن انذر » ومثله « وآخر دعواهم أن الحمد لله » (٢) وقوله : « فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله » (٣) وكل هذا الباب يجوز فيه الوجهان : بان تقدره تقدير القول ، ليكمل به تقدير الفعل الذي ليس بقول . واما قولـه : « ان كان ذا

---

(١) سورة نوح : آية ١ . (٢) سورة يونس : آية ١٠ .
(٣) سورة الاعراف : آية ٤٣ .

مال وبنين » (١) فلا يجوز إسقاطها في مثله من الكلام ، لانه ليس فيه معنى الحكاية ، والقول كما في الدعوى ، والارسال . واما قوله : « والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم (٢) فلا يجوز في مثله إثبات ، لأنه يضمر معه القول ، ولا يجوز معه التصريح بالقول ، ولا مع اضمار أن لأنه حكاية كما تقول : قلت له : زيد في الدار ، ولا يجوز قلت له : أن زيداً في الدار وانشد الكسائي :

إني سأبدي لك فيما ابدي   لي شجنان : شجن بنجد

وشجن لي ببلاد الهند (٣)

لأن الابداء قول . ومنه قوله : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة » (٤) ، لأن العدة قول . فان قيل : كيف قال : « لا تموتن » على وجه النهي لهم عن الموت ، والموت ليس في مقدورهم ، فيصح أن ينهوا عنه ؟ قلنا : اللفظ وإن كان على لفظ النهي . فما نهوا عن الموت ، وانما نهوا في الحقيقة عن ترك الاسلام : لئلا يصادفهم الموت عليه ، وتقديره لا تتعرضوا للموت على ترك الاسلام بفعل الكفر ، ومثله من كلام العرب لا رأيتك (٥) ها هنا ، فالنهي في اللفظ للمتكلم ، وإنما هو في الحقيقة للمخاطب ، فكأنه قال : لا تتعرض لأن اراك بكونك هاهنا . ومثله لا يصادفنك الامام على ما يكره ، وتقديره : لا تتعرض لأن يصادفك على ما يكره . ومثله لا يكونن زيد إلا عندك تقديره : لا تتعرض لأن يكون زيد ليس عندك : بالتفريط في ذلك ، والاهمال له والأصل في هذا أن التعريض لوقوع الشيء بمنزلة ايقاع الشيء .

وقوله : « وانتم مسلمون » جملة في موضع الحال . وتقديره : لا تموتن إلا مسلمين .

---

(١) سورة القلم : آية ١٤ .   (٢) سورة الانعام : آية ٩٣ .

(٣) اللسان (شجن) . الشجن : هوى النفس وهو مجاز من الحزن والهم . وكنوا به المرأة المحبوبة التي تشغل القلب .   (٤) سورة المائدة : آية ١٠ .

(٥) في المخطوطة والمطبوعة (لارينك) .

قوله تعالى :

«أم كُنتُمْ شُهَداءَ إذ حَضَرَ يَعقوبَ الموتُ إذْ قالَ لِبَنيه ما تَعبُدُونَ مِنْ بَعدي قالُوا نَعبُدُ إلهكَ وإلهَ آبائِكَ إبْراهِيمَ وإسْماعِيلَ وإسحاقَ إلهاً واحداً ونَحنُ لهُ مُسلمُون» (١٣٤) ـ آية واحدة بلا خلاف ـ

(أم) هاهنا منقطعة وليست بمتصلة كقوله : الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه » (١) ومثله قول الشاعر (٢) :

كذبتك عينُك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا (٣)

ولا تجيء منقطعة الألف وقد تقدمها كلام ، لانها بمعنى بل ، وألف الاستفهام . كأنه قيل : بل كنتم شهداء ، ومعناها ـ هنا ـ الجحد : اي ما كنتم شهداء . واللفظ لفظ الاستفهام . والمعنى على خلافه ، لأن إخراجه مخرج الاستفهام أبلغ في الكلام ، وأشد مظاهرة في الحجاج : أن يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فتلزم الحجة ، والانكار له فتظهر الفضيحة ، فلذلك اخرج الجحد (٤) في الاخبار مخرج الاستفهام .

والمخاطب بـ « أم كنتم شهداء » أهل الكتاب في قول الربيع . والمعنى : انكم لم تحضروا ذلك ، فلا تدّعوا على انبيائي ورسلي الأباطيل بنحلكم إياهم خلاف الاسلام من اليهودية والنصرانية ، فاني ما بعثتهم إلا بالحنفية . والشهداء جمع شهيد . و (إذ) ها هنا بدل من (إذ) الاولى ، والعامل فيها معنى الشهادة . وقيل بل العامل فيها حضر ، وكلاهما حسن .

اللغة :

والحاضر والشاهد من النظائر . ونقيض الحاضر الغائب . ويقال : حضر

« ١ » سورة السجدة : آية ١ و ٢ و ٣ . « ٢ » هو الاخطل .

« ٣ » انظر ١ : ٣ . ٤ تجد التفصيل « ٤ » في المطبوعة (الحجة) .

حضوراً ، واحضره إحضاراً ، واستحضره استحضاراً ، واحتضره احتضاراً ، وحاضره محاضرة . والحضر خلاف البدو . وحضرت القوم أحضرهم حضوراً : اذا شهدتهم . والحاضر خلاف الغائب . واحضر الفرس إحضاراً : اذا عدا عدواً شديداً واستحضرته استحضاراً . والحضرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة الى العشرة . وحاضرت الرجل محاضرة وحضاراً : إذا عدوت معه . وحاضرته : اذا جاثيته عند السلطان ، أو في خصومة ، ومحضر القوم مرجعهم الى المياه بعد النجعة ، وفرس محضر . ولا يقال : محضاراً . وألقت الشاة حضيرتها يعني المشيمة وغيرها . والابل الحضار البيض . لا واحد لها من لفظها مثل الهجان سواء . وحضرة الرجل فناؤه وأصل الباب الحضور : خلاف الغيبة .

الاعراب :

وقوله « إلهاً واحداً » يحتمل انتصابه أحد أمرين :

احدهما ـ أن يكون حالا من قوله : « إلهك » :

والآخر ـ أن يكون بدلا من إلهك . وتكون الفائدة فيه التوحيد ، وانما قدم اسماعيل على اسحاق ، لأنه كان اكبرهم . به قال ابن زيد .

وقوله : « ونحن له مسلمون » الجملة في موضع نصب على الحال . وقيل لا موضع لها ، لانها على الاستئناف و« ابراهيم واسماعيل واسحاق » في موضع خفض . والعامل فيها ما عمل في ابائك ، لانه مبين له . كما تقول : مررت بالقوم : اخيك ، وغلامك وصاحبك . وانما قال : « آبائك » واسماعيل عم يعقوب ، لما قاله الفراء وابوعبيدة : من أن العرب تسمي العم أباً فالآية دالة على أن العمومة يسمون آباء .

وقد روي عن النبي (ص) انه قال : ردّوا علي ابي يعني العباس عمه فسمي العم أباً كما سمي الجد أباً من حيث يجب له التعظيم ، نحو ما يجب للأب ، وقد قرىء في الشواذ واله أبيك ، فعلى هذا ينجر اسماعيل واسحاق على العطف ، وهو غير المعنى الاول ، لانه مترجم عن الآباء وفي الثاني عطف غير ترجمة كما تقول رأيت غلام زيد وعمر ، أي غلامها فكانه قال : لهم ولم يذكر بالابوة إلا ابراهيم وحده

والقراءة الاولى هي المشهورة وعليها القراء .

قوله تعالى :

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٥) آية بلا خلاف .

اللغة :

قوله : « تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم » فالامة المراد بها هنا الجماعة والامة على ستة اقسام الجماعة والامة : الحين لقوله : « واذكر بعد امة » (١) أي بعد حين ، والامة القدوة والامام . لقوله : « ان ابراهيم كان امة قانتا » (٢) والامة القامة وجمعها امم . قال الاعشى :

وان معاوية الاكرمين　　حسان الوجوه طوال الامم (٣)

والامة : الاستقامة في الدين والدنيا . قال النابغة :

وهل يأثمن ذو امة وهو طائع (٤)

والامة : أهل الملة الواحدة . كقولهم : أمة موسى ، وامة عيسى ، وامة محمد (ص) واصل الباب : القصد من أمه يؤمه . اذا قصده . ومعنى خلت . مضت كما تقول : الثلاث خلون من الشهر ، أي مضين وأصله : الانفراد ومنه خلا الرجل بنفسه : اذا انفرد . وخلا المكان من أهله أي انفرد منهم . وحد الخلو : حصول الشيء وحده . والفرق بين الخلو والفراغ ، أن الخلو اذا لم يكن مع الشيء غيره ، وقد يفرغ منه وهو معه . فاذا قلت خلا منه فليس معه . والكسب : العمل الذي يجلب

---

(١) سورة يوسف : آية ٤٥ .

(٢) سورة النحل : آية ١٢٠ .

(٣) ديوانه . رقم القصيدة ٤ . وروايته (عظام القباب) بدل (حسان الوجوه) . وفي اللسان (امم) (بيض الوجوه) .

(٤) اللسان (امم) . وصدر البيت :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة

في المخطوطة والمطبوعة (وهو ظالم) .

به نفع ، و يدفع به ضرر عن النفس . وكسب لاهله : اذا اجتلب ، ذلك لهم بعلاج ومراس . ولذلك لا يجوز في صفة الله .

وقوله « ولا تسألون عما كانوا يعملون » معناه انه لا يقال لكم اعملوا كذا وكذا . وعلى جهة المطالبة بما يلزمهم من أجل عملهم . كما لا يقال لهم لم عملتم انتم كذا وكذا . وانما يطالب كل انسان بعمله دون عمل غيره كما قال : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » (١) وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة : إن الابناء يؤخذون بذنوب الآباء . ويؤخذ الطفل بذنب ابيه ، لان الله تعالى نفى ذلك ومثله قوله : «ولا تزر وازرة وزر اخرى» وقوله : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم » (٢) . والاشارة بقوله : « تلك امة » الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ولدهم . يقول الله تعالى لليهود والنصارى : يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والمسلمين من اولادهم بغير ماهم اهله ، ولا تنسبوا اليهم الكفر ، واليهودية والنصرانية ، ولا تضيفوها اليهم وإنها امة قد خلت ولا تسألون انتم عما كانوا يعملون .

الاعراب :

وقوله « لها ما كسبت » يحتمل ان يكون موضعه نصب بأنه حال كأنه قال: قد يلزمها ما تستحقه بعملها . ويجوز أن لا يكون لها موضع لانها مستأنفة . ولا يكون جزء من الجزء الاول ، لكن تكون متصلة به في المعنى وان لم تكن جزء منه ، لانهما خبران في المعنى عن شيء واحد . كأنه قيل الجماعة . قد خلت . والجماعة لها ما كسبت .

قوله تعالى :

وَقَالوا كونُوا هوداً أو نَصارى تَهتدُوا قُل بَلْ مِلَّةَ ابراهيمَ

« ١ » سورة الانعام : آية ١٦٤ .

« ٢ » سورة المؤمن : آية ١٧ .

حَنيفاً وَمَا كانَ مِنَ المُشرِكينَ (١٣٦) آية بلا خلاف .

الضمير في قوله : « وقالوا كونوا » يرجع الى اليهود ، والنصارى ، لان كل فريق منهم دعي الى ماهو عليه ومعنى « تهتدوا » أي تصيبوا طريق الحق . كأنهم قالوا : تهتدوا الى الحق .

وروي عن عبدالله بن عباس ، انه قال: قال عبد الله بن صوريا الاعور لرسول الله (ص) : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يامحمد تهتد . وقالت النصارى : مثل ذلك فانزل الله (تعالى) «وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا الآية » وفي قوله : « بل ملة ابراهيم حنيفاً » حجة على وجوب اتباع ملة ابراهيم إذ كانت سليمة من التناقض . وكان في اليهودية والنصرانية تناقض ، وذلك لا يكون من عند الله فصارت ملة ابراهيم احق بالاتباع من غيرها . والتناقض في اليهودية مثل منعهم من جواز النسخ مما في التوراة مما يدل على جواز ذلك وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الامي مع اظهارهم التمسك بها ، وامتناعهم من الاذعان لما (١) دلت عليه المعجزة : من نبوة عيسى ، ونبوة محمد (ص) مع اقرارهم بنبوة موسى من أجل المعجزة الى غير ذلك من انواع التناقض . وأما النصارى أب وابن وروح قدوس إله واحد مع زعمهم ان الاب ليس هو الابن وان الاب إله والابن إله وروح القدس إله . فاذا قيل لهم قولوا ثلاثة آلهة امتنعوا من ذلك . الى ما يصفون به الباري تعالى مما (٢) يوجب الحاجة والحدث . ويقولون : مع ذلك انه قديم لم يزل الى غير ذلك من مناقضاتهم التي لا تحصى كثيرة ، وهي موجودة في الكتب عليهم نبهنا على جملها . وأما الحنيفية فهي الاستقامة . وانما قيل للذي يقبل باحدى قدميه على الاخرى أحنف تفاؤلا بالسلامة كما قيل للمهلكة : مفازة تفاؤلا بالفوز ، والنجاة ، وهو قول الرياشي وابن قتيبة ، واهل اللغة . وقال الزجاج : أصله الميل ، وابراهيم حنيف الى دين الاسلام ، وقال : العادل الى دين

«١» في المطبوعة «ما» .

«٢» في المطبوعة «منا» .

ربه عن اليهودية ، والنصرانية . وقال ابو حاتم : قلت للاصمعي من أين عرف في الجاهلية الحنيف ؟ فقال : لانه من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عندهم ، ولأن كل من حج البيت كانوا يسمونه حنيفاً وكانوا اذا أرادوا الحج قالوا : هلم نتحنف . وقال صاحب العين : الحنف ميل في صدر القدم . يقال رجل حنف ، وسمي الأحنف لحنف كان به . وقالت حاضنته وهي ترقصه :

والله لولا حنف برجله ماكان في صبيانكم كمثله(١)

والحنيف : المسلم الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة ابراهيم « وكان حنيفا مسلما » وقال بعضهم : الحنيف كل من أسلم في أمر الله ، ولم يلتو في شيء والجمع الحنفاء . وقال بعضهم : قيل حنيف ، لانه تحنف عن الاديان كلها : أي مال الى الحق . وفي الحديث أحب الاديان الى الله الحنفية السمحة ، وهي ملة ابراهيم لا حرج فيها ، ولا ضيق . وأصل الباب الحنف ، وهو الميل .

ونصب « ملة ابراهيم » يحتمل اربعة اوجه ،

احدها ـ ان كونوا هوداً أو نصارى . قد تضمن معنى اتبعوا اليهودية والنصرانية ، فعطف به على المعنى .

والثاني ـ على الحال كأنه (٢) قال بل نتبع ملة ابراهيم . فالاول عطف والثاني [حذف] .

والثالث ـ على معنى بل أهل ملة ابراهيم ، فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى « واسأل القرية » . والرابع ـ على الاغراء .

قوله تعالى :

« قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ

« ١ » اللسان (حنف) وروايته (في فتيانكم من مثله) .
« ٢ » في المخطوطة بياض . في المطبوعة هكذا : (الحال قال .)

النَّبيونَ من ربهم لا نُفرّقُ بين أحدٍ منهم ونحنُ له مُسلمون »
(١٣٧) ـ آية واحدة بلا خلاف . ـ

قوله تعالى : « قولوا آمنا بالله » يحتمل ان يكون جوابا ـ على ما روي عن ابن عباس : أن نفراً من اليهود أتوا رسول الله (ص) فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ، فقال أؤمن بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ... الى آخرها ـ ، فلما ذكر عيسى جحدوا بنبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن آمن به ، فأنزل الله فيهم « قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون » (١) .

والثاني ـ قال الحسن وقتادة : أمر الله المؤمنين أن يقولوا : « آمنا بالله وما أنزل الينا » الآية ، وجعل ذلك محنة فيما بينهم وبين اليهود والنصارى .

اللغة :

والاسباط جمع سبط . قال تغلب : يقال : سبط عليه العطاء والضرب : اذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض وانشد الثوري في قطيع بقر :

كأنه سبط من الاسباط (٢)

شبهه بالجماعة من الناس يتتابعون في أمر . والسبط : جماعة . ومن ثم قيل لولد يعقوب أسباط . وشعر سبط : سلس منبسط . ومنه سمي الساباط لانبساطه بين الدارين حتى يجمعهما . والسباطة : الكناسة بعضها الى بعض . وقال ابن دريد : السبط واحد الاسباط ، وهم أولاد اسرائيل . وقالوا : الحسن والحسين سبطا رسول الله (ص) أي ولداه . والسباطة ما سقط من سقط الشعر اذا سرحته . واخذت

---

(١) سورة المائدة : آية ٦٢
(٢) اللسان « سبط »

ولاناً سباط : اذا اخذته الحمى . والسبط من اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب .
ويقال هو سبط الكفين : اذا كان طويل الاصابع . والسبط : قناة جوفاء مضروبة
بالقصب يرمى فيها سهام صغار ينفخ نفخاً لا يكاد يخطىء وأصل الباب : السبط
وهو التتابع . وقال الزجاج : السبط الجماعة الذين يرجعون الى أب واحد . والسبط :
الشجر . والسبط : الذين من شجرة واحدة . وقال قتادة : الاسباط يوسف واخوته
ولد يعقوب اثني عشر رجلا فولد كل واحد منهم أمة من الناس . فسموا الاسباط
وبه قال السدي والربيع وابن إسحاق . واسماء الاثني عشر ذكر وهم : يوسف
ويامين ، وروبيل ، ويهوذا ، وشمعون ، ولاوي ، ودان ، وقهاب ، (١) ويشجر ،
وتفتالي ، وجاذ ، واشر . ولا خلاف بين المفسرين انهم ولد يعقوب . وقال كثير
من المفسرين : انهم كانوا انبياء . والذي يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا أنبياء
باجمعهم ، لانه وقع منهم من المعصية ما فعلوه مع يوسف (ع) مالا خفاء به ، والنبي
عندنا ، لا يجوز عليه فعل القبائح : لا صغيرها ، ولا كبيرها ، فلا يصح مع ذلك
القول بنبوتهم . وليس في ظاهر القرآن أنهم كانوا انبياء وقوله تعالى : « وما انزل
الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط » لا يدل على انهم كانوا أنبياء
لأن الانزال يجوز أن يكون على بعضهم ممن كان نبياً ، ولم يقع منه ما ذكرناه
من الافعال القبيحة . ويحتمل أن يكون المراد انهم امروا باتباعه . كما يقال : انزل
الله الى امة النبي (ص) القرآن . كما قال : « وما أنزل الينا » وان كان المنزل على
النبي (ص) ، لكن لما كانوا مأمورين بما فيه اضيف بانه انزل اليهم .

ومعنى قوله : « لا نفرق بين أحد منهم » انا لانؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعض ، كما فعلت اليهود والنصارى ، فكفرت اليهود بعيسى ومحمد (ص) وكفرت
النصارى بسليمان ونبينا محمد صلى الله عليهما .

وقوله تعالى : « ونحن له مسلمون » خاضعون بالطاعة . وقيل : مذعنون له

«١» في المخطوطة والمطبوعة كما هو مثبت وكذلك في مجمع البيان . وفي تفسير الطبري ٣ :
١١٢ ـ دار المعارف المصرية قهات ـ

بالعبودية وقيل مستسلمون لامره ، ونهيه اعتقاداً وفعلا وقيل داخلون في حكم الاسلام الذي هو دينه ، كما قال : « إن الدين عنـــد الله الاسلام » والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق جعل الشيء مفارقا لغيره ، والفرق نقيض الجمع ، والجمع جعل الشيء مع غيره ، والفرق جعل الشيء لا مع غيره والفرق بالحجة هو البيان الذي يشهد ان الحكم لاحد الشيئين دون الآخر ، وفائدة الآية الامر بالايمان بالله والاقرار بالنبيين ، وما انزل اليهم من الكتب ليتعبدوا به من الاحكام ، والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه من النبوة .

قوله تعالى :

فَانْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وإِن تَوَلَّوا فَانَّما هُم في شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهوَ السميعُ العَلِيمُ (١٣٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

اخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به ، فقد اهتدوا الى طريق الجنة . والباء في قوله « بمثل ما امنتم » يحتمل ثلاثة اشياء :

اولها ـ ان تكون زائدة والتقدير ، فان آمنوا مثل الذي امنتم أي مثل ايمانكم كما قال : « كفى بالله » والمعنى كفى الله . قال الشاعر :

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهياً (١)

والثاني ان يكون المعنى بمثل هذا ولا تكون زائدة . كأنه قال : فان آمنوا على مثل ايمانكم ، كما تقول : كتبت على مثل ما كتبت ، وبمثل ما كتبت كأنك تجعل المثال آلة يتوصل به الى العمل ، وهذا أجود من الاول .

والثالث ـ أن تلغى مثل ، كما ألغيت الكاف في قوله : « فجعلهم كعصف

---

(١) اللسان (نهي) وصدره :

عمية ودع ان تجهزت غاديا

مأكول » (١) وهذا أضعف الوجوه لانه اذا أمكن حمل كلام الله على فائدة ، فلا يجوز حمله على الزيادة ، وزيادة الاسم أضعف من زيادة الحرف ، كزيادة ما ولا وما أشبه ذلك .

وروي عن ابن عباس انه قال : لا تقولوا « فان آمنوا بمثل ما امنتم به » فانه ليس لله مثل ولكن قولوا « فان آمنوا بالذي آمنتم به » وهذه رواية شاذة مخالفة لما أجمع عليه القراء . ومتى صحت فالوجه فيها أن يكون أراد أن يفسر المعنى فكانه قال : لا تتأولوه على الجمل لله عز وجل مثلا فانه شرك ، لكن تأولوه على ما يصح تأويله من غير تمثيل للمعبود تعالى . وقال ابن عباس : ان الايمان هو العروة الوثقى وانه لا يقبل عملا إلا به ، ولا تحرم الجنة إلا على تركه .

وقوله تعالى : « وان تولوا » معناه ان اعرضوا عن الايمان وجحدوه ولم يعترفوا به « فانما هم في شقاق » معناه انهم في مفارقة . في قول قتادة والربيع ، وقال ابن زيد الشقاق هو المنازعــة والمجادلة . قال الحسن : معناه التعادي وأصل الشقاق يحتمل ان يكون مأخوذاً من الشق ، لانه صار في شق غير شق صاحبه ، للعداوة المباينة ، ويحتمل أن يكون مأخوذاً من المشقة لانه يحرص على ما يشق على صاحبه ، ويؤذيه . وفي الآية دلالة على نبوة النبي (ص) ، لان الله تعالى وعده ان يكفيه من يعاديه من اليهود والنصارى الذين شاقوه بقوله : « فسيكفيكهم الله » فكان الامر على ما وعد به .

اللغة :

والكفاية والوقاية والسلامة نظائر تقول كفى يكفي كفاية : اذا قام بالامر واكتفى اكتفاء ، واستكفى استكفاء ، وتكفى تكفياً ، وكفاك هذا الامر أي حسبك ورأيت رجلا كافيك من رجل أي كفاك به رجلا . وأصل الباب الكفاية ، وهو بلوغ الغاية يقال يكفي ويجزي ويغني بمعنى واحد .

---

(١) سورة الفيل : آية ٥

قوله تعالى :

صِبغةَ اللهِ وَمَن أَحسنُ من اللهِ صبغةً وَنحنُ لهُ عابِدُون

(١٣٩) آية بلا خلاف .

قوله تعالى : « صبغة الله » معناه فطرة الله . في قول الحسن وقتادة وابي العالية ، ومجاهد وعطية وابن زيد والسدي . وقال الفراء والبلخي : انه شريعة الله في الختان الذي هو التطهير وقوله : « صبغة الله » مأخوذ من الصبغ ، لان بعض النصارى كانوا اذا ولد لهم مولود جعلوه في ماء طهور يجعلون ذلك تطهيراً له ، ويسمونه المعمودية : فقيل : صبغة الله أي تطهير الله ، لا تطهيركم بتلك الصبغة . وهو قول الفراء : وقال قتادة : اليهود تصبغ ابناءها يهوداً والنصارى تصبغ ابناءها نصارى ، فهذا غير المعنى الاول ، وانما معناه : انهم يلقنون اولادهم اليهودية والنصرانية ، فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه ، فقيل صبغة الله التي امر بها ورضيها يعني الشريعة ، لاصبغتكم . وقال الجبائي سمى الدين صبغة لانه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة وقال امية :

في صبغة الله كان اذ نسي الـ　　　　عهد وخلّى الصواب اذ عزما

اللغة :

قال صاحب العين : الصبغ ما يلون به الثياب ، والصبغ مصدر صبغت والصباغة حرفة الصباغ ، والصبغ ، والصباغ : ما يصطبغ به في الاطعمة . والاصبغ من الطير ما ابيض ذنبه أو بعضه . وأصل الباب الصبغ : وهو المزج للتلوين .

الاعراب :

ونصب « صبغة الله » في الآية يحتمل امرين :

احدها ـ أن يكون مردوداً على « بل ملة ابراهيم » بدلا منه وتفسيراً له .

والثاني ـ اتبعوا صبغة الله . والاجود الاول . وكان يجوز الرفع بتقدير هي صبغة الله .

المعنى :

ومعنى قوله : « ومن أحسن من الله صبغة » واللفظ لفظ الاستفهام . وبه قال الحسن وغيره .

وقوله « ونحن له عابدون » يجب أن نتبع صبغته لا ماصبغنا عليه الآباء والاجداد . وقيل معناه « ونحن له عابدون » في اتباعنا ملة ابراهيم صبغة الله للاعتراف بالوجه الذي اتبعوه .

قوله تعالى :

« قلْ أتحاجُّونَنا في اللهِ وَهُوَ رَبُّنا وَرَبُّكم ولَنا أعمالُنا وَلَكم أعمالُكمُ وَنحنُ لهُ مُخلِصونَ (١٤٠) آية

المعنى :

أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن يقول لهؤلاء الكفار « اتحاجوننا في الله » ومعناه : تخاصموننا وتجادلوننا فيه وهو تعالى الذي خلقنا وانعم علينا ، وخلقكم وانعم عليكم . وكانت محاجتهم له (ص) انهم زعموا انهم أولى بالحق ، لانهم راسخون في العلم ، وفي الدين ، لتقدم النبوة فيهم ، والكتاب ، فهم أولى بأن يكون الرسول منهم . وقال قوم : بل قالوا : نحن أحق بالايمان ، لانا لسنا من العرب الذين عبدوا الاوثان ، فبين الله تعالى وجه الحجة عليهم انه ربنا وربهم ، فهو أعلم بتدبيرنا وتدبيرهم ، ومصلحتنا ومصلحتهم ، وانه لا حجة علينا في اجرام (١) غيرنا ومعاصيهم . وقال الحسن : كانت محاجتهم أن قالوا : نحن اولى بالله منكم ،

(١) في المطبوعة (من) زائدة في هذا الموضع .

وقالوا : « نحن ابناء الله واحباؤه » (١) وقالوا : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » وقالوا « كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا » وغرضهم بذلك الاحتجاج بان الدين ينبغي ان يلتمس من جهتهم ، وأن النبوة اولى أن تكون فيهم وليس الامر على ما ظنوا ، لان « الله اعلم حيث يجعل رسالته » (٢) ومن الذي يقوم باعبائها ، ويتحملها على وجه يكون اصلح للخلق واولى بتدبيرهم .

وقوله : « لنا اعمالنا » معناه الانكار لاحتجاجهم باعمالهم ، لانهم مشركون، ونحن له مخلصون . وقيل معناه الانكار للاحتجاج بعبادة العرب للاوثان ، فقيل: لا حجة في ذلك إذ لكل احد عمله ، لا يؤخذ بجرم غيره .

اللغة :

والاعمال والافعال والاحداث نظائر . والاخلاص والافراد والاختصاص نظائر وضد الخالص المشوب .

وقوله : « ونحن له مخلصون » فيه احتجاج بأن المخلص لله اولى بالحق من المشرك به . وقيل معناه : الرد عليهم بما احتجوا به من عبادة العرب للاوثان ، بانه لا عيب علينا في ذلك اذا كنا مخلصين ، كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من الاسلاف اذا اعتقدتم الانكار عليهم ، بانهم على الاشراك بالله بالتشبيه له ، والكفر بآياته . وقال ابن عباس : معنى « اتحاجوننا » أتجادلوننا . وقال مجاهد : معناه أتخاصموننا . وبه قال ابن زيد .

ومعنى « في الله » في دين الله ، والالف صورتها الاستفهام . ومعناه الانكار ويجوز في « اتحاجوننا » ثلاثة اوجه من العربية : الاظهار ، والادغام ، والحذف . فالادغام تشديد النون ، والحذف تخفيف النون الواحدة .

قوله تعالى :

---

(١) سورة المائدة : آية ٢٠

(٢) سورة الانعام : آية ١٢٤ .

« أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » (١٤١) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر « أم تقولون » بالتاء . ووافقهم ابن عامر ورويس . الباقون بالياء .

المعنى :

من قرأ بالياء جعله متصلا بما قبله من الاستفهام كأنه قال : اتحاجوننا في الله أم تقولون ان الانبياء كانوا على دينكم . والتقدير بأي الحجتين متعلقون في امرنا : أبا لتوحيد ، فنحن موحدون ، أم باتباع دين الانبياء ، فنحن لذلك متبعون . ومن قرأ بالياء ، فالوجه فيه انه عدل الى حجاج آخر عن الحجاج الاول . كأنه قال : بل أتقولون ان الانبياء من قبل ان تنزل التوراة والانجيل كانوا هوداً أو نصارى . ويكون قد اعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم ، كما يقبل العالم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنعة : فيقول : قد قامت عليه الحجة أم يقول بابطال النظر المؤدي الى المعرفة . وقد انكر الطبري القراءة بالياء ، وقال هي شاذة لا تجوز القراءة بها وليس الامر على ما ظن بل وجهها ما بيناه . ومعنى الآية : الاحتجاج عليهم في قولهم : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » فقيل لهم : كيف ذلك ، والامر بخلافه من وجهين :

احدهما ـ ما اخبر به نبينا عليه السلام مع ظهور المعجز الدال على صدقه .

والآخر ما في التوراة والانجيل من أنهم كانوا على الحنيفية ، لان عندهم اسم اليهودية يقع على من تمسك بشريعة التوراة والنصرانية اسم لمن تمسك بشريعة

الانجيل . وقد قال الله تعالى : وما انزلت التوراة والانجيل إلا من بعده » (١) وقيل ايضاً ان معناه التوبيخ لاهل الكتاب بادعائهم عليهم خلاف الاسلام بغير حجة ولا برهان .

وقوله : « أأنتم اعلم أم الله » صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله : « أأنتم أشد خلقاً أم السماء » (٢) .

اللغة :

والاعلم والاعرف والادرى بمعنى واحد . والاظلم والاجور والاعتى نظائر ، فان قيل لم قال : « أأنتم أعلم أم الله » وقد كانوا يعلمونه وكتموه ، وانما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم ، قلنا من قال : انهم كانوا على ظن وتوهم : فوجه الكلام على قوله واضح . ومن قال : كانوا يعلمون ذلك وانما كانوا يجحدونه يقول : معناه ان منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان الله اخبر به فما ينفعه ذلك مع إقراره بان الله اعلم منه ، وانه لا يخفى عليه شيء ، لان ما دل على انه اعلم هو الدال على انه لا يخفى عليه شيء ، وهو انه عالم لنفسه ويعلم جميع المعلومات .

وقوله تعالى : « ومن اظلم ممن كتم » قيل في (من) في قوله : « من الله » ثلاثة اقوال :

احدها ـ انها بمعنى ابتداء الغاية ، لان الله تعالى ابتدأ الشهادة في التوراة والانجيل بصحة النبوة لمحمد صلى الله عليه وآله ، ويكون ابتداء الشهادة بأن الانبياء كانوا على الحنيفية ، فهذه شهادة من الله عندهم .

والثاني ـ كتمها من عباد الله .

والثالث ـ ما حكاه البلخي : انه بمنزلة من أظلم ممن يجور على الفقير الضعيف من السلطان الغني القوي : أي فلا احد أظلم منه . والمعنى انه يلزمكم ان لا أحد أظلم من الله تعالى عن ذلك إذ ما يكتم ما فيه الغرور للعباد ، ليوقعهم في الضلال وهو

---

(١) سورة آل عمران . آية ٦٥ .

(٢) سورة النازعات : آية ٢٧ .

الغني بنفسه الذي لا يجوز أن يلحقه المنافع والمضار جل ثناؤه وتقدست اسماؤه ، وهذا الذي ذكره يلزم اليهود والجهال . كما حكى الله تعالى عنهم « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا (١) والشهادة التي كتموها قيل فيها قولان :

احدها ـ قال مجاهد والربيع وابن ابي نجيح : انهم كتموا الشهادة بانهم كانوا على الاسلام .

والثاني ـ قال الحسن وقتادة وابن زيد واختاره الجبائي : انهم كتموا الشهادة بالبشارة التي عندهم بالنبي (ص) . فان قيل اذا كان الذي كتموه امر محمد صلى الله عليه وآله فكيف يتصل بما قبله : قيل قال الحسن : كتموا محمداً صلى الله عليه وآله ودينه لأن في دينه ان ابراهيم كان مسلماً لم يك من المشركين. والاحتجاج عليهم « أ أنتم أعلم أم الله » على وجه الالزام لهم بالجهالة كانه قيل : اذا زعمتم أن هؤلاء كانوا يهوداً أو نصارى ، وقد اخبر الله بخلاف ذلك عنهم فقد لزمكم أن تكونوا أعلم من الله تعالى ، وهذا غاية الخزي لمن بلغه .

وقوله تعالى : « وما الله بغافل عما تعملون » فالغفلة والسهو والسنة نظائر ومعنى الآية يحتمل امرين :

احدها ـ ليس الله بساه عن كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بها لله تعالى .

الثاني ـ ان يكون على عمومه والمعنى : أنه لا يخفى عليه شيء من المعلومات لا صغيرها ، ولا كبيرها فكونوا على حذر من الجزاء على السيئات بما تستحقونه من العقاب ، وكتم واخفى واسر معناها واحد والبينة والحجة واحد .

قوله تعالى :

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١) آية بلا خلاف .

---

(١) سورة المائدة : آية ٦٧ .

المعنى :

قيل في تكرار قوله تلك امة قد خلت قولان :

احدهما ـ انه عنى بالاول : ابراهيم ومن ذكر معه من الانبياء .

والثاني ـ عنى به اسلافهم من آبائهم الذين هم على ملتهم .

والقول الثاني ان الجواب اذا اختلفت أوقاته فكان الثاني في غير موطن الاول ، وكان بعد مدة من وقوع الاول بحسب ما اقتضاه الحال لم يكن ذلك معيباً عند أهل اللغة ، ولا عند العقلاء ، والاعتراض عليهم بقوله « تلك أمة قد خلت » انه اذا لم تشكوا أن يكون فرضهم غير فرض الامة التي قد خلت قبلكم ، ولا تحتجوا بأنه لا يجوز أن يخالفوا عليه ، ولو سلم لكم أنهم كانوا على ما تذكرونه ما جاز لكم أن تتركوا ما نقل لكم الله عنه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وآله إذ لله تعالى ان ينسخ من الشريعة ما شاء على ما يعلم في ذلك من وجوه الحكمة ، وعموم المصلحة . وقيل : ان ذلك ورد مورد الوعظ لهم بانه : اذا كان لا يؤخذ الانسان إلا بعمله فينبغي ان تحذروا على انفسكم ، وتبادروا بما يلزمكم ، ولا تتكلوا على فضائل الاباء والاجداد فان ذلك لا ينفعكم اذا خالفتم امر الله فيما اوجب عليكم .

والمعني بقوله تلك امة قد خلت على قول قتادة والربيع ابراهيم عليه السلام ومن ذكر معه . وعلى قول الجبائي : وغيره : من سلف من آبائهم الذين كانوا على ملتهم اليهودية والنصرانية. وقد بينا فيما مضى أن الأمة الجماعة التي تؤم جهة واحدة كأمة محمد (ص) التي تؤم العمل على ما دعا اليه . وكذلك أمم سائر الانبياء (ص) والخلاء الفراغ يقال : فرغ من عمله ، وفرغ من مكانه . وانما قيل لما مضى خلا ، لانه خلا منه مكانه . والكسب الفعل الذي يجر لفاعله نفعاً او يدفع به ضرراً . وانما قيل كسب السيئة ، لانه اجلب النفع عاجلا .

وقوله : « ولا تسألون » معناه لا تطالبون . والسؤال الطلب . وهو ايضاً الاخبار الذي اقتضاه ما تقدم من الكلام أي لا يقال لكم لم عصي آباؤكم . وانما يقال لكم لم عصيتم ولم ظلمتم .

تم المجلد الأول من التبيان

ويليه المجلد الثاني

وأوله « سيقول السفهاء من الناس » . . . (١٤٢)[1]

ملاحظة : اعتمدنا ـ اكثر ما اعتمدنا ـ في تصحيح هذا المجلد على تفسير مجمع البيان لأن الطبرسي (رحمه الله) كثير النقل عن التبيان والله الملهم للصواب ـ المصححان ـ .

---

(١) كررنا هذا الرقم لأن الشيخ رقم آية آيتين حسب قراءة البصريين وراجعنا التفاسير كلها فوجدناها مرتبة حسب القراءة الثانية فرجعنا بالترقيم .

الفهـــارس

وضعهـا

أحمد شوقي الأمين و أحمد حبيب قصير

فهارس المقدمة

فهرس المواضيع

فهرس الاعلام المذكورة في التعليق (١)

(١) بما أن وجود الاعلام بكثرة في الاصل اقتصرنا على ذكر الاعلام الموجودة في الحاشية فقط .

(١) ورد هذا الاسم بتعبيرين : شيخ الطائفة والشيخ الطوسي جمعناهما بلفظ واحد (الطوسي) .

فهرس القوافي

فهرس الخطأ والصواب

بالرغم مما بذلناه من الجهد في تصحيح المقدمة فقد وقعت بعض الأخطاء المطبعية وآثرنا الاشارة اليها ها هنا ، كما ان ترقيم الصفحات بالحروف أصبح بعد طول الموضوع غير مفهوم من قبل الاكثرية ، ولذلك اضطررنا الى ترقيم الصفحات خطأ وتعيينها في جدول الخطأ والصواب بالارقام لا الحروف الأبجدية ـ مصحح المقدمة ـ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٩	إبن	بني
٧	٧	الجمري	ابن الجمري
٨	١٧	بالمقلدة	بالمقلدة
٩	١٩	ووجههم	ووجههم
١٧	٤	الحسيني	الحسني
٢٤	٤	تهذيبات	تنبيهات
٣٧	٢١	وثلاثون	وثلاثين
٥٣	٢٣	أو الدها	أو والدها
٥٤	٥	خلط آخر	خلطاً آخراً
٥٤	١٩	القاعدة	العادة
٥٥	٥	توفيا	توفيتا
٥٧	١١	وأبي القاسم	وعلى يد أبي القاسم
٥٧	١٢	خمسمائة درهم	زائد
٦٣	١٠	لم يرتضيا	لم يرتضها
٦٣	١٤	خطئه	في خطئه
٦٤	٨	عدم	مع عدم
٧٣	٥	المتقدمة	المتقدمين

فهارس المجلد الاول من التبيان

١ – فهرس المواضيع

٢ـ فهرس الآيات المستشهد بها

(٢) سورة البقرة

(٣) سورة آل عمران

(٤) سورة النساء

٣ ـ فهرس الامثال

٤ — فهرس القوافي

(١) اذا وضعنا القافية ضمن هذا القوس دلالة على ان عجز البيت من وضعنا واذا وضعنا اول البيت ضمنه فالصدر من وضعنا

٥ - فهرس الأحاديث

الصفحة

٦ - فهرس الردود

٧ ـ فهرس المباحث اللغوية

٨ ـ فهرس الخطأ والصواب

ص	سطر	خطأ	صواب
٤	١٩	عن	عنه
٢٥	٠١	بآية واحد	بآية واحدة
٣٥	١٥	الكنانة	الكناية
٤٧	١٩	قال	قول
٧٧	١٩	جميع	جمع
١٠٢	١٦	من الميت ويدبر	ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر
١٠٩	٠٨	وزقا	رزقا
١١٨	٠٨	آخواً	آخراً
١٢٠	٣ ـ حاشية	فاطمة	فاطر
١٢٥	٠٥	من سيف	من غير سيف
١٦٤	٠٢	وعدوداً	وعدواً
٢٢٢	١٠	بكم	ربكم
٢٣٢	١٨	وحده	وعده
٢٤١	٠٦	مين	من
٢٤٥	١٢	فتلني	قتلتني
٢٤٩	١٢	لله	الله
٢٥٦	١٣	القبح	الضح
٢٧٦	١٤	فاستجنا	فاستجبنا
٣٥٢	١١	ابياء	انبياء
٣٧٢	٠٣	مكان	ما كان
٣٧٩	٠٧	النور	النمو
٣٨٤	١٣	في الدنيئة	الدنيئة
٤٤٨	١٤	اليعيض	التبعيض

وثمة أخطاء مطبعية لا تنقص من المعنى ولا تزيد فيه تركناها لفهم القارىء الكريم ونسأله تعالى العصمة من الزلل .